

الأمم
والدول
والشعوب
والأقوام
والعراق الطغوى

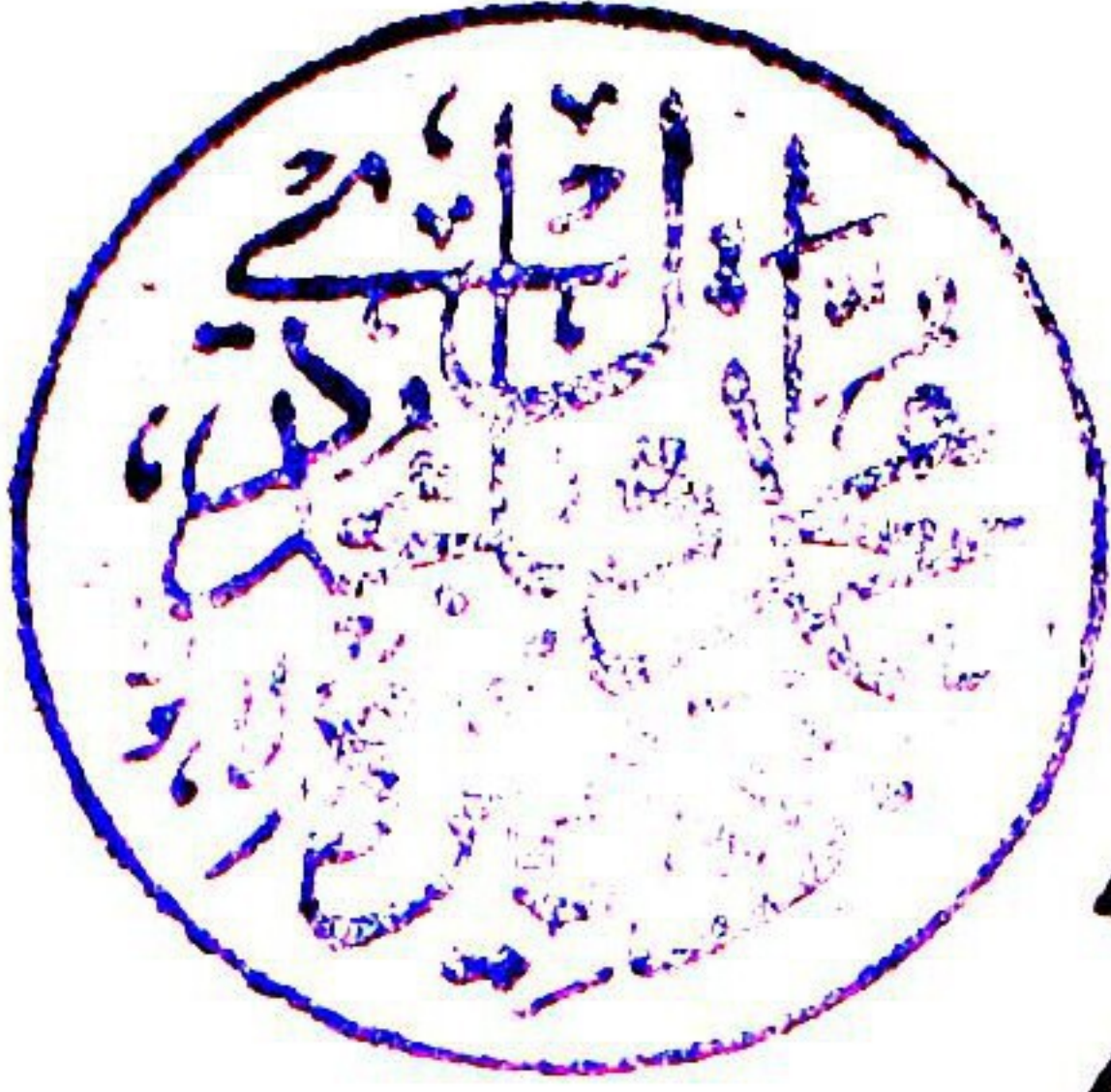
تطكت
وآراء الكتب
مكتبة
مكتبة

**Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi
Preserved in Punjab University Library.**

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ
پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ



لجنة نشر التراث الصوفي



اللمعة

لأبي نصر السراج الطوسي

حقيقه، وقدم له، وخرج أحاديثه

الدكتور عبد الحكيم محمود
طه عبد الباقي سرور

١٣٨٠ - ١٩٦٠

ملتزم الطبع والنشر
دار الكتب الحديثه بمصر
مكتبة المثنى ببغداد

129603

مطبعة السعدية
صيفان احمد ماهر اسما (الاسم المعلوم سابقاً)
٥ شارع العداوى - ٧٩١٢٩ - ص ٥٧٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



لجنة نشر التراث الصوفي

باسمك اللهم ومحمدك ، ولا إله إلا أنت ، ولا إله غيرك ، لا نستطيع أن
نحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك .

إليك سبحانك يصعد الكلام الطيب ، والعمل الصالح ترفعه وتباركه ،
وليس أطيب من كلم يشرق بحبك ، ويتعطر بذكرك ، ويدور حول
رضاك وهداك .

وليس أركى من عمل ، يقصد به وجهك ، ويستهدف به عزة هذه الأمة
التي ارتضيها لدينك ، واخترتها لقرآفك ، وباركتها بنبيك ، ولا يصالح أمر
هذه الأمة إلا به صلح به أولها .

ولهذا وضعنا المنهج العلمي ، لنشر الأصول الصوفية القديمة ، تلك الأصول
التي أضاعت أفق الحياة الإسلامية في أزهى عصورها ، وصنعت الأخلاق الإسلامية
في أنبل عهودها ، وصاغت لأمتنا في وثبتها الأولى ، فلسفتها الروحية ، وآفاقها
المثالية ، وخطوطها العريضة ، في المعرفة والتربية ، ومناهجها في السلك والخروج ،
ومعارجها في الحب والمناجاة ، وما إلى الحب والمناجاة ، من قربى إلى الله ،
ووسيلة إلى هداه ورضاه .

وإننا نستهدف من نشر هذه الأصول الصوفية ، أن تكون زادا طيباً
صالحاً مباركاً ، يتمثل في نهضتنا عزماً أياً ، وإيماناً قوياً ، وخلقاً مثالياً ،
وتوحيداً نقيماً .

فإذ عاد إلى القلب الإسلامي ، نوره القبراني ، وخلقه المحمدي ، وعزمه الإلهي ، عاد من جديد إلى الحياة ، ليقودها سعيدة مطمئنة إلى الله .

* * *

ولقد قدمنا من قبل لقراءنا ، كتاب « الرعاية لحقوق الله » للإمام الحارث المحاسبي ، وكتاب « التعرف لمذهب أهل التصوف » لتاج العلماء العارف الكلاباذي .

وإننا لسعدنا اليوم أن نقدم لقراءنا في العالمين العربي والإسلامي ، أكبر موسوعة صوفية عرفها التاريخ .

نقدم كتاب « اللمع » لأبي نصر السراج الطوسي ، أعظم مؤرخ صوفي ، في تاريخنا قديمه وحديثه .

قدمه محرراً محققاً ، بعد أن استكملنا النقص الكبير الذي كان في طبعته الأوربية التي قام بها المستشرق « نيكلسون » (١) .

كما قمنا بضبط أعلامه ، وتخريج أحاديثه ، والتقديم له والتعقيب عليه .

* * *

وبعد ، فإننا نوجه الشكر خالصاً وموفوراً للأساتذة الأصدقاء الذين ساهموا بعلمهم في إخراج هذا الكتاب .

(١) كان في طبعة نيكلسون قسم مفقود ، ابتداء من (باب في ذكر أبي الحسن النوري رحمه الله ، تم أبواب : ذكر أبي حمزة الصوفي . ذكر جماعات المشايخ الذين رموهم بالكفر . ذكر أبي بكر علي بن الحسن . ذكر محمد بن موسى الفرغاني . بيان ما قاله الواسطي) وقد أثبتنا هذا القسم المفقود .

وبهذا ينشر كتاب اللمع كاملاً لأول مرة في التاريخ .

نشكر فضيلة الأستاذ العالم المحدث السيد محمد الحافظ التيجاني ، فقد تولى فضيلته تخرج أحاديث « كتاب اللمع » بما عرفناه من علم وأمانة ، فأضاف عملاً صالحاً نافعاً مباركاً بإذن الله .

ونشكر الأستاذ السيد محمد عبد الشافي الذي بذل جهداً مشكوراً في جمع المصادر الخاصة بتاريخ السراج الطوسي مؤلف « كتاب اللمع » .

ونشكر الصفة المختارة من العلماء والأدباء ورجال الفكر ، الذين انبهت علينا كتبهم مشجعة ومقدرة لعملاً .

وإننا لنضرب إلى الله الكبير المتعال ، أن يتقبل عملنا ، وأن يباركنا ، ويمن علينا بالتوفيق والسداد ، ويمدنا بعزم من لده لنواصل جهادنا في نشر الأصول الصوفية الكبرى .

وما توفيقاً إلا بالله ، عابه توكلنا ، وإليه ما نخط أقلامنا ، وصلوات الله على المصطفى ، الذي أرسل هادياً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً .

ط عبد الباقي - رور - دكتور عبد الحلیم محمود

الجمعة | ٢٨ محرم عام ١٤٢٠ هـ
| ٢٢ يونيو عام ١٩٦٠ م

كِتَابُ اللَّمَعِ

وَمَكَانَتُهُ مِنَ التَّصَوُّفِ الْإِسْلَامِيِّ

مدرستان صوفيتان ، اعتصمتا بالكتاب والسنة ، واتخذتا من سيد المرسلين
إماماً وقدوة ، وجعلتا من أشزان الحب الإلهي ، ومن إلهامات الروح القرآني ،
ومن مثاليات الخالق المحمدي ، منبهجا في المعرفة ، وطريقا في السلوك ، ومعراج
لوصول ، فقدمتا للعالمين ، أروع وأقوى روحانية إيمانية متمسمة مهتدية ،
قدمتا التصوف الإسلامي مشرقا مبينا ، فه هدى ، وفيه نور ، يرسم الطريق
المستقيم المضيء ، طريق الخبتين المتبتلين ، الذين أحاروا الكون ، محاربين للمناجاة
والطاعات ، وجعلوا من مشاهد صفحات ناطقت مليمات ، الطريق المضيء الصاعد
إلى رضوان الله وقربه ، وأذنه ووجهه ، وهداه وعاه وفيضه .

مدرستان هما قلب التصوف ولسانه وريابه ، وإليهما الفتوى والفيصل في ما هدجه
وقواعده ، وسلوكه ومعارجه .

مدرستان تميزتا بالمعرفة الكاملة الصادقة ، الابعة من الكتاب والسنة ،
لم تتغرف بهما السبل ، ولم تجنح بهم الأذوان والأشوان ، قلما يعترفان أبدا ،
بالسبحة الفلسفية ، والشطحات المترنمة ، والكلمات الغامضة ، التي تسربت
إلى الأقب الصوفي ، وحارلت أن تنتسب إليه ، وأن تتستر بأشواقه وأذرافه .

أما المدرسة الأولى ، فهي مدرسة الإمام أبو القاسم الجيد ببغداد ، وهي مدرسة
اتخذت من المسجد ما بر لدعوتها ، وجعلت من حلقة بها معاهد لتخريج الرجال . .

الرجال الذين تموج بهم كتب الأصول الصوفية ، كأعلام تضيء كلماتهم الطريق وترسمه وتحده .

والمدرسة الثانية ، هي مدرسة الإمام أبو نصر السراج الطوسي نيسابور ، وهي مدرسة اتخذت من الكتب منابر لبيان دعوتها ، وشرح رسالتها ، ونشر علومها وأذواقها ومعارفها ومعارجها .

وجعلت من صفحات هذه الكتب معاهد لتخرج الفحول من الرجال ، وخزانة خالدة ، تحفظ للأجيال ، هذا التراث المضيء العظيم .

وصاحب الممع ، أبو نصر السراج الطوسي ، هو بحق ، أكبر المؤلفين الصوفيين وأستاذهم جميعاً بلا استثناء .

اقتنى أثره الهجویری فی كتابه « كشف المحجوب » (١) ، وتلمذ عليه ، أبو عبد الرحمن السلمي ، صاحب الطبقات (٢) ، وعلى السلمي ، تلمذ عبد الحكيم ابن هوازن أبو القاسم القشيري ، صاحب الرسالة القشيرية (٣) .

فؤان الممع إذن ، قد أنجبت مدرسته الأقلام العكيرة التي حفظت لنا ، ورسمت أمامنا ، مناهج الطريق وصانته وحمته من الدخيل والغريب .

كما احتضنت هذه المدرسة وحفظت لنا أيضاً ، تراث الجنيد وتلاميذه ورجاله . فأصبحت مدرسة السراج وحدها عبر التاريخ المحجة التي يلوذ بها ، ويهتدى بنورها ، عباد الرحمن الذين استهدفوا وجهه سبحانه ، وصعدوا بقومهم ويومئذ يمشون على الأفق الأعلى ، مع الملائ الأعلى ، لا يستنكفون عن عبادة ربهم . ولا يفترون عن ذكره وحده .

(١) علي بن عثمان الجلابي الهجویری توفی عام ٤٦٥ هـ .

(٢) توفی السلمي عام ٤١٢ هـ .

(٣) توفی القشيري عام ٤٦٥ هـ .

قوتهم طاعة ، وحياتهم عبادة ، ومناجاتهم حب ، ووجودهم قرب ، وفوقهم علم ، وبساطتهم أنس ، وخلقهم قرآن .

إنهم أمناء الله جل وعز في أرضه ، وخزينة أسرارهِ وعلمه ، وصفوته من خلقه ، كما يقول السراج الطوسي في اللمع .

إنها مدرسة المعرفة الصوفية النقية ، حمل اللواء فيها السراج ، والقشيري ، والمجويري ، والسلمي والكلاباذي (١) .

المدرسة التي حاربت في عنف وفي قسوة ، كل انحراف فلسفي ، أو شطح ذوقي ، تسرب إلى جوهر التصوف الإسلامي .

يقول المستشرق « نيكاسون » (٢) :

« ... ولهذا نجد أوائل المؤلفين في التصوف يرددون الأذار والتحذير من الوقوع في وحدة الوجود ، ويكررون القول : بأن الله تعالى مخالف للحوادث مخالفة تامة ، وأن أي اتصال به يوصف بأنه اتحاد بذاته كفر وضلال . »

ولا جدال في أن التصوف الإسلامي ، منذ فجره الأول ، قد ابتلى كما ابتليت المعارف الإسلامية كافة ، بالدخلاء الأذعياء سوكا وقولا .

ولهذا نجد أئمة التصوف ، منذ القرن الثالث الهجري ، وهم يحذرون وينذرون ، وكان أكبر المنذرين وأسبقهم الإمام السراج الطوسي .

يقول السراج في مقدمته لكتاب اللمع (٣) .

« ... وأعلم أن في زمننا هذا قد كثرت الخائضون في علوم هذه الطائفة ، وقد كثرت أيضاً المتشبهون بأدب التصوف والمشيرين إليها ، والمجيبون عنها وعن . »

(١) صاحب التعرف لمذهب أهل التصوف

(٢) في التصوف الإسلامي ص ١٠١

(٣) اللمع ص ١٩ طبع دار الكتب الحديثة

مسائرها ، وكل واحد منهم يضيف إلى نفسه كتاباً قد زخرقه ، وكلاماً ألفه ،
ولبس بمستحسن منهم ذلك ؛ لأن الأوائل والمشايخ الذين تكلموا في هذه المسائل
وأشاروا إلى هذه الإشارات ، ونطقوا بهذه الحكم ، إنما تكلموا بعد قطع العلائق ،
وإماتة النفوس بالمجاهدات والرياضات والمنازلات والوجد والاحتراف ، والمبادرة
والاشتياق إلى قطع كل علاقة قطعهم عن الله عز وجل طرفة عين ، وقاموا بشرط
العلم ، ثم عملوا به ، ثم تحققوا في العمل فجمعوا بين العلم والحقيقة والعمل .

وإذن فانحاضون في علوم التصوف ومسانله ، والمتشبهون الدخلاء المحجبون ،
قد كثروا في الأفق الصوفي ، منذ القرون الأولى في الإسلام .

والسراج يحذر منهم ويشير إليهم ، ثم يضع قاعدة ذهبية للتصوف والصوفية .

إنهم علماء قاموا بشرط العلم ، ثم عملوا به ، ثم تحقروا في العمل ، ثم عبروا
بذلك بين العلم ، والحقيقة والعمل .

ولهذا كن الصوفية عبر التاريخ ، نماذج للرجال الخلق والروحي ، ونماذج
للكمال التعبدي والإيماني ، ونماذج عالية سامقة ، في أفق العلم والمعرفة .

وكما يقول « ماسنيون » :

« إن رجال المعرفة الصوفية في الإسلام ، كانوا دائماً النماذج التي تقدم ما
الصورة الحية المنكرين الكبار في الإسلام » .

ويقول شاعر الإسلام « محمد إقبال » :

« إن الإسلام عند الصوفية يأخذ طبعاً من الكمال والكمال ، والإسلامية العاشقة
والأخوة العالمية ، لا تجده في إسلام النقباء أو المتكلمين » .

وكتاب « اللمع » هو الكتاب الأم ، في تاريخ التصوف الإسلامي ، وقد اجتمعت له خصائص ما نحسبها توافرت لغيره من كتب الحياة الروحية الإسلامية .

فهو أقدم مرجع صوفي إسلامي ، وهو فوق هذا أكبر هذه المراجع وأوثقها وأغزرها مائة ، وأنقاها جوهرًا وانظًا .

ومن مادته الخصلة انتبس كافة من أرخ للتصوف ، وعلى ضوء مناهجه وأبوابه وقواعده ، جرت الأفلام التي قدمت لنا عبر التاريخ علوم الطريق ورجاله .

وهو كتاب تاريخ ، ومدرسة علم ، وطرق ذوق ، وإشعاع يرشد السالكين ، ويعلم العلماء ، أو كما يقول « نيكسون » : « هو مدرسة عليا لتخريج الفحول من المتصوفة الصادقين » .

وكتاب « اللمع » قد استهدف في كل حرف فيه ، غاية قصد إليها ، وحرص عليها .

وهي رسم المبادئ الصوفية القوية ، تلك المبادئ التي تعبر عن روح القرآن ، وجوهر السنة .

المبادئ الخلقية والإيمانية التي تلامذت لفعل الرسول صلوات الله وسلامه عليه وهدية .

المبادئ التي تحيط بكل شيء في الحياة ، فتطوق فيه النور ، وتطلق فيه الروح ، وتطلق فيه الحب ، وتعمق فيه الاحساس المقدس ، الإحساس بالقرب من الله ، قرب ذوق ووجدان ، ومشاهدة ذوق ووجدان . . . فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

المبادئ التي تتحقق فيها كلمات الله التي صررت الأمة الإسلامية بأنها خير أمة أخرجت للناس .

فإذا صور السراج في « اللمع » تلك المبادئ فأحسن تصويرها، وأبدع رسمها، وأشاع الروح والحياة في أفقها، مدعماً لها بالأدلة القرآنية والنبوية والعلمية والذوقية، عمد إلى أدق وأبلى ما في كتابه .

عمد إلى بيان كامل، وحصر شامل، للأخطاء التي وقع فيها السالكون للطريق، إما عن سوء نية، أو عن قصد .

وهنا يتفوق السراج على نفسه، فهو عالم نفساني، وهو حكيم رباني، وهو مبصر ببصيرة علوية يتسأل بها إلى خفايا الصدور، وخفقات القلوب، كما يتسأل إلى دقائق المعرفة، ورقائق الذوق، فيكشف عن أخطاء العابدين، كما يكشف عن عقد الذاكرين، وتلميحات المحبين، ووسوسة الزاهدين، وهي أخطر عقبات الطريق ومزالمة .

فيجاء لنا بذلك كله وجه التصوف الإسلامي، كما جاء به القرآن، وكما صدره الرسول وهديه، وكما عاشه رجاله وأعلامه، وهم السفوة من خلق الله، والحيرة من عباده، وخزان العلم والمعرفة، علم الشريعة، وذوق الحقيقة، وفيض العطاء الرباني الذي تنامد عليه من اصطفى الله من عباده .

ذلك هو « كتاب اللمع » أو بمعنى أدق، ذلك بعض ما في « السراج »، ليدل على « اللمع » فكل تقديم « اللمع » لا يفيض بعمقه، ولا يفي بقده، ولا يصور عامه وذوقه .

إنه جامعة لتخريج النحول والأئمة الكبار، جامعة لا يعرف قدرها، إلا من تذوق منهجها وعاش في صفحاتها... وتلك رسالتك أيها القاري، الكريم .

التصريف بصاحب اللمع

أبو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي ، الملقب : بطاروس الفقراء .
توفي سنة ٣٧٨ هـ .

يقول عنه صاحب الفتح :

« . . . هو عبد الله بن علي بن محمد بن يحيى الصوفي الزاهد ، صاحب
« كتاب اللمع » في التصوف ، وقد تكون له مؤلفات أخرى لم تصل إلينا .
سمع جعفر الخلدي ، أبا بكر محمد بن داود الدقي ، وأحمد بن محمد السايح » .

ويقول صاحب تذكرة الحفاظ :

« . . . أبو نصر السراج عبد الله بن علي الطوسي الزاهد شيخ الصوفية ،
وصاحب « كتاب اللمع » في التصوف ، روى عنه جعفر الخلدي ، وأبي بكر
محمد بن داود الدقي . . . قال « الذهبي » كان المنظور إليه في ناحيته ، في الفتوة
وإسنان القوم ، مع الاستظهار بعلم الشريعة » .

ويقول العلامة السخاوي :

« . . . كان على طريقة أهل السنة . قال : خرجت مع أبي عبد الله
الروزباري ، التقي - أنبانيا - الرادب بصور ، فنفذ بنا إلى ديره ، وقلنا له :
ما الذي حبسك ها هنا ؟ قال : أسرني حلاوة قول الناس : يا رادب ،
وتوفي في رجب عام ٣٧٨ هـ (١) » .

(١) شذرات الذهب ج ٣

ويقول العلامة المستشرق « نيكسون » :

« . . . ليس لدينا إلا القليل عن تاريخ حياة السراج ، فإن مؤلفي التصوف القديم مروا عليه في سكوت ، وأول ما ورد ذكره حسب علمي ، في ملحق لتذكرة الأولياء ، كما عرض لذكره عرضاً قصيراً ، أبو المحاسن الذهبي في تاريخ الإسلام ، وأبو الفلاح في شذرات الذهب ، وأخبره من المؤلفين في سنيته الأولياء » .

ثم يقول : « ومن العجيب أن يغفل مؤلفو التصوف القديم شأنه ، فلم يوثقوا عنه أسفراً تحوى لنا تاريخه وتراجمه وأحواله ، مع أنه كان فريد عصره ، راسخ القدم في علوم القوم ، وشيخاً لمذهبهم في الزهادة والتصوف .

وكم كنت أتمنى لو سبق وجودي إلى عصره الذهبي أو الذي يليه لأترسم خطاه ، وأتبع آثاره وأخبره وأحواله ، فأميط اللثام عن مستور لو كشف لعجب عبيده ، وطيّب شذا عرفه الأنام .

على أنني لو أتيت لي أن أكون أحد معاصريه المترفين ما أظنني واقفاً عند هذا الحد من النعت والتعريف ، وأعمري ما كنت إلا جاهداً نفسي لكشف القاب عن حياة وأعمال هذا الإمام الجليل ، عساني أكون قد افتتحت مدرسة عليا لتخريج الفحول من الزهاد المتصوفة من أدل الرقعة النقراء المخلصين » .

وتروى لنا كتب السير الفارسية ، أن السراج كان يلقب بطووس الفقراء ، كما تروى كما يقول امجويري في « كشف المحجوب » : « ان السراج السراج وفد في رمضان إلى بغداد ، وفرد له غرفة خاصة في جامع « الشريفة » وأعطى رئاسة الدراويش ، وأنه كان في صلاة الزاوية ينتم القرآن خمس مرات ، وكان الخادم يحضر له رغيفا كل ليلة ، فيضعه في غرفته ، وفي يوم العيد ، وكان السراج قد رحل ، وجد الخادم الثلاثين رغيفا دون أن تمس .

وتروى لنا قصة أخرى ، أنه خلال محادثاته في التصوف أخذه الحل فحذف
بنفسه في نار موقدة ، وهو يدعو الله ، فلم تفتح له وجهها ، ولم تحرق له ثوباً .

وكتاب اللمع كما يقول « نيكاسون » يعطى صورة ناطقة عن السراج الرحالة ،
الذي تجول في أرجاء الإمبراطورية الإسلامية ، وتنقل بين القاهرة وبغداد ودمشق
والرملة ودمياط والبصرة وتبريز ونيسابور ، سالكاً طريق القوم ، ناشراً لعلومهم
ومعارفهم مجداً في الاجتماع بأعلام التصوف الإسلامي في عصره الذهبي ، ضارباً
اللائل الأعلى لمهجمهم بنفسه سلوكاً وذوقاً وفتوة .

ويقول أبو عبد الرحمن السلمي في طبقاته :

« . . . كان أبو نصر من أولاد الزهاد ، وكان المنظور إليه في ناحية الفتوة
ولسان القوم ، مع الاستظهار بعلم الشريعة ، وهو فقيه مشايخهم اليوم ،
ومات أبوه ساجداً » .

توفي رضوان الله عليه في رجب سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة هجرية « أكتوبر

سنة ٩٨٨ م » .

کتاب و الجامع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

كتب إليما أبو القاسم علي بن الإمام أبي العراج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ، وأبو . . . إسماعيل بن علي بن باتكين الحوهرى ، وأبو عبد الله محمد ابن عبد الواحد بن أحمد بن المتوكل على الله ، وأبو المجدى عبد الله بن عمر بن علي ابن زيد بن لثي ، وغيرهم من بغداد . وكتبت إلينا أم الفضل كريمة ابنة عبد الوهاب بن علي بن الخضر القرشي من دمشق . كلهم من أبي الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب بن إسحاق السجزي الصوفي المروي الماليني ، قال : أنبأنا أبو نصر أحمد بن أبي نصر الكوفي قراءة عليه في شهر ربيع الثاني سنة ثمان وستين وأربعمائة ، قال : أنبأنا أبو محمد الحسن بن محمد الحلبى شافى قراءة عليه ، قال : أنبأنا أبو نصر عبد الله بن علي الطوسي السمرقندي ، قال :

الحمد لله الذى خلق الخلق بقدرته ، ودانهم على معرفته بآثار منعه ونبوته ربوبيته ، واختار منهم صفوة من عباده وخير كفا من خلقه ، خص من شاء بما شاء كيف شاء ، وقسم لهم من الملائكة والنهم عند ما قسم ، وحكم لهم فى ذلك بما حكم ، وجعل لهم فى الهداية والتوفيق ، متداولين كنهوتهم فى الأخلاق والأردى والآجال والأعمال ، فلا غلام معلوم ولا شئ من مفهوما إلا وذلك فى كتاب الله عز وجل ، أو ما نورا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما فتح على قلوب أولياء الله ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة ، وإن الله لسميع عليم .

والصلاة على المقدم المعظم المكرم من آياته شمس الأولياء وقدر الأصفياء : محمد عبده ورسوله وعلى آله وسلم كثيرا .

أما بعد : فإني قد استخرتُ الله تعالى وجمعتُ أبواباً في معنى ما ذهب إليه أهل التصوف ، وتكلمتُ مشايخهم المتقدمين في معاني علومهم وعمدة أصولهم وأساس مذهبهم وأخبارهم وأشعارهم ومسائلهم وأجوبتهم ومقاماتهم وأحوالهم ، وما انفردوا بها من الإشارات اللطيفة والعبارات الفصيحة ، والألفاظ المشككة الصحيحة على أصولهم ، وحقائقهم ومواجيدهم وفصولهم .

وذكرتُ من كل فصل طرفاً ، ومن كل أصل طرفاً ونثفاً ، ومن كل باب لمعاً ، على حسب ما سنع به الحال ، ويمكن منه الوقت ، وجاد به الحق جل ذكره ، مقتدياً بالأُسوة والقدوة والبيان والحجة .

فينظر الناظر فيه عند تيقظ وتنبه وحضور قاب وفراغ نفس ، بحسن التوقف والتفكير والتأمل والتدبر ، بخلوص النية وطهارة القلب وضحة القصد ، متقرباً إلى الله تعالى ذكره ، وشاكراً له على ما منحه من تسديده وتوفيقه وهدايته إلى ، والآلة هذه العصابة (١) ، ومناوأة من بسط لسانه فيها بالوقية فيهم والإنكار عليهم وعلى سلفهم الماضين ، رحمة الله ورضوانه عليهم أجمعين ، لأنهم العصابة القليل عددها ، العظيم عند الله قدرها وخطرها .

وينبغي للعاقل في عصرنا هذا أن يعرف شيئاً من أصول هذه العصابة وتصودم (٢) ، وطريقة أهل الصحة والفضل منهم ، حتى يميز بينهم وبين المشبهين بهم (٣) ، والمتلبسين بلبسهم ، والمتسمين باسمهم . حتى لا يغلط ولا ياتم ، لأن هذه

(١) يقصد أهل التصوف .

(٢) جمع قصد بمعنى الاتجاهات والنوايا

(٣) أن ادعاء التصوف قديم وها هو ذا المؤلف المتوفى في القرن الرابع الهجري

يحدث من المهرجين باسم التصوف ، أما في عصرنا الحاضر فقد أصبح ادعاء التصوف أمراً عادياً ولعلنا بنشر هذا الكتاب نساهم في إعطاء الفكرة الصحيحة عنه حتى لا يراه الناس طيلاً وزمراً وبيارقاً وأساطير وجزى الله المؤلف خير الجزاء .

العصابة أعنى الصوفية ، هم أمناء الله ، حل وعز ، في أرضه ، وخزينة أسرارهِ وعلمهِ ، وصفوته من خلقهِ ، فهم عباده المُخلصون ، وأولياؤهُ المتقون ، وأحبَّاءهُ الصابِقون الصالحون ، منهم الأخيار والسابقون ، والأبرار والمقرَّبون ، والبدلاء والصدِّيقون ، هم الذين أحيا اللهُ بمعرفته قلوبهم ، (وزين) بخدمته جوارحهم ، وألهج بذكرهِ أَسْنَتهم ، وطهر بمراقبته أسرارهم ، سبق لهم منه الحسنى بحسن الرعاية ودوام العناية . فتوجَّه بهم بتاج الولاية ، وألبسهم حُلَّ الهداية ، وأقبل بقلوبهم عليه تعطفًا . وجمعهم بين يديه تطفنًا ، فاستغنوا به عما سواه ، وآثروا على ما دونه ، وانقطعوا إليه ، وتوكلوا عليه ، وعكفوا ببابه ، ورضوا بتضائه ، وصبروا على بلائه ، وفارقوا فيه الأوطان ، وهجروا له الإخوان ، وتركوا من أجله الأنساب ، وقطعوا فيه العلائق ، وهرَّبوا من الخلائق ، مستأنسين به مستوحشين مما سواه : (ذلك فضلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (١) الآية : (فِيهِمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) (٢) الآية : (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى) (٣) الآية .

واعلم أن في زماننا هذا قد كثرت الخائضون في علوم هذه الطائفة ، ودرَّسوا أيضًا المتشبهون بأهل التصوف والمشيرون إليها والمجيبون عنها وعن مسائلها ، وكل واحد منهم يضيف إلى نفسه كتابًا قد زخر به ، وكلامًا أُنشد ، وليس يستحسن منهم ذلك ، لأن الأوائل والمشايخ الذين تكلموا في هذه المسائل أشاروا بالبرهان والإشارات ونطقوا بهذه الحكم ، إنما تكلموا بعد قطع العلائق ، وادِّين بالجهاد والمجاهدات والرياضات والمنازلات والوجد والاحتراق ، والتمسوا به التصوف إلى سبع

(١) الجمعة : ٤

(٢) تكملة الآية : ومنهم مقتصدون ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير . فاطر : ٣٢ .

(٣) تكملة الآية : الله خير أما يشركون (النمل : ٥٩) .

كل علاقة قطعهم عن الله عز وجل طرفة عين ، وقاموا بشرط العلم ، ثم عملوا به ،
ثم تحققوا في العمل فجمعوا بين العلم والحقيقة والعمل .

قال أبو نصر رحمه الله : وقد حذفُ الأسانيد عن كثير مما ذكرت في هذا
الكتاب ، واقتصرت على متون الأخبار والحكايات والآثار للاختصار ، فما أصبْتُ
من ذلك فبمنامة الله عز وجل ، والحمدُ لله على ذلك ، وما أخطأتُ في ذلك ووقع
فيه شيء من لزيادة والمقصان فهو لارم لي ، وأنا أستغفر الله من ذلك ، وإنما
ذكرتُ في كتابي هذا أجوبة هؤلاء المتقدمين وأنفاظهم لأن لي فيها عناية عن
تكلفتُ كتكلفتُ المتأخرين في زماننا هذا إذ تكلموا في هذه المعاني بكلام
أو أجابوا عنها بجواب أو أضافوا ذلك إلى أنفسهم وهم متعرون عن حقائقهم
وأحوالهم .

وكل من أخذ من كلام المتقدمين لذين وصفناهم معني من معانيهم التي هي
أحوالهم ووجدتهم وسنة طاعتهم ، وحلاها من عنده بحلية غير ذلك ، أو كساها
عبارة أخرى ، أو أضافها إلى نفسه حتى يشار إليه بذلك ، أو يطلب بذلك جاهاً
عند العامة ، أو يريد أن يصرف بذلك وجوه الناس إليه لجر منفعة أو لدفع
مضرة ، فإنه عز وجل خصمه في ذلك وهو حسبيد ، لأنه قد ترك الأمانة وعمل
بالخيانة ، وهذه أعظم [وأكبر من] الخيانة التي في أسباب الدنيا : (وأن الله
لا يهدي كيد الخائنين) (١) ، وبالله التوفيق .

(١) من الآية ١٣ من سورة يوسف .

باب البيان عن علم التصوف ، ومذهب الصوفية ، ومنزاتهم ،
من أولى العلم الثمين بالقسط

قال الشيخ أبو نصر : سألتني سائس^١ عن البيان عن علم التصوف ، ومذهب الصوفية ، وزعم أن الناس اختلفوا في ذلك : فمنهم من يفلو في تفضيله ورفع فرق مرتبته ، ومنهم من يُخرجه عن حدّ المقتل والتحصيل ، ومنهم من يرى أن ذلك ضربٌ من اللهو واللعب وقلة المبالاة بالجهل ، ومنهم من ينسب ذلك إلى التقوى والتقشف والبس الصوف والتكلم في تنوّس^(١) ، وكلام واللباس وغير ذلك ، ومنهم من يسرف في الطعن وقبح المثل فيهم حتى ينسبهم إلى الزندقة والضلالة . فسألتني أن أشرح له من ذلك ما صحّ عندي من أصول مذهبهم الموثق بالمنوط بمناهج كتب الله عز وجل ، والافتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتخلق بأخلاق الصحابة والتابعين ، والتأدب بأداب عبادة الله العالين ، وأقيد ذلك بالكتب والآثار بالحجة ، ليحق الحق ويبطل الباطل ، ويعرف الجيد من المزول ، والصحيح من السقيم ، ويرتب كلّ وع منه في موضعه إذ كان ذلك علماً من علوم الدين ، وقبوله وبالله التوفيق .

إن الله تبارك وتعالى ، أحكم أساس الدين ، وأزال الشبهة عن آداب المؤمنين بما أمرهم به من الاعتصام بكتابه ، والتمسك بما وصل إليهم من كتابه ، قال جلّ جلاله : «وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا سُلُلًا لَا لَكُمْ أَلِيًّا ذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» (١) «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ» ثم ذكر الله تعالى في آيات أخرى : «وَالسَّلَامُ

(١) ترتيبه وتفسيره

(٢) تكملة الآية : «وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ آل عمران : ١٠٥

الدين رتبة فد كرمهم بعد ملائكته وشهد على شهادتهم له بالوحدانية بعد ما بدأ بنفسه
وثنى ملائكته فقال عز وجل : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم
فأما بالتقسيم (١) » وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « العلماء ورثة الأنبياء » .

وعندي ، والله أعلم ، أن أولى العلم الثمانيين بالتقسيم الذين هم ورثة الأنبياء ، هم
المتصرون بكتاب الله تعالى ، المجتهدون في متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
مقتدون بالصحة والتأهين ، النماكون سبيل أوليائه المتقين وعباده الصالحين ،
هم ثلثة أصناف : أصحاب الحديث ، والعقلاء ، والصوفية ، فهؤلاء هم الأصناف الثلاثة
من أولى العلم الثمانيين بالتقسيم الذين هم ورثة الأنبياء ، وكذلك أنواع العلوم كثيرة :
فعلم الدين من ذلك ثلاثة علوم : علم القرآن ، وعلم السنن والبيان ، وعلم حقائق الإيمان ،
وعلى العلوم المتداوية بين هؤلاء الأصناف الثلاثة وحمة علوم الدين لا تخرج عن ثلاث :
آيات من كتب الله عز وجل ، أو خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو حكمة
مستنبطة حطرت على قلب ولي من أولياء الله تعالى .

وأصل ذلك حديث الإيمان حيث سأل جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه
وسلم عن أصول ثلاثة : عن الإسلام والإيمان ، والإحسان الظاهر والباطن ، والحقيقة ،
فالإسلام ظاهر ، والإيمان ظاهر وباطن ، والإحسان حقيقة الظاهر والباطن ، وهو قول
النبي صلى الله عليه وسلم : الأحسان ، أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه
يراك ، وصدقته على ذلك جبريل ، والعلم مقرون بالعمل ، والعمل مقرون بالإخلاص ،
والإخلاص أن يريد العبد بعلمه وعمله وجهه ، الله تعالى ، وهؤلاء الأصناف الثلاثة في
العلم والعمل متفوتون ، وفي مقاصدهم ودرجاتهم متفاضلون ، وقد ذكر الله تعالى
تفاضلهم ودرجاتهم فقال عز وجل : « والذين أرتوا العلم درجات » (٢) ، وقول :
« وإلكل درجات مما عملوا » . وقال : « انظروا كيف فضلنا بعضهم »

(١) سورة آل عمران ١ : ١٨

(٢) سورة المجادلة : ١١

(٣) الأحقاف : ١٩

« على بعض (١) » ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الناس أكفاء متساوون كأسنان المشط (٢) ، لا فضل لأحد على أحد إلا بالعلم والتقى » .

فكل من أشكل عليه أصل من أصول الدين وفروعه وحقوقه وحقايقه وحدوده وأحكامه ظاهراً وباطناً فلا بد له من الرجوع إلى هؤلاء الأصناف الثلاثة : أصحاب الحديث ، والفقهاء ، والصوفية ، وكل صنف من هؤلاء مترسم بنوع من العلم والعمل والحقيقة والحال ، ولكل صنف منهم في معناه علم ، وعمل ، ومقام ومقال ، وفهم ، ومكان ، وفقه ، وبيان علمه من علمه وجهله من جهله ، ولا يرجع أحد إلى كمال يحوى جميع العزم والأعمال والأحوال ، وكل واحد قائم حيث وقفه الله تعالى ومحل حيث حبسه الله عز وجل ، وأنا أبين لك من ذلك إن شاء الله تعالى على حسب الطاقة أن كل صنف من هؤلاء بأي نوع من العلم والعمل ترسموا وبأي حال تفاضلوا ، وأنتهم أعلى طبقة لا يدفعها حقائق وحجج من غيرك إن شاء الله تعالى .

باب في نعت طبقات أصحاب الحديث ، ورسهم في النقل

ومعرفة الحديث ، وتخصيصهم بعلمه

قال الشيخ رحمه الله : فأما أصحاب الحديث فإنهم تعلقوا بظاهر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : هذا أساس الدين لأن الله تعالى يقول : « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمِمَّا كُرِهَتْ فَانْتَهُوا » . فلهذا خروا بذلك جوارحاً (١) البلاد ، وطلبوا رواة الحديث ، فزمنهم حتى نقلوا عنهم أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجمعوا ما روى عن الصحابة والتابعين ، وضبطوا ما وصل إليهم من سيرهم وآثارهم ومذاهبهم واختلافهم في أحكامهم وأفعالهم وأخلاقهم وأحوالهم ، وجمعوا رواياتهم بسمع الأذن وحفظ القلب والمصبط من أصول النقات من الثقات العدول عن العدول ، فأتقنوا ذلك ، وعرفوا أما كن الرواة في النقل والضبط ، ودونوا أسماءهم وكنائهم وموالدهم ووفاتهم ، وأرحوا ذلك حتى عرفوا أن كل رجل من هؤلاء كم من حديث رواه ؟ وعمتن رواه ؟ وعن نقل إليه ؟ ومن أخطأ منهم في النقل ؟ ومن غلط منهم في زيادة حرف أو نقصان نظمة ، ومن تعد منهم في ذلك ، ومن سوماح له بفاطحة أو هجزة ، حتى عرفوا أسماء المهمين منهم بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعرفوا من تصح عنه الرواية ومن لا تصح ، ومن انفرد منهم بحديث لا يرويه غيره ، أو انفرد بالنظمة است عند غيره ، فحفظوا أن كل حديث من ذلك كم من نفس روه ؟ وما العلة في ناقله ؟ حتى جمعوا الأبواب ، وبوأوا السنن ، وميزوا ما يدخل في الصحيح وما يختلف في صحته ، وما كان في روايته رجل ضعيف ، ووثقوا على رواية المقلين والمكثرين ، وفهموا أحاديث أئمة الأمصار ، وطبقات الرواة : التابع من المتبوع ، والكبير من الصغير .

وأحاطَ علمهم بعلل اختلاف الرواة ، وزياداتهم و نقصانهم ، وأما كتبهم ، في رواية السنن والآثار ، إذ كان ذلك أساس الدين .

وهم في ذلك متفاضلون حتى يستحق أحدهم بزيادة علمه وإتقائه وحفظه قبول الشهادة على العلماء في العدل والتجريح ، والردِّ والقبول ، وتكون شهادته مقبولة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال وفعل وأمر ونهى وندب ودعا ، قال الله تعالى : « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا » أي عدولاً « لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » (١) ، يقول : إنهم أصحاب الحديث : يشهدون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى الصحابة والتابعين فيما قالوا وفعلوا ويكون الرسول عليكم شهيداً فيما شهدوا عليه من أفعاله وأقواله وأحواله وأخلاقه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : من كذب على متعمداً هليتبوا مقعده من النار ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « نضر الله وجه امرئ سمع مني حديثاً فبلغه » الحديث . يقول : إن لا يكون واحد من أصحاب الحديث إلا وفي وجهه نضرة لموضع دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولأصحاب الحديث في معاني علمهم ورسومهم تصنيفات ولم أجد مشهوراً [كل منهم] قد أجمع أهل عصره على إمامته ، فضل عنه ورواه عنه وفهمه ودينه وإمامته ، وشرح ذلك يعادل ، وهذا ما كنت كارهة له ، وبالله التوفيق

باب ذكر طبقات النقاء

ونخصيصهم بما ترسموا به من أنواع العلوم

قال الشيخ أبو نصر رحمه الله : وأما طبقات النقاء وإيهم فضلوا على أصحاب الحديث [يقبول علوم أصحاب الحديث] والاتفق معهم في معاني علومهم ورسولهم .

ثم خُصوا بالنهم والامتنباط في فقه الحديث والتعمق بدقيق النظر في ترتيب الأحكام وحدود الدين وأصول الشرع ، فبينوا ذلك ، وميزوا الناسخ من المنسوخ ، والأصول من الفروع ، والخصوص من العموم ، بالكتاب والسنة والإجماع والقياس .

وبينوا للخلق في أحكام دينهم من القرآن والأثر ما نسخ حكمه وبقي كتابته ، وما نسخ كتابته وبقي حكمه ، وما كان لفظه عاماً والمراد به خاص ، أو كان لفظه خاصاً والمراد به عام ، أو كان خطاب جماعة والمراد به واحد ، أو خطاب واحد والمراد به جماعة ، وتكلموا بالألتجاجات العقلية على المخالفين ، واستدلوا بأبراديين البينة على أهل الضلالة نصره للدين ، وتمسكوا بنص الكتاب ، أو نص السنة ، أو قياس على النص ، أو إجماع الأمة ، وناظروا من خالفهم برسم النظر ، وجادلوا من جادلهم بأدب الجدل ، وعارضوا خصمهم بالمعارضات ، واغترضوا عليهم برد الاعتراضات واطراد العلل في المعلومات ، فوضعوا كل شيء في موضعه ، ورتبوا كل حد في مراتبه ، وفرقوا بين المقايسة والمشاكله والمجانسة والمقارنة ، وميزوا في الأوامر والنواهي ما كان منه حتماً وما كان منه ندباً ، وما كان منه ترغيباً وترهيباً ، وما كان [منه] محثوئاً عليه ومدعوئاً إليه ، فبينوا المشكل ، وحلوا العُمد وأوضحوا الطرق ، وأزالوا الشبهات ، وفرغوا على الأصول ، وشرحوا المُجمل ، وبسطوا المجموع ، وأخذوا

حدود الدين بالاحتياط ، حتى لا يقلد العلم علماً ، ولا الجاهل جاهلاً ، ولا الخاص
خاصاً ، ولا العام عاماً في ظواهر الأحكام وحدود الشريعة .

هم يحفظ على المسلمين حدودهم ، وقد ذكرهم الله تعالى في كتابه فقال عز
وجل : « فَلَولاَ نَفَرَمِنَ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لَّابْتَلَّنا فِي الدِّينِ » الآية ،
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من يرد الله به خيراً ينفقه في الدين » .

والفقهاء في معاني علومهم ورسومهم أيضاً مصنفات ، وله أئمة مشهورون ، قد
أجمع أهل عصرهم على إمامتهم ، وزيادة علمهم وفهمهم ودينهم وأمانتهم ، وتدرج
ذلك بطول ، والناقل يمدد بالتبديل على الكثير ، وبالله التوفيق .

باب ذكر الصوفية ، وطبقاتهم

وما ترسموا به من العلم والعمل ، وما خصوا به من الفضائل ، وحسن الشئ

قال الشيخ أبو نصر رحمه الله : ثم إن طبقات الصوفية أيضاً انفتحت مع الفقهاء وأصحاب الحديث في معتقداتهم وقبلوا علومهم ، ولم يخالفوهم في معانيهم ورسومهم ، إذا كان ذلك مجانباً للبدع واتباع الموى ، ومنوطاً بالأسوة والاقتداء ، وشاركونهم بالقبول والموافقة في جميع علومهم .

ومن لم يبلغ من الصوفية مراتب الفقهاء وأصحاب الحديث في الدراية والفهم ، ولم يُحط بما أحاطوا به علماً فإنهم راجعون إليهم في الوقت الذي يُشكل عليهم حكم من الأحكام الشرعية أو حدث من حدود الدين ، فإذا اجتمعوا فهم في جهاتهم فيما اجتمعوا عليه ، فإذا اختلفوا فاستجاب الصوفية في مذهبهم الأخذ بالأحسن والأولى والأتم احتياطاً للدين وتعظيماً لما أمر الله به عباده واجتنباً لما نهى الله عنه .

وايس من مذهبهم النزول على الرُحَص وطاب التأويلات [والميل إلى] الترفه والسعات وركوب الشبهات ، لأن ذلك تهاون بالدين ، [وتخلت عن الاحتياط] وإن مذهبهم التمسك بالأولى والأتم في أمر الدين [، فهذا الذي عرفنا من مذاهب الصوفية ورسومهم في استعمال العلوم الظاهرة المبذولة المتداولة بين طبقات الفقهاء وأصحاب الحديث .

ثم إنهم [من] بعد ذلك ارتقوا إلى درجات عالية ، وتعلموا بأحوال شريفة ومنازل رفيعة من أنواع العبادات وحقائق الطاعات والأخلاق الجميلة ، ولهم في معاني ذلك تخصيص لغيرهم من العلماء والفقهاء وأصحاب الحديث وشرح ذلك يطول ، غير أني أبين لك من كل شيء : طرفاً حتى تستدل بما أذكره على ما لا أذكره إن شاء الله تعالى .

باب ذکر تخصیص الصوفیة بالمعانی التي قد رسموا بها

من الآداب والأحوال والعلوم التي تفرّدوا بها من جملة العلماء

قال الشيخ أبو نصر رحمه الله : فأول شيء من التخصیصات للصوفیة وما تفرّدوا بها عن جملة هؤلاء الذين ذكروهم من بعد أداء الفرائض واجتناب المحارم : ترك ما لا يعنیهم ، وقطع كل علاقة تحول بينهم وبين مطربهم ومقصودهم ؛ إذ ليس لهم مطرب ولا مقصود غير الله تبارك تعالی ؛ ثم لهم آداب وأحوال شتى ، فمن ذلك : القناعة بقليل الدنيا عن كثيرها ، والاكتفاء بالقوت الذي لا بد منه ، والاختصار على ما لا بد منه من مهنة الدنيا : من اللبس ، والمفروقات ؛ والاكتمال ، وغير ذلك ؛ واختيار النقر على المعنى اختياراً ، ومعانقة القلة ، ومجانبة الكثرة ، وإيثار الجوع على الشبع ، والتقليل على الكثير ، وترك العسر والترفع ، وهدم الجاه ، والشنقة على الخاق ، والتواضع للصغير والكبير ، والإيثار في وقت الحاجة ؛ وأن لا يبالي من أكل (۱) الدنیا . وحسن (۲) الظن بالله ، والإحسان في المسئلة إلى الطاعات ، والمسرعة إلى جميع الخيرات ، والتوجه إلى الله تعالی ؛ والانتفاع باليد ، والعكوف على بلائه والرضا عن قضائه ، والصبر على دوره ، والشفقة بمخونه الهوى ، ومجانبة حظوظ النفس ، والمخافة لله ؛ إذ وحده الله تعالی بغير حيلة بالسوء ، والنظر إليها بثبات أعدى عدوك التي بين يديك ، كما أمر الله تعالی الله صلى الله عليه وسلم .

(۱) لا يبالي بمن يستمتع بها من المترفين أو من يجري وراءها من أصحاب الثراء ، أي لا يذبطه ولا يحسه ولا ينظر إليه نظره تقدير
(۲) أي ومن آدابهم حسن الظن بالحق .

فصل آخر

ثم إن من آدابهم وشمائلهم أيضاً مراعاة الأسرار، ومراقبة المليك الجبار، ومداومة المحفظة على القلوب بنفي الخواطر المذمومة، ومساكنة الأفكار الشاغلة التي لا يعلمها غير الله عز وجل، حتى يعبدوا الله تعالى بقلوب حاضرة، وهموم جامعة، ونيات صادقة، وقصود خالصة، لأن الله عز وجل، لا يقبل من عبادة من أعمالهم إلا ما كان لوجهه خالصاً قال الله عز وجل: (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) (۱)

[فصل آخر]

ومن آدابهم وشمائلهم وتخصيصهم أيضاً الاعتراض لسبب أولياته، والنزول في منازل أصفياته، ومباشرة حقيقة الحقوق ببذل الروح وتلف النفس، واختيار الموت على الحياة، وإيثار الذل على العز واستحباب الشدة على الرخاء، طمعاً في الوصول إلى المراد، وأن لا يريد إلا ما يريد (۲).

وهذا في أول باد من بوادي الحقائق وحقيقة الحقوق، أما ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم، حيث سأل حارثة [فقال] : « لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك؟ » [بأى شيء أجابه] فقال: عزفت نفسي عن الدنيا، فأمهرت ليلي، وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلى عرش رقي بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجنة: كيف يتزاوون، وإلى أهل النار في النار: كيف يتعاوون. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: عرفته فآلزم. « أو كما روى في الحديث. والله أعلم

(۱) الزمر: ۳

(۲) أي ما يريد، الله.

باب في تخصيص الصوفية من طبقات أهل العلم

في معانٍ خَر من العلم

قال الشيخ [أبو النصر] رحمه الله : وللصوفية أيضاً تخصيص من طبقات أدلى العلم باستعمال آيات من كتاب الله تعالى متلوه ، وأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مروية ، ما نسختها آية ، وما رفع حكمها خبر ولا أثر ، يدعو ذلك إلى مكارم الأخلاق ، ويبحث عن معالي الأحوال وفضائل الأعمال ، وينبئ عن مقامات عالية في الدين ، ومنازل رفيعة خص بذلك طائفة من المؤمنين ، وتعلق بذلك جماعة من الصحابة والتابعين ، وذلك آداب من آداب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وخلق من أخلاقه إذ يقول صلى الله عليه وسلم : إن الله أدبني فأحسن أدبي ، وإذ يقول الله عز وجل : (وإليك لعلى خلق عظيم) وذلك موجود في دواوين العلماء والفقهاء . وليس لهم في ذلك تفقه واستنباط كتفقههم في سائر العلوم ، وليس تغير الصوفية من أولى العلم القائمين بالقسط في ذلك نصيب غير الإقرار به والإيمان بأنه حق ، وذلك مثل حقائق النبوة وصفاتها ، ودرجات التائبين وحقائقهم ، ودقائق الورع وأحوال الورع . وطبقات المتوكلين ، ومقامات الراضين ، ودرجات الصبرين ، وكذلك في باب العيشة والخضوع ، والمحبة والخوف ، والرجاء والشوق والمشاهدة ، [والإينية] والطمأنينة : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجات قلوبهم) (١) . واليقين والتمسك به . وملاحة حروب أكثر من أن يحصى عددها ، ولكل حال من ذلك أهل وطبقت ، ولهم في ذلك حقائق [ومشاهدات ، وأحوال وأمراقيات ، وأسرار وإجتهادات ، ومقامات متباينات] ، وإرادات متفاوتة ، وتفاضل في قوة الإرادة ، وتفرع في القوة والوجد ، ولكل واحد من ذلك حد ومقام ، وعده ووزن ، على مقدار ما قسم الله له عز وجل .

ومن أعظم النعم التي اختصوا بها دوام الرقبة وهي الحقائق التي لا يحسن .

فصل

والمصوفية أيضاً تخصيص في معرفة الحرص والأهل ودقائقهما ، ومعرفة النفس وأماراتها وخرائطها ، ودقائق الرياء والشهوة الخفية والشرك الخفي ، وكيف الخلاص من ذلك ، وكيف وجه الإنابة إلى الله عز وجل ، وصدق الانتحاء ، ودوام الافتقار والتسليم والتفويض ، والتبري من الحول والقوة .

فصل آخر

والمصوفية أيضاً مستندات في علوم مشككة على فهم الذمياء والعلماء ، لأن ذلك لطرف مبدعة في إشارات لهم تخفي في العبارة من دهم ولطافتها ، وذلك في معنى العوارض والعوائق والعلائق والحب وخبايا السر ومقدمات الإخلاص ، وأحوال المعارف وحقائق العبودية ، ومحو الكون بالأزل ، وتلاشي المحدث إذا قورن بتقديم وفناء رؤية الأعراض وبقاء رؤية المعطى [ببناء رؤية العطاء] ، وعبور الأحوال والمقدمات ، وجميع المنفرقات ، وفناء رؤية النقص ببقاء رؤية المقصود [والإعراض عن رؤية الأعراض] ، وترك الاعتراض ، والهجوم على سرك سهل منطمة ، وعبور مفرد مهلكة .

فانصومية مخصوصون من أرى العلم الثابتين بالقسط نحل هذه العقد ، والوقوف على المشكل من ذلك ، والممارسة لها بالمنازلة والمباشرة ، والجزم عليها ببذل السهيج ، حتى يخبروا عن طعمها وذوقها ونقصاتها وزيادتها ، وبطالبرا من يدعى حالاً منها بدلائلها ، ويتكلموا في صحيحها وسقيمها ، وهذا أكثر من أن يتهبأ لأحد أن يذكر قلبه ، إذ لا سبيل إلى كثيره .

وجميع ذلك موجود علمه في كتاب الله عز وجل ، وفي أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم مفهوم عند أهله ولا ينكره العلماء إذا استبحشوا عن ذلك .

وإنما أنكر على التصوف جماعة من المترسمين بعلم الظاهر ، لأنهم لم يعرفوا من كتاب الله تعالى ، ولا من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا ما كان في الأحكام الظاهرة وما يصلح للاحتجاج على المخالفين ، والناس في زماننا هذا إلى مثل ذلك أميل لأنه أقرب إلى طب الرياسة واتخاذ الجاه عند العامة والوصول إلى الدنيا .

وقل من تراه يشتغل بهذا العلم الذي ذكرنا ، لأن هذا علم الخصوص ممزوج بالمرارة والغصص ، وسماه يضعف الركتين ، ويحزن القلب ويدمع العين ، ويصغر العظيم ويعظم الصغير ، فكيف استعماله ومباشرته ، ودوقه ومنازلته ، وليس للنفس في منازلته حظ ، لأنه منوط بأمانة النفوس ، وفقد الحسوس ، ومجانبة المراد ، فمن أجل ذلك ترك العلماء هذا العلم ، واشتغلوا باستعمال علم يخفف عليهم اللؤن ، ويخففهم على التوسيع والرخص والتأويلات ، وقد يكون أقرب إلى حظوظ البشرية ، وأخف تحملاً على النفوس التي جيلت على متابعة الحظوظ وللنافرة عن الحقوق ، والله تعالى أعلم .

باب الرد على من زعم أن الصوفية قوم جهلة ، وليس

لعلم التصوف دلالة من الكتاب والأثر

قال الشيخ [الإمام أبو نصر] رحمه الله : لا خلاف بين الأئمة في أن الله تبارك وتعالى ذكر في كتابه الصادقين والصادقات ، والقانتين والقانتات ، والخاصين ، والموقنين ، والمخلصين ، والمحسنين ، والخائفين ، والراجين ، والواجلين ، والعابدين ، والناجحين ، والصابرين ، والراضين ، والمتوكلين ، والمحبتين ، والأولياء ، والمتقين والمصطفين ، [والمجتبين] ، والأبرار والمقربين .

وقد ذكر الله تعالى المشاهدين فقال : ([أو ألقى السمع] وهو شهيد) (١) .
وذكر الله للمؤمنين فقال : (الأيدي كبر الله تطمئن القلوب) (٢) . وذكر الله تعالى السابقين ، والمقتصدين ، والمسارعين إلى الخيرات .

٦ وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن من أمتي مكلمين ومحدثين ، وإن عمر منهم » .
٧ وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « رب أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره ، وإن البراء منهم » .
٨ وقال لوابصة : « استفت قلبك » ولم يقل لأحد غيره ذلك .

٩ وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يدخل بشفاعة رجل من أمتي الجنة مثل ربيعة ومضر ، يقال له أويس القرني » وفي الحديث : إن في أمتي من إذا قرأ ريت أنه يخشى الله تعالى ، وإن طاق بن حبيب منهم ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بلا حساب ، قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : هم الذين لا يكتون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون » والآثار والأخبار في مثل هذا تكثر .

ولا خلاف أن هؤلاء كلهم في أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولو لم يكونوا في الأمة موجودين ، واستحال كونهم في كل وقت ، لم يذكرهم الله تعالى في كتابه ، ولم يصفهم رسول الله صل الله عليه وسلم .

ولما رأينا أن اسم الإيمان قد شمل جميع المؤمنين ، وأفرد هؤلاء بأسماء مختصة من ذلك ، دل ذلك على تخصيصهم من عامة المزمعين الذين شملهم اسم الإيمان ، ولا يختلف أحد من الأئمة في أن الأنبياء عليهم السلام الذين هم أعلى درجة من هؤلاء ، وأقرب منزلة عند الله تعالى منهم ، أنهم كانوا بشراً يجرى عليهم ما يجرى على سائر البشر من الأكل والنوم والحواشي .

وإنما وقع التخصيص للأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، ولسائر هؤلاء الذين ذكرتهم لسبب بينهم وبين معبودهم ، وازدياد يقينهم وإيمانهم بما خاطبهم الله تعالى به وندبهم إليه ، إلا الأنبياء عليهم الصلوات والسلام فإنهم ينفردون عن هؤلاء بتخصيص الوحي والرسالة ودلائل البيوة ، فلا يجوز لأحد أن يزاحمهم في ذلك ، والله أعلم .

باب في ذكر اعتراض الصوفية على المتفقه ، وبيان التفقه
في الدين ، ووجه ذلك بالحجة

قال الشيخ [أبو نصر] رحمه الله : روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » وبلغني عن الحسن البصري رحمه الله : أنه
قيل له : فلان فقيه ، فقال الحسن : وهل رأيت فقيهاً قط ؟ إنما الفقيه الزاهد في
الدنيا ، الراغب في الآخرة ، البصير بأمر دينه . وقول الله تعالى « لِيَتَفَقَّهُوا فِي
الدين » (١) فالدين اسم يشتمل على جميع الأحكام ظاهراً وباطناً .

وليس التفقه في أحكام هذه الأحوال ومعاني هذه المقامات التي تقدم ذكرها
بأقل فائدة من التفقه في أحكام الطلاق والعتاق والظهار والقصاص والقسامة
والحدود ، لأن تلك أحكام ربّما لا تقع في العمر حادثة تحتاج إلى علم ذلك ، فإذا
وقعت تلك الحادثة فمن سأل عنها قلّد في ذلك ، ولأخذ بقول بعض الفهاء ، فقد
سقط عنه فرض ذلك إلى أن تقع به حادثة أخرى ، وهذه الأحوال والمقامات
والمجاهدات التي يتفقه فيها الصوفية ويتكلمون في حقائقها . فالؤمنون مفتقرون إلى ذلك ،
ومعرفة ذلك واجبة ، وليس لذلك وقت مخصوص دون وقت ، وذلك مثل
الصدق والإخلاص والذكر ومجانبة الغفلة وغير ذلك ليس لها وقت معلوم ، بل يجب
على العبد في كل لحظة وخطرة أن يعلم ايش قصده وإرادته وخاطره ، فإن كان حقاً
من الحقوق فواجب عليه أن يلزمه ، وإن كان حظاً من الخفوظ فواجب عليه
مجانبته ، قال الله تعالى لنبيه وصفه محمد صلى الله عليه وسلم : « وَلَا تَطِيعُ مَنْ أَعْفَلْنَا
قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا » (٢) فمن ترك حالاً من هذه
الأحوال ما تركها إلا من غلبة الغفلة على قلبه .

(٢) الكهف : الآية ٢٨

(١) التوبة : ١٢٠

واعلم أن مستنبطات الصرفية في معاني هذه العلوم ومعرفة دقائقها وحقائقها ينبغي أن تكون أكثر من مستنبطات الفقهاء في معاني أحكام الظاهر ، لأن هذا العلم ليس له نهاية ، لأنه إشارات وبوادٍ ونخراطر وعطايا وهبات يعرفها أهلها من بحر العطاء ، وسائر العلوم لها حدٌ محدود ، وجميع العلوم يؤدّي إلى علم التصوف ، [وعلم التصوف لا يؤدّي إلا إلى نوع من علم التصوف] وليس له نهاية ، لأن المقصود ليس له غاية ، وهو علم الفتوح يفتح الله تعالى على قلوب أوليائه في فهم كلامه ومستنبطات خطابه ما شاء كيف شاء ، قال الله عزّ وجلّ : (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا) (١) . وقال : (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) (٢) ، والزيادة من الله تعالى لا نهاية لها ، والشكر نعمة تستوجب شكراً مستوجباً لمزيد لا نهاية له . وبالله التوفيق .

باب ذكر التخصيص في علوم الدين وتخصيص كل علم

بأهله ، والرد على من أنكر علماً برأيه ولم يدفع ذلك

إلى أهله وإلى من يكون ذلك من شأنه

قال الشيخ [الإمام أبو نصر] رحمه الله أنكرت جماعة من العلماء أن يكون في علم الشريعة تخصيص ولا خلاف بين [هذه] الأمة في أن الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بإبلاغ ما أنزل عليه فقال : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ عَلَيْكَ [مِنْ رَبِّكَ]) (١) .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً » فلو كان الذي علم مما لا يعلمون من العلوم التي أمره بالإبلاغ لأبلغ ولو جاز لأصحابه أن يسألوه عن ذلك العلم لسألوه .

ولا خلاف بين أهل العلم أن في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان مخصوصاً بنوع من العلم ، كما كان حذيفة مخصوصاً بعلم أسماء المنافقين كان قد أسرّه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى كان يسأله عمر رضي الله عنه فيقول : هل أنا منهم ؟

وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : « علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين باباً من العلم لم يعلم ذلك أحداً غيري » .

وقد ذكر هذا الباب بتمامه في آخر الكتاب والمراد من تكراره هاهنا أن العلم الكُتبت بين أصحاب الحديث ، والنقباء ، والصوفية ، هو علم الدين .

ولكل صنف من أهل العلم في علمه دواوين ومصنفات [وكتب] وأقوال ، وكل صنف منهم أئمة مشهورون قد أجمع أهل عصرهم على إمامتهم ،

لزيادة علمهم وفهمهم .

ولا خلاف في أن أصحاب الحديث إذا أشكل عليهم علم من علوم الحديث
وعَدَل الأُخبار ومعرفة الرجال لا يرجعون في ذلك إلى الفقهاء ، كما أن
الفقهاء لو أشكل عليهم مسألة في الخليفة والبرية والدور والوصايا لا يرجعون
في ذلك إلى أصحاب الحديث ، وكذلك من أشكل عليه علم من علوم هؤلاء
الذين تكلموا في مواجيد القلوب ومواريث الأسرار ومعاملات القلوب ، ووصفوا
العلوم واستنبطوا في ذلك بإشارات لطيفة ومعان جليلة فليس له أن يرجع في ذلك
إلا إلى عالم ممن يكون هذا شأنه ، ويكون ممن قد مارس هذه الأحوال
ونازلها واستبحث عن علومها ودقائقها ، فمن فعل غير ذلك فقد أخطأ ، وليس
لأحد أن يبسط لسانه بالوقعة في قوم لا يعرف حالهم ، ولم يعلم علمهم
ولم يقف على مقاصدهم ومراتبهم فيهلك ويظن أنه من الناصحين ، أعاذنا الله
تعالى وإياكم .

باب الكشف عن اسم الصوفية

وَلَمْ يُسَمَّوْا بِهَذَا الْاسْمِ ، وَرِثَ نَسَبُوا إِلَى [هَذِهِ] اللَّبْسَةِ

قال الشيخ رحمه الله : إن سأل سائلٌ فقال : قد نسبت أصحاب الحديث إلى الحديث ، ونسبت الفقهاء إلى الفقه فلم قلت : الصوفية ولم تنسبهم إلى حال ولا إلى علم ، ولم تُضِفْ إليهم حالا كما أضفت الزهد إلى الزهاد والتوكل إلى المتوكلين والصبر إلى الصابرين ؟ فيقال له : لأن الصوفية لم ينفردوا بنوع من العلم دون نوع ، ولم يترسموا برسم من الأحوال والمقامات دون رسم ، وذلك لأنهم معدن جميع العلوم ، ومحل جميع الأحوال المحمودة ، والأخلاق الشريفة ، سالفاً ومستأنفاً ، وهم مع الله تعالى في الانتقال من حال إلى حال ، مستجلبين للزيادة ، فلما كانوا في الحقيقة كذلك لم يكونوا مستحقين اسماً دون اسم ، فلأجل ذلك ما أضفت إليهم حالا دون حال ، ولا أضفتهم إلى علم دون علم ، لأنني لو أضفت إليهم في كل وقت حالا [هو] ما وجدت الأغلب عليهم من الأحوال والأخلاق والعلوم والأعمال وسميتهم بذلك ، لكان يلزم أن أسميهم في كل وقت باسم آخر ، وكنت أضيف إليهم في كل وقت حالا دون حال على حسب ما يكون الأغلب عليهم ، فلمَّا لم يكن ذلك نسبتهم إلى ظاهر (١) اللبسة ، لأن لبسة الصوف دأب الأنبياء عليهم السلام وشعار الأولياء والأصفياء ، ويكثر في ذلك الروايات والأخبار ، فلمَّا أضفتهم إلى ظاهر اللبسة كان ذلك اسماً

(١) هل الصوفية إلى الصوف؟ ذلك ما اختلف فيه مؤرخو التصوف فبعضهم ينسبها إلى الصوف وبعضهم يرجعها إلى الصفة ، وآخرون جمعونها إلى الصغاء ويريد بعض المتأخر أن ينسبها إلى كلمة : « سيوزوفى » التي تعنى الإشراق وسيذكر المؤلف بعض هذه الآراء فيما بعد .

مُجْمَلًا عَامًّا مُخْبِرًا عَنْ جَمِيعِ الْعُلُومِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْأَحْوَالِ الشَّرِيفَةِ
 الْمَحْمُودَةِ ، أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَ طَائِفَةً مِنْ خَوَاصِّ أَصْحَابِ عَيْسَى عَلَيْهِ
 السَّلَامِ قَسَبَهُمْ إِلَى ظَاهِرِ اللَّبْسَةِ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : «وَإِذْ قَالَ الْخَوَارِثُونَ [الْآيَةُ] (١)
 وَكَانُوا قَوْمًا يَلْبَسُونَ الْبِيَاضَ فَتَسَبَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى ذَلِكَ وَلَمْ يَنْسَبِهِمْ إِلَى نَوْعٍ مِنْ
 الْعُلُومِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَحْوَالِ الَّتِي كَانُوا بِهَا مَتْرُسَمِينَ ، فَكَذَلِكَ الصُّوفِيَّةُ عِنْدِي
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

نُسَبُوا إِلَى ظَاهِرِ اللَّبَاسِ ، وَلَمْ يَنْسَبُوا إِلَى نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْأَحْوَالِ الَّتِي هُمْ
 بِهَا مَتْرُسَمُونَ ، لِأَنَّ لِبْسَ الصُّوفِ كَانَ دَابَّ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَالصَّدِيقِينَ وَشُعَارَ
 [الْمَسَاكِينِ] الْمَتْنَسِكِينَ .

باب الرد على من قال :

لم نسمع بذكر الصوفية في القديم وهو اسم مُحدث

إن سأل سائلٌ فقال : لم نسمع بذكر الصوفية في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم أجمعين ، ولا فيمن كان بعدهم ، ولا عرف إلا العباد والزهاد والسيّاحين والفقراء ، وما قيل لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : صوفيٌ ، فتقول وبالله التوفيق :

الصُّحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لها حرمة ، وتخصيص من شمله ذلك ، فلا يجوز أن يعلق عليه اسم على أنه أشرف من الصحبة ، وذلك اشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرمة ، ألا ترى أنهم أئمة الزهاد والعباد والمتوكلين والفقراء والراضين والصابرين والمحبتين ، وغير ذلك ، وما نالوا جمع ما نالوا إلا ببركة الصحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما نسبوا إلى الصحبة التي هي أحلُّ الأحوال استحال أن يفضلوا بفضيلة غير الصحبة التي هي أحلُّ الأحوال وبالله التوفيق .

وأما قول المائل : إنه اسمٌ محدثٌ أحدثه البغداديون ، فمحال ، لأن في وقت الحسن البصرى رحمه الله كان يُسرف هذا الاسم ، وكان الحسن قد أدرك جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم ، وقد روى عنه أنه قال : رأيتُ صوفيًّا في الطواف فأعطيته شيئًا فلم يأخذه وقال : معى أربعة دوانيق فيكفينى ما معى .

وروى عن سفيان الثورى رحمه الله أنه قال : لولا أبو هاشم الصوفى ما عرفت بدقوق الرباء ، وقد ذكر في الكتاب الذى جمع فيه أخبار مكة عن محمد بن إسحاق بن يسار ، وعن غيره يذكر فيه حديثًا : أنه قبل الإسلام قد

خلت مكة في وقت من الأوقات ، حتى كان لا يطوف بالبيت أحد ، وكان
مجهيء من بلد بعيد رجل صوفي فيطوف بالبيت وينصرف ؛ فإن صح ذلك فإنه
يدل على أنه قبل الإسلام كان يعرف هذا الاسم ، وكان يُنسب إليه أهل الفضل
والصلاح ، والله أعلم .

باب إثبات علم الباطن

والبيان عن صحة ذلك بالحجّة

قال الشيخ رحمة الله : أنكرت طائفة من أهل الظاهر وقالوا : لا يعرف إلا علم
الشريعة الظاهرة التي جاء بها الكتاب والسنة ، وقالوا : لا معنى لقولكم علم الباطن
وعلم التصوف ، فتقول ، وبالله التوفيق .

إن علم الشريعة علم واحد ، وهو اسم واحد يجمع معنيين : الرواية والدراية ؛
فإذا جمعتَهما فهو علم الشريعة الداعية إلى الأعمال : الظاهرة والباطنة ، ولا يجوز أن
يجرد القول في العلم : أنه ظاهر أو باطن ؛ لأن العلم متى ما كان في القلب فهو باطن
فيه إلى أن يجرى ويظهر على اللسان ؛ فإذا جرى على اللسان فهو ظاهر ، غير
أنا نقول :

إن العلم ؛ ظاهر ، وباطن ، وهو علم الشريعة الذي يدل ويدعو إلى الأعمال
الظاهرة والباطنة ، والأعمال الظاهرة كالأعمال الجوارح الظاهرة ، وهي الصدقات
والأحكام ، مثل الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وغير ذلك ؛
فهذه العبادات ، وأما الأحكام فالحدود والطلاق والعتق والبيع والبرائض
التصاص وغيرها ، فهذا كله على الجوارح الظاهرة التي هي الأعضاء ، وهي
الجوارح ، وأما الأعمال الباطنة فكأعمال التوب وهي التمائم والأحوال ،
مثل التصديق والإيمان واليقين والصدق والإخلاص والمعرفة والنوكل والمحبة

والرضا ، والذكر ، والشكر ، والإنابة ، والخشية ، والتقوى ، والمراقبة ، والفكرة
والاعتبار ، والخوف ، والرجاء ، والصبر ، والقناعة ، والذمائم ، والتفويض ، والقرب ،
والشوق ، والوجد ، والوجل ، والحزن ، والندم ، والحياء ، والحجل ، والتعظيم ،
والإجلال ، والهيبة ، ولكل عمل من هذه الأعمال الظاهرة والباطنة علم وفقه وبيان
وفهم وحقيقة ووجد ، ويدل على صحة كل عمل منها من الظاهر والباطن آيات
من القرآن وأخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم علمه من علمه وجهله من جهله ؛
فإذا قلنا : علم الباطن أردنا بذلك علم أعمال الباطن التي هي على الجارحة الباطنة ،
وهي القلب ، كما أننا إذا قلنا : علم الظاهر أشرنا إلى علم الأعمال الظاهرة التي هي على
الجوارح الظاهرة ، وهي الأعضاء ، وقد قال الله تعالى : « وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً
وَبَاطِنَةً » (١) فالنعمة الظاهرة ما أعم الله تعالى بها على الجوارح الظاهرة من فعل
الطاعات ، والنعمة الباطنة ما أعم الله تعالى بها على القلب من هذه الآيات ،
ولا يستغنى الظاهر عن الباطن ، ولا الباطن عن الظاهر ، وقد قال الله عز وجل :
« وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَبِطُونَ
مِنْهُمْ » (٢) ؛ فالعلم المستبطن هو العلم الباطن ، وهو علم أهل التصوف ، لأن لهم
مستبطنات من القرآن والحديث وغير ذلك ، ونحن نذكر إن شاء الله طرفاً من
ذلك ؛ فالعلم ظاهر وباطن ، والقرآن ظاهر وباطن ، وحديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ظاهر وباطن ، والإسلام ظاهر وباطن ، ولأصحابنا في
معنى ذلك استدلالات واحتجاجات من الكتاب والسنة والعقل ، ومرحه يطول
ويخرج على حد الاختصار إلى حد الإكثار ، وفيما قلنا كفاية ، وبالله التوفيق .

(١) لقمان : ٢٠

(٢) النساء : ٨٣

باب التصوب : ماهو ونعته وماهيته ؟

قال الشيخ رحمه الله : فأما التصوف ونعته وماهيته فقل سُئِلَ محمد بن علي القصاب ، وهو أستاذ الجنيّد رحمه الله عن التصوف : ماهو؟ قال : أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام .

وُسئِلَ الجنيّد رحمه الله عن التصوف ، فقال : أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة .

وسئِلَ رُوَيْمُ بن أحمد رحمه الله عن التصوف ، فقال : استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد .

وسئِلَ سمنون رحمه الله عن التصوف ، فقال : أن لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء .
وسئِلَ أبو محمد الجريري رحمه الله عن التصوف ، فقال : الدخول في كل خلق سنى والخروج من كل خلق ذنى .

وسئِلَ عمرو بن عثمان المكي رحمه الله عن التصوف ، فقال : أن يكون العبد في كل وقت بما هو أولى في الوقت .

وسئِلَ علي بن عبد الرحيم القناد رحمه الله عن التصوف ، فقال : نشر مقام واتصال بدوام .

باب صفة الصوفية ، ومن هم ؟

قال الشيخ رحمه الله : وأما صفة الصوفية ومن هم : فقد قيل لعبد الله واحد من زَيْد ، كما بلغني ، وكان ممن يصحب الحسن رحمه الله . وكان من أجلة أئدائه : من الصوفية عندك ؟ فقال : القائمون بعقولهم على همومهم والعاكفون عليها بقلوبهم ، للعتصمون بسيدهم من شر نفوسهم ، هم الصوفية .

وسئِلَ ذو الون المصري رحمه الله عن الصوفى ، فقال : هو الذى لا يتعبه طلب

ولا يزعمه سلب، وقال أيضاً؛ هم قوم آثروا الله تعالى على كل شيء، فأثرهم الله على كل شيء.

وقيل لبعضهم: من أحب؟ فقال: أصحاب الصوفية، فإن للقبیح عندهم وجوهاً من المعاذير، وليس للكثير عندهم موقع فيرفعوك به فتعجب نفسك.
وسئل الجنيد بن محمد رحمه الله عن الصوفية: من هم؟ فقال: أثره الله في خلقه يخفيها إذا أحب وبظهرها إذا أحب.

وقيل لأبي الحسين أحمد بن محمد البوري رحمه الله: من الصوفي؟ فقال: من سمع السماع وآثر بالأسباب.

وأهل الشام يسمون الصوفية فقراء، ويقولون قد سماهم الله تعالى فقراء فقال: «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ» (١) وقوله تعالى «لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (٢).

وقيل لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن يحيى لهؤلاء رحمه الله ما معنى الصوفي؟ قال: ليس نعرفه في شرط العلم، ولكن نعرف فقيراً مجرداً من الأسباب كان مع الله عز وجل بلا مكان ولا يمنعه الحق من علم كل مكان سمي صوفياً.

وقد قيل: كان في الأصل صفوى فاستعمل ذلك فقيل: صوفي.

وسئل أبو الحسن القناد رحمه الله عن معنى الصوفي فقال: مأخوذ من الصفاء وهو القيام لله عز وجل في كل وقت بشرط الوفاء.

وقال بعضهم: من إذا استقبله حالان أو خُلقان حسنان فيكون مع الأحسن والأعلى.

(١) تكملة الآية: «وَأَمْوَالُهُمْ يُبْتَغُونَ فُضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيُنصَرُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ الصَّادِقُونَ»، الحشر: ٨

(٢) تكملة الآية: «وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّصَوُّفِ فَعَرَفَهُمْ بِسِيَاهِمُ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ لِلْحَافَا وَمَا تَنَفَّقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عِلْمٌ»، البقرة: ٢٧٥

وسئل آخر عن معنى الصوفي فقال : معناه أن العبد إذا تحقق بالعبودية وصافاه الحق حتى صفا من كدر البشرية نزل منازل الحقيقة وقارن حكام الشريعة ، فإذا فعل ذلك فهو صوفي ، لأنه قد صوفي .

قال الشيخ رحمه الله : فإذا قيل لك : الصوفية من هم في الحقيقة ؟ صنفهم لنا فقل : هم العلماء بالله وبأحكام الله ، العاملون بما علمهم الله تعالى ، المتحققون بما استعلمهم الله عز وجل ، الواجدون بما تحققوا ، القانون بما وجدوا ، لأن كل واحد قد فنى بما وجد .

وقال القناد رحمه الله : التصوف اسم قد وقع على ظاهر اللبسة ، وهم متفاوتون في معانيهم وأحوالهم .

وسئل الشيبلي رحمه الله : لم سميت الصوفية بهذا الاسم ؟ فقال : لبثتيا ببيت عليهم من نفوسهم ، ولولا ذلك لما لافت بهم الأسماء ، ولا تعنت بهم .
وفد قيل أيضاً : إن الصوفية هم بقية من بقايا أهل الصفة .

وأما من قل : إنه اسم واقع على ظاهر اللبسة فقد روى في ذلك أخبار في ذكر من لبس الصوف ، وإختار لبسه من الأنبياء والصالحين وذكره يطول .

وقد أجاب عن التصوف : ما هو ؟ جماعة بأجوبة مختلفة ، منهم إبراهيم بن المولد الرقي ، قد أجاب عنها بأكثر من مائة جواب ، وفيما ذكرناه كفاية ، وقد قال علي بن عبد الرحيم القناد رحمه الله في التصوف واندراس أهل شعراً :

أهل التصوف قد مضوا أصار التصوف مخرباً قد

صار التصوف صيحة وقد كثر من فهمه

مضت العلوم فلا علوم ولا قلوب مشرقه

كذبتك نفسك ليس ذاك سنن الطريق السخنة

حتى تكون بعين من عند العين المجدفة

تجري عاينك مرؤفة وهموم سرك مطر قد

ولبعض المشايخ في التصوف ثلاثة أجوبة : جواب بشرط العلم ، وهو تصفية
القلوب من الأكدار ، واستعمال الخلق مع الخليفة ، واتباع الرسول في الشريعة ،
وجواب بلسان الحقيقة ، وهو عدم الأملاك ، والخروج من رِق الصفات والاستغناء
بمخالق السموات ، وجواب بلسان الحق ، أصفهم بالصفاء عن صفاتهم ، وصفاهم من
صفاتهم ، فسموا صوفيةً .

وقلت للحصري رحمه الله : من الصوفي عندك ؟ قال : الذي لا تقله الأرض
ولا تظله السماء ، معناه : أنه ، وإن كان على الأرض وتحت السماء فالله عز وجل الذي
يقله بالأرض ويظله بالسماء ، لا السماء ولا الأرض .

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان يقول أي أرض تظلي ، وأي سماء
تظلي ، إذا قلت في كتاب الله عز وجل برأيي .

باب التوحيد ، وصفة الموحّد ، وحقيقته وكلامهم في معنى ذلك

قال الشيخ رحمه الله : بلغني عن يوسف بن الحسين الرازي رحمه الله أنه قال : قام رجل بين يدي ذي النون المصري رحمه الله فقال : خبرني عن التوحيد : ما هو ؟ قال : هو أن تعلم أن قدرة الله تعالى في الأشياء بلا مزاج ، وصنعة للأشياء بلا علاج ، وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه ، وليس في السموات العلى ولا في الأرضين السفلى مدبر غير الله تعالى ، ومبها تصور وهمك فالله تعالى بخلاف ذلك ، أو قال غير ذلك .

وقال الجنيد رحمه الله ، وقد سئل عن التوحيد ، فقال : إفراد الموحّد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته بأنه الواحد الذي لم يلد ولم يولد بنى الأضداد والأشياء وما عبد من دونه ، بلا تشبيه ولا تكليف ولا تصوير ولا تمثيل ، إلهاً واحداً صمداً فرداً ليس مثله شيء وهو السميع البصير .

وسئل جنيد رحمه الله عن التوحيد مرة أخرى ، فقال : معنى تضمحل فيه الرسوم وتندرج فيه العلوم ، ويكون الله تعالى كما لم يزل .

قال أبو نصر رحمه الله : فالجوابان اللذان لدى النون والجنيد رحمهما الله في التوحيد هما ظاهران ، أجابا عن توحيد العام ، وهذا الجواب الذي ذكرناه أشار إلى توحيد الخاصة .

وقد سئل الجنيد رحمه الله عن توحيد الخاصة ، فقال : أن يكون العبد شامخاً بين يدي الله عز وجل تجري عليه تصاريف تدبيره في مجاري أحكام قدرته في الخلق بخار توحيدته بالفناء عن نفسه وعن دعوة الخلق له وعن استجيبته بمقتضى وجود وحدانيته في حقيقة قربته بذهاب حسه وحركته ، تقيام الحق له فيما أراد منه ، وهو أن يرجع آخر العبد إلى أوله ، فيكون كما كان قبل أن يكون ، وقال أيضاً : التوحيد هو الخروج من ضيق رسوم الزمانية إلى سعة فناء السرمدية .

فإن قال قائلٌ : ما معنى قوله : يرجع آخر العبد إلى أوله فيكون كما كان قبل أن يكون ، فيقول : بيان ذلك فيما قال الله عز وجل : « وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ . الْآيَةَ (١) » .

قال الجنيد رحمه الله في معنى ذلك : فمن أين كان وكيف كان قبل أن يكون ؟ وهل أجابت إلا الأرواح الظاهرة بإقامة القدرة وإنفاذ الشئنة ؟ فهو الآن في الحقيقة كما كان قبل أن يكون ، وهذا غاية حقيقة التوحيد للواحد : أن يكون العبد كما لم يكن ، ويبقى الله تعالى كما لم يزل ، قال رجل للشبلي رحمه الله ، وسمه دُأف بن جِردَز : يا أبا بكر أخبرني عن توحيد مجرد بلسان حق مفرد ، فقال : وينحك ! من أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد ، ومن أشار إليه فهو ثوري ، ومن سكت عنه فهو جاهل ، ومن وهم أنه واصل فليس له حاصل ، ومن أو ما إليه فهو عابد وثن ، ومن نطق فيه فهو غافل ، ومن ظن أنه قريب فهو بعيد ، ومن تواجد فهو فاقد ، وكما ميزتموه بأوهامكم وأدر كتموه . اعتولكم في أتم معانيكم فهو مصروف محدود إليكم محدث . مصنوع مثلكم . وإن أخذنا في شرح ما قال الشبلي رحمه الله كما يجب فيطول ذلك ، ولكن على الإنجاز والاختصار كأنه يريد بما أجاب عن التوحيد : أفراد القديم عن المحدث ، وأن ليس للخلق طريق إلا ذكره ووصفه ونعته ، على مقدار ما أندي إليهم ورسم لهم .

قال الشيخ رحمه الله : ووجدت ليوسف بن الحسين في التوحيد ثلاث أجوبة : جواب منها في توحيد العامة ، وهو الأفراد بالحوحدانية بذهاب رؤية الأضداد والأنداد والأشباه الأشكال مع السكون إلى معارضة الرغبة والرغبة بذهاب حقيقة المصديق لأنه بقاء حقيقة المصديق لا يسكن إلى معارضة الرغبة والرغبة .

(١) التسكلة : وأشهدهم على أنفسهم ألسنتكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة -

لنا كنا عن هذا غافلين . الأعراف ١٧٢ .

والجواب الثاني : توحيد أهل الحقائق على الظاهر، وهو الإقرار بالوحدانية بذهاب رؤية الأسباب والأشياء بإقامة الأمر والنهي في الظاهر، والباطن بإزالة معارضة الرهبة والرغبة مما سواه بقيام شواهد الحق مع قيام شواهد الدعوة والاستجابة، فإن قيل : ما معنى قوله : إزالة معارضة الرهبة والرغبة وهما حقان ؟ فيقال : هما حقان، هما في موضعهما كما هما، ولكن قَبْرَهُمَا سلطان الوحدانية كما قَبْرُ سلطان ضوء الشمس ضوء الكواكب وهي في مواضعها .

والجواب الثالث : توحيد الخاصة، وهو أن يكون العبد بسره ووجوده وقابله كأنه قائم بين يدي الله عز وجل تجري عليه تصاريح تدييره، وتجرى عليه أحكام قدرته في محار توحيد بالانفناء عن نفسه وذهب حسد بقيام الحق له في مراده منه، فيكون كما كان قال أن يكون يعني في جريان أحكام الله عليه وإيقاد مشيئته به .

وبيان ذلك كما قال الأجناب رَحِمَهُ اللهُ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : « وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بَنِي آدَمَ » الآية وقد ذكرناه .

قال الشيخ رحمه الله : ولم في حقيقة التوحيد لسان آخر، وهو لسان الوحدانية وإشارتهم في ذلك تبعد عن الفهم ونحن نذكر من ذلك طرفاً كما يمكن شرحه . وهذا العلم أكثره إشارة لا تخفى على من يكون أهله، فإذا صدر إلى الشرح فمعرفة يخفى ويذهب روثقة، وإيما دعاني إلى شرحه لأنني وضعت في الكتاب والكتاب ربما ينظر فيه فيد من يفهم ومن لا يفهم فيهلك، وهذا هو قول الشيخ أحمد بن يزيد البغدادي رحمه الله، حين سئل عن التوحيد، فقال : هو العلم بالوحدانية البشرية، وتجرد الألوهية، وإنما يريد بقوله : عدم آفة البشرية تمدد حواس النفس، لأنها تدعى الربوبية بنظرها إلى أنفسها، فقال المد : أنا وأنا، لا يقول إلا الله، إذ الإنية لله عز وجل، فهذا معنى عدم آفة البشرية، ومعنى قوله : عدم الألوهية يعني إفراد القديم عن المحدثات

وقال آخر التوحيد نسين ما سوى التوحيد بالتوحيد ، يعنى فيما يوجب حُكْمُ الحقيقة ، وقال : الوجدانية بقاء الحق بفناء كل مادون ، يعنى : فناء يوجب فناء ، يوجب حُكْمُ الحقيقة ، وفيل : الوجدانية بقاء الحق وفناء كل ما دونه ، يعنى : فناء العبد عن ذكر نفسه وقلبه بدوام ذكر الله تعالى وتعظيمه .

وقال آخر : ليس فى التوحيد حلق ، وما وحد الله غير الله ، والتوحيد للحق من الخلق طَبَقِيٌّ ، قلنا وبيان ذلك وما أشار إليه هؤلاء ، والله أعلم فى قول الله تعالى : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) (١) فقد شهد لنفسه بالوجدانية قبل الخلق فحقيقة التوحيد من حيث الحق ما شهد الله لنفسه بالوجدانية قبل الخلق ، ومن حيث الخلق فقد وحدوه حقيقة ووجداً على مقدار ما قسم لهم وأرادهم بذلك ، وهو قوله تعالى : « والملائكة وأولو العلم » وأما من طريق الإقرار فأهل القبلة متساوون فيها ، والمعول على ما فى القلب لا على ما فى اللسان ، وقد قال الشبل رحمه الله : ملئهم روائح التوحيد من تصور عنده التوحيد وشاهد المعانى وأثبت الأسمى وأضاف الصفات وألزم العوت ، ومن أثبت هذا كله ونفى هذا كله فهو موحد حكماً ورسماً لا حقيقة ووجداً .

قال الشيخ رحمه الله : معنادوا لله أعلم : أنه يثبت الصفات والنعوت على رسم ما رسم له من ذلك ، ولا يشبهها من حيث الإدراك والإحاطة (٢) والتوهم .
وقال غيره من العارفين : أما التوحيد : فهو الذى يعنى البصير ، ومحير العاقل ، ويدهش الثابت .

قلت : لأنه من نحقق بذلك وجدنى قلبه من عظمة الله تعالى وهيبته ما يدهشه ويخبر عقله إلا من ثبته الله تعالى .

(١) آل عمران : ١٨

(٢) فى نسخة أخرى والتفهم

وقال أبو سعيد أحمد بن عيسى الحرّاز رحمه الله :

أول مقام لمن وجد علم التوحيد وحقق بذلك : فناء ذكر الأشياء عن قلبه وانفراده بالله عز وجل .

وقال ، أيضاً : أول علامة التوحيد : خروج العبد عن كل شيء ، ورد جميع الأشياء إلى متواليها ، حتى يكون المتولى بانتولى ناظراً إلى الأشياء قائماً بها متمكناً فيها . ثم يُخفيهم في أنفسهم من أنفسهم ، ويميت أنفسهم في أنفسهم ويعططعهم لأنفسهم . فهذا أول دخول في التوحيد من حيث ظهور التوحيد بالديومية .

قال : وبيان ذلك ، والله أعلم : فناء ذكر الأشياء بذكر الله تعالى ، ومعنى خروجه عن كل شيء يعنى لا يضيف إلى نفسه واستطاعته شيئاً ، ويرى قوام الأشياء بالله في الحقيقة لا بهم ، ومعنى قوله : حتى يكون المتولى بانتولى ناظراً إلى الأشياء قائماً بها يشير إلى تولية الحق له وما يستولى عليه من صفات التوحيد ، حتى يرى قوام الأشياء بالله عز وجل لا بذواتها ، ألا ترى إلى قول القائل :

وفي كل شيء له شاهد يَدُّنِّي تَلِيَّ أَنَّهُ وَاحِدٌ

وأما قوله : « متمكناً فيها » يريد بذلك أن التلويح لا يترى عليه في غيره إلى الأشياء ، فإن قوامها بالله عز وجل ، ثم قال : « يخفيهم في أنفسهم من أنفسهم » ويميت أنفسهم في أنفسهم ، يعني لا يسمعون حساء ولا يلاحظون حرماتهم من حرامهم الظاهرة والباطنة يوماً إليها في الحقيقة إلا وهي مغطسة في حجابها المشتمة وإن أضفت إلى المضاف إليه .

وقال الشبلي ، رحمه الله لرجل : تدري لما لا تصح لك العبادة ؟

قال : لا .

قال : لأدك تطبه باياك .

وقال ، أيضاً : لا يصح التوحيد إلا لمن كان جحدُه إثباته ، فسئل عن الإثبات فقال : إسقاط الياءات .

معناه ، والله أعلم ، أن الموحِد في الحقيقة يجحدُ إثباته إياه : يعني إثبات نفسه في جميع الأشياء بسرّه كقوله : بي ولي ومني وإلى وعلى وفيّ وعني ، فيستط هذه الياءات ويجحدُها بسرّه ، وإن كانت جارية ، من حيث الرسم على لسانه .

وقال الشبلي رحمه الله ، الرجل ، أيضاً : توَحِيدُ توحيدَ البشرية أو توحيد الإلهية؟ فقال : فيهما فرقٌ ؟ فقال : نعم .

توحيد البشرية : خوف العقوبات . وتوحيد الألوهية توحيد التعظيم .

قال الشيخ رحمه الله : قلتُ : إن معناه أن صفة البشرية طلب العوض ورؤية النعل والطمع في غير الله عز وجل ، وليس من وحد الله تعالى إجلالا لله كمن وحده خوفاً من عقوبته ، وإن كان انخوف من عذاب الله عز وجل حالة شريفة .

وقال الشبلي رحمه الله : من اطلع على ذرة من علم التوحيد ضعف عن حمل بقية الثقل ما حمل .

وقال ، مرة أخرى : من اطلع على ذرة من علم التوحيد حمل السموات والأرض على شعرة من جفن عيئه .

وقال : معناه ، والله أعلم أن السموات والأرض وجميع ما خلق الله عز وجل . يتصاغر في عينه ، عند ما يشهد بقلبه بأوار التوحيد من عظمة الله عز وجل .

١٥ وقد روى : « أن لجبريل عليه السلام ستمائة جناح ، جناحان منها إذا نشرهما غطى بهما المشرق والمغرب » .

١٦ وقد روى ، أيضاً في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه : « أن صورة جبريل عليه السلام في فائمة الكرسي مثل الزردة في الجوشن » .

ويقال : « إن جبريل عليه السلام والعرش والكرسي ، كل هذا مع الملكوت ١٧
الذي ظهر لأهل العلم بالله عز وجل ، وإنما هي كرملة فيما وراء الملكوت بل أقل
من ذلك » .

وقال أبو العباس أحمد بن عطاء البغدادي رحمه الله في بعض كلامه : علامة تحقيقة
التوحيد نسيان التوحيد ، وصدق التوحيد أن يكون التثني به واحداً يريد بذلك : أن
ينسى العبد رؤية توحيده في توحيده برؤية قيام الله عز وجل له بذلك قبل خلقه ،
لأنه لو لم يرد لهم بذلك ما أرادوه (١) ولا وحدوه .

ولمشايننا في التوحيد مصنفات . وقد قصدنا إلى القليل المشكل من أفعالهم
ليُستدرك به ما ألم أذكروه ، إن شاء الله .

(١) يناسب هذا قول الله تعالى ، وما تشاءون إلا أن يشاء الله ،

باب ما قالوا في المعرفة ، وصفة العارف

وحقيقة ذلك بيانها

سئل أبو سعيد الخراز رحمه الله عن المعرفة فقال :

المعرفة تأتي من وجهين : من عين الجود ، وبذل (١) المجهود .

وسئل أبو تراب النخشي ، رحمه الله ، عن صفة العارف فقال :

هو الذي لا يكدره شيء ، ويصفو به كل شيء .

وقال أحمد بن عطاء ، رحمه الله :

المعرفة : معرفتان : معرفة حق ، ومعرفة سقيمة فمعرفة الحق : معرفة وحدانيته

على ما أبرز للخالق من الأسمى والصفات . ومعرفة الحقيقة على أن لا سبيل إليها ،

لامتناع الصمدية وتحقيق الربوبية ، لقوله ، عز وجل :

« وَلَا يَحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (٢) »

قال أبو نصر ، رحمه الله : معنى قوله : لا سبيل إليها يعني إلى المعرفة على الحقيقة ،

لأن الله تعالى أبرز خلقه من أسمائه وصفاته ما علم أنهم يطيقونه ، ذلك لأن حقيقة

معرفة لا يطيقها الخلق ، ولا ذرة منها ، لأن الكون بما فيه يتلاشى ، عند ذرة من

أول باد يبدو من بوادي سطوات عظمته . فمن يطيق معرفة من يكون هذا صفة من

صفاته ؟ فذلك قال القائل :

ما عرفه غيره ولا أحبه سواه ، لأن الصمدية ممتعة عن الإحاطة والإدراك . قال الله

عز وجل :

« وَلَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ (٣) » .

(١) هذه الفكرة الصحيحة فيما يتعلق بالمعروف : فبعضها لاشك هبة من الله .

وبعضها كسب للعبد

(٢) البقرة : ٢٥٤

(٣) طه : ١١٠

وقد حكى في هذا المعنى عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، أنه قال :

« سبحان من لم يجعل للخلق طريقاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته » .

وسئل الشبلي :

متى يكون العارف بمشهد من الحق ؟ قال :

إذا بدا الشاهد ، وفي الشواهد ، وذهب الخواس ، واطمحل الإحساس .

وسئل أيضاً :

ما بدؤ هذا الشأن وما انتهأؤه ؟ قال :

بدؤه معرفته ، وانتهأؤه توحيدده وقال :

من علامة المعرفة : أن يرى نفسه في قبضة العزة ، ويجرى عليه تصارييف القدرة .

ومن علامة المعرفة : المحبة ، لأن من عرفه أحبه .

وبلغنى عن أبي يزيد طيفور بن عيسى البسطامى ، رحمه الله أنه سئل عن صفوة

العارف ، فقال :

لون الماء لون إنائه إن صببته في إناء أبيض خيلته أبيض ، وإن صببته في إناء أسود

خيلته أسود ، وكذلك الأصفر والأحمر ، وغير ذلك . يتداوله الأحوال ، وورلى

الأحوال وإليه .

وقال الشيخ ، رحمه الله : معناه ، والله أعلم : أن الماء على قدر صفته يصبه لون

إنائه ، ولا يغيره لون إنائه عن صفته وحانه ، وينزل الناظر إليه أبيض أو أسود

وهو في الإناء بمعنى واحد ، وكذلك العارف وحسنه مع الله ، من صفته في الأحوال

الأحوال يكون سره مع الله تعالى بمعنى واحد .

وسئل الجتيد رحمه الله عن معتدل العارفين ، فقال :

ذهبوا عن وصف الرافضين .

وسئل بعضهم عن المعرفة فقال : مطالعة القلوب لإفراذه على ناطقته .

وسئل الجنيد ، رحمه الله ، فقيلاً له : يا أبا الناسم ما حاجة العارفين [إلى الله تعالى] ؟
قال حاجتهم إليه : ثلاثة ورعاية لهم .

وقال محمد بن المفضل السمرقندي ، رحمه الله ، بل لا حاجة لهم ولا اختبار ، إذ بغير
الحاجة والاختيار نالوا ما نالوا ؛ لأن قيام العارفين بموجودهم وبقاءهم بموجودهم
وفناءهم بموجودهم .

وقيل لمحمد بن المفضل ، رحمه الله : حاجة العارفين إلى ماذا ؟ قال : حاجتهم
إلى الخصلة التي كات بها المحاسن كلها ؛ وبفقدتها قبحت المقابح كلها وهي
الاستقامة (١) .

وسئل يحيى بن معاذ رحمه الله ، عن صفة العارف ، فقال : داخل معهم
بأن منهم .

وسئل مرة أخرى عن العارف فقال : عبد كان فبان .

وقيل لابي الحسين النووي ، رحمه الله : كيف لا تدركه العقول ولا يعرف
إلا بالعقول ؟ فقال :

كيف يدرك ذو أمد من لا أمد له ، أم كيف يدرك ذو عاهة من لا عاهة له
ولا آفة ، أم كيف يكون مكيفاً من كيف الكيف ، أم كيف يكون محبباً من
حيث ألحيت فساءه حيثاً ، وكذلك أول الأول ، وآخر الآخر ، فساءه أولاً وآخره ؛
فلولا أنه أول الأول وآخر الآخر ما عرف ما الأولية وما الآخريّة .

ثم قال وما الأزلية في الحقيقة إلا الأبدية ، ليس بينهما حاجز ، كما أن الأولية
هي الآخرة والآخرة هي الأولية ، وكذلك الظاهرية والباطنية إلا أنه يفقدك
وقتاً ويشهدك وقتاً لتجديد الذة ورؤية العبودية ، لأن من عرفه بالخلقة لم يعرفه
بالمباشرة ؛ لأن الخلقة على معنى قوله : كن ، والمباشرة وإظهار حرمة الاستهانة فيه .

(١) يقول الله لرسوله فاستقم كما أمرت والرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي

يقول الله له : وإنا لك لعلی خلق عظيم ، :

قلتُ: معنى قوله : مباشرة يعني مباشرة يقين ومشاهدة القلب بحقائق الإيمان بالغيب .
قال الشيخ رحمه الله : والمعنى ، فيما أشار إليه والله أعلم ، أن التوقيت والتعبير
لا يجوز على الله تعالى ، فهو فيما كان كهب فيما يكون ، وهو فيما قال كهب فيما يقول ،
والأدنى عنده كالأقصى ، والأقصى عنده كالأدنى ، وإنما يقع (١) التفاوت للخلق من
حيث الخلق (٢) والتووين في القرب والبعد والسخط والرضا صفة للخلق وليس ذلك
من صفات الحق ، والله أعلم .

وقال أحمد بن عطاء ، رحمه الله ، في كلام له في معنى المعرفة : وبحكي أيضاً
عن أبي بكر الواسطي رحمه الله والصحيح لابن عطاء رحمه الله قال : إنما قيحت
المستقبجات باستتاره وحسنت المستحسنات بتجليه ، فهما نعمان يجردان على الأبد
بما جريا به في الأزل يظهر الوسمين على المتبرلين والمطرودين ، فقد بان شراهد تبايه
على المتبرلين بضمها كما بان شراهد استترة على المرودين بظامها . فما ينفع بعد ذلك
الألوان المصفرة ولا الأكام المقصرة ولا التدرع بالظلمة والمرقعة :

قلت : وهذا الذي قال ابن عطاء ، رحمه الله ، معناه قريب من قول أبي سارون
عبد الرحمن بن أحمد الداراني ، رحمه الله ، حيث يقول :

ليس أعمال الخلق بالذي يسخطه ولا بالذي يرضيه ، وإنما يرضى عن قومه فاستعملهم
بعمل أهل الرضا ، وسخط على قومه فاستعملهم بعمل أهل السخط .

ومعنى قول ابن عطاء رحمه الله : قيحت المستقبجات باستتاره ، يعني
وحسنت المستحسنات بتجليه يعني بيقوله عليها وقوله لها . وهو من ذلك كما جاء
في الحديث :

(١) في نسخة أخرى التعارف .

(٢) في نسخة أخرى التكوين .

«خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ويده كتان : كتاب يمينه وكتاب بشمله ،
فقال : هذا كتاب أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم ، وهذا كتاب أهل النار بأسمائهم
وأسماء آبائهم » الحديث .

وقال أبو بكر الواسطي رحمه الله ، لما تعرف بنفسه إلى خاصته : امتحنت
نفوسهم فلم يشهدوا وحشة بشواهد الأول مما يبدو لهم من شواهد الحظوظ ،
وكذلك كل من أعقب بمعنى ، وهذا معناه ، والله أعلم أن شاهد الأولية ، فيما عرف
بما تعرف إليه معبوده لم يشهد وحشة مع معرفته بذلك فيما سواه ولا أنسائهم .

باب في صفة العارف

وما قالوا فيه

قال يحيى بن معاذ الرازي ، رحمه الله : مادام العبد يتعرف فيقال : لا تختريئاً ولا تكن مع اختيارك حتى تعرف ، فإذا عرف وصار عارفاً فيقال له : إن شئت اختر وإن شئت لا تختري ، لأنك إن اخترت فباختيارنا اخترت ، وإن تركت الاختيار فباختيارنا تركت الاختيار ، فإنك بنا في الاختيار وفي ترك الاختيار .

وقال يحيى بن معاذ ، رحمه الله : الدنيا عروس ومن يطلبها ما شطتها ، والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها ، والعارف بالله مشغول بسيد لا يلتفت إليها .

وقال : إذا ترك العارف أدبه عند معرفته فقد هات مع الهالكين .

وقال ذو النون ، رحمه الله : علامة العارف ثلاثة : لا يظفي ، نور معرفته نور ورعه ، ولا يعتقد باطناً من العلم ينقض عليه ظهراً من الحكمة ، ولا يحمل كثرة نعم الله تعالى عليه وكرامته على هتك أستار محارم الله تعالى .

وقال بعضهم : ليس بعارف من وصف المعرفة عند أبناء الآخرة ، فكيف عند أبناء الدنيا ؟

وقال : إن التفت العارف إلى الخلق عن معرفته بغير إله ، فهو مخدول . بين خلقه .

وقال : كيف تعرفه وليس في قلبك سلطان هيئته ؟ وكيف تذكره وتعبه وليس في قلبك وجود الطافه وأنت غافل عما ذكرك به قبل خلقه ؟

سمعت محمد بن أحمد بن حمدون الفراء يقول : سمعت عبد الرحمن الفارسي وقد
سئل عن كمال المعرفة فقال : إذا اجتمعت المنفردات واستوت الأحوال والأماكن
وسقطت رؤية التميز .

وقال أبو نصر ، رحمه الله : معنى ذلك أن يكون وقت العبد وقتاً واحداً بلا
تغيير ، ويكون العبد في جميع أحواله بالله والله مأخوذاً عما سوى الله فبعد ذلك
يكون هذا حاله .

باب في قول القائل بم عرفت الله ؟ والفرق

بين المؤمن والعارف

قيل لأبي الحسين النورى ، رحمه الله : بم عرفت الله تعالى ؟ فقال : بالله قيل :

٢٠ فما بال العقل ؟ قال العقل عاجز لا يدل إلا على عاجز مثله ، « لما خلق الله العقل قال له : من أنا فسكت ، فكحله بنور الوحدانية فقال : أنت الله » فلم يكن للعقل أن يعرف الله إلا بالله .

وسئل عن أول فرض افترض الله تعالى على عباده ما هو ؟ فقال : المعرفة به

لقوله تعالى : « وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » (١) وقال ابن عباس ، رضى الله عنه : لِيَعْرِفُونِ .

وسئل بعضهم ما المعرفة ؟ فقال :

تحقيق القلب بصفات وحدانيته بكل صفاته وأسمائه ، فإنه المنفرد بالعز و التمرة والسلطان والعظمة الخى الدائم الذى ليس كمثل شىء ، وهو السميع البصير بلا كيف ولا شبه ولا مثل ، بنفى الأضداد والأنداد والأسباب ، عن التوابع .

وقد قيل ، أيضا : إن أصل المعرفة موهبة . والمعرفة ركن الإيمان بالله تعالى

وجهد ، والإيمان عطاء ، والفرق بين المؤمن والعارف :

المؤمن ينظر بنور الله ، والعارف ينظر بالله عز وجل ، والمؤمن يمشى

للعارف قلب ، وقاب المؤمن يطمئن بالذكر ولا يطمئن العرف بسداد .

(١) الذاريات : ٥٦

والمعرفة على ثلاثة أوجه : معرفة إقرار ، ومعرفة حقيقة ، ومعرفة مشاهدة ،
وفي معرفة المشاهدة بدرجة الفهم والعلم والعبارة والكلام ، والإشارات في المعرفة
ووصفها كثير ، وفي القليل كفاية وغنية للمستدل والمسترشد ، وبالله التوفيق .

وعن الحسن بن علي بن حيويه الدامغانى قال : سئل أبو بكر الزاهر اباذى عن
المعرفة فقال : المعرفة اسم ، ومعناه وجود تعظيم في القلب يمنعك عن
التشبيه والتعطيل .

كتاب الأحوال والمقامات

باب في المقامات وحقايقها

قال الشيخ ، رحمه الله : فإن قيل : ما معنى المقامات ؟ يقال : معناه مقام العبد بين يدي الله عزّ وجلّ ، فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والانتقاع إلى الله عزّ وجلّ ، وقال الله تعالى :

« ذَاكَ لِمَن ، خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدَ » (١) وقال :

« وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ » (٢) .

وقال : سئل أبو بكر الواسطي رحمه الله عن قول ، النبي صلى الله عليه وسلم :

« الأرواح جنود مجنّدة » .

قال « مجنّدة » على قدر المقامات ، والمقامات مثل التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والرضا والتركل وغير ذلك .

(١) إبراهيم : ١٤

(٢) الصافات : ١٦٤

باب في معنى الأحوال (١)

قال الشيخ، رحمه الله: وأما معنى الأحوال فهو ما يحل بالقلوب، أو تحل به القلوب: من صفاء الأذكار.

وقد حكى عن الجنيد، رحمه الله: أنه قال: الحال نارلة تنزل بالقلوب فلا تدوم.

وقد قيل، أيضاً: إن الحال هو الذكر الخفي.

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «خير الذكر الخفي».

وليس الحال من طريق المجاهدات والعبادات والرياضات كالمقامات التي ذكرناها، وهي (٢) مثل المراقبة والقرب والمحبة والخوف والرجاء والشوق والأنس والطمأنينة والمشاهدة واليقين وغير ذلك.

وقد حكى عن أبي سليمان الداراني رحمه الله، أنه قال: إذا صارت المعاملة إلى القلوب استراحت الجوارح.

وهذا الذي قال أبو سليمان، يحتمل معنيين:

أحدهما: أنه أراد بذلك: إستراحت الجوارح من المجاهدات، والمكابدات من الأعمال: إذا اشتغل بحفظ قلبه ومراعاة سره من الخواطر المشغلة، والعوارض المذمومة التي تشغل قلبه عن ذكر الله تعالى.

ويحتمل أيضاً أنه أراد بذلك: أن يتمكن من المجاهدة والأعمال والعبادات،

(١) في هامش إحدى النسخ الفرق بين المقام والحال: أن الحال ينزل بالقلوب يدوم -

والمقام: مقام الرجل بظاهره وباطنه في - قائق الطاعات -

(٢) أي الحال -

وتصير وطنه حتى يستلذها بقلبه ، ويجد حلاوتها ، ويسقط عنه التعب ، ووجود
الأم الذي كان يجد قبل ذلك .

كما قال بعضهم ، وأظننه محمد بن واسع ، رحمه الله ، قال : كابدت الليل
عشرين سنة فتنعمت به عشرين سنة .

وقال آخر ، وأظننه مالك بن دينار ، رحمه الله مضفت القرآن عشرين سنة
ثم تنعمت بتلاوته عشرين سنة .

وقال الجنيد ، رحمه الله : لا يوصل إلى رعاية الحقوق إلا بحراسة القلوب .
ومن لم يكن له مرٌّ فهو مُصِرٌّ ، والمصرٌّ لا تصفو له حسنة .

وأجوبة الشيوخ في المقامات تكثر ، وكذلك في الأحوال ، وقد ذكرته
على الاختصار ، والله الموفق .

باب مقام التوبة

قال أبو يعقوب يوسف بن حمدان السوسى ، رحمه الله : أول مقام من مقامات
المقطوعين إلى الله تعالى التوبة .

وسئل السوسى عن التوبة فقال : التوبة الرجوع من كل شىء ذمه العلم إلى
ما مدحه العلم .

وسئل سهل ابن عبد الله عن التوبة فقال : أن لا تنسى ذنبك .

وسئل الجنيد رحمه الله عن التوبة فقال : هى نسيان ذنبك .

قال الشيخ ، رحمه الله : فالذى أجاب السوسى رحمه الله عن التوبة أجاب عن
توبة المرئيين والمتعرضين والطالبين والتماسدين ، وهم الذين تارة لهم وتارة عليهم .
والذى قال سهل بن عبد الله أيضاً فكذلك .

وأما ما أجاب الجنيد رحمه الله عن التوبة : أن ينسى ذنبه : أجاب عن توبة
المتحققين : لا يذكرون ذنوبهم ؛ لما غلب على قلوبهم من عظمة الله تعالى
ودوام ذكره .

وهو مثل ما سئل رؤيم بن أحمد رحمه الله التوبة فقال : التوبة من التوبة .
كذلك سئل ذو النون رحمه الله عن التوبة فقال : توبة العلوام من الذنوب
وتوبة الخواص من الغفلة .

فأما لسان أهل المعرفة والواجدين وخصوص الخصوص فى معنى التوبة فهو :
ما قاله أبو الحسن النورى رحمه الله ، حين سئل عن التوبة فقال : التوبة : أن
تتوب من كل شىء سوى الله تعالى .

والى هذا أشار الذى أشار بقوله : ذنوب المقربين حسنات الأبرار وهو
ذو النون .

والذى قال أيضاً : رياء العارفين إخلاص المرئيين ، لأن الذى كان يتقرب به العارف إلى الله عزّ وجلّ في وقت قصده وبتدائه وتعرضه من القربات والطاعات فلما تمكن وتحقق بذلك ، وشملتة أنوار الهداية ، وأتته العناية ، وحوته الرعاية ، وشاهد ما شاهده بقلبه من عظمة سيده ، والتفكير في صنع صانعه ، وقديم إحسانه ، تاب عن الملاحظة والسكون ، والالفات إلى ما كان من طاعاته وأعماله وقربانه في حين إرادته وبدأياته ، فشتان بين نائب وتائب : فتائب يتوب من الذنوب والسيئات ، وتائب يتوب من الزلل والغفلات ، وتائب يتوب من رؤيته الحسنات والطاعات .

والتوبة تقتضى الورع .

باب مقام الورع

قال الشيخ رحمه الله . ومقام الورع مقام شريف .
قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ملاك دينكم الورع » .

٢٣

وأهل الورع على ثلاث طبقات : فهم من تورع عن الشبهات التي اشتبهت عليه ، وهي ما بين الحرام البين والحلال البين ، وما لا يقع عليه اسم حلال مطلق ولا اسم حرام مطلق ، فيكون بين ذلك فيتورع عنهما .

وهو كما قال ابن سيرين رحمه الله : ليس شيء أهون على من الورع ، إذا راى شيئاً تركته .

ومهم من يتورع عما يقف عنه قلبه ويحيك في صدره عند تناولها (١) وهذا لا يعرفه إلا أرباب القوب والمتحققون .

وهو كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الإثم ما حاك في صدرك »

٢٤

وقال أبو سعيد الخراز رحمه الله : الورع أن تبرأ من مظالم الخلق من مثاقيل القدر ، حتى لا يكون لأحدهم قبلك مظلمة ولا دعوى ولا طلبية .

وكما حكى عن الحارث المحاسبي رحمه الله أنه كان لا يمد يده إلى طعام فيه شبهة .
وقال جعفر الخلدی رحمه الله : كان على طرف أصبعه (٢) الوسطى عروقاً إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة ضرب عليه ذلك العرق .

وكما حكى عن بشر الحافي رحمه الله : أنه حَمِلَ إلى دعوة ، فوضع بين يديه

(١) عند تناول الشبهات .

(٢) يريد أصبع الحارث المحاسبي رضي الله عنه .

طعام ، فجهد أن يمد يده إليه فلم تمتد ، ثم جهد فلم تمتد ثلاث مرات ، فقال رجل ممن كان يعرفه : إن يده لا تمتد إلى طعام حرام أو فيه شبهة ، ما كان أغنى صاحب هذه الدعوة أن يدعو هذا الرجل إلى بيته .

وتقوى هذا حكاية سهل بن عبد الله : سمعت أحمد بن محمد بن سالم بالبصرة يقول : سئل سهل بن عبد الله عن الحلال فقال : الحلال الذي لا يعصى الله فيه .
 قال أبو نصر رحمه الله : والذي لا يعصى الله فيه لا تنهياً لأحد الوقوف عليه إلا بإشارة القلب .

فإن قال قائل : هل تجد لذلك أصلاً يتعلق به من العلم فيقال : نعم ، قول النبي صلى الله عليه وسلم لو ابصرت « أستفتت قلبك وإن أفطتك المفتون » . والذي قال أيضاً : « الإثم ما حاك في صدرك » ألا ترى أنه قد رده إلى ما يشير به عليه قلبه ؟

وأما الطبقة الثالثة في الورع فهم : العارفون والواجدون ، وهو كما قال أبو سليمان الداراني رحمه الله : كل ما شغلك عن الله فهو مشغوم عليك .

وكما قال سهل بن عبد الله حين سئل عن الحلال الصافي فقال : الحلال الذي لا يعصى الله فيه ، والحلال الصافي الذي لا ينسى الله فيه .

فالورع فيما لا ينسى الله فيه هو الورع الذي سئل عنه الشبلي رحمه الله ، فقيل له : أبا بكر ما الورع ؟ فقال : أن تتورع ألا يتشتت قلبك عن الله عز وجل طرفة عين .

فالأول ورع العموم ، والثاني ورع الخصوص ، والثالث ورع خصوص الخصوص .
 والورع يقتضي الزهد .

باب مقام الزهد

قال الشيخ رحمه الله : والزهد مقام شريف ، وهو أساس الأحوال الرضية والمراتب السنية ، وهو أول قدم القاصدين إلى الله عز وجل ، والمنقطعين إلى الله ، والراضين عن الله ، والمتوكلين على الله تعالى ، فمن لم يُحْكِم أساسه في الزهد لم يصح له شيء مما بعده ، لأن حُب الدنيا رأس كل خطيئة ، والزهد في الدنيا رأس كل خير وطاعة .

ويقال : إن من سُمِّيَ باسم الزهد في الدنيا فقد سُمِّيَ بألف اسم محمود ، ومن سُمِّيَ باسم الرغبة في الدنيا فقد سُمِّيَ بألف اسم مذموم .

وهو ما اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه باختيار الله له ، والزهد في الحلال الموجود .

وأما الحرام والشبهة فتركه واجب .

والزهد على ثلاث طبقات :

فمنهم المبتدئون ، وهم الذين خلت أيديهم من الأملاك ، وخلت قلوبهم مما خلت منه أيديهم .

كما سئل الجنيد رحمه الله عن الزهد فقال : تخلى الأيدي من الأملاك ، وتخلت القلوب من الطمع .

وسئل سري السقطي ، رحمه الله عن الزهد فقال : أن يخلو قلبه مما خلت منه يده .

وفرقه منهم متحققون في الزهد .

ووصفهم ما أجاب رُوَيْم بن أحمد رحمه الله ، حين سئل عن الزهد فقال :
ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا ، فهذا زهد المتحققين ، لأن في الزهد في
الدنيا حظاً لنفس ، لما في الزهد من الراحة والثناء والمحمدة واتخاذ الجاه عند
الناس ؛ فمن زهد بقلبه في هذه الحظوظ فهو متحقق في زهده .

والفرقة الثالثة : علموا وتيقنوا : أن لو كانت الدنيا كلها لهم ملكاً حلالاً ، ولا
يحاسبون عليها في الآخرة ، ولا ينقص ذلك مما لهم عند الله شيئاً ثم زهدوا فيها لله
عز وجل ، لكان زهدهم في شيء منذ خلقها الله تعالى ما نظر إليها ، ولو كانت
الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة من ماء ، فعند ذلك
زهدوا في زهدهم وتابوا من زهدهم .

كما سئل الشبلي رحمه الله عن الزهد فقال : الزهد غفلة ، لأن الدنيا لا شيء ،
والزهد في لا شيء غفلة .

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله : الدنيا كالعروس ، ومن يطالبها ما شطحها والزاهد
فيها بسخم وجهها ، وينتف شعرها ، ويمخرق ثوبها ، والعرف مشغل بالله
لا يلتفت إليها .

والزهد يقتضى معانقة الفقر واختياره .

باب مقام الفقر وصفة الفقراء

قال الشيخ ، رحمه الله ، والفقر مقام شريف ، وقد وصف الله تعالى الفقراء وذكروهم في كتابه فقل : « الْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْسِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ » (١) تكملة الآية .
 وقال صلحهم : (الفقر أزين بالعبد المؤمن من العذر الجيد على خد الفرس) .
 وقال إبراهيم بن أحمد الخواص رحمه الله : الفقر رداء الشرف ، ولباس المرسلين ، وجلباب الصالحين ، وتاج المتقين ، وزين المؤمنين ، وغنيمة العارفين ، ومنبه المریدين ، وحصن المطيعين ، وسجن المذنبين ، ومكفر للسيئات ، ومعظم للحسنات ، ورائع للدرجات ، ومبلغ إلى الغايات ، ورضا الجبار ، وكرامة لأهل ولايته من الأبرار ، والفقر هو شعار الصالحين ، ودأب المتقين .

والفقراء على ثلاث طبقات :

فمنهم من لا يملك شيئاً ، ولا يطلب بظاهره ولا يباطه من أحد شيئاً ، ولا ينتظر من أحد شيئاً ، وإن أعطى شيئاً لم يأخذ ، فهذا مقام المقربين .
 كما حكى عن سهل بن علي بن سهل الأصهباني : أنه كان يقول : حرامٌ على كل من يسمى أصحابنا الفقراء ؛ لأنهم أغنى خلق الله عز وجل .
 وكما سئل أبو عبد الله بن الجلاء عن حقيقة الفقر فقال : اضرب بكميك على الخائط وقل : ربى الله .

وكما قل أبو علي الروزبارى : سألت أبو بكر الزقاق فقال : يا أبا علي ، لم ترك الفقراء أخذ البُاعة في وقت الحاجة ؟ قل : فقلت : لأنهم مستغنون بالمُعطى عن العطاء ، فقال : نعم ، ولكن وقع لى شيء آخر ، فقلت : هات ، أقدنى ،

(١) البقرة : ٢٧٤ وتكملة الآية كالاتى : ولا يستطيعون ضرباً فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التمفف تعرفهم بسيماهم ، لا يسألون الناس الخافاً وما تنفقوا من شيء . فإن الله به عليم .

ما وقع لك؟ فقال: لأنهم قوم لا ينفعمهم الوجود، إذ الله فاقهم، ولا تضرهم الفاقة، إذ الله وحودهم.

وسمعت أبا بكر الوجيهي يقول: سمعت أبا علي يقول: هذا.

وسمعت أبا بكر الطوسي يقول: كنت مدة طويلة أسأل عن معنى اختيار أصحابنا لهذا الفقر على سائر الأشياء، فلم يُجِبني أحد بجواب يُقنعني، حتى سألت نصر بن الحامي، فقال لي: لأنه أول منزلة من منازل التوحيد، ففقت بذلك.

ومنهم من لا يملك شيئاً، ولا يسأل أحداً، ولا يطلب، ولا يعرض، وإن أعطى شيئاً من غير مسألة أخذ.

وقد حُكي عن الجنيد، رحمه الله، أنه قال: علامة الفقير الصادق أن لا يسأل، ولا يعارض، وإن عورض سكت.

وكما حُكي عن سهل بن عبد الله، رحمه الله، أنه سئل عن الفقير الصادق فقال: لا يسأل ولا يرد، ولا يجبس.

وكما سئل أبو عبد الله بن الجلاء، رحمه الله، عن حقيقة الفقر فقال: هو أن لا يكون لك، فإذا كان لك لا يكون لك، ومن حيث لم يكن لك لم يكن لك.

وكما سئل إبراهيم الخواص رحمه الله عن علامة الفقير الصادق فقال: ترك الشكوى وإخفاء أثر البلوى، ولهذا قد قيل: إن هذا مقامه مقام الصديقين.

ومنهم من لا يملك شيئاً، وإذا احتاج انبسط إلى بعض إخوانه ممن يعلم أنه يفرح بانبساطه إليه، فكثارة مسأله صدقه.

وهذا كما سئل الجريري مسأله، رحمه الله، عن حقيقة الفقر فقال: لا يطلب المعلوم حتى يفقد الموجود.

وكما سئل زويم رحمه الله عن الفقر فقال: عدم كل موجود، ويكون دخوله في الأشياء لغيره لاله، وهذا مقامه مقام الصديقين في الفقر.

والفقر يقتضي مقام الصبر.

باب مقام الصبر

قال الشيخ ، رحمه الله : والصبر مقام شريف وقد مدح الله تعالى الصابرين
وذكرهم في كتابه فقال : (١)

« إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » .

وقد سئل الجنيد عن الصبر فقال : حمل المؤمن لله تعالى حتى تنقضى
أوقات المكروه .

وقال إبراهيم الخواص رحمه الله : هرب أكثر الخلق من حمل أثقل الصبر
فالتجئوا إلى الطلب والأسباب واعتمدوا عليها كأنها لهم أرباب ؛ قال .
ووقف رجل على الشبلي رحمه الله ، فقال له : أي صبر أشد على الصابرين .

فقال : الصبر في الله تعالى .

فقال : لا .

فقال الصبر لله .

فقال الرجل : لا .

فقال : الصبر مع الله .

فقال : لا .

قال : فغضب الشبلي رحمه الله وقال : ومحك فأيش ؟

فقال الرجل : الصبر عن الله عز وجل ، قال : فصرخ الشبلي رحمه الله صرخة
كاد أن يتلف روحه .

وسألت ابن سالم بالبصرة عن الصبر فقال : على ثلاثة أوجه : متصبر ، وصابر ،

وصبار ، فالتصبر من صبر في الله تعالى ، فمرة يصبر على المكروه ، ومرة يعجز .

وهذا كما سئل القناد ، رحمه الله ، عن الصبر فقال : ملازمة الواجب في الإعراض عن المنهى عنه ، والمواظبة على الأمور به ، والصابر من يصبر في الله ، والله ، ولا يجزع ، ولا يتمكن منه الجزع ، ويتوقع منه الشكوى .

كما حكى عن ذو النون ، رحمه الله ، أنه قال : دخلت على مريض أعوده ، فبينما كان يكلمني أن أنه ، فقلت له ليس بصادق في حبه من لم يصبر على ضربه .
قل : فقال : بل ليس بصادق في حبه من لم يتلذذ بضربه .

وكما قال الشبلي ، رحمه الله ، لما أدخل المارستان ، ووقيد ، فدخل عليه بعض أصدقائه ، فقال لهم : أيش أنتم ؟ فقالوا : نحن قوم نحبك فأخذ يرميهم بالآجر ، فهربوا ، فقال : يا كذابون ، تدعون محبتي ولم تصبروا على ضربي !

وأما الصبار : فذاك الذي صبره في الله ، والله وبالله ، فهذا لو وقع عليه جميع البلائ لا يعجز ولا يتغير من جهة الوجوب والحقيقة ، لا من جهة الرسم والخلقة .

وكان يتمثل الشبلي ، رحمه الله ، بهذه الآيات إذا سئل عن الصبر .

عبرات^ه خططن في الخد سطاراً قد قراها من ليس يحسن^ه يقرا

إن صوت المحب من ألم الشوق وخوف الفراق يورث ضراً

صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح المحب بالصبر : صبراً

وحجة هذا في العلم ماروي في الخبر : « أن زكريا عليه السلام لما وضع على

[رأسه المنشار أن أنه واحدة فأوحى الله تعالى إليه أن صعدت منك إلى أمه أخرى

لأقرب السموات والأرضين بعضها على بعض » .

والصبر يقتضى التوكل .

باب مقام التوكل

قال الشيخ ، رحمه الله : والتوكل مقام شريف ، وقد أمر الله ، تعالى ، بالتوكل وجعله مقراً وناً بالإيمان ، بقوله تعالى :

« وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (١) » .

وقال ، في موضع آخر : « وعلى الله فليتوكل المؤمنون (٢) » فخص توكل المتوكلين من توكل المؤمنين ، ثم ذكر توكل خصوص الخصوص فقال :

« ومن يتوكل على الله فهو حسبه (٣) » لم يردهم إلى شيء سواه كما قال السيد

المرسلين وإمام المتوكلين :

« وتوكل على الحى الذى لا يموت وكفى به (٤) » « وتوكل على العزيز الرحيم

الذى يراك حين تقوم » الآية فهم على ثلاث طبقات :

فأما توكل المؤمنين فشرطه ما ثلاث قل أبو تراب النخشبى ، رحمه الله ، حين

سئل عن التوكل ، فقال :

التوكل : طرح البدن فى العبودية ، وتعلق القلب بالربوبية ، والطمأنينة إلى الكفاية ، فإن أعطى شكر ، وإن منع صبر راضياً موافقاً للقدر .

وكما سئل ذو النون رحمه الله عن التوكل فقال : التوكل ترك تدبير النفس ،

والانخلاع من الحول والقوة .

وكما قال أبو بكر الزقاق رحمه الله : التوكل رد العيش إلى يوم واحد ، وإسقاطهم غد

وسئل رويم رحمه الله ، عن التوكل فقال : الثقة بالوعد .

وسئل سهل بن عبد الله رحمه الله ، عن التوكل فقال : الاسترسال مع الله تعالى

على ما يريد .

وأما توكل أهل الخصوص فكما قال أبو العباس بن عطاء ، رحمه الله : من

(١) إبراهيم : ١٣ (٢) المائدة : ١١ (٣) الطلاق : ٣ (٤) الفرقان :

وتسكئة الآية : « بذنوب عباده خبيراً » : ٥٨ .

توكل على الله لغير الله لم يتوكل على الله في توكله حتى يتوكل على الله بالله الله ،
ويكون متوكلاً على الله في توكله لا لسبب آخر .

أو كما قال أبو يعقوب النهرجوري ، رحمه الله ، وقد سئل عن التوكل ، فقال :
موت النفس عند ذهاب حظوظها من أسباب الدنيا والآخرة .

وقد قل أيضاً أبو بكر الواسطي : أصل التوكل الفاقة والافتقار ، وأن لا يفارق
التوكل في أمانيه ، ولا يلتفت بسرّه إلى توكله لحظة في عمره .

وسئل سهل بن عبد الله ، رحمه الله أيضاً عن التوكل ، فقال : التوكل وجهه
كلّه وليس له قفلاً ، ولا يصح إلا لأهل المقابر .

فهؤلاء أشاروا إلى حقيقة توكل المتوكلين وهم الخصوص .

وأما توكل خصوص الخصوص فعلى ما قل الشبلي رحمه الله ، حين سئل عن
التوكل فقل : أن تكون لله كما لم تكن ويكون الله تعالى لك كما لم يزل .

وكما قل بعضهم : حقيقة التوكل لا يقوم له أحد من خلقه على الكمال ، لأن الكمال
بالكمال لا يكون إلا لله ، جل جلاله .

وسئل أبو عبد الله بن الجلاء عن التوكل فقل : الإيواء إلى الله وحده .

في جميع الأحوال .

وسئل الجنيد رحمه الله عن التوكل فقل : اعتمد القاب على الله تعالى

وقد حكى عن أبي سليمان الداراني رحمه الله أنه قال لأحمد بن أبي الخصال ،

رحمه الله : يا أحمد ، إن طرق الآخرة كثيرة وشيخك عاتق بن محمد لا يهدى

التوكل المبارك فإني ما سمعت منه راحة ، وليس لي منه مشقة أريح .

وقل بعضهم : من أراد أن يقوم بحق التوكل فليحفر لنفسه قبراً ويدفنها فيه ،

وينسى الدنيا وأهلها ، لأن حقيقة التوكل لا يقوم له أحد من الخلق على كماله .

والتوكل يقتضى الرضا .

باب مقام الرضا وصفة أهله

قال الشيخ رحمه الله : ارضا مقام شريف ، وقد ذكر الله عز وجل الرضا في كته به فقل :

« رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا (١) عَنْهُ » ، وقال :

« ورضوان من الله أكبر » (٢) فذكر أن رضا الله عز وجل ، عن عباده أكبر وأقدم من رضاهم ٤٤ .

والرضا باب الله الأعظم ، وجنة الدنيا ، وهو أن يكون قلب العبد ساكناً تحت حكم الله عز وجل .

وسئل الجنيد رحمه الله عن الرضا ، فقال : الرضا رفع الاختيار .

وسئل القناد رحمه الله عن الرضا فقل : سكون القلب بمر القضاء .

وسئل ذو النون عن الرضا فقال سرور القلب بمر القضاء .

وقال ابن عطاء رحمه الله : الرضا نظر القلب إلى قديم اختيار الله ، تعالى ، للعبد ، لأن يعلم أنه اختار له الأفضل فيرضى به ويترك السخط .

وقال أبو بكر الواسطي ، رحمه الله استعمل الرضا جهداً ، ولا تدع الرضا يستعملك فتكون مجبوراً بلذاته ورؤية حقيقة .

غير أن أهل الرضا في الرضا على ثلاثة أحوال :

فمنهم من عمل في إسقاط الجزع حتى يكون قلبه مستوياً لله عز وجل فيما يجري عليه من حكم الله من المكاره والشدائد والراحات والمنع والعطاء .

(١) المائة : ١١٩

(٢) التوبة : ٧٢

وممنهم من ذهب عن رؤية رضائه عن الله عز وجل ، بروية رضا الله عنه ،
 أقوله ، تعالى : « رضى (١) الله عنهم ورضوا عنه » ، فلا يثبت لنفسه قدم في الرضا
 وإن استوى عند الشدة والرخاء والمنع والعطاء .

وممنهم من جاوز هذا وذهب عن رؤية رضا الله عنه ورضاه عن الله لما سبق من
 الله تعالى خلقة من أرضا ، كما قال أبو سليمان الداراني ، رحمه الله : ليس أعمال
 الخلق بالذي يرضيه ولا بالذي يسخطه ، وإنما رضى عن قوم فاستعملهم بعمل
 أهل الرضا ، وسخط على قوم فاستعملهم بعمل أهل السخط .

والرضا آخر المقامات ثم يقتضى من بعد ذلك أحوال أرباب القلوب ، ومطالعة
 الغيوب ، ومهذيب الأسرار لصفاء الأذكار وحقائق الأحوال .
 فأزل حل من أحوال أرباب القلوب حال المرافقة .

(١) الأنفال : ١١٩

باب حل المراقبة وحقائقها وصفة أهلها

قال الشيخ ، رحمه الله : والمراقبة حل شريف ، قال الله ، تعالى :

« وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَاقِبًا » (١) ، وقال عز وجل : « مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ » (٢) ، وقال : « أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَلْمُ سُرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ » (٣) ومثله في القرآن كثير .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قال : « أعبدا لله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »

والمراقبة : لعبد قد علم وتيقن أن الله تعالى مطاع على ما في قلبه وضميره وعالم بذلك ، فهو يراقب الخواطر المدمومة المشغلة للقلب عن ذكر سيده

كما قال أبو سليمان الداراني رحمه الله : كيف يخفي عليه ما في القلوب ! ولا يكون في القلوب إلا ما يلقي فيها ، أفخفي عليه ما هو منه ؟!

قال الجنيد رحمه الله : قال لي إبراهيم الأجرى رحمه الله : يا غلام ، لأن ترد من همك إلى الله تعالى ذرة ، خير لك مما طلعت عليه الشمس

وقال الحسن بن علي الدامغاني ، رحمه الله : عليكم بحفظ السرائر ، فإنه مطاع على الضمائر

وأهل المراقبة على ثلاثة أحوال في مراقبتهم :

فأما ما قال الحسن بن علي ، فهذا حل الابتداء في المراقبة

وأما الحال الثاني في المراقبة ، فكما حكى عن أحمد بن عطاء رحمه الله : أنه قال :

(١) الأحزاب : ٥٢

(٢) ق : ١٠

(٣) التوبة : ٧٨

خيركم من رانب الحق بالحق في فناء ما دون الحق وتابع المصطفى صلعم ، في انفعاله
وأخلاقه وآدابه

وأما الخلل الثالث فحل الكبرياء من أهل المراقبة : فإنهم يراقبون الله تعالى ويسألونه
أن يرعاهم فيها ، لأن الله عز وجل قد خص بمجاهده وخاصة بالآي كالمهم في جميع أحوالهم
إلى أحد وهو الذي يتولى أمرهم فقال عز وجل :
« وَهُوَ يَتَوَكَّلُ الصَّالِحِينَ » (۱) .

وقال ابن عطاء ، رحمه الله ، لبعض حكماء خراسان ممن قد ولع بالجهل وفارن
التقشف ، أو ما علمت أن ما تقارن بيدتك أقدار في جنب ما تطالع بقلبك ؟ وما تطالع
بقلبك هباء في جنب ما تراقب في شرك ! فراقب الله تعالى في شرك وعلائقتك في جنب
خير مما تقارن من عمالك وعبادتك
والمراقبة تقضى حال القرب ،

(۱) الاعراف : ۱۹۵

(۲) بمعنى صاحب ولازم

باب حال القرب

قال الشيخ ، رحمه الله : قال الله تعالى : « وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ » (١) ، قال : وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (٢) ، وقال : « وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْكُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ » (٣) ، ثم قال في صفة ملائكته : « أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ » (٤) ، الوسيطة يعنى القرب ، وقال : « وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْكُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ » (٥) ، فذكر الله تعالى قريبتهم منه ، ثم ذكر قريبتهم بمعنى توسلهم إلى الله تعالى بالقرب أيهم أقرب .

وحال القرب : لعبد شاهد بقاءه قرب الله منه فتقرب إلى الله تعالى بطاعته ، وجمع همه بين يدي الله تعالى بدوام ذكره في علابته وسره .

وهم على ثلاثة أحوال :

فمنهم المنتقربون إليه بأنواع الطاعات لعلمهم بعلم الله تعالى بهم وقربه منهم وقدرته عليهم .

ومنهم من تحقق بذلك ، كما قال عامر بن عبد القيس ، رحمه الله : ما نظرت إلى شيء إلا رأيت الله تعالى أقرب إليه مني .

وهو (٦) كما قال القائل :

وتحققتك في السر ففاجاك لسانى
فاجتمعنا لمعان وافترقنا لمعاني
إن يكن غيبك التعظيم عن لحظعيانى
فلقد صيرك الوجد من الأحشاء داني

(٢) ق : ١٦

(٤) الإسراء : ٥٧

(١) البقرة : ١٨٦

(٢) الواقعة : ٨٥

(٥) أى حال القرب

وقال الجنيد رحمه الله : واعلم أنه يقرب من قلوب عباده على حسب ما يرى من قرب قلوب عباده منه ، فانظر ماذا يقرب من قلبك ؟

وقال آخر : إن لله تعالى عبداً قريبهم الله عز وجل بما هو به قريب منهم ، وكانوا قريبين منه بما هو به قريب إليهم ، وهذه الدرجة الثانية من حال القرب .

فأما حال الكبراء وأهل النبوات : فهو على ما قل أبو الحسين البوري . رحمه الله ، لرجل دخل عليه فقال : من أين أنت ؟ قال : من بغداد ، قال من صحبت بها قل : أبا حمزة ، قال : إذا رجعت إلى بغداد فقال لأبي حمزة : قرب القرب في معنى ما نحن نشير إليه : بعد البعد .

وكما قل أبو يعقوب السومري ، رحمه الله : ما دام العبد يكون باقرب لم يكن قرب حتى يغيب عن القرب باقرب . فإذا ذهب عن رؤية القرب باقرب فذلك قرب . يعني عن رؤية قربه من الله عز وجل بقرب الله منه . وحال القرب يقتضى حال المحبة وحال الخوف .

باب حال المحبة

قال الشيخ ، رحمه الله : فأما حال المحبة فقد ذكر الله تعالى المحبة في مواضع من كتابه ، فقل : « فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه » (١) وقل : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله » (٢) ، وقل في موضع آخر :

« يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله » (٣)

وقد ذكر في الآية الأولى محبته قبل محبتهم ، وفي الآية الثانية ذكر محبتهم له ومحبته لهم ، وفي الآية الثالثة ذكر محبتهم له ،

وحال المحبة : لعبد نظر بعينه إلى ما أنعم الله به عليه ، ونظر بقلبه إلى قرب الله تعالى منه وعنايته به وحفظه وكلاءته له ، فنظر بإيمانه وحقيقته يقينه إلى ما سبق له من الله تعالى من العناية والمداية وقديم حب الله له ، فأحب الله عز وجل

وأدلى المحبة على ثلاثة أحوال :

فأول الأهل من المحبة : محبة العامة ، يتولد ذلك من إحسان الله تعالى إليهم

وعطفه عليهم

وقد روى عن النبي ، صلى الله عليه وسلم : أنه قال : « جبلت القلوب على

حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها » الحديث .

وهذا الخلل من المحبة شرطيا ما سئل سمنون ، رحمه الله ، عن المحبة فقال :

صفاء الود مع دوام الذكر ، لأن من أحب شيئا أكثر من ذكره

(١) المائدة : ٥٤

(٢) آل عمران : ٣١

(٣) البقرة : ١٦٥

وكما سئل سهل ابن عبدالله رحمه الله عن المحبة فقال : موافقة القلوب لله ،
والتزام الموافقة لله ، واتباع الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، مع دوام الاستهتار (١)

بذكر الله تعالى ووجود حلاوة المناجاة لله عز وجل .
وسئل الحسن بن علي رضي الله عنه عن المحبة فقال : بذل المجهود والحبيب
يفعل ما يشاء .

وكما سئل بعض المشايخ عن المحبة فقال : استهتار (٢) القلوب بالشأن على المحبوب ،
وإيثار طاعته ، والموافقة له كما قيل التمل :

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع
والحل الثاني من المحبة ، وهو يتولد من نظر القلب إلى عناء الله وجلاله
وعظمته وعلمه وقدرته ، وهو حب الصادقين والمتحقتين .

وشرطها ووصفها كما حكى عن أبي الحسين النوري ، رحمه الله : أنه سئل عن
المحبة قال : هتك الأستار ، وكشف الأسرار .

وسئل أيضاً ، إبراهيم الخواص عن المحبة فقال : محور الإرادات ، واحتراف
جميع الصفات والحاجات .

وقد سئل أبو سعيد الخراز ، رحمه الله ، عن المحبة فقال : طوبى لمن شرب
كأساً من محبته ، وذان نعيماً من مناجاة الجناب وقربه ، ووجد من الهدات نعيمة
فلى ، قلبه حياً وطار بالله طرباً ، وهام إليه استيقاق ، فله من ملامح
بربه ، كلف دنف ، ليس له سكن غيره ولا مأوف سواه .

وأم الحال الثالث من المحبة فهو محبة الصديقين والمؤمنين ، ولبت من خبرهم
ومعرفتهم بتدبير حب الله تعالى بلا غلة ، فكذلك أحمده بلا غلة .

(١) يقل : استهتار بالشيء إذا أولع به

(٢) استهتار القلوب بالشأن : شفعها وحبها له وشغف به

وصفة هذه المحبة ما سئل ذو الون المصري ، فقيل له : ما المحبة الصافية التي لا كدرة فيها ؟ قل : حب الله الصافي الذي لا كدرة فيه : سقوط المحبة عن القلب والجوارح ، حتى لا يكون فيها المحبة ، وتكون الأشياء بالله والله ، فذلك المحب لله .

وقال أبو يعقوب السوسى ، رحمه الله : لا تصح المحبة حتى يخرج من رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب : بفناء علم المحبة من حيث كان له المحبوب فى الغيب ، ولم يكن هو بالمحبة ، فإذا خرج المحب إلى هذه النسبة كان محبا من غير محبة .

وسئل الجنيد رحمه الله عن المحبة فقال : دخول صفات المحبوب على البذل من صفات المحب ، فهذا على معنى قوله : « حتى أُجِبَّه فإذا أُجِبَّه كنت عينه التي يبصر بها اسمه الذى يسمع به ، وينده الذى يبطش به » .

باب حل الخوف

قال الشيخ ، رحمه الله : فَمَا حَالُ الْخَوْفِ فَإِنَّمَا ذَكَرْنَا الْخَوْفَ وَالْحُبَّةَ ، لِأَنَّ حَالَ الْقُرْبِ يَقْتَضِي حَالَيْنِ :

فَمِنْهُمْ مَنْ يَغْلِبُ عَلَى قَلْبِهِ الْخَوْفُ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى قُرْبِ اللَّهِ مِنْهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَغْلِبُ عَلَى قَلْبِهِ الْحُبَّةَ ، وَذَلِكَ عَلَى حَسَبِ مَا قَسَمَ اللَّهُ لِلْقُرْبِ مِنَ التَّصْدِيقِ وَحَقِيقَةِ الْبَقِيَّةِ وَالْحَشْيَةِ ، وَذَلِكَ مِنْ كَشْفِ الْغُيُوبِ ، فَإِنَّ شَادِدَ قَلْبِهِ فِي قُرْبِهِ مِنْ سَيِّدِهِ عَظَمَتِهِ وَهَيْبَتِهِ وَقُدْرَتِهِ فَيَزِدُّهُ ذَلِكَ إِلَى الْخَوْفِ وَالْحَيَاءِ وَالرَّوَجَلِ ، وَإِنْ شَادِدَ قَلْبَهُ فِي قُرْبِهِ لَطْفَ سَيِّدِهِ وَقَدِيمَ عَطْفِهِ وَإِحْسَانَهُ لَهُ وَمُحِبَّتَهُ أَرَادَ ذَلِكَ إِلَى الْحُبَّةِ وَالشَّرِّ وَالْقَمَرِ وَالْحَرَقِ ، وَالنَّجْمِ بِالْبَيْتِ ، وَذَلِكَ بَعْلَاهُ وَمَشِيئَتَهُ وَقُدْرَتَهُ ، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ، وَالْخَوْفُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ ، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْخَوْفَ وَقُرْبَهُ بِالْآيَةِ الْهَاتِيَةِ : « فَلَا تَخَفُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » (١) ، فَبِذَلِكَ خَوْفُ الْأَسْبَابِ ، وَقَوْلُهُ : « وَامَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ » (٢) ، فَبِذَلِكَ خَوْفُ الْأَوْسَاطِ ، وَقَالَ : « يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَابُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ » (٣) ، فَبِذَلِكَ خَوْفُ الْعَالَمِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ خَافَ مِنْ سَخَطِهِ وَعِقَابِهِ ، كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى : « يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَابُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ » ، وَهِيَ الْعَامَّةُ الْخَوْفِيَّةُ : الْخَوْفَاتُ فِيهِمْ ثُمَّ الْخَوْفُ فِي سَطْوَةِ مَعْبُودِهِمْ

وَأَمَّا الْأَوْسَاطُ فَخَوْفُهُمْ : مِنَ التَّطْيِيعَةِ وَاعْتِرَاضِ الْكَلِمَاتِ وَرُفُوعِ الْمَقَامِ ، وَسَمَّاهُ خَوْفَ الْوَسْطَانِ ، وَسَمَّاهُ الشَّبْلِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ عَنِ الْخَوْفِ قَوْلًا : خَوْفُ الْأَسْبَابِ إِذَا

(١) آل عمران : ١٧٥

(٢) الرحمن : ٤٦

(٣) النور : ٣٧

كما قال أبو سعيد الخراز ، رحمه الله في كلام له قال : شكوت إلى بعض العارفين الخوف فقال : لى ؛ إني أشتهي أن أرى رجلا يدري أيش الخوف من الله ؟ ثم قال : إن أكثر الخائفين خافوا على أنفسهم من الله شفقة منهم على أنفسهم ، وعملا في خلاصها من أمر الله عز وجل .

وقال ابن خبيق ، رحمه الله : الخائف عندي : أن يكون بحكم الوقت : فوقت يخاف المخلوق ووقت يأمنه .

وقال القناد ، رحمه الله : علامة الخوف : أن لا يغفل نفسه بعسى وسوف .

وقال بعضهم : علامة خوف الله تعالى : هيجان القلوب ، وشدة الذعر من الترهيب ،

وقال ابن خبيق ، رحمه الله : الخائف عندي من يخاف من نفسه أكثر مما يخاف من الشيطان .

وأما أهل الخصوص من الخائفين خوفاً منهم ، على ما قال سهل بن عبد الله ، رحمه الله ، لو قسم نرد من خوف الخائفين على أهل الأرض لسعدوا بذلك أجمعين .

فقليل له : فكم يكون مع الخائفين من هذا الخوف ؟ قل مثل الجبل .

وقال ابن الجلاء الخائف عندي الذي لا يخاف غير الله تعالى .

وقال الواسطي ، رحمه الله : الأكبر يخافون القطع والأصغر يخافون العقوبة وسوف الأكبر أقطع ، لأن ما دام للنفس في النفس من رعوناتها بقية فليس معسن وإن أتى بكل تقويض وتسليم .

قال الشيخ ، رحمه الله : معنى رعوناتها : تدبيرها ودعواتها ونظرها إلى طاعتها .

وترجاء مقرون بالخوف .

باب حال الرجاء

قال الشيخ رحمه الله : والرجاء حال شريف ، قال الله ، تعالى :

« لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجئ الله واليوم الآخر » (١)

وقال في آية أخرى .

« يرجون رحمته ويخافون عذابه » (٢) وقال في آية أخرى :

« فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً » (٣)

قالوا في التفسير : ثواب ربه .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لا اعتدلا » .

وقال بعضهم : الخوف والرجاء جند العبد لا يطير إلا بهما .

وقال أبو بكر الوران : الرجاء ترويح من الله تعالى تقرب الخائفين ، ولو لا ذلك

تلتفت نفوسهم وذوات عقولهم .

والرجاء على ثلاثة أقسام :

رجاء في الله .

ورجاء في سعة رحمة الله .

ورجاء في ثواب الله .

فالرجاء في ثواب الله وفي سعة رحمته بعد ما يدرك من الله من النعمان .

فرجاء ، وعلم أن الكرم والفضل والنجود من صفات الله فإن رجاء العبد في الرجاء من

كرمه وفضله .

(١) الأحزاب : ٢١

(٢) الإسراء : ٥٧

(٣) المكف : ١١٠

وكما حكى عن ذو النون المصري رحمه الله : أنه كان يدعو ويقول : اللهم إن سعة رحمتك أرجأ لنا من أعمالنا عندما ، واعدتنا على غفوك أرجأ عندما من عقابك لنا .

وكما قل بعضهم : النبي أنت لطيف لمن قصدك في إرادته ، ورجاك في ملامته .
 فيما منتهى آمل الراجين أرجنا راحة عاجلة توردنا مناديل مسرتك وتؤدينا إلى قربك
 والراجي في الله تعالى : هو عبد تحقق في الرجاء ، فلا يرجو من الله شيئاً سوى الله
 كما سئل النبي رحمه الله عن الرجاء فقال : الرجاء أن ترجوه أن لا يقطع بك دونه .
 وقل ذو النون ، رحمه الله بينا أنا أسير في بعض البراري إذا لقيتني امرأة
 فقالت : لي من أنت ؟ قلت : رجل غريب ، فقالت : وهل يوجد مع الله تعالى
 أحزان الغربة .

فصل في معنى الخوف والرجاء

قل الشيخ ، رحمه الله : وأما لسان أهل النهايات والمتحققين في الخوف والرجاء :
 فالذي يقول أحمد بن عطاء ، رحمه الله ، حين سئل عن الخوف والرجاء فقال : إن
 الخلق بالرجاء والخوف مؤذنون ، وما دام لم يترق البعد في طرفيهما ، ولم يترق من
 بينهما ، لم يصل إلى حقيقة حقيهما ، ويكون مرتبطاً بما لا حاصل له فيهما
 عند الحقيقة .

قل : فما هما ؟ يعني الخوف والرجاء قل : زمامان للنفس حتى لا تخرج إلى
 رعوتهما : من الإدلال والأمن ، والإيأس والقطع .

وقال أبو بكر الواسطي ، رحمه الله : الخوف له ظلم يتجبر صاحبه تحته يطلب
أبدًا المخرج منه ، فإذا جاء الرجاء بضيقه خرج إلى مراضع الراحة فغاب عليه التمني ،
ولا ينفع حسن النهار إلا نظامة الليل ، وفيهما صلاح الكون ، فكذلك القاب :
مرة في ظلم الخوف أسير ، فإذا طرق طوارق الرجاء فهو أمير .

والمحبة والخوف والرجاء مقرون بعضها ببعض .

وقيل معهم : كل محبة لا خوف معها فهي مأوفة ، وكل خوف لا رجاء معه
فهو مأوف ، وكل رجاء لا خوف معه كذلك .

والرجاء والمحبة يقتضيان الشوق .

باب حال الشوق

قال الشيخ ، رحمه الله تعالى : وحال الشوق حال شريف ، روى عن النبي ، صلى الله عليه وسلم : أنه قال :

« الأهل مشتاق إلى الجنة ؟ هي ورب الكعبة ريحانة تهتز ، ونهر مطرد ، وزوجة حسناء » وروى عنه ، عليه السلام أنه كان يقول : في دعائه :

« أسئلك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك »

ولذة النظر إلى وجه الله تعالى في الآخرة والشدق إلى لقاءه في الدنيا

وقد روى ، أيضاً : « من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات »

وقد روى أيضاً : اشتاقت الجنة إلى علي ثلاثة : إلى علي وعمار وسلمان رضي الله عنهم أجمعين »

والشوق : هو لعبد قد أهرم ببقائه شوقاً إلى لقاء محبوبه

وسئل بعضهم عن الشوق فقال : هيمان القلب عند ذكر المحبوب ،

وقال آخر الشوق : نار الله تعالى أشعلها في قلوب أوليائه حتى يحرق بها ما في

قلوبهم من الخواطر والأرادات والعوارض والحاجات ،

وقال الجريري ، رحمه الله تعالى : لولا أن في الشوق متعة ما حمل الضر ،

وقال أبو سعيد الخراز رحمه الله : ملئت قلوبهم عن المحبة فطاروا بالله عز وجل

طرباً ، وهاموا إليه اشتياقاً ، فيا لهم من قلق مشتاق أسف بربه كلف دنف ليس لهم

سكن غيره ولا مألوف سواه !!!

وأهل الشوق على ثلاثة أحوال :

فمنهم من اشتاق إلى ما وعد الله تعالى لأوليائه من الثواب والكرامة ،
والفضل والرضوان .

ومنهم من اشتاق إلى محبوبه من شدة محبته وتبرمه ببقائه شوقاً إلى لقاءه .
ومنهم من شادد قرب سيده أنه حاضر لا يغيب ، فينعم قلبه بذلك ووقل :
إنما يشتاق إلى غائب وهو حاضر لا يغيب ، فذهب بالشوق عن رؤية الشوق ، فهو
مشتاق بلا شوق ، ودلائله تصفه عند أهله بالشوق ، وهو لا يصف نفسه بالشوق ،
والشوق يقتضى الأنا .

باب حل الأُنس

قال الشيخ ، رحمه الله تعالى : ومعنى الأُنس بالله تعالى : الاعتقاد عاينه ، والسكون
إليه والاستعانة به ، ولا يتهيأ أن يعبر عنه بأكثر من هذا ،

وقد روى في في الخبر : أن مطرف بن عبد الله بن الشخير ، رحمه الله كتب إلى
عمر بن عبد العزيز ، رضي الله عنه : ليكن أُنسك بالله وانقطعك إليه ، فإن لله تعالى
عبادا استأنسوا بالله فكانوا في وحدتهم أشد استئناساً من الناس في كثرتهم ،
وأوحش ما يكون الناس أنس ما يكونون ، وأنس ما يكون الناس أوحش ما يكونون
ومطرف بن عبد الله من كبار التابعين ، وكذلك عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
من الأئمة الراشدين

وذكر عن بعض العارفين : أنه قل : إن لله عز وجل عبداً أرادهم بحق حقائق
الأُنس به فأخذهم به عن وجد طعم الخوف مما سواه ،
والأُنس بالله : لعبد قد كملت طهارته وصفائه كره واستوحش من كل ما شغله
عن الله تعالى ، فعند ذلك أن نسه الله تعالى به ،
وأهل الأُنس في الأُنس على ثلاثة أحوال :

فمنهم من أنس بالذکر واستوحش من الغفلة ، وأنس بالطاعة واستوحش من الذنب
كما حكى عن سهل بن عبد الله ، رحمه الله أنه قل :

أول الأُنس من العبد أن تنس النفس والجوارح بالعقل ، ويأنس العقل والنفس
بعلم الشرع ، ويأنس العقل والنفس والجوارح (١) بالعمل لله خالصاً ، فيأنس العبد بالله
أى يسكن إليه ،

والحل الثاني من الأُنس : فهو لعبد قد استأنس بالله واستوحش مما سواه من
العوارض والخراطير المشغلة

(١) وفي رواية أخرى بالعلم .

كما ذكر عن ذى النون ، رحمه الله ، أنه قيل له :

ما علامة الأُنس بالله ؟ ول : إذا رأيته يُؤنسك بمخلقه فإنه هو ذا يوحشك من نفس ، وإذا رأيته يوحشك من خلقه فهو ذا يُؤنسك بنفسه .

وسئل الجنيد رحمه الله ، عن الأُنس بالله فقل : ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة ،

وقل ابراهيم المارستاني ، رحمه الله ، وسئل عن الأُنس ، قل : فرح القلب بالمحبوب

والحال الثالث من الأُنس : هو الذهاب عن رؤية الأُنس بوجود الهيبة والقرب

والتعظيم مع الأُنس .

كما ذكر عن بعض أهل المعرفة أنه قال : إن لله عبادا أوجد لهم من الهيبة له ما

أخذهم به عن الأُنس بغيره ،

ومذا كما ذكر عن ذى النون ، رحمه الله : أن رجلا كتب إليه : آسك الله

بقربه . فكتب ، إليه ذو النون : أوحشك الله من قربه ، فإنه إذا آسك بقربه فهو

قدرك ، وإذا أوحشك من قربه فهو قدره . معنى قوله : أوحشك من قربه .

بأن يوجدك هيبة قربه .

وسئل الشبلي رحمه الله عن الأُنس فقال : وحشتك منك ومن نفسك

ومن الكون ،

والأُنس بالله ، انضى الطمانينة ..

باب حال الطمانينة

قال الشيخ رحمه الله : وقد قال الله تعالى : « يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْكَاظِمَةُ (١) »
وفي التفسير : المطمئنة بالإيمان .

وقال عز وجل : « الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ
تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢) » .

وقال في قصة إبراهيم عليه السلام : « وَأَلَكِنَّا نَكْنِ قَلْبِي (٣) » .

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله ، إذا سكن قلب العبد إلى مولاه وطمأن إليه ،
قَوِيَتْ حُلُومُ الْعَبْدِ فَإِذَا قَوِيَتْ أَنْسُ بِالْعَبْدِ كُلِّ شَيْءٍ .

وسئل الحسن بن علي الدامغانى رحمه الله ، عن قوله عز وجل : « الَّذِينَ آمَنُوا
وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ (٤) » فقال : إن القلوب هشت وبشت وسكنت
وامتأنت ثم كشف عنه ، قل : هشت من معرفة جلال الله تعالى ، وعظمتته .
وبشت من معرفة رحمة الله وفضله ، وسكنت من معرفة كفاية الله وصدقه ،
وامتأنت من معرفة إحسان الله واطفئه .

قل : وسئل الشبلي رحمه الله عن معنى قول أنى سليمان الداراني رحمه الله :
النفس إذا أحرزت قوتها اطمأنت ، فقال : إذا عرفت من يقوتها اطمأنت .

والطمأنينة : حل رفيع ، وهى لعبد رجح عقله ، وقوى إيمانه ورسخ علمه ، وصفه
ذَكَرَهُ وَثَبَّتْ حَقِيقَتَهُ .

وهى على ثلاثة ضروب :

(١) الفجر : ٢٧

(٢) الرعد : ٢٨

(٣) البقرة : ٢٦٠

(٤) الرعد : ٢٨

فضرب منها للعامّة ، لأنهم إذا ذكروه اطمأنوا إلى ذكرهم له ، فحظهم منه :
الإجابة للدعوات باتساع الرزق ودفْع الآفات ، وهو ما قل الله عز وجل : « النَّفْسُ
الطُّمَئِنَّةُ (١) » يعنى بالإيمان بأن لا دافع ولا مانع إلا الله .

قال : والضرب الثانى : للخصوص ، لأنهم رضوا بقضائه وصبروا على بلائه ،
وأخلصوا ، واتقوا ، وسكنوا ، واطمأنوا إلى قوله عز وجل : « إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ
اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (٢) » ، « إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٣) » فاطمأنوا أو سكنوا
إلى قوله : « مع » فكانت طمأنينتهم ممزوجة بروية طاعتهم .

والضرب الثالث : لخصوص الخصوص : علموا أن سرأثرهم لا تقدر أن تطمئن
إليه ، ولا تحسن معه ، هيبتهم عظيماً ، لأنه ليس له غاية تدرك ، « وَإَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ »
« وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) » ، فمن كانت الأشياء في سره كذلك فإلى ماذا
يطمئن أو يسكن قلبه ؟ ومن وقع في عطش التمنى في طلب الزيادة وقع في البحر الذى
لا تجرى فيه الأوهام ، وهذا كلام قد اختصرته من كلام الواضح .

والطمأنينة تقتضى جمال المشاهدة

باب حال المشاهدة

قال الشيخ، رحمه الله: وقد قال الله تعالى: «إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ^(١)» يعني حاضر القلب.

وقال، أيضاً: «وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ^(٢)».

وقال أبو بكر الواسطي، رحمه الله: فالشاهد لرب والمشهود الكون: أعدمهم ثم أوجدهم.

وقال أبو سعيد الخزاز، رحمه الله: فمن شاهد الله بقلبه خنس عنه ما دونه، وتلاشى كل شيء وغاب عند وجود عظمة الله تعالى، ولم يبق في القاب إلا الله، عز وجل.

وقال عمرو بن عثمان المكي رحمه الله: المشاهدة ما لاقت القلوب من الغيب بالغيب ولا يجعلها عياناً ولا يجعلها وجداً.

وقال، أيضاً: المشاهدة وصل بين رؤية القلوب ورؤية العين، لأن رؤية القلوب عند كشف اليقين في زيادة توهم.

وهو قول النبي عليه الصلاة والسلام، لعبد الله بن عمر، رضي الله عنه: «اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ» الحديث.

وأما قوله عز وجل: «وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ^(٣)» فقالوا: هو مشاهدة الأشياء بعين العبر، ومعاينتها بأعين الفكر.

وقال عمرو المكي رحمه الله: المشاهدة يعني المحاضرة، يعني المداناة، كما ذكر الله عز وجل: «وَسَأَلَهُمْ^(٤) عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ» يعني قريبة من البحر.

(١) ق: ٣٦ (٢) البروج: ٣ (٣) سبأ: ٤٧ (٤) الأعراف: ١٦٣

وقل عمرو المكي ، رحمه الله : المشاهدة : زوائد اليقين ، سطعت بكواتف الحضور ، غير خارجه من تغطية القاب .

وقل ، أيضاً : المشاهدة : حضور بمعنى قرب ، مقرون بعلم اليقين وحقائقها .
وأهل المشاهدة على ثلاثة أحوال :

فالأول منها : الأصاغر ، وهم المريدون ، وهو ما قال أبو بكر الواسطي .
رحمه الله : يشاهدون الأشياء بين العبر ، ويشاهدونها بعين النكر .

والحال الثاني من المشاهدة : الأوسط ، وهو الذي أشار إليه أبو سعيد الخريزي .
رحمه الله ، حيث يقول :

الخلاق في قبضة الحق وفي ملكه ، فإذا وقعت المشاهدة فيما بين الله وبين العبد
لا يبقى في سره ولا في وهمه غير الله تعالى .

والحال الثالث من المشاهدة : ما أشار إليه عمرو بن عثمان المكي ، رحمه الله ،
في كتاب المشاهدة ، فقال : إن قلوب العرفين شامت لله مشتمدة شمت .

فشاهدوه بكل شيء ، وشاهدوا كل الكائنات به ، فكأن مشتمتهم لديه وهم
به ، فكانوا غائبين حاضرين ، وحاضرين غائبين ، على أفراد الحق في الغيبة

والحضور ، فشاهدوه ظاهراً وباطناً ، وباطناً وظاهراً ، وآخر أولاً ، وأولاً آخر .
كما قال ، عز وجل : « هو الأولُ وَاخِرُ ، وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ . وَهُوَ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيمٌ » (١)

والمشاهدة : حال رفيع وهي من لواحق زوائد حقائق اليقين .
وتقتضي حال اليقين .

باب حال اليقين

قال الشيخ، رحمه الله: وقد ذكر الله تعالى اليقين في مواضع من كتابه على ثلاثة أوجه: علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين.

وقال النبي، صلى الله عليه وسلم: «سارا لله تعالى العفو والعافية واليقين في الدنيا ٣٨

والآخرة» وقال، صلى الله عليه وسلم «رحم الله أخى عيسى، عليه السلام لو ازداد يقينا لمشى في الهواء» ٣٩

وقال عامر بن عبد قيس، رحمه الله: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً،» معنى عند معاينتي لما آمنت به من الغيب، وهذا كلام غلبات ووجد وتحقق

وقد روى عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «الخلق يبعثون على ما يتوتون ٤٠

عليه» ولا يكون الخبر كالمعاينة في جميع معانيها، ويجوز أن يكون له وجد آخر، وهو أن يعنى: ما ازددت علم يقين.

وقال أبو يعقوب النهر جوري، رحمه الله: إذا استكمل العبد حقائق اليقين صدر البلاء عنده نعمة، الرخاء مصيبة

واليقين هو المكاشفة،

والمكاشفة على ثلاثة أوجه:

مكاشفة الميان بالأبصار يوم القيامة.

ومكاشفة القلوب بحقائق الإيمان بمباشرة اليقين بلا كيف ولا حد.

والحالة الثالثة: مكاشفة الآيات بإظهار القدرة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام،

بالمعجزات، وغيرهم بالكرامات والإجابات:

واليقين: حال رفيع، وأهل اليقين على ثلاثة أحوال:

فالأول: الأصغر وهم المريدون، والعموم (١).

(١) في رواية أخرى: والعوام.

وهو كما قال بعضهم : أول مقام اليقين : الثقة بما في يد الله تعالى .

والإيأس مما في أيدي الناس .

وهو ما قل الجنيد ، رحمه الله ، حيث سئل عن اليقين ، فقال : اليقين

ارتفاع الشك .

وقل أبو يعقوب : إذا وجد العبد الرضا بما قسم الله له فقد تكامل فيه اليقين .

وسئل رُوَيْمُ بْنُ حَمْدٍ ، رحمه الله ، عن اليقين ، فقال : تحقيق القلب بالمعنى

على ما هو به .

والثاني الأوساط وهم الخصوص ، وهو ما سئل ابن عطاء عن اليقين ، فقال :

ما زالت فيه المعارضات على دوام الأوقات .

وكما قل أبو يعقوب النهرجوري ، رحمه الله : العبد إذا تحقق باليقين ، ترحل

من يقين إلى يقين حتى يصير اليقين له وطناً .

وسئل أبو الحسين الوري ، رحمه الله ، عن اليقين ، فقل : اليقين : المشاهدة .

ومعنى المشاهدة قد ذكرناه .

والثالث : الأكابر ، وهم خصوص الخصوص ، وهو ما قل عمرو بن عثمان المكي .

رحمه الله : اليقين ، في جماعته : تحقيق الإثبات لله عز وجل بكل صفاته .

وقل : حد اليقين : دوام انتصاب القلوب لله عز وجل بما أورد عليها اليقين

من حركات ما لاقى به الإلهام .

وقل أبو يعقوب : لا يستحق العبد اليقين حتى يقطع عن كل سبب حال يدهو به

الله تعالى ، من العرش إلى التراب ، حتى يكون الله لاغير ، ويؤمن الله تعالى .

على كل شيء سواه ، وليس لزيادات اليقين نهاية ، كلما نهبوا ونفثوا في الدين

ازدادوا يقيناً على يقين .

واليقين أصل جميع الأحوال وإليه تنتهي جميع الأحوال ، وهو آخر الأحوال ،

وباطن جميع الأحوال ، وجميع الأحوال ظاهر اليقين ، ونهاية اليقين : تحقيق

التصديق بالغيب بإزالة كل شك وريب ، ونهاية اليقين : الاستبصار ، وحلاوة
 المناجاة ، وصفاء النظر إلى الله تعالى ، بمشاهدة القلوب بحقائق اليقين بإزالة العِللِ
 ومعارضة التهم .

قال الله تعالى : « إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ » (١) ، « وَفِي الْأَرْضِ
 آيَاتٍ لِّلْمُوقِنِينَ » (٢) .

وقال الواسطي ، رحمة الله :

إذا أيقن بالمعنى وقع له مشاهدة الأحوال ، وإذا انكشف له حقائق المعنى
 خرج من أشجان الخلق ، خاطبهم بالتقريب ، وهو الكشف من الصدقية ،
 وخاطبهم الله تعالى ، بالمشاهدة فقال :

« وَالصَّادِّقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ » (٣) ، الشهداء باعودتهم ، والصالِحون
 الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون .

(٣) النساء : ٦٩

(٢) الذاريات : ٢٠

(١) الحجر : ٧٥

كتاب أهل الصفة

في النعيم والاتباع لكتاب الله عز وجل

باب الموافقة لكتاب الله تعالى

قال الشيخ ، رحمه الله : قال الله عز وجل : « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشبهت (١) » ، وقال : « ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين (٢) » ، وقال : « يس والقرآن الحكيم (٣) » . وقال : « حكيمه بأمة (٤) » ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « القرآن حبل الله المتين لا تقطع عجائبه ، ولا يفتق عن كثرة الرد ، من قال به صدق ، ومن عمل به رتد ، ومن حكم به عدل ، ومن اعتصم به هدى » .

وروى عن عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه ، أنه قال : « من أراد العلم فأشور القرآن ، فإن فيه علم الأولين ، والآخرين » ، وقد قال النبي : « الأم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب (٥) » .

فعلم أهل العلم بهذا الخطاب أن في كتاب الله الذي أنزل عن محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو القرآن الذي لا شك فيه لأحد من المذاهب التي هي من أئمة ، أن

(٣) بقره : ٢

(٢) الإسراء : ٨٢

(١) آل عمران : ٧

(٥) البقرة : ١

(٤) القمر : ٥

فيه هدى وبيانا لهم في جميع ما أشكل عليهم من أحكام الدين ، بعد إيمانهم بالغيب ، وهو التصديق بما أخبرهم الله به عما غاب عن أعينهم .

ثم قال ، في آية أخرى « وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (١) » .

فأفادت هذه الآية لأهل الفهم من أهل العلم ، بعد إيمانهم بالغيب أيضاً ، أن تحت كل حرف من كتاب الله تعالى كثيراً من الفهم مذخوراً لأهل على مقدار ما قسم لهم من لك ، واستدلوا على ذلك بآيات من القرآن ، مثل قوله عز وجل : « مَا فَرَّطْنَا (٢) فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ » وقوله : « وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ » (٣) ، وقوله : « وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خِزْيَانَةٌ ، وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْيُومٍ » (٤) .

وقالوا في معنى قوله عز وجل : « مِنْ شَيْءٍ » إن معناه : من شيء ، من علم الدين ، وعلم الأحرار التي بين الملق وبين الله تعالى وغير ذلك .

وقل عز وجل ، في آية أخرى : « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْرَبُ » (٥) يعني يدل إلى الذي هو أصوب ، فعلم أهل الفهم من أهل العلم أن لاسبيل إلى التعلق بالأصوب مما بهدي إليه القرآن إلا بالتدبر ، والتفكير ، والتمعن ، والتذكر وحضور القلب عند تلاوته ، وعلموا ذلك أيضاً ، بقوله : « كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ يَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُوا أُولَئِكَ الْأَبَاب (٦) » .

ثم استفاد أهل الفهم من هذه الآية ، أيضاً أن التدبر ، والتفكير . والتذكر

(٣) يس : ١٢

(٢) الأنعام : ٣٨

(١) النحل : ٨٩

(٤) الإسراء : ٩

(٤) الحجر : ٢١

(٦) ص : ٢٩

لا وصول إليه إلا بحضور القلب، لقول الله عز وجل: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ» (١) «يعنى حاضر القلب.

ثم لم يترك على ذلك حتى ذكر القلب في آية أخرى نقل: «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» (٢).

ثم لم يترك على ذلك حتى أقام إماماً للخلق في القلب السليم، فقل عز وجل: «وإنَّ من شيعته لإبراهيمَ، إذ جاءه به بقلب سليم» (٣) قال أدل الفهم: القلب السليم الذي ليس فيه غير الله، عز وجل.

وقال سهل بن عبد الله، رحمه الله: لو أعطى العبد لكل حرف من القرآن ألف فهم لما بلغ نهاية ما جعل الله تعالى في آية من كتاب الله تعالى من الفهم، لأنه كلام الله تعالى، وكلامه صفة.

وكما أنه ليس له نهاية فكذلك لا نهاية لفهم كلامه، وإنما يفهمون على مقدار ما يفتح الله تعالى على قلوب أوليائه من فهم كلامه، وكلام الله غير مخلوق فلا تبلغ إلى نهاية الفهم فيه فهو من الخلق، لأنها محدثة مخلوقة.

وقد ذكر الله تعالى الهداية في القرآن قوله: «هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ» (٤).

(٢) الشعراء: ١٨ - ١٩

(٤) البقرة: ٢

(١) ق: ٢٧

(٢) الصافات: ٨٣ - ٨٤

باب في تخصيص الدعوة

ووجه الاصطفاء

قال سبلى بن عبد الله رحمه الله : الدعوة عامة ، والمداية خاصة ، وأشار إلى قوله تعالى : « وَاللَّهُ يَدْعُ إِلَى دَرِ السَّلَامِ ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١) » ، لأن الدعوة عامة ، والمداية مختصة على تفضيلها ، لأنه رد المشيئة في باب المداية إليه ، فكان الذين اخترهم وأحبهم واصطفاهم دون من دعاهم .

وقد ذكر الله تعالى الاصطفاء أيضاً ، في مواضع من كتابه ، فقال في موضع : « تَلِيَ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ، آله خيرٌ مما يشركون (٢) » .

فأشار بالسلام إلى عباد قد اصطفاهم واجتباهم ، ولم يبين من هم ؟ وكيف هم ؟ ثم لم يترك على ذلك وقل في آية أخرى : « إِنَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ (٣) » .

قال المفسرون « ومن الناس » يعني به الأنبياء ، فلو ترك على هذا أيضاً لكان للقتال أن يقول : إن الاصطفاء لا يجوز إلا للأنبياء ، فقال : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات (٤) » .

ففرق بين الاصطفاء الذي ذكر المرسل ، عليهم السلام والاصطفاء الذي ذكر لعباده الذين أورثهم الكتاب ، وهم المؤمنون ، ثم بين أنهم متفاوتون أيضاً في أحوالهم

(١) بونس : ٢٥

(٢) النمل : ٥٩

(٣) الحج : ٧٥

(٤) فاطر : ٢٢

التي بينهم وبين الله تعالى : « فهم لهم لهم لفسه » الآية ، فرقع الاصطفاء على وجهين :

اصطفاء الأنبياء عليهم السلام بالعصمة ، والتأييد ، ولوحى ، وتلميح الرسالة ، ولسائرهم من المؤمنين : الاصطفاء بصفاء المعاملة وحسن المجاهدة والتعاق بالحقائق والمذلة :

ثم قال عز وجل : « نكلكم جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً (١) » وقال تعالى : « لو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبجتموا الخيرات (٢) » .

فأمرهم الله تعالى بالاستباق ، والمصارعة والمبادرة إلى الخيرات مجملًا ، ولم يبين أي الخيرات التي أمرهم بالاستباق إليها ، ثم فصل وبين مواضع كثيرة كقوله :

« وهدى للمتقين (٣) » . « وموعدة المتقين (٤) » . « وإيى فاتقون (٥) » . « وإيى فارهبون (٦) » ، « فلا تخفونهم وخفون (٧) » ، « فلا تخشونهم واخشون (٨) » ، « فاذكرونى أذكركم (٩) » . « وعلى الله فتواكم (١٠) » ، « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول (١١) » ، « والذين جا هدوا فينا (١٢) » . « ومن شكر فبنا يشكر لنفسه (١٣) » ، « والله يحب الصابرين (١٤) » . « وما أمرنا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين (١٥) » .

(١) المائدة : ٤٨	(٢) المائدة : ٤٨	(٣) البقرة : ٢
(٤) البقرة : ٦٦	(٥) البقرة : ٤١	(٦) البقرة : ٤٠
(٧) آل عمران : ٧٥	(٨) البقرة : ١٤٥	(٩) البقرة : ١٥٢
(١٠) المائدة : ٢٣	(١١) المائدة : ٩٢	(١٢) العنكبوت : ٦٩
(١٣) النمل : ٤٠	(١٤) آل عمران : ١٤٦	(١٥) البينة : ٥

وقال : « رجال صدقوا عاهدوا الله عليه (۱) » ، ثم ذكر القانتين والقانتات ،
والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاصين والخاصات :
وذكر في آيات من القرآن : التوبة ، والإنابة ، والغفويض ، والرضا ، والتسليم ،
والقناعة ، وترك الاخبار .

ثم قال : « قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى (۲) » .

وقال : « ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المآب (۳) » ، « وما الحياة
الدنيا إلا لعب ولهو (۴) » ، « وما حياة الدنيا إلا متاع الغرور (۵) » ، ثم قال :
« من كان يريد حرث الآخرة نزل له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نزل منها
وماله في الآخرة من نصيب (۶) » .

ثم ذكر الشيطان فقال : « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا (۷) » .
وقال : « أفرايت من اتخذ إليه هواه فجعل الله على سمعه وقلمه
وجعل الله على بصره غشاوة (۸) » . وقال : « وأما من طغى وآثر الحياة
الدنيا (۹) الآبة .

وما يشبه ذلك من الآيات التي تدب الله تعالى الخلق إلى المسارعة والاستيق
إلى التعلق والخلق بها والصدق والإخلاص فيها كثيرة ، والمؤمنون في قبول ذلك
متساوون ، وفي منازلهم وركوب حقائقها متفاوتون ، والجميع مخاطبون .
وهم على ثلاث درجات .

(۳) آل عمران : ۱۴
(۶) الشورى : ۲۰
(۹) النازعات : ۲۷-۲۸

(۲) النساء : ۷۷
(۵) الحديد : ۲۰
(۸) الجاثية : ۲۳

(۱) الإحزاب : ۲۱
(۴) الأنعام : ۳۲
(۷) فاطر : ۷

باب ذكر تفاوت المستمعين

خطاب الله تعالى ودرجاتهم في قبل الخطاب

قال الشيخ ، رحمة الله : فمنهم من سمع الخطاب ، وقبله ، وأقربه ، وتعرض لما خوطب به من هذه الآيات البينات التي ذكرناها ، والتي لم نذكرها فيما يشبه ذلك وحال بينه وبين العمل بها والانتفاع بما وعدهم الله تعالى من الثواب عليها ، الاشتغال بالدنيا والغفلة ومتابعة النفس ، واختيار ، الحظوظ على الحقوق ، والإجابة لدواعي العدو ، والميل إلى أمارات الهوى والشهوات ، وهم الذين وصفهم الله تعالى في كتابه وزجرهم وونخهم ، حيث يقول :

« أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم (١) » وقال : « ولا يطمع من أغفلما قلبه عن ذكرنا واتبع هواه (٢) » ، وقال : « حد العنود أمرًا بامرًا (٣) » ، وقال : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقمار والمطرقة والنساء والفضة والحلبي السومة والأنعام والحراث ، ذلك مقام الحياة الدنيا والله عما د حسن المآب (٤) » ، ثم قال ، عز وجل : « قال أنظركم بغور من ذلكم لآتين القبر بعد ربهم جنات تجري من تحبها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد (٥) » .

ومنهم من سمع الخطاب ، فأجاب ، وتاب ، وأذنب ، ورجل في التوهمات ، ومنهم من سمع في الأحوال والمنازلات ، وصدق في المعاملات ، وأحاطت في المعاملات ، ومنهم الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه ، وذكر ما أعد الله لهم ، فقال :

(٣) الأعراف : ١٩٩

(٢) الكهف : ٢٨

(١) الجاثية : ٢٣

(٥) آل عمران : ١٥

(٤) آل عمران : ١٤

« الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم^(١) » ، وقال : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزولاً^(٢) » ، وقال : « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه به حياً طيبة ولنجزينهم بأحسن ما كانوا يعملون^(٣) » .

قالوا : الحياة الطيبة : هي الرضا والقناعة بالله عز وجل .

ثم قال : « قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن الغر معروضون^(٤) » الآية .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فكل شيء غير الله مما وقع في القلوب فهو لغر ، فأخبر أن ابوحديق عن كل شيء غير الله معروضون ، ثم قال : « أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون^(٥) » .

وذكرهم في القرآن كثير ، وقد فضّلهم على غيرهم بذكرهم ووعدهم بالشراب الجليل .

والطبقة الثالثة من المخاطبين : هم الذين ذكرهم الله تعالى ، وشرفهم بذكرهم ، ونسبهم إلى العلم والخشية فقال : « إنما يخشى الله من عباده العلماء^(٦) » .

وقال : « وأولوا العلم قائماً بالقسط^(٧) » ، وقال : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون^(٨) » .

ثم خص من هؤلاء قوماً أيضاً ، فقال : « والراسخون في العلم^(٩) » زادني وصفهم الذي شرفهم به ، معنى آخر :

(٢) الكهف : ١٠٧

(٤) المؤمنون : ١ - ٢

(٦) فاطر : ٢٨

(١) النمل : ٢

(٣) النحل : ٩٧

(٥) المؤمنون : ١٠ - ١١

(٧) آل عمران : ١٨

قال أبو بكر الرازي ، رحمه الله : ارأسخون في العلم : هم الذين رسخوا بأرواحهم في غيب الغيب ، وفي سر السر ، وعرفهم ما عرفهم ، وأراء منهم من مقتضى الآيات ما لم يرد من غيرهم ، وخاضرا بحر العلم بالفهم ، لطلب الزبادات ، فانكشف لهم من مذخور الخزان والمخزون تحت كل حرف وآية من الفهم ومعجائب النص ، فاستخرجوا الدر والجمهر ، ونطقوا بالحكم .

ومنه من كانت البحار عنده كتلة فيما شاهد من المستثرات ، يعنى مستثرات العلم الذى استثر الله تعالى به أنبياءه ، وخص بذلك أوليائه وأصفياؤه ، فغص بسره عند صفاء ذكره وحضور قلبه في بحر الفهم ، فوقع على الجوهر العظيم ، وهو الذى علم مصادر الكلام من أين ، فوقع على العين ، فغصه عن البحث والطلب والتنشيش .

وهذا شرح من كلام الرازي فيما ذكره وبيان ما قاله الرازي في كلامه ذكر ذلك عن أبي سعيد الخزاز في معنى ذلك .

قال أبو سعيد ، رحمه الله : أول النجم لكتاب الله عز وجل : العمل به : لأن فيه العلم ، والفهم ، والاستنباط ، وأول النجم إلقاء السمع وإنما هذه : قول الله ، عز وجل : * إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد * (١) وقول تعالى : * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه * (٢) .

والقرآن كله حسن ، ومعنى اتباع الأحسن ما يكشف للتوب من العمل بالاسماع وإلقاء السمع من طريق الفهم والاستنباط .

باب في شرح استنباط إتياء السمع والحضور بالتدبر عند

التلاوة وفهم الخطاب بما خوطب به العبد

قال الشيخ، رحمه الله : واعلم أن إتياء السمع والحضور عند الاستماع على

ثلاثة أوجه :

قال أبو سعيد الخزاز، رحمه الله، فيما برغني عنده : أول إتياء السمع لاستماع القرآن

هو أن تسمعه كأن النبي صلى الله عليه وسلم يقرأه عليك ثم ترقى عن ذلك فكذلك

سمعه من جبريل عليه السلام وقراءته على النبي صلى الله عليه وسلم ، تقول الله ،

عز وجل : « وَإِنَّهُ أَنْزَلُكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، نَزَلَ بِدِ الْرُوحِ الْأَمِينِ عَلَى

قلبك ... » (١) الآية ، ثم ترقى عن ذلك فكذلك تسمعه من الحق ، وذلك

قول الله ، عز وجل : « وَتَنْزِيلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ » (٢)

وقوله : « تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ » (٣) فكذلك تسمعه من الله ،

تعالى ، وكذلك : « حَمَّ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ » (٤) .

ويخرج الفهم في استماعك من الله تعالى : عند حضور قلبك وغيبتك عن أفعال

الدنيا وعن نفسك بقوة المشاهدة ، وصفاء الذكر ، وجمع الهم ، وحسن الأدب ،

وطهارة السر ، وصدق التحقيق ، وقوة دعائم التصديق ، والخروج إلى السعة من

الضييق ، وحضور المشاهدة لنفاذ الغيب ، وسرعة الوصول إلى المذكور بانغيب بكلام

اللطيف الخبير .

(١) الشعراء : ٩٣ - ٩٤

(٢) الإسراء : ٨٢

(٣) الزمر : ١

(٤) غافر : ١ - ٢

وشرح هذا كله مفهوم ومستنبط من قوله ، تعالى : « الذين يؤمنون بالغيب » (١) .

قال أبو سعيد ابن الأعرابي : هم في غيبة مغيبون ، فبالغيب آمنوا بالغيب ، وهو . وإن كان غيباً ، فإنه لا يلحقهم في ذلك شك ولا ريب .

وقال تعالى : « قل الله يهدي للحق » ، أفن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع ، أمن لا يهدي إلا أن يهدى ؟ (٢) ، وقال : « فإدا هد الخلق إلا الضلال فإلى تصرفون ؟ » (٣) .

وقال أبو سعيد الخزاز ، رحمه الله : كما أدرك الخلق من الله فتم أمرهم بالغيب خارجاً عن نعت الحقائق ، وهو قوله : « الذين يؤمنون بالغيب » ، والغيب هو ما أشهد الله تعالى القرب من إثبات صفات الله وأسمائه ، وما وصف به نفسه ، وما أدى إليهم الخبر فثبتوا الصفات ، ولم يدعوا إدراكها على مهابة ، لا تسبح إلى قوله ، تعالى : « ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله » (٤) ؛ فإذا كان وصف كلامه لا ينفد ، وما يوصل إلى نهاية فهمه ، فكيف يدرك حقيقة وصفه وهو يتدبره ؟

فذلك قرر عند أهل الفهم من أهل العلم أن كل شيء يتم بإيد المتكلمين ، والواجدون ، والعارفون ، والموحدون ، وما عبروا عنه ، وما سمعوا العمارة ، ولا من اليد بالدلالة ، ولا يشار إليه بالإشارة ، من اختلاف المعرفات ، من الإشارات والمقامات والأماكن ، وغير ذلك مما تتأهده ظاهراً وباطناً ، وهو العلم الذي وصفه الله تعالى ، بقوله : « الذين يؤمنون بالغيب » .

(٢) يونس : ٣٥

(٤) لقمان : ٢٨

(١) البقرة : ٣

(٣) يونس : ٣٢

باب وصف أرباب القلوب في فهم القرآن

قال الشيخ، رحمه الله: وقد ذكر الله تعالى وصف جمع أرباب القلوب وأهل الحقائق: من المريدين، والعارفين، والمتحققين، والراجلين، وأهل المجاهدات، والرباضات، والمتقربين إليه، بأنواع الطاعات، ظاهراً وباطناً، كما في كتابه وهو قوله عز وجل، فيما يصف به ملائكته: «أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب؟» (١) وقال للمؤمنين: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة» (٢).

فكان في هذه الآية شرح وبيان في صفة الذين يؤمنون بالغيب بابتغاء الوسيلة. ثم زاد في البيان والتفصيل في آية أخرى، يحث به المرمنين على المسارعة إلى الخيرات، فقال عز وجل: «أحسبون أنما ندهم به من مالٍ ونئينٍ نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون» (٣).

واستفاد أهل الفهم من هذه الآية أن أول المسارعة إلى الخيرات هو التقل من الدنيا، وترك الإهتمام بالرزق، والتباعد والفرار من الجميع والمنع باختيار القلة على الكثرة، والزهد في الدنيا على الرغبة فيها.

ثم ذكر الذين يسارع لهم في الخيرات ووصفهم فقال: «الذين هم من خشية ربهم مشفقون» (٤) فوصفهم بالإشفاق من الخشية، والخشية والإشفاق اسمان باطنان، وهما عملان من أعمال القلب، فالخشية سر في القلب خفي والإشفاق من الخشية أخفى من الخشية.

وهو الذي ذكر الله، تعالى فقال: «يعلم السر وأخفى» (٥).

وقد قيل: إن الخشية انكسار القلب من دوام الاتصاف بهن يدي الله تعالى.

(٢) المؤمنون: ٥٥ - ٥٦

(٢) المائدة: ٣٥

(١) الإمراء: ٥٧

(٥) طه: ٧

(٤) المعارج: ٢٧

ثم من بعد هذه المرتبة الشريفة والحال الرفيعة التي وصفهم الله تعالى بها من الخشية والإشفاق وغير ذلك فقال : « والذين هم بآياتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ » (١) ، وكانوا قبل الخشية والإشفاق مؤمنين بآيات الله فعلم أنه أراد بذلك زيادة الإيمان ، ألا ترى أنه يصف رسوله الله صلى عليه وسلم بالإيمان به بعد الرسالة والنبوة ، وذلك قوله ، عز وجل : « فَأَمْنَا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ » (٢)

فاستنبط أهل الفهم واستفادوا من هذه الآية أن زيادة الإيمان لا نهاية لها ، وأن جميع ما وصل إليه أهل الحقائق من مدايتهم ، أن ذلك من حقائق الإيمان وزيدته ، وبراهينه وأنواره ، وأن لا نهاية لذلك .

ثم قل ، عز وجل : « والذين هم بربهم لا يشركون » (٣) فذكر أنهم لا يشركون بربهم بعد ما وصفهم بالخشية والإشفاق والدين .

فاستفاد أهل الفهم أيضاً من ذلك وعلموا مستنبط هذه الآية . وذكر المبرك ها هنا : أنه من الشركاء في الذي يعارض القرب من رؤية الطاعات والمب لأعراض بعد ما شهد شاهد صريح الإيمان أن لا ضار ولا نافع ، ولا معطي ولا مانع ، إلا الله . فبعد ذلك تكرر وجدوا ، وتضرعوا إلى الله تعالى . وطلبوا منه الخلاص بقرينهم بصدق الإخلاص في الإخلاص ، علموا أنهم على قدر إخلاصهم في إيمانهم بقرينهم إلى دقائق شركهم وزيادتهم الذي هو خفي من ديب الخلق من العباد العظماء .

وقد ذكر عن سهل بن عبد الله ، رحمه الله : أنه قال : أعمال لا إله إلا الله كبير ، والمخلصون منهم قليل .

وقال سهل ، أيضا : الدنيا كلها جهل إلا ما كان منه العلم ، والعلم كله حجة إلا ما كان العمل به ، والعمل كله هباء إلا موضع الإخلاص فيه ، وأهل الإخلاص على خطر عظيم .

ثم قال عز وجل : « والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجاهة أنهم إلى ربهم راجعون (١) » .

فاستنبط أهل الفهم من هذه الآية ، أيضا ، أن وجل قلوبهم مع ما آتوا من السرعة والاستيلاء إلى هذه الأحرار التي ذكرنا ، أن ذلك الوجل هو الوجل الذي لا سبيل إلى الكشف عن علم ذلك ، ولا وقوف عليه لأحد من خلقه . وهو علم الخاتمة ، وما سبق لهم من الله تعالى في علم الغيب من الشقاوة والسعادة ، فعند ذلك تقطع أرباط قلوبهم ، وذهلت عقولهم ، وذهبت علومهم ، وغابت فهمهم ، وأقبلوا على الله تعالى ، بصدق الجأ ، وإظهار الفاقة ودوام الافتقار .

وتصدق ذلك ما قد روى في ذلك عن عائشة ، عضى الله عنها : أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله : « الذين يؤتوا وقلوبهم وجاهة » هوى الذي يزني ويسرق ويشرب ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا ، وإنما هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه . ثم قال : « وأنتك يسارعون في الخيرات وهم لما سابقون » (٢) .

فدل ذلك على أن بالمسارعة إلى هذه الخيرات تنال درجة السابقين وتبغى . نزلتهم .

(٢) المؤمنون : ٦١

(١) المؤمنون : ٦٠

باب ذكر السابقين ، والمقربين ، والأبرار

من طريق الفهم والاستنباط

قال الشيخ ، رحمه الله ، قال الله ، تعالى : « والسابقون السابقون أولئك المقربون (١) » ، ثم بين فضل المقربين على من دونهم من الأبرار والسابقين بعد ذلك فقال : « كذا إن كتاب الأبرار في عليين ، وما أدراك ما عليون (٢) » ، ثم قال : « إن الأبرار في نعيم ، على الأرائك ينظرون » وصف الكرامات التي أكرم بها الأبرار ، وما خصهم به من النعيم والدرجات في عليين فقال : « تعرف في وجوههم نظرة النعيم (٣) » ، يعني أن أهل الجنة يعرفون بالنضارة التي في وجوههم ، يعني في وجوه الأبرار من النعيم الذي خصوا به من بين أهل الجنة ، ثم قال : « يستقون من رحيق مختوم (٤) » .

ولم يصف لأهل الجنة أنهم يستقون من الرحيق المختوم إلى قوله : « ومزاجه من نسيم (٥) عينا يشرب بها المقربون (٦) » .

فخص الأبرار في الجنة من بين أهل الجنة بالرحيق المختوم ، ثم فضل شراب الأبرار وهو الرحيق المختوم على شراب أهل الجنة بمزاجه ، لأن مزاجه من النسيم ، والنسيم هو الريح التي يشرب بها المقربون ، فصر شراب الذي فضل به على أهل الجنة لا بمزاجه عند شراب المقربين الذي ليس بمزوج .

(٢) المطففون : ١٨ - ١٩

(١) الواقعة : ١٠ - ١١

(٤) المطففون : ٢٥

(٣) المطففون : ٢٢ - ٢٣

(٦) المطففون : ٢٨

(٥) المطففون : ٢٥

فانظر إلى هذه الإشارة ، ما أطفها في معنى المقربين لأن الأبرار الذين خصوا من أهل عليين بالرحيق المختوم ونصرة النعيم والأرائك يمزج لهم في شرابهم مزاجاً من شراب المقربين ، الذي يشرب به المقربون على الدوام .

واستبطن أهل الفهم فيها معينين .

أحدهما : أن شراب الأبرار ممزوج ، وشراب المقربين صرف غير ممزوج ، كما قال الله عز وجل ، في آية أخرى : « إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً (١) » . ثم وصف ما أعد الله لهم ، ثم قال : « ويستقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً عينا فيها تسمى سلسبيلاً (٢) » ، ثم أخذ في صفة أخرى من نعيم أهل الجنة فقل : « وإرا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكا كبيرا (٣) » ، وأشار إلى نعيم لا صفة له بقوله : « ثم رأيت نعيماً » ولم يصف النعيم ، فلما بلغ آخر القصة قال : « وسقاهم ربهم شراباً طهوراً (٤) » ، فكما ذكر شرابهم ووصف في ذلك فعلمهم بقوله : « يشربون » . يذكر المزاج في شرابهم ، فلما قل : « وسقاهم ربهم شراباً طهوراً » لم يذكر المزاج في شرابهم .

والمعنى الآخر أن العين التي هي شراب المقربين يمزج منه بالعين التي هي شراب الأبرار .

ففضلوا على أهل الجنة بمزاج مزج شرابهم من التسنيم ، وهو العين التي يشرب بها المقربون .

(١) الإنسان : ٥

(٢) الإنسان : ١٧ - ١٨

(٣) الموجود في قراءتنا ، بمعنى هناك وقرأ الجمهور بفتح التاء وحيداً الأعرج بضماً .

الإنسان : ٢٠

(٤) الإنسان : ٢١

فهذا فرق بين الأبرار والمقربين والله أعلم .

ثم قال جل ذكره : « ولا نكفُ نفساً إلا وسعها (١) » ، فبين أن المؤمنين إنما أعطوا الاستطاعة على قد الطاقة في ركوب هذه الحقائق ومنازلة هذه الأحوال ، لأن جميع ما أتى به الأنبياء ، عليهم السلام ، فمن دونهم من الحقائق هو داخل في قوله عز وجل : « اتقوا الله ما استطعتم (٢) » لم يخرج أحد من ذلك .

باب بيان التشديد في القرآن ، ووجود ذلك

قل الشيخ ، رحمه الله : اعلم أن الله تعالى قد أوجب على عباده قوله : « واتقوا الله ما استطعتم » فرضاً ، ولو أنهم أتوا بجميع أعمال الملائكة والأنبياء والصديقين ، ثم يطالبهم بتحقيقه ذلك كالذي عليهم في ذلك من إثبات الحجة أكثر من الذي لهم ألا ترى أن الملائكة مع ما جعلهم الله تعالى عليه من أنواع العبادات يقولون : سبحانك ربنا ، حق عبادتك ، ويقولون : « سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا (١) » .
فقد تبرءوا من علمهم وعبادتهم عند مشاهدة الحقيقة .

٤٥

ومعنى قوله عز وجل : « اتقوا الله حق تقاته (٢) » راجع إلى قوله : « فاتقوا الله ما استطعتم » .

والتشديد في قوله : « اتقوا الله ما استطعتم » لأنك لو صليت ألف ركعة واستطعت أن تصلي ركعة أخرى فأخرت ذلك إلى وقت آخر فقد تركت استطاعتك ، ولو ذكرت الله تعالى ألف مرة . واستطعت أن تذكره مرة أخرى فترخر ذلك إلى وقت ثان فقد تركت استطاعتك ، وكذلك لو تصدقت على سائل بدرهم ، واستطعت أن تعطيه درهماً آخر ، أو حبة أخرى فلم تفعل ذلك ، فقد تركت استطاعتك .

فمن أجل ذلك قلنا : التشديد في قوله ما استطعتم .

ومن الآيات التي فيها التشديد أيضاً قوله تعالى : فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت وأسلموا تسلياً (٣) »
موضع التشديد في هذه الآية : أن الله تعالى ، ذكر القسم أنهم لا يؤمنون ، حتى يحكموا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما شجر بينهم ، ثم إن وجدوا في أنفسهم

(٢) النساء : ٦٥

(٢) آل عمران : ١٠٢

(١) البقرة : ٢٣

حرجاً ، يعنى فى قلوبهم وأسرارهم وباطنهم ضيقاً ، أو كرامة فى حكمه ، لو أنه حكم عليهم بالقتل ، فقد خرجوا من الإيمان .

وقد ذكر الله القسم على خروجهم من الإيمان .

فلو قسمنا على ذلك ما أمرنا الله تعالى به من الصبر على أحكام الله عز وجل ، والرضى بما قسم الله لنا من الأخلاق والأرزاق ، والآجال والأعمال لم نجد معنا . ومع كثير من الناس ، ذرة من الإيمان ، ولو لا رجاء الخلق فى سعة رحمة الله تعالى لما كانوا بذلك .

باب ما قبل في فهم الحروف والأسماء

قال : الشيخ رحمه الله : يقال : إن جميع ما أدر كته العلوم وألحقته الفهوم : ما عبر عنه وما أشير إليه ، مستنبط من حرفين من أول كتاب الله ، تعالى ، وهو قوله : « بسم الله ، والحمد لله : لأن معناه بالله والله ، والإشارة في ذلك : أن جميع ما أحاط به علوم الخلق وأدر كته فهو مهم فليست هي قائمة بذواتها ، إنما هي بالله والله .

وقيل للشبلي : رحمه الله ، كما بلغني : أيش الإشارة في الباء من « بسم الله ؟ فقال : أى بالله قامت الأرواح ، والأجساد ، والأجساد ، والحركات ، لا بذواتها .

وقيل لأبي العباس بن عطاء ، رحمه الله : إلى ماذا سكنت قلوب العارفين ؟ فقال : إلى أول حرف من كتابه وهو الباء من : « بسم الله الرحمن الرحيم » فإن معناه أن بالله ظهرت الأشياء ، وبه فيت ، وبتجليله حسنت وباستتاره قبحت وسمجت لأن في اسمه « الله » هيئته وكبريائه ، وفي اسمه : الرحمن « محبته ومودته ، وفي اسمه : « الرحيم » عونه ونصرته .

فسبحان من فرق بين هذه المعاني في لطائفها بهذه لأسماء في غوامضها !!

قال الشيخ رحمه الله : معنى قوله : بتجليله حسنت يعنى بقبوله لها ، وبذا سميت الحسنة حسنة ، لأنه قبلها ، ولو لم يقلها ما سميت الحسنة حسنة ، ومعنى قوله : باستتاره قبحت وسمجت ، يعنى برده لها وإعراضه عنها ، وبذلك سميت السيئة سيئة ، ولو لا ذلك لما سميت سيئة .

وقال أبو بكر الواسطي ، رحمه الله : كل اسم من أسماء الله تعالى يتخلق به إلا اسمه : الله ، واسمه الرحمن ، لأنهما للتعلق دون التخلق ، وكذلك الصمدية ممتعة عن الإدراك والإحاطة قال الله تعالى : « ولا يحيطون به علما (١) » .

وقد قيل، أيضاً: إن اسم الله الأعظم هو: الله، لأنه إذا ذهب عنه الألف يبقى لله وإن ذهب عنه اللام يبقى له، فلم تذهب الإشارة، وإن ذهب عنه اللام الآخر فيبقى هاء وجميع الأسرار في الهاء، لأن معناه: هو، وجميع أسماء الله تعالى إذا ذهب عنه حرف واحد يذهب المعنى ولم يبق فيه موضع الإشارة، ولا تحمل العبارة فمن أجل ذلك لا يسمى به غير الله تعالى.

وعن سهل بن عبد الله رحمه الله: أنه قول: الألف أول الحروف وأعظم الحروف وهو الإشارة في الألف، أي: الله الذي ألتف بين الأشياء وانفرد عن الأنبياء. وقال أبو سعيد الخزاز، رحمه الله: إذا كان العبد مجموعاً على الله تعالى، لا ينصرف منه جارحة إلى غير الله عز وجل، فعندهما تقع له حقائق النهم عند تلاوة كتاب الله عز وجل الذي ليس مع الخلق

وقال أبو سعيد، رحمه الله: كما بدأ حرف من الأحرف من كتاب الله عز وجل على قدر قربك وحضورك عنده فله مشرب وفيه غير مخرج النهم الآخر، إذا سمعت بقوله «الم ذلك» فلأنف لم يظهر في النهم غير ما يظهر اللام، وعلى قدر النهم وصفاء الذكر ووجود القرب يقع التفاوت في النهم.

قال أبو سايان الداراني: ربما جاءت الآية خمس يال، فيولأى أتوت الذكر فيها ما جزتها أبداً وربما جاءت الآية من القرآن فيطير به المعنى اللام بعد أن يرد بعد ذلك.

وقال وهيب بن الورد رحمه الله: نظرت في هذه الأحرف في كتاب الله عز وجل أرق لهذه القلوب، ولا أشد استجلاباً للعين من تلاوة القرآن وتلاوةها.

باب في وصف من أصاب في الاستنباط ، والإشارة

والفهم في القرآن ووصف من غلط وأخطأ في ذلك ،

قال الشيخ رحمه الله : وأما ما قل الناس من طريق الاستنباط والفهم ، فالصحيح من ذلك : أن لا تقدم ما أخر الله تعالى ، ولا تؤخر ما قدم الله ، ولا تنازع الربوبية ، ولا تخرج عن اليهودية ، ولا يكون فيه تحريف الكلام .

وهذا حكى عن بعضهم كـ : أنه سئل عن قوله ، عز وجل : « وأيوب إذ نادى (١) ربه أنى مسنى الضر » فقال : معناه : ما ساءنى الضر .

وبمعنى عن بعضهم ، أيضاً : أنه سئل عن قوله : « ألم نجدك يتيماً فتأوى » ، فقال : معنى اليتيم مأخوذ من الدرّة اليتيمة التي لا يوجد مثله .

وكما سئل آخر من معنى قوله ، عز وجل : « قل إنما أنا بشر مثلكم » (٢) فقال : معناه : أنا بشر مثلكم عندكم .

فهذه وأشبه ذلك خطأ وبهتان وخسارة على الله ، تعالى وجل ، وقلة المبالاة ، وهو تحريف الكلام عن مواضعه . فهذا هو السقيم .

وأما الصحيح من ذلك فكما سئل أبو بكر الكتاني ، رحمه الله ، عن قوله تعالى : « إلا من أتى الله بقلب سليم (٣) » ، فقال : القلب السليم على ثلاثة أوجه من طريق الفهم :

أحده : هو الذي يبقى الله تعالى عز وجل وليس في قلبه مع الله شريك .

والثاني : هو الذي يبقى الله تعالى وليس في قلبه شغل مع الله ، عز وجل ، ولا يريد غير الله تعالى .

والثالث : الذي يلقى الله: عز وجل ، ولا يقوم به غير الله عز فني عن الأشباه بالله
ثم فني عن الله بالله .

ومعنى قوله فني عن الله بالله يعني يذهب عن رؤية طاعة الله عز وجل ورؤية ذكر
الله ورؤية محبة الله ، بذكر الله له . ومحبه قبل الخالق ، لأن الخالق ، بذكره لهم ذكره ،
وتحبه لهم أحبوه ، وبقديم عايته بهم أطعده .

وكما سئل شه الكرماني رحمه الله ، عن معنى قوله ، عز وجل : « الذي خلقني
فهو يهدين ، والذي عوى يطعمني ريسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين (١) » ، فقال :
الذي خلقني فهو يهدين إليه لا غيره ، وعوى الذي يطعمني الرضا ويقبلي الحمد ،
وإذا مرضت بمشاهدة نفسي فهو يشفيني بمشاهدته ، والذي يميني عن نفسي ويقبلي
به فأقوم به ولا بنفسي ، والذي أطعم أن لا يخرجني يوم أقصد بنظري إلى طامس
وأعمالي ، ثم أفترق إليه مكاتي :

لما علم أنه لم ينل ما نال إلا به ولا ينال ما يئمال إلا به فقال : « رب هب لي
حكما والحقنر باصالحين (٢) » .

كما سئل أبو بكر الواسطي رحمه الله عن قوله تعالى : « الذين آمنوا وطمسنا على
أبصارهم الله (٢) » ، فقال : قلب المؤمن قلب يطمس بذكر الله تعالى ، وقلب المؤمن
لا يطمس بسواه .

وكما سئل الشبلي رحمه الله ، عن قوله : « قل لامة ممن هم من الله تعالى » ،
فقال : « أبصار الرءوس عن محرم الله تعالى .

(٢) الشعراء : ٨٣

(٤) النور : ٣

(١) الشعراء : ٨٠

(٣) الرعد : ٢٨

وكما سئل الشبلي ، رحمه الله ، عن قوله : « إن في ذلك لذكى لمن كان له قلب »
أو ألقى السمع وهو شهيد^(١) ، فقال لمن كان الله تعالى قلبه ، ثم أنشد :

ليس منى إليك قلبه عسى
كل عضو منى إيانك قلوب
فهذا من طريق الفهم .

وأما طريق الإشارة فعلى ما قال أبو العباس من عطاء ، رحمه الله : الحق لا يوجد
مع الزلل ، وأشار إلى قوله : « فإن زلتم من بعد ما جاءكم البينات فاعلموا أن
الله عزيز حكيم » .

وكما كان يقول : (الحِبُّ يستنط عنه التعذيب ، ووجود الألم بصفات
البشرية) .

وكان يستدل بقوله تعالى : « وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ،
قَالَ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ (٤) »

وكما أشار أبو يزيد البسطامي ، رحمه الله ، حين سئل عن المعرفة فقال :
« إن الملوك إذا دخلوا قريةً أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك (٤)
يفعلون » .

تراد بذلك أن عادة الملوك إذا نزلوا قرية أن يستعبدوا أهلها ، ويجعلوهم أذلة لهم ،
ولا يقدر أن يعملوا شيئاً إلا بأمر الملك ، وكذلك المعرفة : إذا دخلت القلب
لا تترك فيه شيئاً إلا أخرجته ، ولا يتحرك فيه شيء إلا أحرقتة .

وكما كان يشير الجنيد رحمه الله : إذا سئل عن سكونه وقلة اضطراب جوارحه
عند السماع إلى قوله : « وترى الجبل تحسبها جامدة وهي تمرر السحاب صنع الله

الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ» (١).

وكما كان يشير أبو علي الروذباري ، رحمه الله ، إذا رأى أصحابه مجتمعين فيقرأ
« وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ » (٢).

واحتجَّ أبو بكر الزقّاق ، رحمه الله ، على ما قيل للزُّهرى في تعريف الإنسان
فقال : إن تكلم في ساعة ، وإن سكت ففي يوم لقول الله تعالى : « وَلَوْ نَشَاءُ
لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيَئِهِمْ وَنَخْتَرُ لَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ » (٣).

فيذا وأشباه ذلك صحيح والله أعلم ، فليس على ما بينت لك ما تسمع من
إشارات التوم ومستنبطاتهم ، حتى تميز بين الصحيح والسقيم ، والعافل يستغنى بالتقليل
عن الكثير ، ويستدل بالشاهد على الغائب ، وبالله التوفيق .

(١) النمل : ٨٨

(٢) النورى : ٩

(٣) حمد : ٣٠

كتاب الأسوة والاقتداء برسول

صلى الله عليه وسلم

باب وصف أهل الصفة في الفهم ، والموافقة

ولا اتباع للنبي عليه الصلاة والسلام

قال الشيخ ، رحمه الله : قال الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام : « قال
بأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً » (١) ، فأعلمنا بذلك أنه يبعث
بمخبر كافة .

ثم قال : « وإني لست أهدى إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له في
السموات وما في الأرض » (٢) .

فقد شهد الله تعالى له بأنه يهدي إلى صراط مستقيم .

ثم أوجب علينا نفي الهوى عن عقده ، تقوله ، عز وجل : « وما ينطق
عن الهوى » (٣)

تم وصفه الله تعالى فقال : « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا
عليه آياته ويؤذونهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » (٤) ، فعلمنا أنه يتلوا
عنه آياته ، ويعلمنا الكتاب - وهو القرآن ، والحكمة - وهي الإصبة ، والإصبة
سنه ، وآدابه ، وأخلاقه ، وأفعاله ، وأحواله ، وحقته .

(٢) الشورى : ٥٢ - ٥٣

(٤) الجمعة : ٢

(١) الأعراف : ١٥٨

(٣) النجم : ٣

ثم بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنزل إليه من ربه ، وما أمر بإبلاغه
تقوله عز وجل : « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ » (١) .

ثم أمر الله عز وجل الخلق كافة بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
كما أمرهم بطاعته بتقوله عز وجل : « أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ » (٢) .
وقوله : « وَمَنْ يَعْصِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ » (٣) ، وأمرهم بالتقوى بقوله
عز وجل : « مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ » (٤) ، وأمرهم بالاتباع بحديثه
بقوله جل وعلا : « وَمَنْ يَتَّبِعْهُ فَسَوْفَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا » (٥) ، ودفعهم على الاستدانة بتقواه
بقوله تعالى : « وَأَتَّبِعْهُ فَسَوْفَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا » (٦) ، ووعدهم العاقبة بقوله
عز وجل : « وَإِنْ تَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَنُصَلِّبَنَّكُمْ فِي سَمَوَاتٍ مَعِينٍ » (٧) ،
وحدّثهم كسره بالموت لأبيه ،
إن خالفوا أمره فقال عز وجل : « فَيَحْذَرُ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ
فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » (٨) .

ثم عرفه الله تعالى ، أن محبة الله للمؤمنين ، من محبة المؤمنين بعضهم لبعض
رسوله بتقواه عز وجل : « قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا رَسُولِي أَنْ يَنْصُرِكُمْ
وَيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ » (٩) .

ثم نادى الله المؤمنين إلى الأسوة الحسنة برسوله عليه السلام

« تَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن قَبْلِهِ لَمَّا جَاءَهُمْ » (١٠)

- | | | |
|-------------------|----------------|-------------------|
| (١) المائدة : ٦٧ | (٢) النور : ٥٤ | (٣) النساء : ٨٠ |
| (٤) الحشر : ٧ | (٥) الحشر : ٧ | (٦) الأعراف : ١٥٨ |
| (٧) النور : ٥٤ | (٨) النور : ٦٣ | (٩) آل عمران : ٣١ |
| (١٠) الأحزاب : ٢١ | | |

ثم روى عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، أخباراً ، فكل خبر ورد عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ينقل الثقة عن الثقة ، حتى انتهى إلينا ، فالأخذ به لازم لجميع المساهين ، فقوله ، عز وجل : « أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول (١) » وقوله : « إنك على صراطٍ مستقيمٍ » (٢) .

فصار الأسوة به ، والاتباع له والطاعة لأمره ، واجبا على جميع خلقه ممن شهد أو غاب إلى يوم القيمة ، غير الثلاثة الذين رفع القلم عنهم .

فمن وافق القرآن ولم يتبع سنن رسول الله ، عليه الصلاة والسلام ، فهو مخالف للقرآن غير متبع له ، والمتابعة والافتداء : هي الأسوة الحسنة برسول الله عليه الصلاة في جميع ما صح عنه من أخلاقه ، وأفعاله وأحواله ، وأوامره ، ونواهيه ، ونديه ، وترغيبه ، وترهيبه ، إلا ما قام الدليل على خلافه ، كقوله ، عز وجل : « خائصةً لك من دون المؤمنين (٣) » ، وقول النبي عليه الصلاة والسلام ، في الوصل : أنت كأحدك ، وقوله ، عليه الصلاة والسلام في حديث الأضحية لأبي بردة بنار : اذبح ، ولا تجزى عن أحد بعدك ، وما يشبه ذلك مما يقرب عليه الدليل من نص الكتاب والآثار .

فأما روى عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، في الحدود ، والأحكام ، والعبادات : من الفرائض ، والنسب ، والأمر ، والنهي ، والاستحباب والرخص ، والتوسيع ، فذلك من أصول الدين ، وهو مدون عند العلماء والفقهاء ، ومستعمل فيما بينهم ، ومشهور عندهم ، لأنهم الأئمة الحافظون لحدود الله ، المتمسكون بسنن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، الناصرون لدين الله ، عز وجل ، يحفظون على الخلق

(٣) الأحزاب : ٥٠

(٢) الزخرف : ٤٣

(١) النور : ٥٦

دينهم ، وبينون لهم الحلال من الحرام ، والحق والباطن ، فهم حجج الله تعالى :
على خلقه ، والدعاة له في دينه ، فهؤلاء هم الخاصة من العامة .

فأما الخاصة من هؤلاء الخاصة : لما أحكموا الأصول ، وحفظوا الحدود ،
وتمسكوا بهذه السنن ، ولم يبق عليهم من ذلك بقية ، استبحثوا أخبار رسول الله
عليه الصلاة والسلام ، التي وردت في أنواع الطاعات ، والآداب ، والعبادات ،
والأخلاق الشريفة ، والأحوال الرضية ، وطابوا أنفسهم بمتابعة رسول الله
عليه الصلاة والسلام ، والأسوة به ، واقتفاء أثره بما بلغهم من آدابه ، وأخلاقه ،
وأفعاله ، وأحواله ، فعظموا ما عظم ، وصغروا ما صغر ، وقالوا ما قل ، وكثروا
ما كثر ، وكرهوا ما كره ، واختاروا ما اختار ، وتركوا ما ترك ، وصبروا على
ما صبر ، وعادوا من عاصي ، ووالوا من ووالي ، وفضلوا من فضل ، ورغبوا
فيما رغب ، وحذروا ما حذر ، لأن عائشة رضي الله عنها ، سألت عن خلق
رسول الله عليه الصلاة والسلام ؟ فقالت كان خلقه القرآن ، تعني موافقة القرآن .

وروي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال بعثتكم بحرف الألف .

باب ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

في أخلاقه ، وأفعاله ، وأحواله

التي اختارها الله تعالى له

قال الشيخ ، رحمه الله : روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قال : إنه سبحانه
أدنى فأحسن أدنى .

٥٠ وقد روى عنه ، عليه الصلاة والسلام ، أنه قال : « أنا أعلمكم بالله
وخشيتكم الله » .

٥١ وضح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « خيِّرتُ بين أن أكون
نبيًّا مرسكاً أو أن أكون نبيًّا عبداً ، فأشار إليَّ جبريل عليه السلام أن تواضع ،
فقلت : بل أكون نبيًّا عبداً : أشبع يوماً وأجوع يوماً » .

٥٢ ورُوى عنه ، عليه الصلاة والسلام ، أنه قال : « عرض عليَّ الدنيا فأبينها » .

٥٣ « قل عليه لصلاته والسلام : « لو كان لي أحدٌ ذهباً لأنفقته في سبيل الله إلا شئاً
أرصدته لدين » .

٥٤ ورُوى عنه عليه الصلاة والسلام : أنه لم يدخر شيئاً لغد ، وأنه إنما ادخر مرة
قوت سنة لعِياله ولن يردَّ عليه من الوفود .

٥٥ وقد رُوى عنه عليه الصلاة والسلام : أنه لم يكن له قميصان ، ولم ينخل له
طعام . وأنه خرج عليه الصلاة والسلام من الدنيا ولم يشع من خبز بُرِّقط ،
اختياراً لا اضطراراً ، لأنه لو سأل الله عز وجل أن يجعل له الجبال ذهباً ولم يحاسب
عليه ، لتكامل ذلك .

وقد رُوي شبيهاً بذلك في الأخبار والروايات .

٥٦ وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لبلال رضى الله عنه : « أتتق بلال ، ولا تخش من ذى العرش إقلاقاً » .

٥٧ ووضعت بريرة بين يديه عليه الصلاة والسلام ، طعاماً فأكل منه فردته إليه الليلة الثانية ؛ فقال لها : أما خشيت أن يكون له بخار يوم القيامة ؟ لا تدخرى شيئاً لغد ؛ فإنه عز وجل يأتي برزق كل غد ، أو قال : يوم .

٥٨ وروى عنه عليه الصلاة والسلام : أنه لم يعب طعاماً قط ، إن استهواه أكله ، وإن لم يشهد تركه ، ولا خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما .

ولم يكن النبي . صلى الله عليه وسلم زرعاً ، ولا تاجراً ، ولا حرّاً ،

٥٩ وكان من تواضعه صلى الله عليه وسلم : يلبس الصوف ، وينتعل اخصوف ، ويركب الحمار ، ويحلب الشاة ، ويخصف نعله ، ويرقع ثوبه ، وكان لا يأنف أن يركب الحمار ، ويردف خلفه .

٦٠ وقد روى في الخير : أنه عليه الصلاة والسلام كان يكره الغنا ، ولا يخشى من الفقر ، وكان يمر به ويترى واجد الشهر والشهران فلا يوقد في بيته لاخيز ، وأنه كان يطعمهم الأسويين : التمر ، والماء .

وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه خير نساءه فاخترن الله ورسوله . وفيه نزل : (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها (١) الآيتين جميعاً .

٦١ وكان من دعائه عليه السلام . « اللهم أحيني مسكيناً وأميتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين » .

(١) الأحزاب : ٢٨

ومن دعائه صلى الله عليه وسلم أيضاً : « اللهم ارزق آل محمد قوت

يوم بيوم . »

وكان أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه يصف رسول صلى الله عليه وسلم كما

روى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقل البعير ، ويعلف الناضح ،

ويقيم البيت ، ويخفف النعل ، ويرتع الثوب ، ويحلب الشاة ، ويأكل مع الخادم .

ويطحن معها إذا هي أعيت ، وكان لا يمنع الحياء أن يحمل بضاعته من السوق

إلى أهله ، وكان يصفح النوى والفقير ، ويسلم مبتدئاً ، وكان لا يرد من دعاه .

ولا يحقر ما دعى إليه ، ولو إلى حشف التمر ، وكان ابن العلق ، كريم الطبع ،

جميل المعاشرة ، طلق الوجه ، بساماً من غير ضحك ، مخزوماً من غير عبوس ،

متواضعاً من غير ذلة ، جواداً من غير سرف ، رقيق القلب ، دائم

الإطراق ، رحيماً بكل مسلم ، لم يتجشأ قط من شبع ، ولا مدّ يده

إلى طمع :

وقالت عائشة رضى الله عنها . كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود من

الريح المرسله .

ووهب النبي صلى الله عليه وسلم ما بين جبأين من الغنم لرجل واحد ، فرجع

ذلك الرجل قبيلته ، وقال . إن محمداً عليه الصلاة والسلام يعطى عطاء من

لا يخشى الفقر

ولم يكن رسول الله عليه الصلاة والسلام صخاباً ، ولا فحاشاً ،

ولا متفحشاً .

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يأكل على الأرض . ويجلس على الأرض .
 ويلبس العباء . ويجالس المساكين ويمشي في الأسواني . ويتوسد يده ويقتصر
 من نفسه . ولم يُرَ ضاحكاً ملء فيه . ولم يأكل وحده قط . ولا ضرب
 عبده قط . ولا ضرب أحداً بيده إلا في سبيل الله عز وجل . وكان لا يجلس
 متربعاً . ولا يأكل متكئاً . ويقول : « آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما
 يجلس العبد .

٦٦ وروى عنه عليه الصلاة والسلام : أنه شد الحجر على بطنه من الجوع ، ولم يستأجر
 ربه أن يجعل له أبا قبيس ذهبا لأجابه .

٦٧ وحمل النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه إلى بيت أبي الهيثم بن التميمي من غير أن
 دعاه ، وأكل في بيته من طعامه ، وشرب من شرابه ، وقال هذا من العسر يلقى
 تسألون عنه .

ودعاه عليه الصلاة والسلام رجال آخر إلى بيته مع خمسة من أصحابه ، فلم يدخل
 معه السادس إلا بإذنه .

٦٨ ويُروى في الحديث أن النبي عليه الصلاة والسلام أسس مدينتي مكة . ثم سمي
 به ، وقال : كاد تائمني أعلامه ، وقال : إيتوني بأبعابية أبي جهم .

٦٩ وسأل عن الصلاة في ثوب واحد فقال : أو كلكم يبدؤون ؟

٧٠ وقال : أنا ابن امرأة [من قريش] كانت تأكل القديس .

٧١ وقال : لا تفضلوني على يونس بن متى عليه السلام .

٧٢ وقال : [مرّة] : أنا سيد ولد آدم ولا فخر .

٧٣ وقالة عليه الصلاة والسلام : « إني أعطى أقواما وأمتع آخرين ، وأنس نادى
 أعطيه بأحب إلي من الذي أمتعته » .

- ٧٥ وقال : أول من يدخل الجنة فقراء الأنصار . الشعبة رءوسهم . الدنسة ثيابهم . الذين لا يكحون المتنعمات ، ولا تفتح لهم السدد .
- ٧٦ وقال عليه الصلاة والسلام : « مالي والدنيا » .
- ٧٧ وقال : « ليكن بلغتك أحدك كزاد الراكب » .
- ٧٨ وقال : « يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسة عام » .
- ٧٩ وقال : « نحن معشر الأنبياء أشد الناس بلاءً ، ثم الأمثل فالأمثل ، ويستى الرجل على قدر دينه ، فإن كان في دينه صلابة فهو أشد بلاءً » .
- ٨٠ وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : بني أحبك ، قال أسعد للبلاء .
- ٨١ ورأى من النبي صلى الله عليه وسلم قال : « حبب إلى من دنياكم ثلاث » .
- ٨٢ وقال : أتم أعام بدنياكم ، فأضاف الدنيا إليهم وأخرج نفسه منهم .
- ٨٣ ولم يضع رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنة على لبنة إلى أن خرج من الدنيا .
- ٨٤ وخرج عليه [الصلاة] السلام من الدنيا ودرعه مرهونة عند يهودي على صاع من شعير ، ولم يترك ديناراً ، ولا درهما ، ولم يقسم له ميراث ، ولم يوجد في يده أثاث .
- ٨٥ وقال : نحن معشر الأنبياء لا نورث ، ما تركنا صدقة .
- وكان يقبل الهدية ، والكرامة ، والعطية ، وكان لا يأكل من الصدقة ، ويأخذها منهم .

٨٦ وروى عنه عليه الصلاة والسلام : أنه قل : ما أوحى الله ، تعالى ، أن أجمع المال وأكون تاجراً ، ولكن أوحى إليّ أن : « سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ، وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ » (١) .

٨٧ وروى عن عائشة رضي الله عنها : أمها قالت . ذمنا شدة فتصدقوا بها حتى لم يبق إلا كتفها [قالت] : فقلت : يا رسول الله ، ذهب كفاي إلا كتفها !! فقل النبي عليه الصلاة والسلام : بقيت كفاي إلا كتفها .

قال الله عز وجل : « ن وَالنَّارِ وَمَا سَطَّرْنَاهَا مِنْ مَّا آتَتْ بِمِعْسُورَيْكَ لَا تَحْسَبُونَهَا لَكِ أَجْرًا غَيْرَ مَمْدُونٍ ، وَإِنَّكَ لَعَلىٰ حَاقٍ عَظِيمٍ » (٢) .

٨٨ وال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله يحب مكارم الأخلاق ، ويكره منكرها .
وقل ، عايد الصلاة والسلام : بعثت لأني بمكارم الأخلاق .

٨٩ وكان من أحسنه ، صلوات الله عليه ، الحياء ، والسخاء ، والتركيب ، والرضا ، والذكر ، والشكر ، والخلم ، والصبر ، والعزم ، والصفح ، والرأفة ، والرحمة والبرارة ، والمصحة ، والسكينة والرفق ، والتواضع ، والامتداد ، والجود ، والسخاء ، والخضوع ، والقدرة ، والشجاعة ، والرفق ، والإخلاص ، والصدق ، والرهد ، والقدرة ، والخشوع ، والخشية ، والنعيم ، والهيبه ، واللبه ، والحياء ، والرجاء ، والماذ (٣) ، واللجأ ، والتبهد ، والعمدة ، والجهد ، والتجهد .

٩٠ وكما روى عنه عايد الصلاة والسلام : أنه كان يتوكل بالاحزان ، دائم الصبر .
وكان صدره أزيزاً كزير المرجل .

٩١ وأنه عايد الصلاة والسلام ، صلى حتى تورمت قدماه ، فقال له : يا رسول الله ، أليس قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما آخر !! قل : أفلا أكون عبداً شكوراً

(٢) ن : ١ - ٤

(١) الحجر : ٥٨ - ٩٩

(٣) لاذبه : لجأ إليه

٩٢ وكان عليه الصلاة والسلام يعطى من حرمة و يصل من قطعه ، ويعفو عن ظلمه ، وما انتقم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، نفسه قط ، ولا غضب نفسه قط إلا أن تنهك محارم الله فيغضب الله .

٩٣ وكان للأرملة كالزوج الشقيق ، واليتيم كالأب الرحيم !!!

٩٤ وقال عليه السلام من ترك مالا فلورثته ، ومن ترك كلاً أو ضياعاً فإلى

وقل : اللهم إلى بشر أغضب كما يغضب البشر فأبما امرىء سببته أو اعنته فاجعل ذلك كعبارة له ، أو كما قل :

٩٥ وقال أنس بن مالك : خدمت رسول الله عليه الصلاة والسلام عشر سنين ، ثم ضربني ولا كبريتى (١) ، ولا قول لى لشيء فعلته : لم فعلت ! ولا لشيء لم أفعله . لم لم تفعله .

٩٦ ولو لم يكن من كرمه وعفوه وحده إلا ما كان منه يوم فتح مكة لكان من كمال الكمال .

وذلك أنه دخل مكة صلحاً ، وقد قتلوا أعمامه وأولياءه بعد أن حصره في الشعب ، وعذبوا أصحابه بأنواع العذاب ، وأخرجوه ، وأدموه ، وطرخوا عليه الروث ، وآذوه في نفسه ، وفي أصحابه ، وسفهاوا عليه ، واجتمعوا على كيدته ، فلما دخلها بخير حمدهم ، وظهر عليهم ، على صغر منهم ، قام خطيباً حمد الله وأثنى عليه . ثم قال . أقول كما قل أخى يوسف عليه السلام : لا تثريب عليكم اليوم ، فغفر الله لكم ، وقل من دخل دار أبى سفيان فهو آمن .

ومأربه ذلك مما يرد من الأخبار الصحيحة في هذا المعنى أكثر مما يتها ذكروه ، وإنما ذكرنا طرفاً يستدل به على ما نذكره ، والله أعلم بالصواب .

(١) كبر وقهر بمعنى واحد .

باب بيان ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم

فى الرخص والتوسيع على الأمة فيما أباح الله ، تعالى ، لهم

ووجه ذلك فى حال الخصوص ، والعموم ، فى الاقتداء برسول الله

صلى الله عليه وسلم

فأما ما روى عن النبي ، عليه الصلاة والسلام ، مما جمع الله عليه من أموال بنى قريظة ، والنضير ، وفدك ، وخيبر : وأشباه ذلك ، والحلّة التى أهديت إليه واجمعه والسيف الذى فى قرابه فضة ، والستور التى كانت فى البيت ، والراية التى كانت له ، والبغل ، والناقة ، والحمار ، والبردة ، والعمامة ، والخف الذى أهدى إليه النجاشى ، وغير ذلك مما يكثر ذكره ، وأنه كان يحب الخمر البارد ، وأنه كان كل خبيص ، والذى قل لأصحابه : كلوا واشبعوا ، وما جانس ذلك من الأخير لثروية عنه ، عليه الصلاة والسلام ، فإن جميع ذلك فى الرخصة والتوسيع على الأمة والإباحة لها ، لأنه كان عليه الصلاة والسلام ، إمام الخلق إلى يوم القيامة ، وأنه قال صلى الله عليه وسلم : **بُعثُ بالحنيفة السمحة ، وقل عليه الصلاة والسلام : إنى أنسى لأسنّ .**

ولو لم يوسع الله تعالى على الخلق التعاق بالرخص والأخذ باليسر ، لم يكن لهم فى الطاب والجمع والإمسك والمكاسب بشرط العلم بأحكامه ، لأن الله ، تعالى ، لم يدع الخلق إلى جمع الأموال والصنائع والتجارات ولو كان أوح لهم ذلك ، لعاهه بضعتهم .

وقد دعاهم الله تعالى إلى طاعته ، وعبادته ، وناب كافة المؤمنين إلى ذكره ،

وشكره ، والتوكل عليه ، والاقطاع إليه . بقوله ، تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
ادْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (١) » وقوله تعالى : وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ (٢) ، « وَقُلْ تَعَالَى » وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون (٣) ، « وَإِيَّايَ فَارْجِعُونَ (٤) »
وَإِيَّايَ فَاتَّقُون (٥) » وأشباهه .

ونيس حل الناس في هذه المباحات والرخص كحل الأنبياء عليهم السلام ؛ لأن
تعاق الناس أكثرهم بالرخص والمباحات من ضعف إيمانهم ، وميل نفوسهم إلى
الخطوط ، وعجزهم عن حمل أنقال مرارة الصبر والتساعة بما لا بد لهم منها ، ورغب
يؤذيه ذلك إلى اتباع الشهوات ، واكتساب السيئات ، إن تخلفوا عن أداء حقوقهم
ولم يقوموا بشرائط العلم في تدولها .

فما الأنبياء عليهم السلام ، قد هذبوا بتأييد النبوة ، وقوة الرسالة ، وأبواب
الوحي لا تأخذ منهم الأشياء ، ويكون كونهم فيها لغيرهم ، وقيامهم فيها حقوقهم ،
لا لخطوطهم .

الأخرى في قوله تعالى : « مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلْيَنْتَفِعْ
بِهِمْ وَلْيَسْأَلِ الْيَتِيمَ وَالْيَتِيمَ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ (٦) » ، فقد أخبر بأن
ما أفاء الله عليهم فهو لله وللرسول ولذي القربى واليتيم ، وقالوا . ومعنى « لله
والرسول » ، يعني . والمرسول أن يضعه في مواضعه ، والذي قال . خمس الخمس
فإن ذلك كان يضعه حيث يشاء .

(٢) المائدة : ٢٣

(٤) البقرة : ٤٠

(٦) الحشر : ٧

(١) الأحزاب : ٤١

(٣) المؤمنون : ٥٢

(٥) البقرة : ٤١

والناس في موافقة كتب الله تعالى واتباع رسول الله ، عليه الصلاة والسلام ، على
ثلاثة أقسام :

فمنهم من تعلق بالرخص ، والمباحات ، والتأويل ، والسعة .

ومنهم من تعلق بعلم الفرائض ، والشئب ، والحدود والأحكام .

ومنهم من أحكم ذلك ، وعلم من أحكام الدين ما لا يسهل الجهل به ، ثم تعلق
بالأحوال السنية ، والأعمال الرضية ، ومكارم الأخلاق ، ومعاني الأمور ، وحقائق
الحقوق ، والتحقق ، والصدق .

كما روى في الحديث : أن النبي عليه الصلاة والسلام قال لحذرتي : أنت من
حقيقة ، فيما حقيقة إيمانك ! قال : عرفت نفسي عن الدين ، فأخبرتني في طاعت
سأرى ، وأخبرتني . . . كما جاء في الحديث .

فقال النبي عليه الصلاة والسلام : عرفت وزد ، أو قال : عرفت زد ، أو قال : عرفت زد .

ويقول : إن من جميع ما تكلموا فيه من دين الباطن أربعة أمور .

حديث جبريل ، عليه السلام ، حيث سأل رسول الله ، عليه الصلاة والسلام :

عن الإيمان ، والإحسان ، فقال : الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه .

وحديث عبد الله بن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، أنه قال : أحسن ما أتت به

والسلام بيدي ، وقال لي : يا غلام احفظ الله يحفظك .

وحديث وابصة الإثمه ما حرك في صدره ك ، وإنه ما لم يزل

وحديث العوان بن بشير عن النبي عليه الصلاة والسلام قال : يا بني

وقول النبي عليه الصلاة والسلام لا تترك الصلاة ولو لم يبق لك

باب ما ذكر عن المشايخ في اتباعهم (١) رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، وتخصيصهم في ذلك

قال الشيخ رحمه الله : سمعت [أبا عمرو] عبد الواحد بن عمران رحمه الله : سمعت الجنيد ، رحمه الله ، يقول : علمنا هذا مشتبك بحديث رسول الله عليه الصلاة والسلام .

وسمعت أبا عمرو بهما عيل بن نجيد يقول : سمعت أبا عثمان سعيد بن عثمان الخيري يقول : من أمر السنة على نفسه قولاً ، وفعلاً ، نطق بالحكمة ، ومن أمر الهوى على نفسه قولاً ، وفعلاً ، نطق بالبدعة ؛ قال الله تعالى : « وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا » (٢) .

وسمعت طيفور البسطامي يقول : « سمعت موسى بن عيسى المعروف بعيسى يقول سمعت أبا يزيد البسطامي رحمه الله ، يقول : قم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية ، وكان الرجل في ناحيته مقصوداً ، مشهوراً بالزهد والعبادة ، وقد سماه لنا طيفور ونسبته قال : فمضينا ، قال : فلما خرج من بيته ودخل المسجد رمى ببزافه تجاه القبلة ، فقال أبو يزيد : قم بنا ننصرف ، قال : فانصرف

(١) يسرنا هنا أن ندعو أعداء التصوف أو الذين يتهمون به بأنه خارج على الدين إلى قراءة هذا الفصل وهو حاسم في صلة التصوف بالدين وآراء أئمة التصوف التي ذكرها المؤلف صريحة لا ليس فيها : التصوف مستمد من الكتاب والسنة قائم عليهما مهتد بهما متخذهما القائد والقدوة

(٢) النور : ٥٤

ملحوظين : ما بين الأقواس المضلعة موجود بهامش إحدى النسخ

ولم يسلم عليه ، وقل : هذا رجل ليس بمأمون على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف يكون مأموناً على ما يدعيه من مقامات الأولياء والصديقين؟! .

وسمعت طيفور يقول : سمعت موسى بن عيسى يقول : سمعت أبي يقول : سمعت أبا يزيد ، رحمه الله يقول : لقد هممت أن أسأل الله تعالى أن يكفيني مؤنة الأكل ، ومؤنة النساء ، ثم قلت : كيف يجوز لي أن أسأل الله عز وجل هذا ، ولم يسأله رسول الله عليه الصلاة والسلام ؟ ! فلم أسأله ، وكفاني الله تعالى مؤونة النساء حتى لا أبالي استقبلتني امرأة أو حائط ، أو كما قل .

وسمعت أبا الطيب أحمد بن مقاتل العكي البغدادي يقول : كنت عند جعفر الخلدي ، رحمه الله [يوم مات الشبلي] فدخل عليه بندار الدينوري ، وكان خادم الشبلي ، رحمه الله ، وكان قد حضر موته ، فسأله جعفر : أيش رأيت منه في وقت موته؟ قال : لما أمسك لسانه وعرق جبينه أشار إلى : وضئتي للصلاة ، فوضئته ، فتسيت تخليل لحيته ، فقبض على يدي وأدخل أصابعي في لحية يخالها ! قال : فبكي جعفر ، وقال : أيش يتبها أن يقل في رجل لم يذهب عليه تخليل لحية في الوضوء ، عند نزاع روحه ، وإمساك لسانه ، وعرق جبينه ؟ ! ! أو كما قل :

وسمعت أحمد بن علي الوجيهي يقول : سمعت أبا علي الروذباري يقول : كنت أستاذي في علم التصوف : الجنيد ، وكان أستاذي في النقطة : أبو العباس مريح ، وكان أستاذي في النحو واللغة : ثعاب ، وكان أستاذي في حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام : إبراهيم الخري .

وسئل ذو النون ، رحمه الله : إذا عرفت الله تعالى ؟ فقال عرفت الله بالله ، وعرفت ما سوى الله برسول الله عليه الصلاة والسلام .

وقال سهل بن عبد الله ، رحمه الله : كل وجد لا يشهد له الكتاب
والسنة فباطل .

وقال أبو سليمان الداراني ، رحمه الله : ربما تنكت الحقيقة قلبي أربعين
يوماً فلا آذن لها أن تدخل قلبي إلا بشاهدين من الكتاب والسنة .

فهذا ما حضرني في الوقت مما ذهب إليه الصوفية في اتباعهم رسول الله عليه
الصلاة والسلام ، وكرهت الثقليل ، واقتصرت على ما ذكرت للتخفيف ،
وبالله التوفيق .

كتاب المستنبطات

باب مذهب أهل الصفة في المستنبطات الصحيحة في فهم

القرآن والحديث ، وغير ذلك ، وشرحها

قال الشيخ ، رحمه الله : [إذا] قالوا : ما معنى المستنبطات فيقال :

المستنبطات : ما استنبط أهل الفهم من المتحققين بالمواقفة لكتاب الله ، عز وجل : ظاهراً وباطناً ، والمتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهراً وباطناً ، والعمل بها بظواهرهم وبواطنهم .

فلما [عملوا بما] علموا من ذلك ورثهم الله تعالى : علم ما لم يعلموه وهو تلم الإشارة ، وعلم موارد الأعمال التي يكشف الله تعالى ، لقلوب أصفياه من المعاني المدخورة ، واللطائف والأسرار المخزونة ، وغرائب العلوم وطرائف الحكم في معاني القرآن ومعاني أخبار رسول الله عليه الصلاة والسلام من حيث أحوالهم ، وأوقاتهم ، وصفة أذكارهم .

وقال الله تعالى « أفلا يتدبرون القرآن أن أم على قلوب أقفالها ؟ » (١)

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « من عمل بما علم ورثه الله تعالى ، ومن علم

ما لم يعلم »

وهو العلم الذي ليس لغيرهم ذلك من أهل العلم .

وأقفال القلوب ما يقع على القلوب من الصدأ ، الكثرة الذنوب ، والبيع الهوى ،

ومحبة الدنيا ، وطول الغفلة ، وشدة الحرص ، وحب الراحة ، وحب الثناء والمحمدة ، وغير ذلك من الغفلات والزلات ، والمخالفة والخيانات .

فإذا كشف الله تعالى : [ذلك عن] القلوب مصدق التوبة والندم على الخوبة ، فقد فتح الأقفال عن القلوب وأتته الزوائد والفوائد من الغيوب ، فيعبر عن زوائده وفوائده بترجمانه ، وهو اللسان الذي ينطق بغرائب الحكم ، وغرائب العلم .

فإذا شرحوا هذه التقط المریدون والقاصدون والطالبون من تلك الجواهر بأذان واعية ، وقلوب حاضرة ، فعاشروا وانتفعوا بذلك وأنعشوا .

وقد قال الله ، عز وجل : « أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا » (١) .

فدل على أن بقدرهم في القرآن يستنبطون ، إذ لو كان القرآن من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً .

ثم قل : « وَإِذَا جَاءُكُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ، وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَىٰ أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَالِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ » (٢) يعني من أهل العلم وقلوا : أولوا الأمر هاهنا أهل العلم .

فقد بين هاهنا خصوصية لأهل العلم ، وخصوصية لأهل الاستنباط من أهل العلم .

وقد روى في الخبر : « أن رجلاً جاء إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فقال : يا رسول الله علمني من غرائب العلم ، فقال : وما عملت في أول العلم ؟ أحكم أول العلم ثم تعال حتى أعلمك غرائب العلم » أو كما قال .

(١) النساء : ٨٢

(٢) النساء : ٨٣

ولفقاء الأمصار وعلمائها في كل وقت مستنبطات ، مشهورة في آيات القرآن والأخبار الظاهرة مستعدة للاحتجاج بها بعضهم على بعض في المسائل الخلافية بينهم .

وقد قال بعضهم : إن في هذا الحديث الذي قل رسول الله عليه الصلاة والسلام : « الأعمال بالنيات ، ولكل أمرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله » على ما جاء في الحديث : إنه يدخل في ثلاثين باباً من أبواب العلم . وهذا لا يكون إلا من طريق الاستنباط .

وكذلك أهل الكلام والنظر : احتجاجاتهم العقلية كلها مستنبطات ، وكل ذلك حسن عند أهله ، ومقبول ؛ إذ المقصود من ذلك النصرة للحق والرد للباطل . وأحسن من ذلك مستنبطات أدل العلم بالعلم والتحقيق والإخلاص في العمل من المجاهدات ، والرياضات ، والمعاملات ، والمتقربين إلى الله تعالى : بطوع الطاعات ، وأهل الحقائق .

باب في كيفية الاختلاف

في مستنبطات أهل الحقيقة في معاني علومهم وأحوالهم

قال الشيخ ، رحمه الله : اعلم ، أيديك الله بالفهم ، وأزال عنك الوهم ، أن أبناء الأحوال ، وأرباب القلوب ، أن لهم أيضاً ، مستنبطات في معاني أحوالهم ، وعلومهم وحقائقهم ، وقد استنبطوا من ظاهر القرآن ، وظاهر الأخبار معان لطيفة باطنة ، وحكم مستطرفة ، وأسراراً مذكورة .

ونحن نذكر طرفاً من ذلك إن شاء الله تعالى .

وهم أيضاً في مستنبطاتهم مختلفون ، كاختلاف أهل الظاهر ، غير أن اختلاف أهل الظاهر يؤدي إلى (حكم) الغلط والخطأ ، والاختلاف في علم الباطن لا يؤدي إلى ذلك لأنها فضائل ، ومحاسن ، ومكارم ، وأحوال ، وأخلاق ، ومقامات ، ودرجات .

وقيل : إن اختلاف العلماء في علم الظاهر رحمة من الله تعالى ، لأن المصيب يرد على الخطيء ، ويبين للناس غلط المخالف ، وخلاف المصيب في الدين حتى تجنبوا منه ، ونولا ذلك لهلك الناس بذهاب دينهم .

وأما الاختلاف بين أهل الحقائق أيضاً رحمة (من) الله ، لأن كل واحد يتكلم من حيث وقته ، وينجيب من حيث حاله ، ويشير من حيث وجدته ، فتكون فيهم نكال واحد من أهل الطاعات ، وأرباب القلوب ، والمريدين ، والمتحققين ، قائدة من كلامهم .

وذلك أيضاً على قد تفاوتهم واختصاصهم ودرجاتهم .

وبيان ما قلنا في اختلافهم ما حكى عن ذى النون ، رحمه الله ، أنه سئل
عن الفقير الصادق فقال : هو الذى لا يسكن إلى شيء ، وإليه يسكن كل شيء .

وسئل أبو عبد الله المغربى عن الفقير الصادق ، فقال الفقير الصادق : الذى يملك
كل شيء ، ولا يملكه شيء .

وسئل أبو الحارث الألامى عن الفقير الصادق ، فقال : هو الذى لا يأنس بشيء
ويأنس به كل شيء .

وسئل وسف بن الحسين عن الفقير الصادق ، فقال : من آثر وقته ، فإن كان
فيه تطلع إلى وقت ثان لم يستحق اسم الفقر .

وسئل الحسين بن منصور رحمه الله عن الفقير الصادق ، فقال : الفقير الصادق :
الذى لا يختار ، بصحة الرضا . ما يرد عليه من الأسباب .

وسئل الثورى ، رحمه الله عن الفقير الصادق ، فقال : الفقير الصادق : الذى
لا يهتم الله تعالى فى الأسباب ويسكن إليه فى كل حال .

وسئل سمون ، رحمه الله عن الفقير الصادق ، فقال : الذى يأنس بالمفقود كما يأنس
الجاهل بالوجود ، ويستوحش بالوجود كما يستوحش الجاهل بالقد .

وسئل أبو حفص النيسابورى رحمه الله ، عن الفقير الصادق ، فقال : الذى يكون
مع كل وقت بحكمه ، فإذا ورد عليه وارد يخرج به عن حكم وقته ويستوحش منه .

وسئل الجنيد رحمه الله عن الفقير الصادق ، فقال : هو أن (لا) يستغنى شيء ،
ويستغنى به كل شيء .

وكما سئل المرتضى النيسابوري رحمه الله ، عن الفقير فقال : الذي يأكل القمل
ولا يكون له ظفر يحك به نفسه (١) .

وقد اختلف هؤلاء في أجوبتهم : كاختلافهم في أوقاتهم وأحوالهم ، وكل ذلك
حسن ، ولكل جواب من أجوبتهم أهلٌ يليق بهم ما أجابوا ، وهي فائدة ، ونعمة
وزيادة لهم ، ورحمة .

(١) من طبيعة الإسلام أن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ، وهل صاحبنا هذا أراد
بكلامه هذا : عدم جزع الفقير مصوفٍ بما أصابه ، رضاً بقضاء الله وقدره .

باب في مستنبطات أدل الصفوة في تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم

وشرفه ، وفضله على إخوانه ، عليه السلام

من كتاب الله عز وجل من طريق الفهم

قال الشيخ رحمه الله : فأما المستنبطات التي في كتاب الله ، عز وجل ، فقد ذكرنا طرفاً من ذلك في باب مذهب أدل الصفوة في مواثقة كتاب الله ، عز وجل . وهذا (الذي نذكره) إما نذكره في (معنى) خصوصية رسول الله صلى الله عليه ، وفيما استنبطوا فيما نطق القرآن بشرفه ، وما خص به من سائر الرسل ، عليهم السلام : قوله عز وجل : « قل : هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني : وَسُبْحَانَ اللَّهِ ، وما أنا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » (١) .

قل أبو بكر الواسطي ، رحمه الله : أدعو إلى الله على بصيرة : يعني أن لا أشهد لنفسي ، يعني أن لا أرى نفسي فاستقطعهم بشواهدى ، ومعنى آخر على بصيرة : أيقن أنه ليس إلى شيء ، فيكون إلى نفسي من الهداية شيء ، ومعنى آخر على بصيرة : أنه لا نملك ضراً ولا نفعاً إلا أن يتولى الله تعالى تقريريها ، ومعنى قوله : أنا ومن اتبعني على ذلك دعوتهم سبحانه الله [أن يكون] أحد يلحق ما هممه ويقصده إلا به وما أنا من المشركين أن أرى الهداية من نفسي ومنه بدعوتي ، قوله [تعالى] : « قل : أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وأدعوا مخلصين له الدين كما دعتكم تهودون (٢) » قالوا : معناه : من طريق الفهم والاستنباط قل أمر ربي « بالقسط » يعني وبين الخلق ، وبينى وبين الله تعالى ، وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد ، يعني عند كل قصد تفصدونه وأدعوه مخلصين له الدين ، يعني ادعوه بالإرياء ، ولا عجب ثم لا تعمدوا على

(١) يوسف : ١٨٠

(٢) الأعراف : ٢١

هذا لأنه كما بدأكم تعودون عند العواقب ، وفي معنى قوله تعالى : « سنريهم آياتنا في الآفاق ، وفي أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق » (١) معناه : سنريهم نعوتنا وصفاتنا ، في الملكوت ، حتى يتبين لمن نبين لهم أنه الحق ، وما سواه باطل ، لا جرم ؛ فلذلك قال النبي صاعم : « أصدق كلمة قالت العرب : (ما قل لبيد) :

الأكل شيء ما خلا الله باطل

ومما استنبطوا من خصوصية النبي ، صلى الله عليه وسلم : أن موسى عليه السلام ، سأل ربه ، عز وجل ، فقال : « رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري » (٢) ، (ونودي محمد صلى الله عليه وسلم ، بلا سؤال : ألم نشرح لك صدرك » (٣) إلى آخر السورة ، وكذلك سؤال إبراهيم عليه السلام : « ولا تخزني يومَ بعثون » (٤) (فضل الحبيب على الخليل) .

وقل لنبينا ، صلى الله عليه وسلم ، من غير سؤال : « يومَ لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه » (٥) .

وقيل له صلى الله عليه : « ألم نشرح لك صدرك ، ووضعنا عنك وزرك » إلى قوله : « إن مع العسر يسراً » (٦) .

ومما قبل في هذا المعنى أيضاً : أن الله عز وجل ، خاطب جميع الخلق ، ودعاهم إليه ، ودعاهم عليه بذكر الملك والملكوت ، فقال : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض » (٧) وقوله : « أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء » (٨) وقوله تعالى : « أفلم يتفكروا في أنفسهم » (٩) ، وقوله : « أفلا

(١) فصلت : ٥٣ (٢) طه : ٢٥-٢٦ (٣) الشرح : ١

(٤) الشعراء : ٨٧ (٥) التحريم : ٨ (٦) الشرح : ١-٦

(٧) الأنعام : ٧٥ (٨) الأعراف : ١٨٥ (٩) الروم : ٨

ينظرون إلى الإبل كيف خلقت (١) « إلى آخر الآية ، فلما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « ألم تر إلى ربك (٢) » يا محمد « كيف مد الظل » فلما كان الخطاب مع الحبيب بدأ بذكره ، فقال : « ألم تر إلى ربك »

وفي (معنى) قوله : « واتخذ الله إبراهيم خليلاً » قالوا : إن الخلة : ما يخلل القلب ، والمحبة ما يكون في حبة القلب ، يعنى سوية داء القلب ، وسمى المحبة محبة لأنها تتجوبها ما سواها من القلب ، لذلك فضل الحبيب على الخليل .

وقال : « أوعى ما تؤمر (٣) » وقال لنبينا صلى الله عليه وسلم : « ولسوف يعطيك ربك فترضى (٤) » فدل بذلك على فضل الحبيب على الخليل .

وما قالوا في هذا المعنى أيضاً : إن آدم صلوات الله عليه ، لما ذكر الله تعالى توبته ، فقال : « وعصى آدم ربه فغوى (٥) » فذكر جنايته قبل توبته « ثم اجتباؤه ربه فتاب عليه وهدى (٦) » .

وذكر أيضاً خطيئة داود عليه السلام ثم قال : « فغفر له (٧) » .

وكذلك خبر عن سليمان عليه السلام بقوله : « واتممتنا سنين وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب قال رب اغفر لي (٨) » ، وقال لابي صلى الله عليه وسلم : « عفا الله عنك بما أذنت لهم (٩) » .

قال بعضهم : آتت بذكر الغفر حتى لا يوحشه ذكر العتب ، وقال أيضاً : « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر (١٠) » ، فابتدأ بذكر الغفر إن قبل العتب ، وغفر له الذنب قبل أن يذنب ، (وقبل العتب) ، وقالوا أيضاً معنى آخر : « ما أعطى الأنبياء عليهم السلام من الكرامات قد أعطى منها محمد صلى الله عليه وسلم »

(١) الغاشية : ١٧ (٢) الفرقان : ٤٥ (٣) الصافات : ١٠٢

(٤) الضحى : ٥ (٥) طه : ١٢١ (٦) طه : ١٢٢

(٧) ص : ٢٥ (٨) ص : ٢٤ - ٣٥ (٩) النوبة : ٤٣ (١٠) الفتح : ٢

وزاد له (عليهم) : مثل انشقاق القمر ، ونبع الماء من الأصابع ، والمعراج ، وغير ذلك .

ثم ذكر الأنبياء وذكر ما استخصهم (به) ، وأضاف إلى إبراهيم عليه السلام ، الخلة وإلى موسى عليه السلام الكلام ، وإلى سليمان عليه السلام الملك ، وإلى أيوب عليه السلام الصبر ، ولم يضاف إلى محمد عليه الصلاة والسلام شيئاً مما أعطاه من الكرامات فقال : « أعمرك » يا محمد « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك فيما شجر بينهم^(١) » الآية . ثم قال « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله^(٢) » الآية . وقال : « ولم تقبلوهم ولكن الله قتلهم وما راميت إذا راميت ولكن الله رمى^(٣) » . ولم يذكر له عليه الصلاة والسلام شيئاً غيره ، فلما أدبه بذلك قال اللهم بك أصول وبك أجول ، وبك أقاتر وبك أحاول .

وسئل الشبلي ، رحمه الله : عن معنى قوله تعالى : « لو أطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولوليت منهم رعباً »^(٤) قال : « لو أطلعت على الكل مما سواها لوليت منهم فراراً إلينا يا محمد .

وقالوا في معنى قوله : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله »^(٥) إنه لو أسرى بروحه ، كما قال المخالفون ، لم يقل : أسرى بعبده ، لأن اسم العبد لا يقع إلا على الروح والجسد .

وقيل ، أيضاً ، في معنى قوله : « وكان اضل الله عليك عظيماً »^(٦) : يعني باجتماعك واصطفائك ، لأن النبوة والرسالة لم تقسم على الجزاء والاستحقاق ، ولو كانت من جهة الجزاء والاستحقاق ، لما فضل نبينا صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء عليهم السلام ، لأنهم أكثر أعمالاً وأطول أعماراً .

(٣) الانفال : ١٧

(٢) الفتح : ١٠

(١) النساء : ٦٥

(٦) النساء : ١١٣

(٥) الإسراء : ١

(٤) الكهف : ١٨

وقالوا ، في معنى قوله ، عز وجل : « واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا » (١) : إنه خاطبه بأتم الخطاب وأخص الفضيلة ، إذ قل : « واصبر لحكم ربك ، فإنك بأعيننا » وقال لغيره : « أصبروا وصابروا » (٣) وقال : إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب (٣) .

طالبهم بالصبر على المعاوضة ، وطالب المصطفى ، عليه الصلاة والسلام بالصبر مع المراقبة ، وقال في موضع آخر : « واصبر وما صبرك إلا بالله » (٤) لأنه ، عليه الصلاة والسلام أجل عنده من أن يطالبه بمعاملة يقتضى عليها معاوضة ، لأن محله صلى الله عليه وسلم ، محل الاختصاص .

فيذا طرف من المستنبطات التي تقوم من القرآن في معنى خصوصية الذي عليه الصلاة والسلام .

(٢) آل عمران : ٢٠٠

(٤) النحل : ١٢٧

(١) الطور : ٤٩

(٣) الرمر : ١٠

باب في مستنبطاتهم في خصوصية النبي صلى الله عليه وسلم

وفضاه على إخوانه ، عليهم السلام من الأخبار المروية

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الشيخ رحمه الله : فأما مستنبطاتهم في أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكما قيل في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : أنه كان يقول في سجوده : « أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » .

قالوا : يقول الله : **وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (١)** « فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في سجوده معنى من القرب .

فقال : أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك ، فاستعاذ بصفاته من صفاته ، ثم شاهد معنى آخر من القرب ، ما ندرج فيه القرب الذي شاهد (به) الصفات والنعوت .

فقال : « أعوذ بك منك » ، وكان قد استعاذ بصفاته من صفاته ، فلما استعاذ به لم يكن المستعاذ به إلا منه ، ثم زيد في قربه ، ووجد من المشاهدة معنى أفناه عن الاستعاذة به :

فقال : « لا أحصى ثناء عليك » ، فاحتشم من الاستعاذة به في محل بالقرب ، فالتجأ إلى الثناء عليه ، ومن لم يطق الاستعاذة التي هي حد العبودية ، فكيف يطيق الثناء وهو صفة الربوبية ؟ .

فذلك قال: « لا أحصى ثناء عليك » ثم احتشم أيضاً، من الثناء عليه في محل القرب، فأخرج نفسه من الثناء عليه بما أثنى الله تعالى، (به) على نفسه، قبل الخلق وحمد نفسه قبل حمدهم له، وشهد لنفسه بالوحدانية، قبل شهادتهم له
فقل: « أنت كما أثبتت على نفسك » .

وهذا حقيقة نهاية التقريب، وحقيقة التجريد: أن يتلاشى العبد كما لم يكن، ويكون الله تعالى كما لم يزل، فلو جمع جميع (إشارات) الواجدين والعارفين والمتحققين في التوحيد لم يبلغ عشر معشار ما أشار إليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في هذا المعنى.

وقيل أيضاً، معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، ولخرجتم إلى الصعدات، ولما تقاررتم على النرش » .
قالوا: لو أن الذي علم رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان من العلوم التي أنزل الله تعالى عليه، وأمر بإبلاغه لبايعهم ذلك، ولو علموا ذلك لم يقل: لو تعلمون ما أعلم، ولو علم أنهم يطبقون ذلك لعلمهم كسائر العلوم، ولو كان من العلوم المتعارفين الخلق أيضاً، نقالوا علمنا، بعد ما قال: لو تعلمون ما أعلم، لأن حقائق رسالته وما خصه الله تعالى به من العلم، لو وضعت على الجبال لذابت إلا أنه كان يظيها لهم على تدبيره لأن الله تعالى قال « فاعلم أنه لا إله إلا الله (١) » وول: « وقال: لو زدني علماً (٢) » .

وقال صلى الله عليه وسلم: « أنا أعلم بالله »، « لو تعلمون ما أعلم » وقد أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى معنى من معاني تخصيصه إشارة لا تدركها العقول، ولا تصل إليها الفهوم، وتعجز عنها علوم جميع الخلق، وهو قول النبي صلى

الله عليه وسلم : « استُ كَأحدكم إني أظلم عند ربي يطعمني ويقتيني » فلا يتهاى لأحد أن يخبر عن الذي أطعمه وسقاه ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم ، في علو مرتبته ما خص به من العلم بالله ، ولم يخبر عنه ولم يصفه .

وقيل في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في دعواته : « ا كفلني كفالة الوليد. لا تكلياني إلى نفسي طرفة عين، ووجهت وجهي إليك، وأجأب ظهري إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك » وما يشبه ذلك من دعواته أنه صلى الله عليه وسلم أظهر من نفسه اللجأ، وأظهر الفاقة إليه، والاستكانة بين يديه، بلا مشاهدة حركة من حر كاته، ولا إضافة فعل إلى نفسه .

قال أبو بكر الواسطي رحمه الله : وبصدق اللجأ وإظهار الفقر، وصدق الفاقة، تزينت السرائر .

وقيل في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم عند موته : « وا كرُباه » قالوا : يسرت المنية عليه لمبادرته إلى ملاحظ عند الموت من المراتب الرفيعة فقالوا : « وا كرُباه » من البقاء فيما بينكم شوقاً مني إلى اللقاء .

وسمعت محمد بن داود الدينوري المعروف بالدُّقِّي ، يقول : سمعت الجريري يقول : قيل للجنييد رحمه الله : ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم « وأنا سيدُ ولد آدم ، ولا فخر » فقال لي : هات أيش وقع لك في ذلك ، فقالت : معنى قوله « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » وهذا عطاؤه وأنا لا أفخر بالعطاء لأن فخري بالمعطي . فقال لي : أحسنت يا أبا محمد أو كما قال .

وسئل (الجنييد) عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في زينب امرأة زيد ، يدعى ابن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان ابن الدعاية لا ابن الولادة ، فأراد الله عز وجل أن يزوج بحليلته حتى يكون فرقاً بين أبناء الولادة وأبناء الدعاية .

٩٧ وقل الجنيد رحمه الله، في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «استغفروا الله وتوبوا إليه، فإني استغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة» أو كما قل، قالوا كان حال النبي صلى الله عليه وسلم مع الله تعالى: [زيادة] في كل نفس وطرفة عين، فكان إذا رقى به إلى زيادة حال أشرف من زيادته على حالته في النفس الماضي، استغفر الله من ذلك وتوب إليه.

وسئل الجنيد رحمه الله، أيضاً كما بلغني، عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «رحم الله أخي عيسى، عليه السلام لو ازداد يقيناً لمشي في الهواء» فقال: ٩٨ معناه والله أعلم: أن عيسى عليه السلام: مشى على الماء يقينه، والنبي صلى الله عليه وسلم مشى في الهواء ليلة المعراج بزيادة يقينه على يقين عيسى عليه السلام، فقال: «لو ازداد يقيناً» يعني لو أعطى من زيادة اليقين مثل ما أعطيت لمشي في الهواء، يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله.

٩٩ وسمعت الحصري رحمه الله، يقول في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إني مع الله وقت لا يعني فيه شيء غير الله عز وجل» فقال: إن صبح ذات من النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قل ذلك، أول صبح، فإن جمع أوقات رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت وقتاً لا يراه فيه [معه] غير الله بسره وقلبه، وكان كان يرد بصفاته إلى الخلق، حتى يذهبهم، ويعلمه، ويهري على صفاته التوحيديين الأحكام، لينتفع به الخلق، فإذا بدا على صفاته من أنوار سره، أخذ عن الخلق كما قالت عائشة، رضي الله عنها «التبته ليلة، فلم أجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في فراشه، فممت أطلبه، فوقعت يدي على قدميه، وهم مستحيين من رسول الله عز وجل، [وسمعت] وهو يقول: «أعوذ برفعتك من صعفت . . .» الخديث، فهذا هو الوقت الذي كان يبدو عن سره، والأنوار على صفاته، وإذا ردت الأنوار إلى سره، رد بصفاته إلى الخلق، لينتفعوا به، ووقفتوا به. معنى صفاته أي ظاهره، ومعنى سره أي باطنه.

باب في مستنبطاتهم في معاني أخبار مروية عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم من طريق الاستنباط والنهم

قال الشيخ رحمه الله : سمعت أبا الحسن : أحمد بن محمد بن سالم بالبصرة ، وقد سئل عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ما أطيب ما أكل الرجل : من كسب يده فقال له السائل : فمن مستعبدون بالاكتساب ، إذا ، فقال الشيخ رحمه الله : الكسب سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتوكل : حل الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإنما استن لهم الكسب ، لعلمه بضعفهم حتى إذا عجزوا عن التوكل الذي هو حاله وسقطوا عن مرتبته في التوكل ودرجته . وقعوا في الاكتساب التي هي منته ، ولولا ذلك لهلكوا .

وقيل في معنى ذلك : إن رفع العبد يده إلى الله تعالى ، فيدعوا الله تعالى ، فيجيبه ، أيكون ذلك كسب يده .

وسئل الشبلي رحمه الله : عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « جعل رزقي تحت ظل سيفي » فقال : كان سيفه : [التوكل على] الله تعالى ، وأما ذو الفقار ، فهو قطعة من حديد .

ومثل ذلك في مستنبطاتهم كثير ، إن ذكرناه يطول الكتاب .

وأما ما كان من مستنبطاتهم في غير هذا المعنى ، من الحديث ، فهو كما سمعت أبا عمرو عبد الواحد بن علوان ، برحبة مالك ابن طوق ، قال : سأل رجل الجنيد رحمه الله ، وأنا عنده جالس عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لو توكلتم على الله حق توكله لغذاكم كما يغذا الطائر ، تغدو وخصاصاً وتروح بطاناً » وهو ذاترى أنه الطائر يطير في طاب الرزق ، من موضع إلى موضع ، ويتحرك ، ويطلب وينبعث

فقال الجنيد رحمه الله : قول الله تعالى : (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها) (١) وإنما طيران الطير ، وحركته من موضع إلى موضع ، ونقطة من مكان إلى مكان من أجل الزينة التي ذكر الله تعالى ، فقد جعل الله ، تعالى ، طيرانهم للزينة التي ذكر الله تعالى ، لا لطلب الرزق .

١٠٣ ووجدت في كتاب عمرو بن عثمان المكي رحمه الله في معنى قول النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » وكذلك إجابة جبريل عليه السلام حين سأل عن الإحسان فقال : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » فقال عمرو بن عثمان رحمه الله : [معنى قوله] : « كأنك تراه » شيء بين شيئين : بين رؤية ويقين ، فلم يخرجها ، صلى الله عليه وسلم ، إلى رؤية عين ولم يردّها إلى صفة يقين ، وإنما مثل له مثل يدل على نورية من نهايات حقائق الإيمان ، وبذلك طاب حارثه ، إن صح الخبر ، وما كان كأن بمعنى أن وليس هو أن ولكنه قد قرب من معنى الرؤية في تغليب المصاهدة عند حضور القلب ، ومدانها إلى موارثه العمود فهذا أصل الحجة على مشاهدة القلوب .

١٠٤ وسئل أبو بكر الواسطي ، رحمه الله عن معنى قول النبي ، صلى الله عليه وسلم « جبل ولي الله تعالى على السخاء وحسن الخلق » فقال : أما السخوة من ولي الله تعالى : أن يهب نفسه وقلبه لله ، عز وجل .

وسئل الشبلي رحمه الله ، عن معنى ما روي في الحديث : « إن المؤمن إذا حررت قوتها اطمانت » فقال : إذا عرفت من قوتها اطمانت ثم قرأ قوله ، عز وجل « وكان الله على كل شيء مقبلاً » (٢) .

- ١٠٥ وسئل الجنيد ، رحمه الله عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « حبك
أشياء يعنى ويصم » فقال : حبك للدنيا يعنى ويصم عن الآخرة .
- ١٠٦ وسئل الشبلي ، رحمه الله ، عن معنى ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه
قال : « إذا رأيتم أهل البلاء فسلوا الله ربكم العافية » ، فقال : أهل البلاء
أهل الغفلة عن الله تعالى ، وسئل أيضاً ، عن معنى حديث النبي صلى الله عليه وسلم
الذى روى عنه ، أنه قال : « حرام على قلب عليه زبانية [من الدنيا : أن يجد حلاوة
الآخرة » فقال : صدق صلى الله عليه وسلم أن قال ذلك ، وأنا إذا أقول : حرام
على قلب عليه زبانية [من الآخرة أن يجد حلاوة التوحيد .
- ١٠٨ وسئل محمد بن موسى القرظاني ، رحمه الله ، عن معنى قول النبي صلى الله عليه
وسلم ، لأبي جحيفة : « يا أبا جحيفة ، سأل العلماء ، [وخالف الحكماء وجالس
الكبراء] » فقال : « سأل العلماء » بالحلال والحرام ، وخالف الحكماء الذين
يسلكون بها على طريق الصدق والصفاء [والإخلاص] ، وجالس الكبراء
الذين عن الله ينطقون ، وإلى ربوبيته يشيرون ، وبنور قربه ينظرون .
- ١٠٩ وسئل سهل بن عبد الله ، رحمه الله ، عن [معنى] قول النبي صلى الله عليه
وسلم : « المؤمن من تسره حسنته وتسوءه سيئته » قال : حسنته : نعم الله وفضله ، وسيئته
نفسه إن وكل إليها .
- ١١٠ وسئل سهل ، أيضاً عن معنى قوله ، صلى الله عليه وسلم : « الدنيا ملعونة ،
ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى » قال : ذكر الله في هذا الموضع الزهد في الحرام ،
وهو : أن يكون إذا استقبله حرام بذكر الله ، تعالى ، ويعلم أن الله مطلع عليه فيجتنب
ذلك الحرام .
- ومثل هذا كثير من مستنبطاتهم في معنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكره فيه طرفاً منه ، فيه كفاية ، إن شاء الله تعالى .

فإن قال قائل : هل تجد للاستنباط في القرآن والحديث وغير ذلك أصلاً في العلم
 فيقال : نعم ، قول النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه ، وهم [عنده] مجتمعون ،
 ١١١ وفيهم عبد الله بن عمر ، رضى الله عنه ، وهو أحدثهم سنًا ، فقال : النبي ، عليه
 الصلاة والسلام : « أيُّما شجرة تُشبه ابن آدم ؟ » قال فوقع الناس في أشجار
 البادية ووقع في قلبى أنها النخلة واستحييت أن أحيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فسكت حتى قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « هي النخلة » قال ابن عمر
 ١١٢ رضى الله عنه : فقلت لعمر رضى الله عنه : لقد كذبت أن أقول أنها النخلة ، فقال
 عمر رضى الله عنه : إن قات ذلك كان أحب إلى من حمر النعم . أو كما
 في الخبر .

والحجة في ذلك : أن أحداً لم يستنبط من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام
 معنى ما سألهم عنه رسول الله عليه الصلاة والسلام إلا عبد الله بن عمر رضى الله
 عنه ، وهو أصغرهم سنًا ، وكذلك الاستنباط في هذه المعاني على مقدار ما يفتح الله
 تعالى للقلوب من غيبه ، وبالله التوفيق .

كتاب الصحابة رضوان الله عليهم

باب في ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومعانيهم رضي الله عنهم

قال الله تعالى ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (١) فقد وقع اسم السابقين على جميع بظاهر الآية مع رضا الله تعالى عنهم وشهد لهم بأنهم راضون عنه ، والسابقون هم المقربون بنص الآية ، وقد ذكرنا تخصيص الأبرار من أهل الجنة في باب الموازنة لكتاب الله عز وجل .

فأما قوله تعالى ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ فقد قال الله تعالى في آية أخرى (ورضوان من الله أكبر) قال ذو النون ، رحمه الله : [يعنى] أكبر وأقدم حين قال : رضي الله عنهم ورضوا عنه ، في سابق عمه فلذلك امرضاهم له وأرضاهم حتى رضوا عنه .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»

وقد ذكر الله تعالى التسميم بالنجوم من الكواكب ، والنجوم ما يهتدى به في البر والبحر لأكبره ونثرة ضوءه ونوره ، فلذلك شبه بهم بالنجوم ولم يشبههم بالكواكب ، لأن الكواكب هي الصغار التي لا يهتدى بها . ثم دل على الاهتداء بالاعتداء بهم ولم يخص الاعتداء ، يعني دون الآخر ، فعلمنا أن الاعتداء بهم في الاعتداء [بهم] في جميع معانيهم الظاهرة والباطنة .

(٢) التوبة : ٧٢

(١) النوبة : ١٠٠

فأما الظاهر فمشهور عند العلماء والنقهاء ، في علم الحدود والأحكام والحلال والحرام ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أرحم أمتي بأمتي ١١٤ أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وأقرأهم في دين الله عمر رضي الله عنه ، وأصدقهم حياء عثمان رضي الله عنه ، وأفضهم زيد رضي الله عنه ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل رضي الله عنه ، وأقرأهم أبي بن كعب رضي الله عنه ، وأقضاهم علي رضي الله عنه ، وما أظلت الخضراء ، ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر رضي الله عنه » .

١١٥ وأما الباطن فنبداً بمبدأ به رسول الله عليه الصلاة والسلام بقوله : « اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما » .

فنبداً بأبي بكر ثم من بعد أبي بكر بعمر .

وبلغني عن أبي عتبة الخلواني رحمه الله ، أنه قل : ألا أخبركم عن حل كان عليها أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام ؟ أولها : لقاء الله تعالى كان أحب [إليهم] من الحياة ، والثانية : كانوا لا يخفون عدواً قلوباً أو كثروا ، والثالثة : لم يكونوا يخافون عوزاً من الدنيا ، وكانوا واثقين برزق الله تعالى ، والرابعة : إن بدأ بهم الطاعون لم يبرحوا حتى يقضى الله فيهم ، وكانوا أخوف ما يكونون من الموت أصح ما يكونون .

وعنكي عن محمد بن علي الكنتاني رحمه الله ، أنه قل : كان الدس في القلوب الإسلامية يتعاملون بالدين حتى روف الدين ، ثم تعامل القرن الثاني بالله حتى ذهب الوفاء ، ثم تعامل القرن الثالث بالمروءة حتى ذهب المروءة ، ثم تعامل القرن الرابع بالحياء حتى ذهب الحياء ، ثم صار الناس يتعاملون بالرغبة والرغبة .

باب ذكر أبي بكر الصديق رضي الله عنه وتخصيصه من

بين رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأحوال التي تعلق بها

أهل الصفوة من هذه الأمة وتخلق

بذلك واقتدى به

رَوَى عَنْ . طَرْفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ : أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَوْ نَادَى مِنْ السَّمَاءِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا [هُوَ] ، وَلَوْ نَادَى مِنْ السَّمَاءِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ لَخَفْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ، قَالَ طَرْفٌ رَحِمَهُ اللَّهُ : هَذَا وَاللَّهِ أَكْبَرُ الْخَوْفِ ، وَأَكْبَرُ الرَّجَاءِ .

وَحُكِيَ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَطَاءٍ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ سَأَلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : كُونُوا رَبَّانِينَ (١) آيَةً ، قَالَ : مَعْنَاهُ كُونُوا كَأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَإِنَّهُ نَبَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اضْطَرَبَتْ أَسْرَارُ الْمُؤْمِنِينَ كَثِيرًا لِمَوْتِهِ وَلَمْ يُؤْثِرْ ذَلِكَ فِي سِرِّ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَيْئًا ، وَخَرَجَ وَقَالَ لِلنَّاسِ : [يَا أَيُّهَا النَّاسُ] مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ مَاتَ وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعَالَى فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، فَحُكِمَ الرَّبَّانِيُّ أَنْ يَكُونَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ لَا تَتَوَثَّرُ الْحَوَادِثُ فِي سِرِّهِ شَيْئًا وَلَوْ كَانَ فِيهِ انْقِلَابٌ الْخَائِقِينَ .

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْوَاسِطِيُّ ، رَحِمَهُ اللَّهُ : أَوَّلُ لِسَانِ الصُّوفِيَّةِ ظَهَرَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى لِسَانِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِشَارَةٌ ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهَا أَهْلَ الْفَهْمِ لَطَائِفَ تَوْسُوسٍ فِيهَا الْعُقْلَاءُ .

١١٦ قل الشيخ ، رحمه الله : وهذا الذي أشار إليه الواسطي في قوله : أول لسان الصوفية ظهرت على لسان أبي بكر رضي الله عنه ، فذلك قول أبي بكر رضي الله عنه لأنه حين خرج من جميع ملكه قل له النبي صلى الله عليه وسلم : « أيش خلقت لعيالك » قل : الله ورسوله ، فقال : الله ، ثم قال : ورسوله ، واعمرى إياها إشارة جلية لأهل التوحيد في حقائق التفريد ، غير أن لأبي بكر الصديق رضي الله عنه إشارات غيرها مستخرجة منها لطائف غير ذلك .

وهي معلومة عند أهل الحقائق ومنهومة للعنق والتخلق بها ، منها قوله حين بعد المنبر بعد ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واضطربت قلوب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخشوا على ذهب الإسلام بموته صلى الله عليه وسلم ، وخروجه من بين ظهرانيهم ، فقال : من كان يعبد منكم محمد صلى الله عليه وسلم فإن محمداً صلى الله عليه وسلم قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت .

واللطيفة في ذلك ثباته في التوحيد وما ثبتت به قلوب الجماعة من الصحابة رضي

الله عنهم .

١١٧ ومنها قوله يوم بدر للنبي صلى الله عليه وسلم حيث [كان] يقول : « اللهم إن ههنا أهالك هذه العصاة لم تعبد في الأرض [من بعد ذلك] فقتل أبو بكر رضي الله عنه : دع مناشدتك ربك ، فإنه والله منجز لك ما وعدك ، أو كما قال : اللهم أنت الله تعالى : (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا لا يفرقوا قلوب الذين كفروا الرعب) (١) فخص بحقيقة التصديق له ، ثم قال : من نصر من النصر من جميع الصحابة [عد اضطراب قلوبهم] فدل على حقيقة إيمانه وحصونه به . فإن قال قائل : فما معنى تغير النبي صلى الله عليه وسلم وثبت أبي بكر رضي الله عنه ، وهو أتم من أبي بكر ، رضي الله عنه ، في جميع الأحوال ؟

فيقال : لأن النبي صلى الله عليه وسلم أعلم بالله من أبي بكر ، رضى الله عنه ، وأبو بكر رضى الله عنه ، أقوى إيماناً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فثبتت أبي بكر ، رضى الله عنه ، من حقيقة إيمانه بما وعد الله تعالى ، وتغير النبي صلى الله عليه وسلم من زيادة علمه بالله تعالى ، لأنه يعلم من الله ما لا يعلم أبو بكر ، رضى الله عنه ، ولا غيره .

ألا ترى أنه صلى الله عليه وسلم [كان] إذا اشتد هبوب الريح تغير لونه [ولم يتغير لون واحد من أصحابه] .

وقال : « لو قدمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، وخرجتم إلى الصعدات تجاردين إلى الله تعالى ، ولما تقاررتهم على فرشكم » .

ولأبي بكر الصديق رضى الله عنه [أيضاً] خصوصية في الإلهام والفراسة [من بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم] في ثلاثة مواضع :

أحدها : حين انفق رأى الجميع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ترك مقاتلة أهل الردة على مع انزكاة ، وثبت أبو بكر ، رضى الله عنه ، على قتالهم ، وقال : والله لو لمعروني عقلاً مما كانوا يترددون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه [بالسيف] ، فأصب رأيه [وقالوا] : إن الإصابة في رأيه مع خلافه لهم فيما أشاروا عليه ، ورجع الجميع إلى رأيه حيث رأوا الصواب معه .

والثاني : عند خلافه رأى جمهور الصحابة فيما رأوا من رد جيش أسامة ، وقوله : والله لا أحمل عقداً عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والثالث : قول أبي بكر رضى الله عنه لعائشة رضى الله عنها : أنى كنت نخلتك نخلًا وإنما هو أخوك وأختك ، وما عرفت [عائشة] إلا أخوين وأختًا ، وكانت

لأبي بكر رضي الله عنه جارية حبلى فقال : لقد ألقى في روعي أنها أنثى فهذا أنعم ما كان في الفراسة والإلهام .

١٩٩ وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى »
ولأبي بكر رضي الله عنه معان أخر مما تعلق بها أهل الحقائق وأبواب القلوب
وإن ذكرنا جميع ذلك طال الكتاب .

وقد حُكي عن بكر بن عبد الله المزني أنه قال : ما فاني أبو بكر ، رضي الله عنه ،
جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة الصوم والصلاة ، ولكن بشيء
كان في قلبه .

قال بعضهم : الذي كان في قلبه الحب لله عز وجل والصيحة له .

ويقال : إن أبا بكر رضي الله عنه كان إذا دخل وقت الصلاة يقول : يا بني آدم
قوموا إلى ناركم التي أوقدتوها فأطعموها

٢٢٠ وروى [عنه] أنه أكل طعاماً من شبهة فلما علم به تقيماً ، وقال : والله لو لم تخرج
إلا مع روعي لأخرجتها ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن من أذى
نارا فالتار أولى به » .

[وكان يقول : ووددت أن أكون خضراء تأكلني الدواب ، ولم أخلق مخافة الحساب
ويعول يوم الحساب .

وروى عن أبي بكر الصديق أنه قال : ثلاث آيات من كتاب الله عز وجل
اشتغلتُ بها عماسواها إحداهما : قوله « وإن يمسسك الله يضر فلا كلف لك إلا عسر
« إن يردك بخير فلا راد لفضله » فعلمت أنه إن أرادني بخير لم يقدر أحد أن يرمي
عني غيره ، وإن أرادني بشر لم يقدر أحد أن يصرف غيره .

والثانية: قوله «اذكروني اذ كُرم» فاشتغلت بذكر الله تعالى عن كل مذکور سوى الله .

والثالثة: قوله «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا» (۱) فوالله ما هممت برزق من ذقرأت هذه الآية .

ويقال: إن هذه [الآيات] لأبي بكر الصديق رضي الله عنه:

يا من ترفع بالدينا وزينتها
أيس الترفع رفع الطين بالطين
إذا أردت شريف الناس كلهم
فانظر إلى ملك في زى مسكين
ذاك الذي عظمت في الناس رأفته
وذاك يصلح للدينا والدين

[وحكى عن الجنيد أنه قال: أشرف كلمة في التوحيد قول أبي بكر سبحان من

يعمل للخلق طريقاً إلى معرفته إلا العجز عن معرفته].

باب فی ذکر عمر بن الخطاب

رضی اللہ عنہ

قال الشيخ ، رحمه الله : وأما عمر بن الخطاب ، رضی اللہ عنہ ، فإنه قد روى عن
 ۱۲۱
 النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لقد كان في الأمم محدثون ومكلمون فان يك
 في هذه الأمة فعمر ، رضی اللہ عنہ » سئل بعض أهل الفهم عن المحدث ، فقال :
 أعلى درجة من درجات الصديقتين ، ودلائل ذلك ظهرت عليه وهو ما ذكره
 أنه كان يخطب فصاح ، فقال في وسط خطبته : يا سارية اجبل ، وسارية
 في عسكر على باب نهاوند ، فسمع صوت عمر ، رضی اللہ عنہ ، وأخذ نحو الجبل
 وظفر بالعدو .

وقيل لسارية : كيف عمت ذلك ؟ فقال : سمعت صوت عمر ، رضی اللہ عنہ ،
 يقول : يا سارية اجبل اجبل .

وروى عن أبي عثمان الهدي أنه قال : رأيت على عمر ، رضی اللہ عنہ ، قيص فيه
 اثنا عشر رقعة ، وهو يخطب .

وروى عن عمر ، رضی اللہ عنہ ، أنه قال : رحمه الله امرني أن أهدي إلى بيته .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « الشيطان يكفر من عمر
 رضی اللہ عنہ » .

وقال عمر رضی اللہ عنہ : من خاف الله تعالى لم يشن عيظه ، ومن اتقى الله لم
 يفعل كما يريد ، وإلا القيامة لكان غير ما ترون .

ويقال : أنه أخذ تبنه من الأرض فقال : ياليتني لم تلدني أمي ، ياليتني كنت هذه التبنه ، ياليتني لم أك شيئاً .

وقد روى عن عمر ، رضى الله عنه ، أنه قال : ما ابتليت ببلية إلا كان لله [على] فيها [أربع نعم : إذ لم تكن في ديني ، وإذ لم تكن أعظم منها ، وإذ لم أحرم الرضا فيها ، وأن أرجو الثواب عليها .

وقال عمر ، رضى الله عنه : لو كان الصبر والشكر بعيرين ، لم أألى أيهما ركبت . وجاء رجل إلى عمر ، رضى الله عنه ، فشكا إليه المقر فقل : عندك عشاء ليلتك : قل : نعم ، قل : لست بفقير .

وروى عن عليّ ، رضى الله عنه ، أنه قال : ما على وجه الأرض أحد أحب إلى أن ألقى الله تعالى بمثل صحيفته إلا هذا المسجى عمر ، رضى الله عنه .

قال : ورأى عليّ ، رضى الله عنه ، يوماً عمر ، رضى الله عنه ، وهو يحدو في وقت الهاجرة ، فسأله عن عدوه ، فقل : [قد] أغير على إبل الصدقة فرحت أء و في طلبها ، قال : فقال عليّ : رضى الله عنه : لقد أتعت الخلفاء بعدك يا أمير المؤمنين .

قال الشيخ ، رحمه الله : ولأهل الحقائق أسوة وتعلق بعمر ، رضى الله عنه ، بمعاني خص بذلك عمر ، رضى الله عنه ، من اختياره لبس المرقعة ، والخشونة ، وترك الشهوات ، وإجتناب الشبهات ، وإظهار الكرامات ، وقلة المبالاة ، من لائمة الخلق عند انتصاب الحق ، ومحق الباطل ومساواة الأقارب والأبعد في الحقوق ، والتمسك بالأشد من الطاعات ، واجتناب ذلك ، مما روى عنه وببانه يطول .

وأما ما روى عن عمر ، رضى الله عنه ، أنه رأى جماعة جلوساً في المسجد فأمرهم بطلب الكسب ، والذي كتب به إلى سلمان ، فلعله غرف منهم عجزاً في جلوسهم وطمعهم في الناس ، أو غير ذلك ، [فلذلك أمرهم بطلب الكسب] لأن النبي

عليه الصلاة والسلام وأبا بكر وعمر ، رضى الله عنهما ، قد رأوا أصحاب
الصفّة ، وهم بنف وثلثماية ، ولم يكرهوا ذلك ، ولم يؤمروا بالخروج من المسجد
وطلب المعاش .

وروى عن عمر ، رضى الله عنه ، أنه قل لأخيه زيد بن الخطاب يوم أحد :
إن سئت نزع درعى هذه حتى تلبسها ، فقل له زيد : أنا أيضاً أحب السبحة كما
ألك تحب الشيادة ، وهذه إشارة عظيمة منهما تدل على حقيقة التوكل .

وأشبه ذلك كثيرة ، وفي القليل كفاية .

وقد روى عن عمر ، رضى الله عنه ، أنه قل : وجدت العبادة فى أربعة أشياء :
أولها : أداء فرائض الله تعالى ، والثانى : اجتناب محارم الله تعالى ، والثالث : الأمر
بالمعروف ابتغاء ثواب الله تعالى ، والرابع : النهى عن المنكر اتقاء غضب الله تعالى .

باب في ذكر عثمان رضي الله عنه

قال الشيخ ، رحمه الله : أما عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، فقد خص
 التمكن ، والتمكين من أعلى مراتب المتحققين ، ومما يتعلق به أهل الحقائق
 من أهل التصوف عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ما روى عن بعض المتقدمين
 [أنه سئل] عن الدخول في الساعات فقال : لا يصح إلا للأنبياء والصدّيقين ،
 والدخول في السعة التي هي من أحوال الصدّيقين أن يكون دخلا في الأشياء
 [خارجا منها وأن يكون مع الأشياء] باتما عنها .

كما سئل يحيى بن معاذ ، رضي الله عنه ، عن صفة العارف فقال : رجل كأن
 معه [باتم عنهم] .

وسئل ابن الجلاء ، رحمه الله ، عن النقيير الصادق فقال : يكون دخوله في الأشياء
 نقيير لا لنفسه .

وهذا وصف حال عثمان ، رضي الله عنه ، لأنه قد روى عنه أنه قال : لولا أني
 خشيت أن يكون في الإسلام ثلثة أسدها بهذا المال ما جمعته .

وعلاوة من يكون هذا حاله أن يكون الإنفاق أحب إليه من الإمساك ، والمخرج
 عنه أثر من الدخل كعثمان رضي الله عنه في تجهيز جيش العسرة وشرى بئر رومة
 حتى قل رسول الله عليه الصلاة والسلام : « ما ضر عثمان ، رضي الله عنه ، ما فعل
 بعد هذا » .

١٢٢

وروى عنه أنه بعث إلى أبي ذر ، رضي الله عنه ، بكيس فيها ألف درهم ،
 ودفعها إلى عبد له وقال : إن قبأها فأت حر لوجه الله تعالى ، فدل ذلك على أن
 أمواله كانت مستعدة لمثل هذه الجهات ولا يصح هذا الحال إلا لعبد كامل المعرفة ،
 سمعت ابن سالم رحمه الله يقول : قال سهل بن عبد الله ، رحمه الله : لا يصح الدخول

في السعة إلا لعبد يعرف الإذن إذا أذن الله له أن يُنفق أنفق على مقدار ما يأذن الله تعالى له ، وإن أمسكها أمسك على حسب ما يأذن الله تعالى له ، ويكون قيامه فيما يجمع الله عليه من الأمور للحقوق لا للحظوظ ، فيكون مثله كمثل الوكيل يتصرف في مال صاحبه تصرف المالكين يأذن رب المال ، وهو مكان صعب وقد غلط في ذلك خلق كثير بدعواهم هذا الحال وهم عبيد الدنيا ، وعندهم أمر من هؤلاء .

وقد حُكي عن مهبل بن عبد الله ، رحمه الله ، أنه قال : ربما يملك العبد الدنيا ويكون أزهد الخلق في زمانه ، فقيل له : مثل من ؟ فقال : مثل عمر ابن عبد العزيز .

وكان [رضى الله عنه أعنى عمر بن عبد العزيز] في خلافته يُميز بين الزيت الذى يُسرج لنفسه والزيت الذى يسرج للعامة ، وكان يضع مراجبه على ثلاث قصبّات ، وفي يده خزان الأرض .

فمن هنا غلط من غلط في تشريف الغنى على الفقر ، وذهب عليه أن هؤلاء لم يكونوا أغنياء بإعراض الدنيا ، ولا فقراء بما يعدون من الدنيا ، لأن غناهم بالله وفقرهم إليه .

ومما يتعلق به أهل الحقائق بعثمان ، رضى الله عنه ، ما روى عنه أنه حمل حزمة حطب من بعض بساتينه ، وكان له عدة ممالك ، فقيل له : لو دفعها إلى بعض عبيدك ، فقال : إني قد استطعت أن أفعل ذلك ، ولكن أردت أن أجرب نفسي هل تعجز عن ذلك ، أو هل تكره ذلك ، أو كما قال .

فدل ذلك أيضا [على] أنه كان لا يدع افتقاد نفسه ، وكان ينتقد رياضة نفسه مثلا يسكن إلى ما جمع إليه من الأموال لأنه ليس في ذلك كغيره .

وروى عنه : أنه كان يقرأ بالسبع الطول في ركعة واحدة خلف اللقاص وهو مفتح

رأسه باللؤلؤ .

وروى عنه أنه قال : ما تمّيتُ ولا تعنّيتُ ولا مسستُ ذكري بيمينى منذ
البعثت رسول الله عليه الصلاة والسلام .

و [عما يدل على] تخصّيصه بالتمكين والثبات والاستقامة ما روى عنه : أنه
يوم قُتيل لم يرح من موضعه ، ولم يأذن لأحد بالقتل ، ولا وضع المصحف من
حجره إلى أن قُتيل ، رضى الله عنه ، وسال الدم على المصحف واطّيح بالدم ، ووقع
الدم على موضع هذه الآية (نَسِيكَ كُفْرًا بِمِثْمُ اللَّهِ وَدَمِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ) .

والتمكين حل رفيع ، سمعتُ أبا عمرو بن علقمان يقول : سمعتُ الجنيد رحمه الله
ليلة من الليالي وهو [يقول] فى مناجاته : ألبى أتريد أن نخدعنى [عك] بقربك ،
أم تريد أن تقطنى عك بوصلك ، هيهات هيهات ؛ قلت لأبى عمرو : ما معنى
قوله : هيهات هيهات ؟ قال : التمكين .

وروى عن عثمان ، رضى الله عنه : أنه قال : وجدتُ الخير مجموعاً فى أربعة أوّلها :
تخصيب لى الله تعالى [بالنرافل] ، والثانى : الصبر على أحكام الله تعالى ،
والثالث : الرضا بتقدير الله عز وجل ، والرابع : الحياء من نظر الله عز وجل .

باب فی ذکر علی بن ابی طالب رضی اللہ عنہ

قال الشيخ، رحمه الله: وأما عليّ، رضي الله عنه، فإني سمعتُ أحمد بن عليّ الوجيهي يقول: سمعتُ أبا عليّ الرضا ذبّاري يقول: سمعتُ جنيداً رحمه الله يقول: رضوان الله على أمير المؤمنين عليّ، رضي الله عنه، لولا أنه اشتغل بالحروب لأفادنا من علمنا دنا معاني كثيرة، ذلك أمرٌ أعطى علم اللدني، والعلم اللدني هو العلم الذي خصّ به الخضر عليه السلام، قال الله تعالى (وعلمناه من السماء) (۱)

وقد سمعتُ بقصة الخضر وموسى عليهما الصلاة والسلام وقوله (إياك كن نستطيع معي صبراً) (۲) فمن ما هنا غلط من غلط في تفضيل الولاية على النبوة، وسد ذكر ذلك في باب الرّد عليّ من قول ذلك إن شاء الله.

ولأمير المؤمنين [عليّ] رضي الله عنه خصوصية من بين جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى جليلة، وإشارات لطيفة، وألفاظ مشروطة، وسيرة وبيان للتوحيد والمعرفة والإيمان [والعلم]، وغير ذلك، وحصل لغيره من العلم به أدل الحقائق من الصوفية، وإن ذكرنا ذلك كله طوله بالكاتب، ولا يمكن نذكر من ذلك طرفاً تكفي به عن التطويل إن شاء الله.

فمنها ما سئل أمير المؤمنين، رضي الله عنه، وقيل له: ما عرفتك بك؟ فقال: بما عرفني نفسه، لا تشبهه صورة، ولا يدركه باحس، ولا يمشي به في بيته في بعده، بعيد في قرأه، فوق كل شيء، ولا يقال شيء، ولا يقال شيء، فوقه، أمام كل شيء، ولا يقال شيء، فاحس من الله، ولا يقال ولا من شيء، ولا في شيء، ولا يشي، سبحانه من علمه ولا شكراً لله.

(۱) الكهف: ۶۵

(۲) الكهف: ۶۷

وكان أمير المؤمنين ، رضى الله عنه ، يقول فى خطبته : خلق الأشياء لا من شىء ، كان معه ، ولا عن شىء احذاء ، ولا عن شىء امثله ، فكل صانع فن شىء صنع ، وكل عالم فن بعد جهل علم ، والله تعالى عالم لا من بعد جهل .

وقوله فى الإيمان كما ذكره عمرو بن هند قل : سمعت علياً ، رضى الله عنه ، يقول : الإيمان يبدو لمظة بضاء فى القلب ، فكما ازاد الإيمان ازداد القلب بياضاً ، فاذا استكمل الإيمان ابيض القلب ، وإن الفراق يبدو لمظة سوداء فى القلب ، فكما ازدا الفراق ازداد القلب سواداً ، فاذا استكمل السواد القلب .

وقام رجل إلى على بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، فسأله عن الإيمان ، فقال : الإيمان على أربع دعائم : على الصبر ، واليقين ، والعدل ، والجهاد ، ثم وصف الصبر على عشر مقامات ، وكذلك اليقين والعدل والجهاد ، فوصف كل واحد منها على عشر مقامات .

فإن صح ذلك عنه فهو أول من تكلم فى الأحوال والمقامات .

وقيل لأمير المؤمنين ، رضى الله عنه : من أسلم الناس من سائر العيوب ؟ قال : من جعل عقله أميره ، وحذره وزيره ، والموعظة زمامه ، والصبر قائده ، والاعتصام بالتقوى ظهيره ، وخوف الله تعالى جلسه ، وذكر الموت والبلى أنيسه .

وقال على ، رضى الله عنه ، فى حديث كميل بن زياد : ها إن هاهنا علم لو وجدت له حملة وأشار إلى قلبه ، فكان تخصيصه من بين الصحابة بالبيان والعبارة عن التوحيد والمعرفة ، والبيان من أتم المعانى وأعلى الأحوال قال الله تعالى : (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس) وقال تعالى : (هذا بيان للناس) (١) .

ولا يبلغ العبد كمال الشرف إلا بالبيان لأنه ليس كل من عقل يعلم ، ولا كل

من علم یحسن أن یبین ، فاذا أعطی المبدؤ العقل والعلم والبیان فقد بلغ إلى السکال ،
والمشهور عن أصحاب رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم أنهم كانوا إذا أتکلم علیهم
شیء من أمور الدین سألوا علیاً ، رضی اللہ عنہ ، فكان یبین لهم الذی یشکل علیهم .

وروی عن علی ، رضی اللہ عنہ ، أنه کان یقول : أحب حبیبک هو ما ، کما
یکون بغیضک هو ما ما ، وأبغض بغیضک هو ما کما یشکر حبیبک یوما ما .

ووذکر عنہ أيضاً : أنه وقف علی باب الخزانة - خزانة الأمراء - وقال : یا صغیرا ،
ویا بیضاء غری غری .

وذکر عنہ أيضاً : أنه لبس قیصاً شراه ثلاثة دراهم ، فقطعه من رأس اصبعه .
وذکر عنہ أنه عمل بأحرق ، فأخذ أجرته مئداً من تمر ، ووصل ذلك إلى رسول اللہ
صلی اللہ علیہ وسلم تقوت به .

وروی عنہ أنه قال لعمر بن الخطاب . رضی اللہ عنہ : إن أردت أن تلقی صاحبک
فرقع قیصک ، وخصف نعلک ، وتصر أمک ، وكل دون الشبع .

وروی عن عمر ، رضی اللہ عنہ ، أنه قال : لولا علی ، رضی اللہ عنہ ، ما کان عمر
ویقل : أنه لما قتل ، رضی اللہ عنہ ، صدق الحسن ، رضی اللہ عنہ ، من الکوفة

وقال : یا أهل الکوفة ، قد تلى بین ظهرا بیکر أمير المزمین ، رضی اللہ عنہ ، والله
إنه مخلص من الدنيا شیئاً إلا أربواة درهم . وكان قدسوا لها لیشتريهم حذواً بئسوا .

ویقل : إن عاریاً ، رضی اللہ عنہ ، کان إذا جاء وقت الصلاة کان یعززه
فیقل له : مالک یا أمير المزمین ؟ فقل : جاء وقت الصلاة برمود اللہ تلی علی

السموات والأرض وأغبال قارئین أن یحمانم وأنشعق من وحلم الإنسان ، فلا أدری
أحسین أداء ما احدثت أم لا ؟

وقل علی ، رضی اللہ عنہ : ما أنا ونفسی إلا کراعی غم کما ضمها من جانب
انفشرت من جانب .

وعلى ، رضى الله عنه ، أشباه ذلك كثير من الأحرار والأخلاق والأفعال التي
يتعلق بها أرباب القلوب وأهل الإشارات وأهل المواجيد من الصوفية ، فمن ترك
الدنيا كلها وخرج من جميع ما يملك وجلس على بساط التفر والتجريد بلا علاقة
فإمامه فيه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، ومن أخرج بعضها وترك البعض أحيائه
ولصاة الرحم وأداء الحقوق فإمامه [فيها] عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ومن جمع
الله ومنع الله وأعطى الله وأنفق لله فإمامه [فيها] عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ومن
لا يهتم حول الدنيا ، وإن جمعت عليه من غير طلبه رفضها وهرب منها فإمامه في ذلك
علي بن أبي طالب رضى الله عنه .

وروى عن علي ، رضى الله عنه ، أنه قال : الخير كله مجموع في أربعة : الصمت
واللطف والنظر والحركة ، فكل نطق لا يكون في ذكر الله تعالى فهو لغو ، وكل
صمت لا يكون في فكر فهو سهو ، وكل نظر لا يكون في عبادة فهو غفلة ، وكل
حركة لا تكون في تعبد الله فهي فترة ، فرحم الله عبداً جعل نطقه ذكراً وصمته
فكراً ونظرة عبادة وحركته معبداً ، ويسلم الناس من لسانه ويده .

باب صفة أهل الصفة رضوان الله عليهم أجمعين

قال الشيخ ، رحمه الله : ثم إن أهل الصفة كانوا كما جاء في الخبر فيك وثقتهم لا يرجعون إلى تدع ولا إلى ضرع ولا إلى تجارة ، وكانوا كلهم في المسجد وهم يمشون المسجد ، وكان رسول صلى الله عليه وسلم يثأرهم ويجلس معهم وأكل معهم وشمت الناس على كرامتهم [ومعرفته] فضاهم .

وقد ذكره الله تعالى في مواضع من القرآن منها قوله عز وجل : (الأنقرأ ، يتبين أحصرُوا في سبيل الله) (١) الآية ، وقوله : (ولا تطرد الذين يدعون ربهم وهم أغبر) الآية ، وقوله : (وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم) (٢) الآية .

وقد عاتب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم فيهم ، قال الله عز وجل : (عسى وتنبأ أن جاءد الأعمى) (٣) ، قال : نزلت في شأن ابن أم مكتوم ، رضي الله عنه ، وكان من أهل الصفة ، فكان إذا رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يقول : « يا من عاتبني فيه ربي عز وجل :

ويقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يقوم من مجلسه إذا جلس أهل الصفة حوله حتى يقومون ، وكان إذا صدقهم لم ينزع يده من أيديهم يقومون ، وكان يفرقهم على أهل الجادات والسعة على كل واحد على مقداره ، يبعث بهم ثلاثاً ، ومع الآخر الأربعة والخمسة ، قال فرموا كأن ينقلب سعد من يداه في يدهم الله عنده ، بثانين منهم إلى بيته فيطعمهم .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون في بيوتهم

(٢) الكهف : ٢٨

(١) البقرة : ٢٧٤

(٣) عبس : ١ - ٢

منهم من لا يبلغ ركبتيه ، فإذا ركع أحدهم قبض يديه مخافة أن تبدو عورته .
وقال أبو موسى الأشعري ، رضى الله عنه : كان يشبه رائحة رائحة الشاة من
نفس العباء .

وقال عبد الله بن طلحة : صحبنا جماعة أهل الصفة يوماً فقنا : يا رسول الله ،
أحرق بطوننا التمر ، وحرمت علينا الجيفة ، فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فصعد المنبر ثم قال : « ما بال أقوام يضحون ويقولون أحرقوا بطوننا التمر ، أما
علمتم أن هذا التمر [إنما] هو طعام أهل المدينة ، فقد واسوا به ، فواسيما كم مما واسونا
به ، والذي نفس محمد بيده أن منذ شهر أو شهرين لم ترتفع من [بيت] رسول الله
دخان الخبز وليس لهم غير الأسودين التمر والماء . »

والعنى في ذلك أن رسول الله عليه الصلاة والسلام اعتذر [في ذلك] إليهم . ولم
يرد عليهم شكائهم ، ولم يأمرهم بطلب المعاش [من الإكتساب والتجارات] ،
وقد روى في الخبر أن النبي عليه الصلاة والسلام وقف على جماعة من أهل الصفة وقد استتر
بعضهم ببعض من ، العرى وقارىء يقرأ عليهم القرآن وهم يبكون ، وأما غير أهل
الصفة فقد روى عن كل واحد منهم ما انفردوا به وخصوا به من الأحوال الرضية
والأعمال الزكية ومكارم الأخلاق ما تعاق بها أهل الحقائق من التصوفة وطلب
الاهتداء ، في الاقتداء بهم ، ويكثر ذكر ذلك ولا يمكن تذكر طرفاً ليستدل بذلك
على ما لم نذكره إن شاء الله تعالى .

باب فی ذکر سائر الصحابة فی هذا المعنی

قال الشيخ، رحمه الله: وأما علة بن عبید الله، رضي الله عنه، فقد روى عن زياد بن حدير أنه قال: رأيت طاحه بن عبید الله، رضي الله عنه، فارق مائة ألف في مجلس وإنه ليخيط طرف إزاره بيده.

وأما معاذ بن جبل، رضي الله عنه، فقد روى عنه الحارث بن عميرة، قال: إني جالس عند معاذ بن جبل، رضي الله عنه، وهو يهود بنفسه ويقول: أخفق خذتك فوعدتك أي لأحبك.

وأما عمران بن حصين، رضي الله عنه، قال: وددت أني كنت تراباً تدرى الريح ولم تخلق مخافة العذاب.

وقال ثابت البناني، رحمه الله، أنه - يعني عمران بن حصين، رضي الله عنه - اشكى طله ثلاثة وثلاثين سنة، فدخل عليه أصحابه يهودونه فقالوا: يهودون الدخول عليك طول شكايك، قال: لا تتعوا ذلك [إن أحسنه] أي أحبه إلى.

وأما سلمان الفارسي، رضي الله عنه، فقد قيل: إنه لما نزلت جند البصرة من جهنم لم يعد لهم أجمعين^(۱) صاح صحبة ووضع [يده] على رأسه، ثم خرج هارباً ثلاثة أيام، وفي الخبر أن سلمان، رضي الله عنه، زار أبا الدرداء، رضي الله عنه، من العراق إلى الشام راجلاً وعليه كساء غليظ مضموم رأس شاحباً، فقبل له شهرت نفسك، فقال: الخير خير الآخرة وإنما أما عبد أليس كما يليس العميد، فإذا اعتقت لبست جبة لا بتلاء محامنها.

وأما أبو الدرداء ، رضى الله عنه ، فإنه قال : كنت امرءاً تاجراً فى الجاهلية ، فلما أسلمت أردت أن أجمع بين التجارة والعبادة فلم تبتسعا لى ، فأثرت العبادة على التجارة ، قال : وسئلت أم الدرداء ، رضى الله عنها ، عن أفضل عبادة أبى الدرداء ، رضى الله عنه ، فقالت : التذكار والاعتبار .

وأما أبو ذر ، رضى الله عنه ، فإنه روى عند أنه قال : إن قيامى بالحق لله تعالى لم يترك صديقاً ، وإن خرفى من يوم الحسب ما ترك على بدنى لحم ، وإن بقيت بثواب لله تعالى ما ترك فى بيتى شيئاً .

ويروى عنه قول : قتلى هم يوم لم أدركه ، فقليل له : وما ذلك ؟ قال إن أمتى جاوز أجل ، ووددت أن الله تعالى خلقنى شجرة تعضد .

ودعى أبو ذر ، رضى الله عنه ، إلى ولية فسمع صوتاً فأنصرف ودو يقول : من أكثر سواد قوم فهو منهم ، ومن رضى عمل قوم فهو شريكهم .

وحمل حبيب بن مسامة إلى أبى ذر ، رضى الله عنه ، ألف درهم فرد عليه وذلك : عند ما عنز نحلبها ، ومركوب يسارع على ظهرها ، فلا حاجة لنا فى غير ذلك .

وأما أبو عبيدة بن الجراح ، رضى الله عنه ، فإنه روى عنه أنه خرجت فى كفه طعنة فى أيام الطاعون ، فعظم ذلك على أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام وفرقوا منها ، فأنقسم لهم أبو عبيدة ، رضى الله عنه ، ما يحب أن له مكنها حمر العم ، وجاء رجل إلى أبى عبيدة ، رضى الله عنه ، فسأله فرده ، ثم جاءه فسأله فأعطاه ، فقال : الذى أعطاك والذى ردك الله عز وجل ، [وقل أبو عبيدة : ووددت أن أكون كبشاً لأهدى فيه عرق لحمى ويتجنى فرقى ولم أخلق]

وأما عبد الله بن مسعود، رضى الله عنه فإنه روى عنه أنه كان يقول: يا حبنا المكر ودمان الموت والنقر فما أبلى أيهما ابتدئت، وروى أن في بيته كانت عُدش الخطاطيف: وكان له منون ثقيل له: لو نقضت هذه العشائش، فقال: والله لئن نقضت يدي من تراب قبورهم - يعني أولاده - أحبُّ إليَّ من أن أكسر من عشائش هذه الخطاطيف بيضه واحدة.

وأما البراء بن مالك فقد روى عن أنس بن مالك، رضى الله عنهما، أنه قال: دخلت على البراء بن مالك، رضى الله عنه، وقد مل برجايد على الخيل وهو يتربص به لشعر فقلت: يا أخى أبعث الإسلام والقرآن لا تقول: يا أخى ديوان العرب، ثم قال: أتراى أموت على فراشى وقد قنات تسعة وتسعين ميلاً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى ما أشركت [فيه]، فلهذا كان يوم شجيرة قرية مشيرة قال أبو موسى الأشعري، رضى الله عنه: سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول: «كم من ذى طمرين لا يزيد له من أنفسه على أنه لأرده، منهم البراء بن مالك» رضى الله عنه، فقال البراء: اللهم ذنى نفسي عما ارتضى الشريعة وابتغى أصحابى النصح، قال: فاستشهد البراء، وفتح الله عليه.

١٢٨

وأما عبد الله بن العباس، رضى الله عنه، فإنه روى عنه أنه كان يقول: إن الجحاش مجاس في قعر بيتك حتى لا تتركى ولا تتركى بهى من أوتار الله تعالى لينتلى بالعبد النقر ثم قال: دعاه به ووقل: إن ما أوتار الله [كان مثل شران العبل من كثرة الدمع، يعني أنه من أوتار الله وهو الذى] عند أنه قال: لأن أوقع ثوباً فأيسد فيه معنى عند الخلق أحبُّ إليَّ من أن أفسد ثوباً تضعه فى عند الخلق، وترفعه عند الخارقين.

وأما كعب الأحبار، رضى عنه، فقد روى أنه قال: إن يديا أشرف الأحرار

حتى يكرهون المدحة والثناء ، وأن ينالوا الملامة في الله تعالى ، وقال كعب ، رضى الله عنه : لن يستكمل العبد أجر الحج والجهاد حتى يصبر على الأذى .

١٢٩ وأما حارثة ، رضى الله عنه ، فقد روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من أراد أن ينظر إلى عبد نور الله تعالى الإيمان في قلبه فليُنظر إلى حارثة ، رضى الله عنه » .

وأما أبو هريرة ، رضى الله عنه ، فإن ثمانية بن أبي مالك قال : رأيت أبا هريرة ، رضى الله عنه وهو يحمل حزمة حطب وهو يمشي خليفة مروان بن الحكم ، فقال : أوسع الضريق الأميريا ابن أبي مالك ، فقلت : أصلحك الله تكفى هذا ، فقال : أوسع الطابق للأميريا ابن أبي مالك ، وروى عنه أنه بكى لما حضرته الوفاة . فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : بعد المفازة ووقلة الزاد ، وضعف اليقين ، وعتبة كثرود ، والمهبط منها إلى الجنة أو النار ، وقل أبو هريرة ، رضى الله عنه : جزأت الليل ثلاثة أجزاء ثلثاً أصلي وثلثاً نام وثلثاً أستذكر [فيه] حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام

وأما أنس بن مالك ، رضى الله عنه ، فروى عنه أنه قال : إن أدل من يرد الحوض يوم القيامة الذابلون السالمون الذين إذا جنهم الميل استقبلوه بحزن .

وأما عبد الله بن عمر ، رضى الله عنه ، فروى عنه أنه كان يقول : ما كنا ننام ونحن عزّاب في أيام رسول الله عليه الصلاة والسلام إلا في المسجد ، ولم يكن لنا مسكن ولا مأوى ، وروى عنه أنه قال : لا نجيب أبداً إلا من تقي بدينه ، وكان يقول : ولا تطعموا طعامكم إلا كل تقي [تقي] ولا تأكلوا إلا من طعام تقي تقي ، وعن ابن عمر رضى الله عنه أنه قال : إنما سلط على ابن آدم من يخاه ، ولو لم يخف ابن آدم إلا الله لم يسلط الله تعالى عليه شيئاً .

وأما حذيفة بن اليمان ، رضى الله عنه ، فروى عنه أنه قال : إن أقرّ يوم لعيني ليوم

إذا رجعت إلى أهلي فيشكون إلى الحاجة ، وقل حذيفة رضى الله عنه : كم من شهوة ساعة أورثت صاحبها حزماً طويلاً ، ودعى حذيفة إلى مائدة فرأى عليها رضى العجم فانصرف ، وهو يقول : من تشبه بقوم فهو منهم .

وأما عبد الله بن جحش ، رضى الله عنه ، فروى سعيد بن المسيب ، رحمه الله ، قال : قال عبد الله بن جحش ، رضى الله عنه ، يوم أحد : اللهم إني أقسم عليك أن ألقى العدو ، وإذا أقيمت العدو أن يقتلوني ثم يبقررا بطني ثم يمثلوا بي ، فإذا لقيت قتلت : فبم قتلت ؟ وأقول : فيك ، قل : فلقى العدو فقتل وغفل به ذلك .

وأما صفوان بن محرز المازنى فإنه كان يقول : إذا أويت إلى أهلي وأصبت رغيفاً كتته فجزى [الله] لدنيا عن أهلها شراً ، وما زاد على ذلك إلى أن خرج من الدنيا ،

وأما أبو فروة فإنه رجل من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام كان مولياً لبنى سليم سار ميلاً لم يذكر الله تعالى فيه فرجع حتى [سار فيه] ذاكر الله تعالى ، فلما بلغ منتهاه قل : اللهم لا تنس أبافروة [فإن أبافروة] ليس ينساك .

وأما أبو بكر رضى الله عنه فإنه أغمى عليه عند قبر فصرخوا عليه فاما أفق قل : ما من نفس تخرج ولا نفس دابة [إلا وهى] أحب إلى من نفسى ، قيل له : ولم ؟ قال : إني أخاف أن أبقى إلى زمان لا أمر فيه بالمعروف ولا نهى عن المنكر .

وأما عبد الله بن رواحة ، رضى الله عنه ، فذكر عنه أنه بكى فبكت أمه ، فقال لها : ما بك بكى ؟ قالت إنك بكيت فبكيت ، قال : إني أرى آتى وارى النار ولم أنبأ آتى صادر .

وأما تميم الدارى فذكر عنه أنه قام ليلة إلى الصبح يبكى ويقرأ هذه الآية (أم حسب الذين اجترأوا السيئات) الآية .

وأما عدى بن حاتم ، رضى الله عنه ، فروى عنه أنه ربما كان يفت الخبز للنمل
ترجماً عليهم .

وأما أبو رافع ، رضى الله عنه ، مولى رسول الله عليه الصلاة والسلام فقد روى
عن ابن عمر ، رضى الله عنه ، أنه قال : قال رجل : يا رسول الله أى الناس أفضل ؟
قال « كل مخموم القلب صدوت المسان » قيل : يا رسول الله ، وما مخموم القلب ؟ قال :
« الذى اتقى الله لا كدر فيه [ولا بى] ولا حسد ، الذى شأ الدنيا ونحب
الآخرة » قلنا : فما نعرف فيما [مثل] ذلك غير أبى رافع مولى رسول الله عليه الصلاة
والسلام ورضى الله عنه .

وأما محمد بن كعب ، رضى الله عنه ، فإنه ذكر عنه أنه قال : إنا أراد الله بعبد
خيراً [جبل فيه ثلاث خال] فقهه فى الدين ، وزهده فى الدنيا ، وبصره
عيوب نفسه .

وأما زرارة بن أوفى ، رضى الله عنه ، فإنه روى عنه أنه أم فى مسجد بنى قشير
فقراً (فإذا أقمير فى الساقور فذلك يومئذ يوم عسير) (١) فخر ميتاً .

وأما حنظلة الكاتب ، رضى الله عنه ، فإنه روى عنه أنه قال : كنا عند رسول
الله عليه الصلاة والسلام فذكرنا الجنة والنار حتى كأنها رأى العين ، فعدت إلى
أهلى فضحكك وتميت الناس فقلت : فاهق حنظلة ، فقال أبو بكر ، رضى الله عنه :
مالك ؟ فأخبرته ، فقال : إنا لمفعله أيضاً ، فذهب حنظلة إلى النبي صلى الله عليه
وسلم فذكر له ذلك ، فقال : « يا حنظلة ، لو كنتم فى بيوتكم كما تكونون عندى
لصاغتكم الملائكة على فرشكم » أو كما قال « باحنظلة ساعة وساعة » .

وأما اللجاج - قال الشيخ : وكنيته أبو كثير هكذا فى كتاب أبى داود السجستاني -

صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه روى عنه أنه قال : أسلمت مع النبي صلى الله عليه وسلم وأنا ابن خمسين سنة ، ومات الحاج وهو ابن عشرين ومائة سنة ، وذل : ماملت بطنى من طعام منذ أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، آكل حسبي وأشرب حسبي .

وأما أبو جحيفة ، رضى الله عنه ، فإنه روى عنه أن امرأته استخبأت ثلاثين درهماً فقسيتها حتى مضت لها سنة ، ثم إنهما ذكروها ، فقل لها : يا أخت هذا عدى بنس حشوة البيت أنت ، لو مت لعدت عند الله من الكافرين ، إن نبي الله صلى الله عليه وسلم مات ، وعنده بين أعيننا جديداً ، لم يترك ديناراً ولا درهماً ولا فلساً ولا برا ولا شعيراً .

وأما حكيم بن حزام ، رضى الله عنه ، فإنه روى عنه أنه قال : ما أصبحت ذا صباح قط لم أر عدى طاب حابة ولا مستعباً على أمر إلا عدته من الحساب التي أسأل الله تعالى الأجر عليها .

وأما أسد بن زرارة ، رضى الله عنه ، فإنه روى عنه أنه اشتري فرساً من أبي هريرة بن أسد بن أبي عايه الصلاة والسلام لما بلغه ذلك « إن أسد بن زرارة قال » .

٣٤

وأما بلال وصهيب رضى الله عنهما ، فإنه روى عنهما أنهما أتيا فقه بنى العرب فخطبا إليهم فقبل لهما : من أنما ؟ فقالا : بلال وصهيب ، فحمد الله وحمد رسول الله تعالى ، وكنا ممنركين فاعتقنا الله تعالى ، وكنا ممنركين فعتقنا الله تعالى ، فحمد الله وإن تردونا فسبحان الله ، فقالوا : تزوجنا واحداً منكما فمهره بلال : هلا ذكرت مشاهد وسداً بقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بلال : أسكت فقد صدقت فأسحك الصدق .

وأما عبد الله بن ربيعة ونصيب بن عمر ، رضى الله عنهما ، فهما أحسن ما

قال عبد الله : كنت أنظر إلى مصعب فتدمع عيني رقة عليه ، وكنت رأيتُه بكفة في الرفاهية وكان على رأسه ثلثة من الشعر ، قال : فكنت أمر إلى بعض حيطان المدينة فأعمل في السواني إلى الأدي على مد من التمر فأحمله إلى مصعب من عمر ، ومر مصعب يوماً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قطعة حيس ، فأكل بعضها ، وحمل النصف الآخر إلى عبد الله ابن ربيعة .

١٣٥.

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بين عبد الرحمن بن عوف وبين سعد بن الربيع ، رضى الله عنهما ، وكان لسعيد امرأتان فقل سعد : أقاسمك مالي وأنزل عن إحدى امرأتى حتى تزوج بها ، فلم يفعل ذلك عبد الرحمن ، وقال : دلوني على السوق ، فدخل السوق وكسب حتى جمع شيئاً من التمر والسمن والأقط ، وروى عنه أنه نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد أهله شيئاً فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب إلى أهله ، ووضع بين يديه الطعام ، وقال لامرأته : أطمئني السراج ، وجعل يمد يده كأنه يأكل حتى أكل الضيف الطعام ، فلما أصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد عجب الله تعالى من صنعتكم إلى ضيفكم » ونزلت هذه الآية (وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) (١)

١٣٦.

١٣٧.

وروى عن [ابن] عمر رضى الله عنه ، أنه [قال] : أهدى لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة ، فقال : إن أخى كان أحوج إليه منى ، فبعث إليه ، فلم يزل يبعث الواحد إلى الآخر حتى تناوله سبعة أبيات فرجعت إلى الأول ، قال ونزلت فيهم هذه الآية (وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) .

١٣٨.

قال الشيخ ، رحمه الله تعالى : ومثل هذا كثير في الأخبار عن الصحابة
وما منهم أحد إلا وله مخصص في معان من هذا النوع الذي ذكرنا ، والمؤمنون
مندوبون إلى التعلق بمثل هذه الأفعال والتخلق بأخلاقهم فيما أتوا به من أنواع
الطاعات ونطقوا به من [أنواع] الحكيم . وقد ذكرنا القليل من الكثير
والمراد من هذه الأخبار التي ذكرناها عن هؤلاء الصحابة : إشارةً وطفقةً تخصيصاً
لأهله ، وله بيان وشرح كشرح مَنْ تقدم ذكره في أول الباب باب الأئمة
الأربعة : أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ، رضى الله عنهم أجمعين ، ولا يخفى على
المتأمل والمتدبر بالنظر فيه بيان ذلك إن شاء الله تعالى .

كتاب آداب التصوفة

باب في ذكر الآداب

قال الشيخ ، رحمه الله : قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِبُوا نَارًا) (١) وروى عن ابن عباس ، رضي الله عنه ، أنه قال في تفسيره :
يعنى أدبهم وعلمهم تقوهم بذلك من النار ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال : « ما نجلّ والدٌ وأفضل من أدب حسن » وروى عن النبي عليه
الصلاة والسلام أنه قال « أن الله أدبني فأحسن أدبي »

قال الشيخ ، رحمه الله : موضع تخصيصه بالأدب من جملة الأنبياء ، عليهم السلام
بقوله فأحسن أدبي ، وإلا فجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا ممن أدبهم
الله تعالى .

وروى عن محمد بن سيرين أنه سئل : أى الآداب أقرب إلى الله تعالى ، وأزكف
للعبد عنده ؟ قال : معرفة ربوبيته ، وعمل بطاعته ، والحمد لله على السراء ، والصبر
على الضراء .

وقيل للحسن بن أبى الحسن البصرى رحمه الله : أ كثر الناس تعلم الآداب فما
أنفعها عاجلا ، وأوصلها آجلا ؟ قل : التفقه فى الدين فإنه يصرف إليه قلوب
المتعلمين ، والزهد فى الدنيا فإنه يقربك من رب العالمين ، والمعرفة بما لله عليك
يحويها كمال الإيمان .

وقال سعيد بن المسيب ، رحمه الله : من لم يعرف ما لله تعالى عليه فى نفسه ولم
يتأدب بأمره ونهيه ، كان من الأدب فى عزلة .

وقال كلثوم الغسانی : أدبان أدب قول وأدب فعل ، فمن رفق لنفسه في أدبه بقوله عدم ثواب العمل ، ومن تقرب إلى الله تعالى : بأدب فعله منححه محبة القلوب ، وصرف عنه العيوب ، وجعله شريكاً في ثواب المتعلمين .

وروى عن ابن المبارك ، رحمه الله ، أنه قال : نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم ، وقال ابن المبارك ، رحمه الله ، أيضاً : الأدب لاعارف بمنزلة التوبة للمستأنف .

قال الشيخ رحمه الله : الأدب سند للفقراء ، وزين للأغنياء ، والناس في الأدب متفاوتون وهم على ثلاث طبقات : أهل الدنيا ، وأهل الدين ، وأهل الخصوصية من أهل الدين ، فأما أهل الدنيا فإن أكثر آدابهم في الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم ، وأسما الملوک ، وأشعار العرب ، ومعرفة الصنائع .

وأما أهل الدين فإن أكثر آدابهم في رياضة النفوس ، وتأديب الجوارح ، وطهارة الأسرار ، وحفظ الحدود ، وترك الشهوات ، واجتناب الشبهات ، وتحرير الطاعات ، والمصارعة إلى الخيرات .

وقد حكى عن سهل بن عبد الله رحمه الله أنه قال : من قهر نفسه بالأدب فهو يعبد الله تعالى : بالإخلاص ، وقال سهل أيضاً رحمه الله : أستعنوا بالله على أمر الله فصبروا على أدب الله تعالى ويقال : إن أفضل الآداب التوبة ، ومنع النفس عن الشهوات ، وسئل بعضهم عن أدب النفس فقال أن تعرفها الخبر من غير أن تعرفها الشر فتزجرها عنه ، ويقال : إن الأدب كمال الأئمة لا كمال الصالحين والصدّيقين .

قال الشيخ رحمه الله : فأما أدب أهل الخصوصية من أهل الدين فإن أكثر آدابهم في طهارة القلوب ، ومراعاة الأسرار ، والوفاء بالعقود بعد العهود ، وحفظ الوقت ، وقلة الانتفات إلى الخواطر والعوارض والبوادي والظواهر ، واستواء السير

مع الإعلان ، وحسن الأدب في مواقف الطلب ومقامات القرب وأوقات الحضور
والقرب والدين والوصلة .

سمعت أحمد بن محمد البصرى رحمه الله يقول : سمعت الجلاحلى البصرى
يقول : التوحيد موجب الإيمان فمن لا إيمان له لا توحيد له ، والإيمان موجب
الشرعية ، فمن لا شرعية له لا إيمان له ولا توحيد له ، والشرعية توجب الأدب
فمن لا أدب له لا شرعية له ولا توحيد .

وسئل أبو العباس بن عطاء رحمه الله : ما الأدب في ذاته ؟ فقال ؟ الوقوف مع
المتحسّنات ؟ فقال : أن تعامل الله تعالى بالأدب سرا وإعلاناً ، فإذا كنت كذلك
كنت أدبياً وإن كنت أعجمياً ، ثم أشد بن عطاء في هذا المعنى .

إذا نطقتُ جاءت بكلِّ ملاحظٍ وإن سكنتُ جاءت بكلِّ جميلٍ

قال الشيخ رحمه الله : فالصوفية لهم آداب في سفرهم ، وآداب في أوقاتهم
وآداب في سكوتهم وحرّكاتهم ، وهم مختصون بها من غيرهم ومعروفون
بها عند أشكالهم وعند أبناء جنسهم ؛ يعرف بذلك تفاضل بعضهم على بعض ،
وبهذه الآداب تميز بين الصادقين والكاذبين والمدعين والمحققين ، وقد بينا طرفاً
من آدابهم في كل باب من هذه الأبواب التي ذكرنا على الاختصار لينظر الناظر
فيه ، ويقف على ذلك إن شاء الله تعالى :

باب آدابهم في الوضوء والطهارات

قال الشيخ رحمه الله ، فأول آداب يحتاج إليه في باب الوضوء والطهارات : طلب العلم وتعلّمه ، ومعرفة الفرائض والسنن ، وما يستحب وما يكره من ذلك ، وما أمر به وما نذّب إليه وما رغب فيه للنضية .

وتفصيل ذلك لا يوقف عليه إلا بالعلم والسؤال ، والبحث عاينه ، والاشتمال له حتى تأتي به على موازنة الكتاب والسنة ، بالاحتياط ، والتباعد الأحسن والأتم . وترك الملامة وترك الإنكار باقلب على من لم يأخذ بالاحتياط بالأشياء : لأن الله تعالى : يحب أن يؤخذ برخصه ، كما يحب أن يؤخذ بعزائه ، وسر السليم لهم أشغال وأسباب لا بد لهم من السعي فيها والاهتمام بها ، فإن أخذوا برخصه وما فيه السعة فيهم معذورون .

وأما المتصوفة ومن ترك الأسباب ، وخرج عن الأشتمال ، وهو من جملة المعذورين ، والزهد ، فلا عذر له في ترك التوقى والاحتياط بالاحتياط والأتم في أبواب الطهارة والمطافاة ، فمن ليس له شغل في ذلك فمعه أن يبذل مجهوده على قدر استطاعته في ذلك ، قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا استعظموا » (١) وقد رأيت جماعة كانوا يحددون الوضوء ، لكن صلاتهم ، فيقومون بالوضوء قبل دخول وقت الصلاة حتى إذا فرغوا من وضوئهم يكونوا في الصلاة الصلاة متصلاً بفراغهم من الوضوء .

ومن آدابهم في ذلك أيضاً أن يكونوا ، إذا غسلوا الطهارة في وضوءهم .

وأصلهم في ذلك أنهم لا يدرون متى تأتيهم المنيّة ، قال الله تعالى :

(١) التغابن : ١٦

« فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » (١) يريدون بذلك إن جاءهم الموت بغتة يخرجوا من الدنيا على الطهارة .

سمعت الحصري رحمه الله ، يقول : ربما أنتبه بالليل فلا يحملني النوم إلا بعد ما أقوم وأجدد الوضوء ، قال الشيخ ، رحمه الله تعالى : وذلك أنه كان ينام على الطهارة ، فإذا أنتبه وقد قضت طهرته جدد ، فقد أدب نفسه بذلك أن لا يحمله النوم وهو على غير طهارة ، وكان شيخ من المشايخ الأجلة به وسوسة في الوضوء ، وكان يكثر صب الماء ، فسمعتة يقول : كنت ليلة من الليالي أجدد الوضوء لصلاة العشاء ، وكنت أصب الماء على نفسي حتى مضى شطر من الليل ، فلم يطب قلبي ، ولم يذهب عني الوسوسة ، فبكيت ، فقلت : يارب العفو ، فسمعت هاتفاً يقول : يا فلان ، العفو في العلم يعني في استعمال العلم .

وقال أبو نصر هو أبو عبد الله الروذباري رحمه الله :

ويقول إن الشيطان يجتهد في أن يأخذ نصيبه من جميع أعمال بني آدم فلا يبالي أن يأخذ نصيبه بأن يزدادوا فيما أمروا به ، أو ينقصوا منه ، وذكر عن ابن الكريبي ، وكان أستاذ الجنيد رحمه الله ، أنه أصابته الجذابة ليلة من الليالي ، وكانت عليه مرقعة ثخينة غليظة (كانت فرد كره وتخاريزه عند جعفر الخلدی وكان فيه أرطال قال) (١) فجاء إلى الشط ليلة ، وكان برد شديد ، فخرت نفسه عن الدخول في الماء لشدة البرد ، قال : فطرح نفسه في الماء مع المرقعة ، ولم يزل بغوص في الماء مع مرقعته ثم خرج من الماء ، وقال : اعتقدت أن لا أنزعها من بدني حتى تجف على ، قل : فلم تجف عليه شهراً كاملاً ، وأراد بذلك تاديباً لنفسه : لأنها حرنت عند الائتمار لما أمر الله تعالى به من غسل الجذابة .

(١) الاعراف : ٣٤

وكان سهل بن عبدالله رحمه الله ، يحث أصحابه على كثرة شرب الماء ، وقلة صب الماء على الأرض ، وكان يقول إن الماء له حياة ، وموته أن تصبه على الأرض ، وكان يرى أن في كثرة شرب الماء ضعف النفس وإماتة الشهوات ، وكسر القوة .

وأقام أبو عمرو الزجاجي رحمه الله ، بمكة سنين كثيرة وهو مجاور ، بها ، وكان إذا أراد أن يقضى حاجته يخرج من الحرم ، وهو مقدار فرسخ ، وكان لا يتغوط في الحرم ، كما بلغني ، ثلاثين سنة .

وكان إبراهيم الخواص رحمه الله ، إذا دخل البادية لا يحمل معه إلا ركوة من الماء ، وربما كان لا يشرب منها إلا القليل ، وكان يحتفظ بذلك للوضوء ، ويؤثر الوضوء بالماء على الشرب عند العطش .

قال الشيخ ، رحمه الله تعالى : ورأيت جماعة يمشون على شطوط الأنهار ، ولا يفارقهم الماء في ركوتهم ، أو في كوز ، وذلك أنه ربما كان يشتد بهم البول ، ولا يمكنهم الجلوس على شط النهر وكشف العورة من أجل الناس ، فإذا كان معهم ركورة أو كوز عدلوا إلى خلوة ، فيكون أصون لأنفسهم .

وكانوا يكرهون كثرة الدلك عند البول . لأنه ربما يسترخي العروق فلا يمسك البول . ويتولد منه التقاير المفرط . وكذلك تكره الشدة إلا عند عوز الماء والإضطرار . ولبس السراويل أحب [إلى] من الإزار بعد الطهارة . والإزار أفضل لنزعه عند التهيء . ويحتمل لبس جميع ما ينحز بشعر الخنزير نيل أو كبر ، وربما كان أو يابساً ، ولذلك اختاروا لبس العنق . ويقال إن الصوفي إذا رأته وليس معه ركوة أو كوز فاعلم أنه قد عزم على ترك الصلاة ، وكشف العورة ، شاء أو أبى . ورأيت من أقام بين ظهراي جماعة من النساك وهم مجتمعون في دار ، فإراه أحد منهم أنه كان قد أدب نفسه وعودها القيام إلى الحاجة في وقت واحد إذا خلا الموضع حتى

لا يراه أحد إذا دخل الخلاء أو خرج منه ، ورأيت أيضاً من كان قد عود نفسه وأديها حتى كان لا يخرج منه ريح إلا في وقت البراز وهو في البادية وفي مواضع الخلو ، وكان إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى ، يخرج من مكة وحده ، فيجىء إلى الكوفة ، فلا يحتاج أن يتيمم بالتراب ، وكان يحفظ الماء الذي يحمل لشربه حتى يتوشأ به .

وكان جماعة من الشيخ يكرهون دخول الحمام إلا في أوقات الضرورة فإذا اضطروا إلى ذلك لم يدخلوا إلا في حمام خال ، فإذا دخلوها لم يحضروا إزارهم إلى أن يخرجوا ، ولم يتركوا أن تسمهم القوام ويعطوهم طلعهم من غير أن يدنو منهم حتى يوسعرا عليهم الماء ، فإذا كانوا جماعة دلوكوا بعضهم بعضاً ، فإن كان في الحمام غيرهم استقبلوا بوجوههم الحائط حتى لا تقع أعينهم على عورات الناس ، وكان جماعة من المنتصرة إذا دخلوا الحمام لا يركبون أحداً يدخل معهم إلا بإزار :

والاستحباب : تنف الإبط وحق العانة ، يحسن لم يحسن الخلق فليتنور بيده في الخلو .

وكان أصحاب سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى يخلقون رءوسهم بعضهم لبعض كما يلغى عنهم .

وسمعت عسى القصار الدينوري رحمه الله تعالى ، يقول : أول من قص شاربي بيده الشبلي رحمه الله تعالى ، وكنت أخدمه ، قال الشيخ رحمه الله تعالى : وفرق الرأس اختاره جماعة للسنة ويكره ذلك للشباب ، ويحسن بالشيخ إن أرادوا بذلك استعمل السنة .

وكان يقول : بعض المشايخ هب أن النقر من الله تعالى ، فما بال الوسخ ، وأحب الأشياء إلى المتصوفة النظافة ، والطهارة ، وغسل الثوب ، والمداومة على السواك ، والنزول عند المياه الجارية والمضاء الواسعة والمساجد التي في الأطراف ، والخلو ،

والاغتسال في كل يوم جمعة في الشتاء والصيف ، والرائحة الطيبة ، وأطيب الطيب :
الماء الجاري ، والمداومه على الاغتسال ، وتجديد الوضوء ، وإسباغ الوضوء (١) .

وليس من الوسوسة ما يستقصي الإنسان في طهارته من التباعد وطلب الماء
الجاري ، وترك المياه المتغيرة ، والتفتيش على المواضع الظاهرة والاستقصاء على ذلك
للأعضاء الظاهرة ، وانتقاد الأعضاء الباطنة ، ومواضع التشريح والانضمام ، وإبلاغ الماء
الخياشيم ، وإمرار الماء على الأعضاء وجميع البشرة في العسل والوضوء وغير ذلك ،
والبس اتوفي والتنقي من الوسواس المنهي عنه أيضاً لأن جميع ذلك دخل في قوله :
« أتقوا الله أستطعمتم » .

وإنما الوسوسة المنهي عنها ما يخرجك عن حد العلم : وهو أن تشغلك الغفلة
عن الفرائض ، وأن تخالف العلم ، وتبطل صلاة من يتوضأ ببلد ، ويتعطل بالصوم ،
والصواب في ذلك أن يكن العبد في كل وقت بما هو أولى بالوقت ، إذا وجد
الماء فيسبغ وضوءه على الاحتياط حتى يطيب قلبه ، وإذا لم يجد الماء الرابع فيجب
أن يجدد الوضوء ، أو يتطهر بقليل من الماء كما روي في الخبر : أن النبي صلى
الله عليه الصلاة والسلام كما وايتوضون وضوءه ، لا يلبث منه التراب .

قل الشيخ رحمه الله ورأيت من كان على وجهه قرحة لم يمدح الله عليه
سنة : وذلك أن الماء كان يضره ، وكان لا يجد تجديد الوضوء ، عند كل صلاة ،
ورأيت من نزل ماء في عينيه ، فحسرا إليه الداوى ، وبذلك الداوى فحسرا إليه
أن يداويه ، فقال الداوى : يحتاج أن لا يمس الماء أيما عينه ، فحسرا إليه
قفاه ، فلم يفعل ذلك ، واختار ذهاب بصره على ترك الداوى ، والطهارة ، وكان

(١) من سنن الإسلام الجميلة ، ومن فروضه الواجبة في ظروف مختلفة التطهير . ولقد
أجاد المؤلف في هذه الفقرات كل الإفادة وكما يحب الله التواضع فإنه يحب المتطهرين

هذا أبو عبد الله الرازي المقرئ ، وحكى عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله أنه كان به قيام فقام في ليلة واحدة يقفا وسبعين مرة ، وكل مرة يجدد وضوءه ويصلي ركعتين ، ومات إبراهيم الخواص رحمه الله في جامع الري في وسط الماء ، وذلك أنه كان به علة البطن ، فكان يدخل الماء ويغسل نفسه ، فدخل مرة في الماء ليغسل نفسه ، فخرجت نفسه وهو في وسط الماء .

فهذا ما حضرني في الوقت من آداب أهل الصفوة من الصوفية في الوضوء

والطهارة ، وبالله التوفيق .

باب في ذكر آدابهم في الصلاة

قل الشيخ رحمه الله : وأما آدابهم في الصلاة فأزل ذلك : تعلم علم الصلاة ، ومعرفة فرائضها وسننها وآدابها وفضائلها ونوافلها ، وكثرة مساءلة العلماء ، والبحث عما يحتاج إليه في ذلك مما لا يسعه الجبل به : لأن الصلاة عماد الدين ، وقرّة عين العارفين ، وزينة الصديقين ، وتاج المقربين . ومقام الصلاة مقام الوصلة ، والدفن ، والهيبة ، والخشوع ، والخشية ، والتعظيم ، والوقار ، والمشاهدة ، والمراقبة ، والأسرار ، والمناجاة مع الله تعالى ، والوقوف بين يدي الله تعالى ، والإقبال على الله تعالى ، والإعراض عما سوى الله تعالى .

فأما العامة فلهم أن يقلدوا علماءهم ، ويسألوا فقهاءهم ، ويعتمدوا على أقوالهم من الرخص والسعات والفتوى والتأويلات التي أوسع الله تعالى ، للخلق .

فأما المتصوفة ، وأهل الخصوص الذين باينوا الناس ، وانحازوا عن جملة الناس بترك المكاسب ، وقطع العلائق ، وانقطعوا إلى الله عز وجل ، وعرفوا بالله وسبوا إلى الله ، فلا يسعون التخلف عن استعمال الآداب ، والاهتمام والتكاتف لأحكام الصلاة ، وتحوزها ، وأحكام فرائضها وسننها وفضائلها ونوافلها وآدابها ، لأنهم ليس لهم شغل غير ذلك ، ولا ينبغي أن يهتمهم أمر أكثر من اهتمامهم بأمر الصلاة .

فأول أدبهم من ذلك : أن يكون تأهبهم للصلاة قبل دخول وقت الصلاة حتى لا يفوتهم الوقت الأول الذي هو المختار ، ولا يمكنهم ذلك إلا بمعرفة الوقت الأول لكل صلاة ، ولا يقدر على ذلك إلا بمعرفة ، وعلم ، مع الوقوف على علم الزوال ، ومقدار ظل الزوال في كل وقت وأران في كل الأقطار ، وأن يعلم على كم تزول الشمس من قدم في كل وقت وكم يزداد وينقص ، ويعتبر ذلك بمقدار قاتمه إذا لم يكن معه

مقياس لذلك ، ويعلم ذلك في أي موضع كان يظل شخصه ، ويعتبر بقدمه ، وكذلك يحتاج إلى معرفة شيء من الجيوم ، ومنازل القمر وطلوعها وغروبها ونوبة طلوع كل نجم من منازل القمر ، حتى إذا نظر بالليل إلى الجيوم لا يخفى عليه ما مضى من الليل وما بقي إلى الصبح ، ويحتاج أيضاً إلى معرفة القطب والكواكب التي تستدل بها على القبلة ، ولا يصح له ذلك إلا بالاجتهاد ، ومعرفة سمت كل بلدة حتى أين تقع من الكعبة ، ولا يقف على صحة ذلك إلا بعد افتقاده ذلك بمكة ، ورجوعه إلى البلدة التي قد عرف أين يقع سمتها من الكعبة وأين كان ذلك في وقت معلوم من محاذات القطب والجدى والفرقدين ، وأما الجيوم السيارات فينبغي أيضاً أن يعلم ذلك ، للاستدلال والامتداد بالليل ، فإنه ربما يقع في المناور ، ويركب البحور فيحتاج إلى معرفة ذلك .

وكان سهل بن عبد الله رحمه الله ، يقول : علامة الصادق أن يكون له تبع من الجن إذا دخل وقت الصلاة يحثه على ذلك ، وإن كان نائماً يبهده .
ومنهج من يكون له أورد بالليل والنهار من العبادة والذكر وتلاوة القرآن على مر أيامه ، وتصبر عاقبة حتى لا يغاط في ذلك ليله ونهاره حيث ما كان .
وأما آداب لدخول في الصلاة ، بعد ما تأهب ، إذا دخل أول الوقت ، وأراد الدخول في الصلاة : فتحرّيمها بالكبيرة المقرونة بتكبير الإحرام مع النية من حيث لا نسبق النية التكبيرة ، ولا التكبيرة النية ويكونان معاً .

وقد حكى عن الجنيد رحمه الله أنه قال : لكل شيء صفوة ، وصفوة الصلاة التكبيرة الأولى ، والمعنى في ذلك أن التكبيرة الأولى هي مقرونة بالنية التي لا تجوز الصلاة إلا بها ، وهو عقدك بأن صلاكَ اللهُ عز وجل ، فإذا صح العقد فما دخل بعد ذلك في صلاتك من الآفات الباطنة لم يفسد الصلاة ، بل ينقص من فضلها ، ويبقى للمصلي عقدها ونيتها .

سمعت ان س لم رحمه الله تعالى ، يقول : النية بالله ، والله ، ومن الله والآفات التي تدخل في صلاة العبد بعد الية من العدو ، وهو نصيب العدو ، وإن نصيب العدو ، وإن كثر ، ولا يوازن بالنية التي هي بالله ، والله ، ومن الله ، وإن قلت

وسئل أبو سعيد الخراز رحمه الله ، كيف الدخول في الصلاة ؟ فقال : هو أن تُقبل على الله تعالى : كإقبالك عليه يوم القيامة ، ووقوفك بين يدي الله تعالى : ليس بينك وبينه ترجمان ، وهو مقبل عليك ، وأنت تاجيد ، وتعلم بين يدي من أنت واقف ؟ فإنه : الملك العظيم !!!

وقيل لبعض العارفين : كيف تكبير التكبيرة لأولى ؟ قل : ينبغي إذا قلت : الله أكبر ، أن يكون مصحوب قولك : « الله » : التعظيم مع الألف والهيئة مع التلام والمراقبة والتقرب مع الياء ، وقال آخر : إذا كبرت التكبيرة الأولى فاعلم أنه مظر إلى شخصك ، وعالم بما في ضميرك ، ومثّل في صلاتك الجنة عن يمينك ، والنار عن شمالك .

ومن آداب الصلاة : أن العبد إذا دخل في الصلاة فلا يكون في قلبه شيء غير الله الذي هو بين يديه حتى يعرف كلامه ويأخذ من كل آية ذوقها وفهمها ، لأنه ليس له من صلاته إلا ما عقل .

وقال أبو سعيد الخراز رحمه الله ، في كتاب له يصف آداب الصلاة ، فقل : إذا رفعت يديك في التكبير فلا يكن في قلبك إلا الكبرياء (١) ، ولا يكن عندك في وقت التكبير شيء ، أكبر من الله تعالى : حتى تنسى الدنيا والآخرة في كبريائه .

قال الشيخ رحمه الله : والمعنى في ما قل أبو سعيد الخراز رحمه الله أن العبد إذا قال الله أكبر ، ويكون في قلبه شيء ، غير الله فلا يكون صادقا في قوله الله أكبر ، ثم إنه

(١) أي لله تعالى

إذا أخذ في التلاوة فالأدب في ذلك : أن يشاهد بسمع قلبه كأنه يسمع من الله تعالى ، أو كأنه يقرأ على الله تعالى .

قال : أبو سعيد الخراز رحمه الله : وفيه العلم الجميل لأهل الفهم ، وإذا ركع فالأدب في ركوعه : أن يَنْصَبَ ويدنو ويتدلى حتى لا يبقى فيه مفصل إلا وهو منتصب نحو العرش ، ثم عظم الله تعالى حتى لا يكون في قلبه شيء . أعظم من الله عز وجل ويصغر نفسه حتى يكون أقل من النبياء . فإذا رفع رأسه وحمد الله يعلم أنه هو ذا يسمع ذلك ، وإذا سجد فالأدب في سجوده : أن لا يكون في قلبه عند السجود شيء ، قرب إليه من الله تعالى ، لأن أقرب ما يكون العبد عند ربه عند السجود ، فيجب أن ينزهه عن الأضداد بإسائه ، ولا يكون في قلبه أجل منه ، ولا أعز منه ، ويتم صلاته على هذا ، ويكون معه من الخشية والهيبية ما يكاد يذوب ، ولا يكون له في صلاته شغلٌ أكثر من شغله بصلاته حتى لا يشتغل بشيء غير الذي هو واقف بين يديه في صلاته ، وكذلك إذا تشهد ودعا وسلم ، كل ذلك يعقل ما يقول ، وما يخاطب ، ولئن يخاطب ، حتى يخرج من الصلاة بالعقد الذي قد دخل في الصلاة .

وهذا ما وجدت في كتاب أبي سعيد الخراز رحمه الله .

ورأيت جماعة كانوا يكرهون تطويل الصلاة ، ويحبون التحفيف بإدارة الوسواس حتى يخرج من صلاته على النية والعقد الذي دخل به فيها .

فصل آخر في آداب الصلاة

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وذلك أن العبد إذا كان متأدباً بأدب الصلاة ، قبل دخول وقت الصلاة ، فكأنه في الصلاة ، ويكون قيامه إلى الصلاة من حال لا يستنى عنه في الصلاة . وذلك أن من آدابهم قبل الصلاة المراقبة ، ومراعاة القلب من الخواطر والعوارض ، وذكر كل شيء غير ذكر الله تعالى ، فإذا قاموا إلى الصلاة بحضور القلب فكأنهم قاموا من الصلاة إلى الصلاة فيبقون مع الية والمقد الذي دخلوا به في الصلاة ، وإذا خرجوا من الصلاة رجعوا إلى حالهم من حضور القلب ، والمراعاة ، والمراقبة فكأنهم في الصلاة وإن كانوا خارجين من الصلاة فهذا هو أدب الصلاة .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قل ، « العبد في الصلاة ما دام ينتظر الصلاة » . فهذا هو الأدب لدى محتاج إليه المصلي في صلاته ، و هو انتظار الصلاة قبل الصلاة ، كما وصفت لك إن فهمت ذلك إن شاء الله تعالى .

وقد رأيت من إذا قام إلى الصلاة كان يحمر ويصفر وجهه عند التكبير الأولى من هبة الله تعالى ، ورأيت من كان لا يتهيأ له أن يحفظ العدد ، فكان يجلس واحداً من أصحابه ويعد عليه كم ركعة صلى : لأنه كان يراعى قلبه على ثبات العقد الذي دخل به في الصلاة فكان يخاف الغلط على نفسه لأنه كان لا يدري ما هو صلاتها ، فذلك كان يستعين بمن يعد عليه حتى يتيقن كم ركعة صلاتها .

وذكر عن سهل بن عبد الله أنه كان يضعف ، حتى لا يستطيع من موضعه ، حتى إذا دخل وقت الصلاة برد إليه قوته ، فيقوم في الخراب مثل الموت ، فإذا فرغ من صلاته يرجع إلى حالة ضعفه ، ولا يقدر أن يقوم من موضعه .

ورأيت من كان يسافر في البادية على الوحدة ، ولا يترك ورده من التطوع

وصلاة الليل والنضائل والسنن والآداب التي كان يستعمل في الحضر ، فكان
يقول : أحزاب هذه الطائفة ينبغي أن تكثر في السفر والحضر واحدة .

وكان أخ من إخواني يصطحب في مكان واحد ، فكانت عادته أنه إذا أكل
شئنا يقيم ويصلي ركعتين ، وإذا شرب الماء يقيم ويصلي ركعتين ، وإذا لبس
ثوباً يقوم ويصلي ركعتين ، وإذا دخل المسجد يصلي ركعتين ، وإذا أرا الخروج
من المسجد يصلي ركعتين ، وكذلك إذا فرح أو غضب يقيم ويصلي ركعتين .
وكان جماعة من أصحابنا يسافرون مع أبي عبد الله بن جابان رحمه الله تعالى ،
فحدثوني عنه أنه كان إذا بلغ إلى الميل في البادية وأراد التعقب (١) لا يجلس حتى
يصلي ركعتين .

ومن آدابهم أيضاً أنهم يكرهون الإمامة والصلاة في الصف الأول ، بمكة وغيرها ،
ويكرهون التطويل ، أما الإمامة ، فهو أن أحدهم يحفظ القرآن ، فإنهم يختارون
الصلاة خلف من يُحسّن أن يقرأ الحمد وسورة أخرى : لأن النبي صلى الله عليه وسلم
قال الإمام ضامن ، وأما ترك الصلاة في الصف الأول فإنهم يريدون بذلك أن
لا يزاخروا الناس ، ويضيقوا عليهم : لأن الناس يزدحمون ، ويطلبون الصف الأول :
لما جاء في الخبر من الفصيحة فيه ، يريدون بذلك إيثارهم ، وإذا كان الموضع خالياً
يفتخرون ذلك الفضل الذي جاء في الصف الأول .

وأما التطويل في الصلاة ، فكما طالت الصلاة كثرت الهفوات والوسواس ،
ولا اشتغال بتصحيح الأعمال أولى من الاشتغال بكثرتها وتطويلها ، وروى عن رسول
الله عليه الصلاة والسلام : أنه كان أخف الناس صلاة في تمام .

سمعت ابن علوان رحمه الله يقول : كان الجيد ، رحمه الله ، لا يترك أوراده من
الصلاة على كبر سنه وضعفه ، فقليل له في ذلك ، يقال : حال وصلت به إلى الله
تعالى : في بدايتي كيف يتهيأ لي أن أتركه في نهايتي .

(١) في إحدى النسخ تعليقا على هذه الكلمة : أن يعقب بأصحابه .

ومن آدابهم في الصلاة أيضاً: أن للصلاة أربع شعب، حضور القلب في الخيرات، وشهود العقل عند الودّاب، وخشوع القلب بلا ارتياب، وخضوع الأركان بلا ارتقاب، لأن عند حضور القلب رفع الحجاب، وعند شهود العقل رفع العتاب، وعند خشوع القلب فتّح الأبواب، وعند خضوع الأركان وجود الثواب، فمن أتى بالصلاة بلا حضور القلب فهو مصليّ لاهٍ، ومن أتاها بلا شهود العقل، فهو مصليّ ساهٍ، ومن أتاها بلا خشوع القلب فهو مصليّ خاطيء، ومن أتاها بلا خضوع الأركان فهو مصليّ جافٍ، ومن أتاها فهو مصليّ وافيّ.

فيذا ما حصرني في الوقت من آدابهم في الصلاة، وبالله التوفيق.

باب ذكر آدابهم في الزكوات والصدقات

قال الشيخ رحمه الله تعالى : أما آدابهم في الزكاة فإن الله تعالى جدّه لم يفرض عليهم الزكاة ، لأنه سبحانه قد زوى عنهم من أموال الدنيا ما يجب عليهم فيه الزكاة والصدقة .

وقد حكى عن مطرف بن عبد الله بن الشخير رحمه الله أنه قال : نعمة الله تعالى : [عليّ] فيما زوى عنى من الدنيا أعظم من نعمة الله تعالى : عليّ فيما أعطاني ، وكذلك أهل التصوف نعمة الله تعالى عليهم فيما زوى عنهم من الدنيا [أعظم من نعمته عليهم] فيما أعطاهم إن لو أعطاهم من الدنيا شيئاً كثيراً ، وقد قال في ذلك بعضهم وهو من أدلى الدنيا :

وما وجبت عليّ زكاة مالٍ وهل تجبُ الزكاةُ عليّ كريمٍ

يقتصر بذلك ويقول : لم تجب عليّ زكاة قط ، يريد أنه لم يترك حتى يجتمع عنده ماله يجب عليه فيه الزكاة .

وبالغنى عن إبراهيم بن شيبان رحمه الله أنه تلقى الشبلي رحمه الله وكان إبراهيم يهوى عن الذهاب إليه ، والوقوف عليه ، واستماع كلامه ، فقال للشبلي رحمه الله ، وأتراد [بذلك] أن يمتحه : كم في خمس من الإبل ؟ قال : شاة في واجب الأمر ، وفيها ينزفنا نحن : كلها ، يعني : فيما ندعيه من مذهبنا . فقال له إبراهيم : ألك في هذا إمام ؟ قال : نعم ، أبو بكر الصديق رضي الله عنه حيث خرج من ماله كاه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ما خلفت نبيك ؟ فقال : الله ورسوله ، فقام ، ولم يبق منه الناس بعد ذلك عنه .

فأما آداب جماعة من المتصوفة في الزكاة : أنهم لا يأكلون منها ، ولا يطلبونها ،

ولا يأخذونها وقد أباح الله تعالى لهم أخذها ، وإن أكلوا منها أكلوا حلالاً طيباً إلا أنهم يريدون بترك ذلك إيثار الفقراء ، وترك المزاحمة للضعفاء وأهل الحاجات .

ويقال : إن محمد بن منصور صاحب أبي يعقوب السري رحمه الله عليه كان إذا أعطوه شيئاً ، أو حُمِلَ إليه شيء من الزكاة والصدقة وكفارة اليمين ، وعلم أنها من هذه الجهات ، لم يأخذها ، ولم يفرقها على أصحابه من الفقراء ، ويقول : شيء لأرضه لنفسي ، لا أرضاه لأصحابي ، وإذا حُمِلَ إليه ولم يعلم أنه من الزكاة والصدقة أخذها وأكل منها .

وأما الباقون فكانوا لا يرون الانبساط في مثل ذلك ، ولا يداؤن أنفسهم بالطمع وإلى السراة وإلى ما يرون فيه للمنة ، وإن جاءهم من غير مسألة فزكاهم يتعففون عن ذلك ، وقد بلغني عن بعض إخواننا من الصوفية أنه كان يفتق عن إخوانه من الفقراء ، فقراء الصوفية ، في كل سنة ، كما زعموا ، أنه إذا كان يحاف أنه ما أنفق عليهم ولا دفع إليهم درهما قط من زكاته وقد رأيت .

وحكى عن أبي علي المشطوي أنه كان يفتق على الصوفية ما يوجبون به زكاة مصر ، ويقولون : ما لنا لا يفتق بفقته (١) ، وقتل : إردنا زكاة مصر زكاة قط .

وسمعت بعض الأجلة من مشايخ الصوفية وهم يقولون : إن إخواني يفتقون من رجل من الأغنياء مودة مؤكدة ، ويكون له في قاي محبة وحرمة ، فيذكرني عند

(١) لعل العبارة كما يلي ، كان يفتق على الصوفية ما يتعجب منه تجار مصر ويقولون أموالنا لا تفتق بفقته .

اسمها في جملة من كان يأخذ الوظيفة [من الجبراية
في رمضان .

وقال بعضهم : من أخذ من الله تعالى ، أخذ بهز
أخذ بذل ، ومن ترك لله عز وجل ترك بهز ، ومن ترك
شئ من أمره على غير هذا في الأخذ والإعطاء ، فهو على
علم الخاطئ ، من المصيب ، ولا يخفى على الله شيء .

(١) يعني فإنك إن فعلت ورددته فإنما ترده على الله

مكتبة سير الدين رازی
الطبعة الأولى



وتصدق من يأخذ الله ويعطى الله ، ويترك الله ، هو أن يستوى عنده المذبح والعطاء
والشدة والنعماء .

وطبقة أخرى اختاروا الزكوات والصدقات على الهدايا والهبات والإيثار والمواساة .
فقالوا : قد جعل الله تعالى للفقراء حقا في أموال الأغنياء ، فإذا أخذنا أخذنا حقا
التي جعل الله تعالى لنا ، فلا معنى لتركه ، وقالوا : لا نختار على ما اختار الله تعالى
لنا ورسوله ، وقالوا : الامتناع من أخذ الزكاة والصدقة ضرب من تعزيز النفوس
وكرهية النقر ، وتدحكي في معنى ذلك عن أبي محمد المرتضى أنه كان في مجلس من أصحابه
من الأغنياء والتجار فنظر إلى رجل ومعه خبز تصدق به على المساكين والسائلين وقد رددوا
عليه ، قال : فقدم المرتضى من بين أصحابه ، وقصد حمله ، وأخذ من ذلك الخبز وخبز
وجاء ، وحلس ، فسئل عن فائدة ذلك ، فقال : خشيت إن لم أفهم ، وأخذ معهم
من ذلك الخبز ، أن ينجى اسمي من ديوان الفقراء .

وقد روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لا تسئل الصدقة عنى »
ولا لدى امرأة سوي « فإذى كره المتصرفة أخذ الزكاة والصدقة » كرهه الفقهاء
لأن النبي عليه الصلاة والسلام ، قال : « ليس الغنى عن الصدقة الكسوف ، إنما الغنى
غنى النفس أو القلب .

فبؤلا ، وإن كانوا فقراء ، من أعراض الدنيا فيسبوا أسبى من لا يملكه ، قالوا :
بالحق عز وجل .

وقد حكى في معنى ما قلنا أن علي بن سهل الأنباري قال : قال علي بن
يوسف إلى أصحابنا شيئا من أجل أنهم قالوا : لا يملك الغنى عن الصدقة ، بل
غناهم بالله عز وجل .

وقالوا : يشمل أيضا أن معنى قول النبي عليه الصلاة والسلام « لا تسئل الصدقة

ومن وجب عليه الزكاة يحتاج إلى أربعة أشياء حتى يكون مؤدياً للزكاة :
أوله : أن يكون أحدَ المال من حلال .

والثاني ، لا يكون جمعه للافتخار والتكبر والترفُّع على من يكون دونه في المال .
والثالث : أن يبدأ بحسن الخلق والسخاوة ، مع الأهل والعيل .

والرابع : مجانية لمن والأذى ، إلى من يدفع إليه الزكاة .

والزكاة حق الفقراء ، قد جعله الله عز وجل في مال الأغنياء ، فمن دعيها إليهم وكان
قد ردَّ إليهم ما لهم ، وقد جمع بذلك رضا الله ، عز وجل ، والخلاص من العاقبة
الحساب ، والنجاة من أليم العذاب .

باب في ذكر الصوم وآدابهم فيه

قول الشيخ، رحمه الله: روى عن النبي: صلى الله عليه وسلم، أنه قال «يقول الله، تبارك وتعالى: الصوم لي وأنا أجزى به».

فإن قال قائل: ما معنى تخصيص الصوم من بين سائر العبادات، وقد علمت أن جميع الأعمال له، وهو يجزى به، فما معنى قوله: «الصوم لي وأنا أجزى به»؟

فيقال: له معنيان: أحدهما: أن الصوم تخصيصاً من بين سائر العبادات المفترضة لأن جميع المفترضات حركات جوارح، يتبهاً للخلاق أن ينظروا بإيد إلا الصوم، فإنه عبادة بغير حركة الجوارح.

فمن أجل ذلك قال، تعالى: الصوم لي.

والعنى الآخر في قوله: «لي» بمعنى أن الصمدية لي، لأن «الصمد» هو الذي لا خوف له ولا يحتاج إلى طعام والشراب، [فمن تخلق بأخلاق أجزءه ما لا يخطر على قلب بشر].

وأما معنى قوله: «وأنا أجزى به»: فإن الله تعالى، وعد على [جميع] أهل الحسنة الثواب المعداد من الواحدة إلى عشر أمثلها [من العشرة] إلى السبعائة إلا الصائمين [والصائمون]: هم الصابرون.

[وقد قال الله عز وجل: «إِنَّما يُؤْتَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (١)»]

فخرج الصوم من الحسنات العددية وثوابها لأن الصوم هو: صبر النفس عن ما توفاتها، وإمساك الجوارح عن جمع شهواتها، والصائمون هم الصابرون، وقد روى عنه معنى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا صمت فليصم سمعك

وبصرُك ولسانك ويدُك » وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إذا صام أحدكم فلا يرفث ولا يفسق ، فإن شتمه إنسان فليقل إني صائم . »

وصحة الصوم وحسن أدب الصائم في صومه ، صحة مقاصده ، ومباينة شهواته وحفظ جوارحه ، وصفاء مطعمه ، ورعاية قلبه ، ودوام ذكره ، وقلة شهته بالضموم من رزقه ، ولاة ملاحظته لصومه ، ووجه من تقصيره ، والاستعانة بالله [تعالى] على تأديته ، فذلك أدب الصائم في صومه .

وحكى عن سهل بن عبد الله التستري رحمه الله ، أنه كان يترك كل شيء في [كل] خمسة عشر يوماً مرة ، فإذا دخل رمضان لم يأكل فيها إلا أكلة واحدة ، فسأت بعض المشايخ عن ذلك فقال : كان ينظر على الماء القراح وحده كل ليلة .

وحكى عن أبي عبيد البصري رحمه الله أنه كان إذا دخل رمضان دخل البيت وسدَّ عليه الباب ، ويقول لامرأته . اطرحي كل ليلة رغيف من كوة [في] البيت ولا يخرج منه حتى يخرج رمضان ، فتدخل امرأته البيت بهذا الرغيف رغبة موحودة في ناحية البيت .

وأما الصوم التطوع ، فإن جماعة من المشايخ كانوا يصومون في السفر والحضر عن لذواتهم إلى أن لحقوا بالله عز وجل ، وكان أحدهم في صومهم روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « الصوم جنة » ولم يقل : جنة من أي شيء ، وقالوا : جنة من الصوم جنة في الآخرة من المراد ، لأن الصوم للصائم في الدنيا جنة من النار ، الذين يدعونهم إلى النار ، وهم : الشيطان والفس ، والفتنة ، والفتنة من النار ومن اختار المداومة على الصيام اختر ذلك نالها من الجنة من غير أن يحسب لكيلاً يندوا فرصة فيظن وابه ويظن حرد في الدنيا :

سمعت أحمد بن محمد بن سعيد قاضي الديوبند قال : سمعت رُوَيْبِطاً يقول : ما كنت في المهاجرة ببعض سكك بغداد ، فمطشت ، فتقدمت إلى باب دار فاستقيت

فإذا بجارية وقد فتحت باب الدار وخرجت ومعها كوز جديد مملآن من الماء المبرد فلما أردت أن أتناول من يدها قالت لي : ويحك ! صوفى يشرب بالهـار ! وضربت بالكوز على الأرض ، واضرفت . قال رؤييم : فنقد استحييت منها ، ونذرت أن لا أفطار أبداً .

قال صاحب الكتاب وجماعه أحرى كانوا يختارون صوم داود عليه السلام : لما روى في ذلك عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : «أفضل الصيام صيام أخي داود عليه السلام كان يصوم يوماً ويفطر يوماً» وقد قالوا في معنى قوله «أفضل الصيام» : لأنه أشد الصيام ، وزعموا أن هذا الصوم أشد على النفس من صوم الدهر ، لأن النفس إذا التقت الصوم مع لدوام ، وتعودت ، اعتد عليها الإفطار ، وإذا أنت الإفطار وتعودت شتد عليها الصوم . وهذا الصوم ، صوم يوم وإفطار يوم لا تعود فيه النفس الإفطار ولا الصوم ، فلذلك قال من قال : إنه أشد الصيام ، وقد حكى في (معنى) ذلك عن مهبل بن عبد الله رحمه الله ، أنه كان يقول : إذا شبعتم فاطلبوا الجوع ممن أبلأكم بالشبع ، وإذا جعمتم فاطلبوا الشبع ممن أبلأكم بالجوع ، وإلا تمديتم وطعمتم .

وكان أبو عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله قد صام نيفاً وخمسين سنة لا يفطر في السفر ولا في الحضر ، وجهده أصحابه يوماً أن يفطر ، فأفطر ، واعتل من ذلك أياماً [من الأيام] حتى كاد أن يفترقه القرض .

ومن كره المداومة على الصيام كره ذلك لأن النفس معتادة ، فإذا ألفت شيئاً واعتادته يكون قيامها فيه بحفظها لا بحقوقها فلأدب في ذلك أن لا يُجَدَّعَ بينها وبين ما لو فتها وإن كانت عبادة أو جماعة لأن النفس مائلة إلى الحفظ وعاجزة عن الحقوق مجبولة على المنافرة من الطاعات ، فإذا ألفت باباً من أبواب العبادات انهمها أهل المعرفة بها ، وأهل الخبرة والبصيرة بها ومكايدها ووعبها .

وَحكى عن إبراهيم بن آدم رحمه الله أنه قال : كان بصحبتى رجل كثير الصوم والصلاة ، فعجبت من ذلك ، ثم نظرت فى ما آكوله فكان من موضع غير طيب ، قال : فأمرته بالخروج من ملكه ، وأخرجته معى فى سفر ، فكنت أطعمه الخلال من موضع أعزبه وأرضاه ، قال : فلما صحبنى مدة كنت أحتاج أن أضربه بالدرّة حتى يقوم فبؤدى الفرض .

فأما الصوفية والنقراء المجردون الذين قطعوا العلايق ، وتركوا المعامات ، وقصوا بما قسم الله تعالى لهم من الأرزاق ، ولا يدرون أى وقت يسوق الله تعالى إليهم أرزاقهم من الغيب وعلى يد من يبعث الله تعالى لهم ذلك ، فأوقات هؤلاء أنهم من أوقات الصائم الذى يرجع إلى معلوم ومعهود من الطعام المستعد (١) لإفطاره ، فحين صاموا فلا يلحظهم أحد من الصائمين فى الفضل .

وهؤلاء الفقراء الذين [قد] ذكرتهم أيضاً آداب فى صومهم إن صاموا ، فمن آدابهم أن لا يصوم واحد من بين الجماعة إلا بإذن أصحابه ، لأنه إذا صام تغفل قلوب أصحابه بإفطاره وهم على غير معلوم ، وإن صام واحد من دون الجماعة لم يرد أصحابه وحضر المنظر من شىء من الطعام فليس يلزمهم أن ينتظروا وقت إفطار الصائم ، لأنه ربما يكون فى الجماعة من يكون به حاجة إلى الطعام ، وربما ينتج به فى وقت إفطار الصائم منهم شىء آخر بتركه صومه ، إلا أن يكون متعمداً فينتظره فى وقت إفطاره لصعته ، أو يكون شيخاً فليحرمه . وليس للصائم أيضاً أن يأخذ طعاماً لنفسه ويدخرها لوقت إفطاره ، لأن ذلك ضعف فى حاله ، إلا أن كان له حاجة فيفعل ذلك لضعفه .

وإذا كانوا جماعة عادتهم الصوم وفيهم جماعة عادتهم الإفطار فليس بالصواب أن يدعو هؤلاء المنظرين إلى أحوالهم إلا إن أحبوا هؤلاء مساعدتهم على الصوم .

(١) قوله : المستعد . الصواب . المعد .

ومساعدة الصائم للمفطر على الإفطار أحسنُ من مساعدة المفطر للصائم بالصوم إلى أن تقع الصحبة ، فإذا وقعت الصحبة فمساعدة المفطر للصائم بالصيام معهم أحسن .

حكى عن الجيّد رحمه الله أنه كان يصوم على الدوام ، فإذا دخل عليه إخوانه أفطر معهم ، ويقول : ليس فضل المساعدة مع الإخوان بأقل من فضل الصوم للصائم [إذ كان متطوعاً] أو كلاماً نحو هذا .

ويقول : إذا رأيت الصوفي يصوم صوم التطوع فاتهمه : فإنه قد اجتمع معه شيء من الدنيا .

وإن كانوا جماعة مترافقين متواخين أشكلاً وبينهم مرید نحووه على الصيام ، فإن لم يساعدهم يهتدوا للإفطاره ، ويتكفروا له رفقاً ، ولا يحملون حاله على أحوالهم ، وإن كانوا جماعة ومعهم شيخ ، يصومون بصومه ، ويفطرون بإفطاره ، إلا أن يمرهم الشيخ بغير ذلك فاتهم لا يخفون أمره : لأن الشيخ يعلم ما يصلح لهم .

وحكى عن بعض المشايخ الأجلة أنه قال : صمت كذا وكذا سنة لغير الله : وذلك أن شاباً كان يصحبه ، فكان يصوم حتى ينظر إليه ذلك الشاب فيتدب به ويصوم بصيامه .

ورأيت أبا الحسن المكي بالبصرة رحمه الله ، فكان يصوم الدهشراً ، ولا يأكل كل الخبز إلا كل ليلة جمعة ، وكان قوته - كما قيل - في كل شهر أربعة دوانيق ، يعمل بيده ، يفتل جبل الميف ويدها ، وكان قد هجره ابن سالم ، وكان يقول لا أسلم عليه إلا أن يفطر ويأكل [الخبز] لأنه كان قد اشتهر بترك الأكل .

وبلغني عن بعضهم من أهل واسط أنه صام سنين كثيرة فكان يفطر كل يوم قبل غروب الشمس إلا في رمضان ، وقوم أنكروا [عليه] هذا لخالفته العلم وإن كان الصوم تطوعاً ، وقوم كانوا يستحسنون ذلك لأن صاحبه كان يريد بذلك أن يؤدي

نفسه بالجوع ولا يتمنع برؤية الصوم ورؤية الثواب الذي قد وعد الله تعالى للصائمين ولا يسكن إلى ذلك ، وعندى أن الذى أنكرفقد أصاب : لأنه (١) اعتقد الصوم فقد لزمه الوفاء به ، وإن لم يعتقد الصوم فسبيله سبيل المتقللين ، فلا يقل له صائم وبالله التوفيق .

وَحكى عن الشبلى رحمه الله ، أنه قال : لرجل تُحسِن [أن] تصوم الأبد ؟
قال ، فكيف الأبد ؟ قال : تجعل ما بقى من عمرك يوماً وتصومه .

فهذا ما حضرني في الوقت من آداب صرم المتصوفة [والله الموفق للصواب] .

(١) قوله : لأنه اعتقد الخ والصواب لأنه إن اعتقد فقد لزمه الخ .

باب ذكر آدابهم في الحج

قال الشيخ رحمه الله : فأول آدابهم في الحج ، الاهتمام لحجة الإسلام . والنوجه إليه بأي وجه يجد إليه السبيل والاستطاعة ، وببذل في ذلك موجهه . ولا يركن إلى سعة العلم وطلب الرخصة في الجلوس عن حجة الإسلام بإعدام الزاد والراحلة ، إلا أن يتعده عن ذلك فرض لازم : لأن الله عز وجل يقول : والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً (١) ، وقال : « وأذن في الناس بالحج ياتوك رجالاً » (٢) ، ويقال في التفسير رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، فبدأ بذكر الرجال الذين يشنون .

٢٠٥

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من مات ولم يحج حجة الإسلام مات إن شاء يهودياً أو نصرانياً » ، فمن أجل ذلك لم يسقط عنهم مطالبة الحج وإن عدموا الزاد والراحلة : لأن من آدابهم أن يتمسكوا بالأحوظ في الفرائض ، ويأخذوا بالأتم من علم الشريعة ، لأن التعلق بالرخص سبيل العامة ، والأخذ بالسعة والتأويلات حال الضعفاء ، وذلك رحمة من الله تعالى لهم ، فأما العامة فقصدتهم إلى الحج وشرط العلم الذي يعمله الفقهاء ، والعلماء والخاصة والعامة في ذلك سواء وهو علم المناسك ، فرائضه وسننه وأحكامه وحدوده .

وإنما قصدنا أن نذكر آداب من ليس سبيلهم في الحج سبيل العامة وهم على ثلاثة أصناف :

فصنف منهم ، إذا حجوا حجة الإسلام ، جلسوا واشتغلوا بحفظ أوقاتهم ومراعاة أحوالهم ، فطلبوا السلامة ولم يتعرضوا للبلاء مما يلحقهم من المشقة في ذلك ، ولصعوبة أداء فرض الحج وقضاء مناسكها وحفظ حدودها .

(٢) الحج : ٢٧

(١) آل عمران : ٩٧

سمعتُ ابن سالم يقول : لم يحج سهيل بن عبد الله إلا حجة الإسلام ، حجَّ وله ستة عشر سنة ، وكان زانُهُ شيناً من الكبد المشوي المدقوق فكان يستف منه إذا جاء قليلاً ، وكذلك أبو يزيد البسطامي رحمه الله لم يحج إلا حجة الإسلام ، وكذلك أجدد رحمه الله ، وجماعة من المشايخ الأجلة رحمهم الله لم يحجوا إلا حجة الإسلام ، وحجبتهم في اختيارهم في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحج إلا حجة واحدة .

وطبقة أخرى من مشايخ الصوفية فإنهم لما قطعوا العلائق ، وخرقوا الأطن ، وهجروا الإخوان ، قصدوا بيت الله الحرام ، وزيارة قبر رسوله عليه السلام . فقطعوا البرادي والبراري والتفاري وغيرهم حمل نفقة ولا زاد ، ولا ساكراً على الطريق ولا تعلقوا بمصاحبة الرفيق ، ولا عدوا لأميل ولا البرد ، ولا طهبوا الميرل ولا المناهل ، ولا تعرجوا على سبب ، ولا التبرأوا إلى طاب ، ولا اتقى من الحج وتبرأ ، ولا اقطع عن تلك المشاهد أترهم ، وذلك لأن الله عز وجل يقول : وفوقه خلق . « وَإِذْ جَعَلْنَا آدَمَ مَثَابًا لِّلنَّاسِ وَأُمَّةً ^(١) » قال ابن عباس رضي الله عنهما : لا يقضون منه وطراً ، ولا يمكن ذكر آداب هؤلاء في معانيهم إلا بتكليفهم ، يدل ذلك على آدابهم ، وصحة مقاصدهم وصدق مراتبهم وأحوالهم وصدقهم .

سمعتُ أحمد بن علي الوجيهي يقول : سمعت بعض المشايخ يقول : حجيت حجة القزار الدينوري رحمه الله اثني عشر حجة حافية ، مكشوف الرأس ، فوجدت في رجلي شوك يمسح رجلاه بالأرض ويمشي ولا يطأ على الأرض من حدة أو كلة .

وحسكي عن أبي تراب النخشي رحمه الله : إن كل أكلة بالبصرة ، وأكلة بانباج ، وأكلة بالمدينة ، وكان يدخل مكة وعلي بطنه عسكين من السمين .

وَحكى عن إبراهيم بن شَيْبَانَ أَنه قُل : كان أبو عبد الله المغربي رحمه الله يدخل البادية وعاليد إزار ورداء أبيض ، وفي رجله نعل طاق كأنه يمشى في السوق ، فإذا دخل مكة وفرغ من الحج أحرم من تحت الميزاب ، ويخرج من مكة وهو مُحْرِمٌ ويقوم على إحرامه إلى أن يرجع إلى مكة .

وسمعت جعفر الخَلْدِي رحمه الله يقول : سلكتُ البادية وعلى قميص أبيض ، وببدي كوز ، ورأيت في البطانية التي في وسط الرمل دكا كين وتجاراً [كانت] ترد عليهم القوافل من البصرة .

وَحكى عن إبراهيم الخواص رحمه الله أنه قل : أعرف في البادية تسعة عشر طريقاً غير الطريق الذي يسلكه الناس والقوافل ، طريقان [منها] ينبت فيهما الذهب والفضة .

وَحكى جعفر عن إبراهيم الخواص رحمه الله ، أنه قال : كنت في البادية ، في موضع منها ، جالساً مستجمع لهم ، وقد مضت على أوقات لم أتناول فيها الطعام ، فبين أنا كذلك إذا [أنا] بالخضر عليه السلام ماراً في الهواء ، فلما رأيت طأطأت رأسي ونمضت بصرى ، ولم أنظر إليه ، فلما رأني جلس إلى جنبي ، فرفعت رأسي ، فقال لي : يا إبراهيم ، لو أعرتني الطرف ما جئت إليك .

وَحكى عن إبراهيم رحمه الله أيضاً أنه قال : خرجت في بعض السنين من مكة ، واعتقدت أن لا أتناول شيئاً إن أن أدخل القادسية ، فلما وافيت الرَبْدَةَ وخرجت منها ، فإذا أنا بأعرابي [يصيح] من ورأى ، فلم أعطف عليه ، فلحقني ، وإذا بيده سيف مسلول ، وببده الآخر قعب فيه لبن ، فقال لي : اشرب هذا وإلا ضربت رقبتك ، قال : فبقيت [متحيراً] ، فتناولت منه وشربت وانصرف عني ، ومارأيت شيئاً آخر حتى دخلت القادسية .

وحكايات هؤلاء أكثر من أن يتبيها ذكرها [ها هنا] وفيما ذكرنا كفاية لمن علم المراد من ذلك إن شاء الله تعالى .

و [أما] الطبقة الثالثة من المشايخ الصوفية فإنهم اختاروا المقام بمكة ، والمجاورة بها ، وحبسوا أنفسهم هناك لما حص الله تعالى به تلك البقاع والمشاهد من الفضيلة والشرف ، ولما وجدوا في أنفسهم من التنفر والعجز عن المقام بها ؛ لأنها وادٍ غير ذي زرع كما قال الله ، جلّ وعزّ ، وهو الحجاز ، يحجز عن الشهوات والمذات ، ولا سيما لمن كان قرته في الغيب وررقه مقسوم ورمقه معدوم ، والفس مجبرلة على الاضطراب عند عدم الوفاء بها ، والعبد مُطالب بالسكون تحت الأحكام ، فعند ذلك تبين مقامات الرجل .

ولهم في المجاورة آداب يُذكر بعضها في حكاياتهم فيما بلغني ، سمعت أبا بكر محمد بن داود [الدينوري] الدُّقِّي يقول : أقام أبو عبد الله بن الجلاء بمكة ثمانية عشر سنة لم يأكل من طعام يحمل إليها من مصر : لأن مصر صوان كان المتقدمون يتورعون عن أكل طعامها وما يحمل منها ، وكان لا يشرب إلا من ماء زمزم يستقي بركوته وحبابه من أجل أن الدلو والحبل المعلق على زمزم يكون من أموال السلاطين .

وُسكى عن أبي بكر الکتباني رحمه الله أنه ختم اثني عشر ألف ختمه في الطواف .

وأقام أبو عمرو الزجاجي رحمه الله بمكة ، على ما بلغني ، ثلاثين سنة فإذا أراد أن يقضي حاجته خرج عن الحرم ، ويعتمر في كل يوم ثلاث حمر ، ولا يشرب من ماء زمزم ثلاثة أيام أكلمة ، ومات عن نيف وسبعين وقمة .

وسمعت الدُّقِّي يقول : أقيمت بمكة سبع سنين ، وولدت اعتقدت أن لأحلي صلاتين في موضع واحد ، فكان يمر بي من الجوع ما إذا رأيت جمرة أفول بيتي كنت يمكن هذا الميت ، قل : وادان يقع في قاي في الوقت يا هذا أنت هذه النقطة التي (١٥ - -)

بك لا يعلم بها أحد غير الله ، فكنت أشتغل بذلك ، ويذهب عني ما أجد من الجوع .

ويقول : إن كل من يقدر أن يصبر بمكة على الجوع يوماً وليلاً ، فهو يقدر أن يصبر في سائر الدنيا ثلاثة أيام ، وكانوا يقولون : إن المقام بمكة يغير الأخلاق ويكشف الأسرار ، ولا يصبر على المقام بها على الصحة إلا الرجال .

سمعت أحمد الطرسوسي يقول : سمعت إبراهيم بن شيبان يقول : سمعت إبراهيم الخواص رحمه الله يقول : أقام هاهنا بمكة فتي من الفقراء سنين ، فكنا نتعجب من حسن جلوسه ، وكثرة طوافه وعمرته ، وصيانة فقره ، قال : فجعلت في نفسي أن أحمل إليه شيئاً من الدراهم ، حتى أدخله بذلك ، قال : فحملت إليه دراهم كثيرة وصيبت على طرف خرقة .

قال : فظفر إلى ، ثم أخذ الخرقة وصب الدراهم على الأرض ، وخرج من المسجد ، فما رأيت قطّ أعزّ منه حين صبّها وأعرض عنها ، ولا أذلّ منّي حين جلست أجمعها وألتقطها من بين الحصا .

فأما الطبقة الذين سافروا إليها ، وألقوا بما ياحقهم من البلاء في القصد إليها ، فلهذين :

أحدهما أن النبي عليه الصلاة والسلام ، قال : « لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، ومسجد إيلياء .

والمعنى الآخر هو أن النفس تدعى أحوالاً في الوطن ، وفي وسط المعارف والمألوفات ، من التوكل والرضا والسكون والتسامح والتفويض ، فإذا فارقت الوطن والمعارف تغير أخلاقها ويبطل دعواها .

ويقول سُمي السفر سفرًا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال ، فإذا عرفوها ، وعلموا عجزها وضعفها وشرها ، وعابنوا المكنتات التي في أنفسهم ، عملوا في تبديل هذه الأخلاق ، ومخالفتها ، ولم يغتروا بدعائها ، ولم يأمنوا خدعها وشرها .

وبلغني أن جماعة أقاموا بمكة فكانوا إذا قام أحدهم إلى الطواف بالنهار يعيرون عليه ذلك ، ويقولون : هو ذى تمرٍّ وتستعدى ، وذلك أنه ربما يتفق في الطواف من يكون يرفق الفقراء ويعطيهم شيئاً ، فكانوا ينتقدون بعضهم على بعض دونه الأحوال .

ومن آدابهم أيضاً أنهم إذا اعتقدوا أن يجزوا أن يوفوا بعهودهم ، وإن أحرموا من دون الميقات في غير أشهر الحج أن يوفوا بذلك وإن تلت في ذلك نفوسهم ، وإذا قصدوا نحو الكعبة لم يعدلوا عن الطريق بعد ما توجهوا إليها ، ولا يقدّمهم عن توجه إليها قلة النفقة ولا شدة الحر والبرد .

سمعت أحمد بن دلوويه يقول : كنت قد أوجبت على نفسي الرجوع إلى مكة من الشام وكان البر شديداً ، فتأولت نفسي ، فسألت أبا عمران الطبرستي عن الرخصة في ذلك ، واستعمل اللم ، فقل لي : إذا حمت عليه فتمه في السماء ، فقلت على إشارته ، فخرجت فما رأيت إلا كل حير ، ووجدت .

ومن آدابهم أيضاً أنهم إذا دخروا البديعة أن يشعروا الغرائب من غير أن يتركوا الصلاة [ولا يتيمنون] ، ولا يتركون شيئاً مما كان من آدابهم من أطعموا ذلك وإن أباح لهم العمل ترك ذلك : لأن السفر في حرم مكة من غير أن يتركوا لأمنارهم مدة معلومة ، ولا يشعرون بالأميين والبراري والمنكأ ، فإذا أمرهم بالحق قاموا ، وإذا سربهم سربوا ، وإذا نال بهم نزال ، فإذا نزل الميقات سبوا آبدانهم بالماء ، وغسلوا قلوبهم بالثوبية ، وإذا نزلوا منهم الحجاء ، وسبوا

وحلوا العُتَدَ [وَاَتَزَرُوا] وارتدوا فكذلك نزعوا عن أمرارهم الغل والحسد ،
وحلوا عن قلوبهم عُقد الهوى ومحبة الدنيا ، ولم يعودوا إلى ما خرجوا منه
سن ذلك .

ومن آدابهم أيضاً أنهم إذا قاوا : لَبِّكَ اللَّهُمَّ لَبِّكَ لَبِّكَ ، لا شريك
لك أن لا يجيبوا بعد ذلك دواعي النفس والشيطان والهوى بعد ما أجابوا الحق
بالتلبية وأقروا أنه لا شريك له في ملكه ، فإذا نظروا إلى البيت بأعين رؤوسهم
نظروا بأعين قلوبهم إلى من دعاهم إلى البيت ، فإذا طافوا حول البيت بأبدانهم
من آدابهم أن يذكروا قول الله عز وجل : « وَتَرَى آلَ لَيْكَةِ حَافِينَ مِنْ
تَحْتِ الْعَرْشِ » (١) فكأنهم ينظرون إلى طوافهم ، فإذا صلوا خلف المقام يعلمون
أنه مقام عبدٍ وفي الله تعالى : بعده ، فمدب الله الأولين والآخرين إلى متابعة
قدمه ، واتخذ صلواتهم خلف مقامه ، فإذا استلموا الحجر وقبلوه علموا أنهم هوذا
يبيعون الله تعالى بإيمانهم ، فمن الأدب أن لا يُهوا بعد ذلك إيمانهم إلى مراد
وشهوة فإذا جاءوا إلى الصفا فمن الأدب أن لا يعترض بعد ذلك كدورة لصفاء
قلوبهم ، فإذا هروا وآلوا بين الصفا والمروة وأسرعوا في مشيهم فمن الأدب أن يسرعوا
بفرار من عدوهم ويهربوا من متابعة نفوسهم وهواهم وشيطانهم ، وإذا وافوا إلى
منى ، فمن آدابهم في ذلك أن يتأهبوا للقاء : فلعلهم يصلوا إلى مناهم ، فإذا وافوا
إلى عرفات ، فأدبهم أن يتعرفوا إلى معروفهم ويذكروا أشرفهم وحشرهم وبعثهم
من قبورهم ، فإذا وقفوا فآدب الوقوف أن يكون وقوفهم بين يدي سيدهم ، فإذا
وقفوا لا يعرضوا عنه بعد وقوفهم ، فإذا دفعوا مع الإمام إلى المزدلفة فأدبهم أن
يكون في قلوبهم العظمة والإجلال لله تعالى ، فإذا دفعوا مع إمامهم جعلوا الدنيا

(١) الزمر : ٧٥

والآخرة وراء ظهورهم ، فإذا كسروا الحجارة للرَّمي كسروا مع الحجارة إرادات
بواطئهم وشهوات إسرارهم وممكنات أهوائهم ، فإذا ذكروا الله تعالى عند المشعر
الحرام فالأدب عند ذلك أن يكون مصحوبهم تعظيم مشاعرهم وإعظام حرمانها ،
فإذا رموا الحجر رموا بحسن الأدب بملاحظة أعمالهم ومشاهدة أفعالهم ، فإذا حلّقوا
رءوسهم فأدبهم أن يحلقوا عن بواطئهم حُب الشاء والمحمدة مع حلق رءوسهم .
فإذا ذبحوا فأدبهم في الذبح أن يبدؤوا بذبح نفوسهم في نفوسهم قبل ذبح ذبيحتهم ،
فإذا رجعوا إلى طواف الزيارة وتعلقوا بأستار الكعبة فمن الأدب أن لا يتعلقوا
بغيره ولا يلوذوا بأحد من خلقه بعد الإيافة والتعلق به ، فإذا رجعوا إلى رمي وأقاموا
بها أيام التشريق وحل لهم كل شيء ، فمن الأدب أن لا يخللوا ما حرّموا على نفوسهم
من مخالفة سيدهم ومتابفة حظوظهم ، ولا يكفروا ما صفا من أوقاتهم ، ولا يتكلموا
إلا على سعة رحمة الله تعالى بعد قضاء مناسكهم : لأنهم لم يقيموا بقبول حجبتهم ،
ويستعينوا بالله على أمورهم ، ويستيثقوا إلى الله بأسرارهم وعلائقتهم ، فإنه قادر على
كشف ضررهم وخلصهم .

وحكى عن إبراهيم الخواص رحمه الله أنه قال : رأيتُ شيخاً من أهل المعرفة
في البادية ممن كان يشير إلى النوكال عرج على سبب بعد سبعة عشر يوماً ، فمهاه
شيخ آخر ، فلم يقبل ، فخرجوه ولم يعدوه منهم .

وسمعتُ الدثقي يقول : دخلتُ مصر ، فقصدت الزقاني ، فسألت عن
فقال لي : من أين أقبلت ؟ فقلت : من الحجاز ، فقال لي : خذ حجرك في حجر ،
نهيتُ في تبه بنى إسرائيل سبعة عشر يوماً لم آكل ولم أشرب ، فرأيت من بعيد
خيلاً ، فطمعتُ نفسي ، فلما دأوت ، فإذا أربعاً مع أمير لهم مارين إلى
قلزم ، فلما رأيت [أنهم] من الجند آتتُ نفسي منهم ، فعرضوا على الطعام
فلم آكل ، والماء فلم أشرب ، فقال لي أميرهم : أنت في حالٍ نلُّ لك المبيّنة

فلمَ تمتنع من طعامنا؟ فقلت: نحن إذا كنا بين الناس بشرط العلم لا نرضى لأتقنا
أن نبسط إليكم، فكيف تبسط إليكم في [مثل] هذا الوقت وانوقت كله
حقيقة؟ أو كما قال.

وحكي أنه سُئل عن عينه - وكانت إحدى عينيه قد ذهبت - فقال:
كنت تهت في التيه كذا، وكذا يوماً، فكان عليّ مسح^ه، فهاجت عيني،
فكنت أمسحه بالمشح، فسألت، وهو إن شاء الله في هذه السَّنْرة التي حكاها
من أمير الجند، وهاتان الحكيتان، وحكاية إبراهيم الخواص، وحكاية الدقي
عن أبي بكر الزقاق.

باب في ذكر آداب الفقراء بعضهم مع بعض وأحكامهم

في الحضر والسفر

قال الشيخ رحمه الله تعالى: [قال الجنيدي رحمه الله]: النقر بحر البلا، وبلاؤه كله عز. وقال الجنيدي رحمه الله تعالى: علم النقيير إذا قرى ضعفت محبته، وإذا ضمنت قويت محبته، وحكم النقيير أن يكون فوق محبته (١)، سمعت الدقي رحمه الله تعالى بدمشق، قال: سمعت أبا بكر الزقاني رحمه الله بمصر يقول: منذ أربعين سنة أصحاب هؤلاء الفقراء وأعاشرهم فما رأيت قط رفقا لأصحابنا إلا لبعضهم من بعض أو ممن يحبهم، ومن لم يصحبه التقية والورع في هذا الأمر أكل الحرام النص (٢)

وحكى عن أبي عبد الله بن الجلاء رحمه الله تعالى، أنه قال: من لم يصحبه الورع في فقرة أكل الحرام النص وهو لا يدري.

وحكى عن سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى أنه قال: أدب النقيير الصادق [في فقره] ثلاثة أشياء: لا يسأل إذا احتاج، ولا يرد إذا أعطى، ولا يجلس لوقت ثان إذا أخذ.

وقال غيره: أدب النقيير [الصادق] في فقره ثلاثة: لا يسأل، ولا يعرض، وإن عورض سكت.

وحكى عن سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى أنه قال: النقيير إذا احتاج لا يسأل، ولا يعرض، ولا يجلس لوقت ثان إذا أخذ، وأداء فرضه، وصيانة فقره.

(١) يرجع الأستاذ نيكلسون أن هذه الجملة هي دأى لا يكون عامة فوق محبته.

(٢) في هامش إحدى النسخ، المحض.

وقال الجنيّد رحمه الله تعالى : كل شيء يقدر النقيير أن يعمله إلا صبره على وقته إلى اقضاء مدّته .

وحكى عن إبراهيم الخواص رحمة الله تعالى أنه قل : اثنا عشر خصلة من خصال النقراء - يعنى الصوفية - فى حضرهم وسفرهم : أولها : أن يكونوا بما وعدهم الله تعالى مطمئنين ، والثانية : أن يكونوا من الخلق آيسين ، والثالثة : أن ينصبوا العداوة مع الشياطين ، والرابعة : أن يكونوا لأمر الله مستمعين ، والخامسة : أن يكونوا على جميع الخلق مشفقين ، والسادسة : أن يكونوا لأذى الخلق محتامين ، والسابعة : أن لا يدعرا الصيحة لجميع المسلمين ، والثامنة : أن يكونوا فى مواطن الحق متواضعين ، والتاسعة : أن يكونوا بمعرفة الله مشغولين ، والعاشرة : أن يكونوا الدّهر على الطهارة ، والحادية عشر : أن يكون النقر رأس مالهم ، والثانية عشر : أن يكونوا راضين فيما قلّ أو كثر وفيما أحبّوا أو كرهوا عن الله تعالى شيئاً واحداً [راضين عنه] ما كره بن له واثقين به .

وقال بعضهم : من طاب النقر لثواب النقر مات فقيراً . وقل بعض المتصوفة : الفقير إذا كثر عقله ذهبت طيبته .

قال الشيخ رحمه الله : من آداب النقراء الصفة أن لا يقولوا فيما يسوق الله إليهم ، من خير سؤال ولا طمع : دذا لى ودذا لك ، ولا يجرى فى حديثهم : كنت لك ولم تكن لى ، وأفعل كذا عسى أن يكون كذا ، ولا أفعل كذا ، لعل يكون كذا :

وحكى عن إبراهيم بن شيبان رحمه الله تعالى أنه قال : كنا لا نصحب من يقول : نعلى وركوتى .

وقال أبو [عبد الله] أحمد القلانسى رحمه الله [وكان أستاذاً للجنيّد] : دخلت على قوم من النقراء بالبصرة ، فأكرموني ويجلوني ، فقلت لبعضهم [مرّة] : ابن إزارى ؟ فقطت عن أعينهم .

وقال إبراهيم بن المولّد الرّقی : دخلتُ طرَسرس ، فقبل لي : إنَّ هاهنا جماعة من إخوانك وهم مجتمعون في دار ، فدخلتُ عليهم ، فرأيت سبعة عشر من الفقراء كلهم على قلب واحد ، وقيل لأبي عبد الله أحمد القلانسي رحمه الله : على أيّ شيء بنيت أصل مذهبك ؟ قال : على ثلاث خصل : لا نطالب أحداً [من الناس] بواجب حقاً ، ونطالب أنفسنا بمقوق الناس ، ونلزم أنفسنا التقصير في جميع ما نأتي به . وقال غيره : بنينا أصل مذهبنا على ثلاث : متابعة الأمر والنهي ، ومعاينة الفقر ، والشفقة على الخلق .

وقل بعضهم : إذا رأيت النقيير قد انحطّ من الحقيقة إلى العلم فأعلم أنه قد فسح عزمه وحلّ عقده .

وقال إبراهيم الخواصّ رحمه الله : ليس من آداب الفقراء — يعني الصوفية — أن يكون له سبب يرجع إليه متى احتاج ، أو يدان يعمل بهما إذا أراد ، أو لسان يطلب به إذا جاع أو همّة يطرق بها عند الشدائد إلى الناس ، فهذه المؤلّا ، أسباب وذخيرة لشدائدهم وأرباب .

وقال الجنيد رحمه الله تعالى : إذا لقيت النقيير فألقه بالرفق ولا تلقه بالعلم ، فإن الرفق يؤنسه والعلم يوحشه .

باب ذكر آدابهم في الصحبة

قال الشيخ [ابو نصر] رحمه الله : حُكي عن جماعة من المشايخ من إبراهيم ابن شيبان رحمه الله تعالى أنه كان يقول : كنا لا نصحب من يقول نعلي [وركوتي] .

وقال رجل لسهل بن عبد الله رحمه الله : إني أريد أن أصحبك ، فقال له سهل : إذا مات أحدنا فمن يصحب الآخر؟ (١) فليصحبه الآن ، وقال رجل لذي النون المصري رحمه الله تعالى : من اصحب؟ فقال : من إذا مرضت عاذك ، وإذا أذنبت تاب عليك . وقال بعضهم : كل صاحب تقرب (٢)؟ قم بنا ، يقول : إلى أين؟ فليس ذاك بصاحب .

وعن ذي النون رحمه الله أنه قل : لا تصحب مع الله إلا بالموافقة ، ولا مع الخلق إلا بالناصحة ، ولا مع النفس إلا بالمخافة ، ولا مع الشيطان إلا بالعبادة [والمحاربة] .

وقال أحمد ابن يوسف الزجاجي رحمه الله : مثل المصطحبين مثل النورين إذا اجتمعا أبصرا باجتماعهما ما لم يكونا يبصرانه قبل ذلك .

والخلاف أصل كل فرقة ، وهي لطيفة الشيطان في افتراق المتحابين في الله تعالى ، قال أبو سعيد الخراز رحمه الله : صحبت الصوفية خمسين سنة ما وقع بيني وبينهم خلاف ، فقيل له : وكيف ذلك؟ قال : لأنني كنت معهم على نفسي .

(١) لعل هنا جملة سقطت ، وربما كانت ، فقال : الله ، فقال سهل

(٢) لعل كلمة : ، له ، ساقطة من النص .

وقال الجيّد رحمه الله تعالى : لأن يصحبنى رجل فاسق حسن الخلق أحبّ إلىّ من أن يصحبنى قارىء سيّء الخلق .

وقال الجيّد رحمه الله : رأيت مع أبي حفص اليسابورى رحمه الله تعالى إنساناً أصلع كثير الصمت لا يتكلم ، فقلت لأصحابه : من هذا؟ فقبل لى : هذا إنسان يصحب أبا حفص ، ويخدمنا ، وقد أنفق عليه مائة ألف درهم كانت له ، واستدان مائة ألف أخرى أنفقها عليه ، ما يسوغه أبو حفص أن يتكلم بكلمة واحدة .

وقال أبو يزيد البسطامى رحمه الله تعالى : صحبت أبا على السندى ، فكنت ألقنه ما يتيم به فرضه ، وكان يعلمنى التوحيد والحقائق صرفاً .

وقال أبو عثمان : صحبت أبا حفص رحمه الله تعالى وأنا غلام حدث ، فطردنى وقال : لا تجلس عندى ، فلم أجعل مكافأتى له على كلامه أن أوتى ظهري إليه ، فانصرفت أمشى إلى خلف ووجهي مقابل له ، حتى غبت عنه ، راقتدت أن أحفر لفسى بئراً على بابه ، وأنزل وأقعد فيه ولا أخرج منه إلا يذنه ، فلما رأى ذلك منى قربنى وقبلانى وصيرنى من خواص أصحابه إلى أن مات :

وسمعتُ ابن سالم يقول : صحبت سهل بن عبد الله ، رحمه الله ، ستين سنة ، فلقلت له ، يوماً . قد خدمتك ستين سنة ولم ترى يوماً واحداً من هؤلاء الذين يقصدونك ، يعنى البدلاء والأولياء فقال : [لى] أأنت هو ذا أتخاطبهم على كل يوم ؟ أما رأيت صاحب القوطة والسواك الذى كان يكثر يمدحهم ؟ كان منهم :

وقال إبراهيم بن تميم رحمه الله تعالى : كنا يصحب أبا عبد الله المغربى رحمه الله ، ونحن شباب ، وسافر بنا فى البرارى والندرات وكان معه شيخ اسمه حسن [كان]

قد صحبه سبعين سنة ، فكان إذا جرى من أحدنا خطأ وتغير عليه الشيخ نذشفع إليه بهذا الشيخ [الذي يسمى حساً] حتى يرجع [لنا] إلى ما كان .

وذكر عن سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى أنه كان يقول لبعض أصحابه يوماً إن كنت ممن يخاف السمع فلا تصحبنى .

قال يوسف بن الحسين [الرازي] قلت لذي النون رحمه الله تعالى : من أصحاب ؟ فقال : من لا تكتمه شيئاً يعلمه الله منك .

وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى إذا صحبه إنسان يشارطه على ثلاثة أشياء : أن يكون الخدمة والأذان له ، وأن يكون يده في جميع ما يفتح الله عليهما من الدنيا كسيده ، فقل له رجل من أصحابه : أما لا أقدر على ذلك ، فقال : أعجبني صدقك . وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى ربماً ينظر البساتين ، ويعمل في الحصاد ، ويُنفق على أصحابه .

وقال أبو بكر الكتاني رحمه الله : صحبني رجل ، وكان علي قلبي ثقيلاً ، فوهبت له يوماً شيئاً كساء أو ثوباً على أن يزول ما في قلبي فلم يزول ، فأخذت به يوماً إلى البيت أو إلى مكان فقلت له : ضع رجلك على خدي ، فأبى ، فقلت له : لا بد من ذلك ، ففعل ، فزال ما كنت أجده في قلبي عليه ، أو كما قول .

قال أبو نصر : حكى لي هذه الحكاية الدُّقى ، وقول : قصدت من الشام إلى الحجاز حتى سألت [أبا بكر] الكتاني عن هذه الحكاية .

قول أبو علي الرباطي رحمه الله تعالى : صحبت عبد الله المرؤزي رحمه الله : وكان يدلي البادية قبل أن أصحابه بلازاد ، فلما صحبتته قال لي : أئماً أحب إليك تكون أنت الأمير أو أنا ؟ فقلت : لا بل أنت الأمير ، فقال : وعليك الطاعة ، فقلت : نعم ، فأخذ مخرلاً ووضع فيها الزاد وجعل على ظهره ، فإذا

قلت له : أعطني حتى أحمله ، يقول : أأنت أنا الأمير ؟ فعليك بالطاعة ، قل :
فأخذنا المطر ليلة فوقنا على رأسي [ليلة] إلى الصباح وعليه كساء ، وأنا جالس
يمنع عن المطر ، فكنت أقول مع نفسي : ليتني متُّ ولم أقل له أنت الأمير . ثم قال
لي : إذا صحبتك إنسان فاصحبه كما رأيتني صحبتك ، أو كما قال .

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى : اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس
الجبارة الغافلين ، والقراء المداهين ، والمنصوفة الجاهلين .

فهذا صحبة بعضهم مع بعض يكون على هذا المعنى الذي ذكرت في الحكايات ،
وفي القليل كناية للعقل ، وبالله التوفيق :

باب ذكر آدابهم عند مجازاة العلم

قال الشيخ رحمه الله : سمعتُ أحمد بن علي الوحيهي يقول : سمعتُ أبا محمد
الجريري رحمه الله يقول : الجلوس للمذاكرة غلق باب الفائدة ، والجلوس للمناجحة
فتح باب الفايحة .

وقال أبو يزيد رحمه الله : من لم ينتفع بسكوت المتكلم لم ينتفع بكلامه .
وقال الجيّد رحمه الله : كانوا يكرهون أن يجاوز اللسان معنّة . القاب
وحكى عن أبي محمد الجريري أنه قال : الإنصاف والأدب أن لا يتكلم ارفيع
في هذا العلم حتى بهأل .

وقال أبو جعفر الفرّج صاحب أبي تراب النخشي رحمه الله مكثتُ
عشرين سنة لا أسأل عن مسألة إلا كانت متازلتني فيها قبل قوني .

وقال أبو حفص رحمه الله تعالى : لا يصح الكلام إلا لرجل إذا سكت خاف
العقوبة بسكوته ، وقال : جاء رجل إلى أبي عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء ،
رحمه الله تعالى ، وسأله عن مسألة في التوكل ، وعنده جماعة ، فلم يحبه ودخل
البيت ، وأخرج اليهم صرّة فيها أربع دوانيق ، وقال : اشتروا بها شيئاً ، ثم أجاب
الرجل عن سؤاله ، فقليل له في ذلك فقال : استحييتُ من الله أن أتكم في
التوكل وعندى أربعة دوانيق .

وحكى عن أبي عبد الله الحُصري أنه قال : قلت لابن يزدانيار ، عند مجازاة
العلم ، ما أرى مع الخلق كلهم إلا خبراً عن الغيب فيمكنك أن تكون ذلك الغيب
قال : فقال : أعد ما قلت ، قلت : لا أفعال .

وقال إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى : لا يحسن هذا العلم إلا لمن يعبر عن وجدده
وينطق به عن فعله

وقال أبو جعفر الصَّيدلاني سأل رجل أبا سعيد الخزاز رحماً الله ، مسألة ، وكان يشير في سرانه ، فقل له أبو سعيد : نحن نبلغ مكانك وواقفتك فما تريد بلا هذه الإشارة ، فإن أكثر الناس إشارةً إلى الله سبحانه أبعدهم من الله تعالى
وقال الجبَّيْدُ رحمه الله تعالى : لو علمتُ أن علماً [تحت أديم السماء] أشرفُ من علمنا هذا لسعيت إليه وإلى أهله حتى أسمع منهم ذلك ، ولو علمت أن وقتاً أشرف من وقتنا هذا مع أصحابنا ومشايخنا ومسائنا ومحاراتنا هذا العلم لمهضت إليه .
وقال الجبَّيْدُ رحمه الله : ماعدى عصابة ولا قرم اجتمعوا على علم من العلوم أشرف من هذه العصابة ، ولا أشرف من علمهم ، ولولا ذلك ما جالسهم ، ولكمهم كذا عدى [و] بهذه الصورة .

وقال أبو علي الروذباري رحمه الله تعالى : عادوا هذا إشارة فإذا صار عداوة [صار] خناً .

وقال أبو سعيد الخزاز رحمه الله تعالى : ذكر لي أبو حاتم العطار وقصته ، وكان بالبصرة ، فرحلتُ إليه من مصر حتى وافيت البصرة ، فدخلت جمع البصرة ، فإذا به جالساً وحوله جماعة من أصحابه وهو يتكلم عليهم ، فأول شيء سمعته منه يقول ، بعد ما نظر إلي أنه قال : إنما حاست لواحد ، وابن ذلك الواحد ؟ ، ومن لي بذلك الواحد ؟ ، ثم اشار إلى ابنته ، ثم قال : اظهرهم لي [ما] أعجبهم ، وأعلمهم على ما ألزمهم ، وغيرهم عما أحضرهم ، فهم به له عاملون ، ومنه إيدرايعون .

وحكى عن الجبَّيْدِ رحمه الله تعالى أنه قال : لم كان يوماً في مجلس من مجلسه منزلة لم يأخذ كل واحد منه إلا حظه على مقداره :

وفيما حكى عن الشبلي أنه قال [لأهل بغداد] : سمعنا من العلامة ، بحسبكم لكم منابر من نور ، تعبطكم الملائكة ، فقال رجل عن شيء ، تعبطهم الملائكة ، قال : يتحدثون بهذا العلم .

سمعت جعفر الخزاز يقول : سمعت الجبَّيْدَ رحمه الله يقول : قال الشبلي الشبلي

رحمه الله تعالى ، بلغني أن جماعة يجلسون حولك في الجامع ، قلت : نعم ، هم إخواني
نتذاكر العلم ونستفيد بعضنا من بعض ، فقال : هيات يا أبا القاسم صرت مناخاً
للبطلين . وعن الجنيد رحمه الله أنه قال : كان سرى ، رحمه الله تعالى ، إذا أراد أن
يفيدني شيئاً سألني [مسئلاً] ، فقل لي يوماً : ما الشكر [يا غلام] ؟ قلت : أن
لا تعصى الله بنعم أنعم [الله] بها عليك ، فاستحسن ذلك مني ، وكان يستعيده مني
ويقول : كيف قلت في الشكر ؟ أعدهما عليّ [فأعيدها عليه] . قال أبو نصر
ووجدت هذه الحكاية بخط أبي علي الروذباري عن الجنيد .

وذكر عن سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى : أنه كان يسأل عن مسائل من
العلم فلا يتكلم فيها ، فلما كان بعد مدة تكلم فيها وأحسن الكلام ، فسئل عن امتناعه
قبل ذلك ، فقال : كان ذو النون في الأحياء ، ما أحببت أن تكلم في العلم وهو في
الأحياء : إجلاله [وحرمة] .

وقال أبو سليمان الدراني رحمه الله تعالى : لو أعلم أن بمكة رجلاً يفيدني في هذا
العلم كلمة ، يعني في علم المعرفة ، لحضرتني فيه أن أمشي على رجلي ، ولو ألف فرسخ ،
حتى أسمعها منه .

وقال أبو بكر الزقاق : سمعت من الجنيد رحمه الله تعالى كلمة في الفناء منذ أربعين
سنة هيبتني وأنا بعد في غمارها (١) ، سمعت الدقي يقول سمعت الزقاق يقول هذه
الحكاية .

سمعت الدقي يقول : قيل لأبي عبد الله بن الجلاء رحمه الله تعالى : لم مومي
أبوك الجلاء ؟ فقال : ما كان بجلاء يجلو الحديد ، ولكن كان إذا تكلم على القلوب
جلاها من صدأ الذنوب .

وكان حارث المحاسبي رحمه الله يقول : أعز الأشياء في دار الدنيا عالم يعمل بعلمه ،

(١) في هامش إحدى النسخ ، خمار .

وعارف يطق عن حقيقته ، وسمعت ابن علوان يقول : كان السائل إذا وقف على الجنيد رحمه الله تعالى وسأله عن المألة فلم يكن من حله ذلك ، يقول الجنيد : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإذا كرر عليه السؤال يقول : « حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١) » .

وحكى عن أبي عمرو الزجاجي رحمه الله أنه قال : إذا جالست شيخاً وهو يتكلم في علم من العلوم ، واشتد بك البول ، فلو بلت في مكانك خير لك من أن تقوم من موضعك : لأ البول يُغسل بالماء ، وما يفوتك من فائدتك في كلامه عند قيامك ، لا تدركه أبداً .

وقال الجنيد رحمه الله ، قلت لابن الكُرَيْبِيِّ رحمه الله : الرجل يتكلم في العلم لذي لا يبلغ استعمله علمه ، فأحب إليك ، إذا كان هذا وصفه ، أن يسكت ، أو يتكلم ؟ فأطرق ، ثم رفع رأسه فقال : [إلى] : إن كنت هو فتكلم ، وكان الشيبان رحمه يقول : ما ظنك بعلم علم العلماء فيه تهمة ، وقال سرى السقَطِيُّ رحمه الله تعالى : من تزين بعلمه كانت حسنة سيئات .

قال الشيخ رحمه الله : لكل حكاية من هذه الحكايات ، شرح ، واستنبط ، وبيان ، ولا يخفى على أهل الفهم إن شاء الله تعالى .

باب ما ذكر من آدابهم في وقت الطعام

والاجتماعات والضيافات

قال الشيخ رحمه الله تعالى : حُكِيَ عن أبي القاسم الجنيد رحمه الله أنه قال :
تنزل الرحمة [من الله عز ذكره] على النقراء ، يعنى الصوفية ، في ثلاثة مواطن :
عند أكلهم الطعام فإنهم لا يأكلون إلا عن فاقة ، وعند مجاراة العلم ، فإنهم لا يتكلمون
إلا في أحوال الصديقين والأولياء ، وعند السماع ، فإنهم لا يسمعون إلا من حق ، ولا
يقومون إلا بوجده .

وقال أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق الطوسي : قال لي محمد بن منصور
الطوسي ، وقد نزل علينا أبا العباس : أقم عئدا ثلاثاً ، فإن زدت على ثلاثة فهو
صدقة منك علينا ، وذكر عن سري السقطي رحمه الله أنه كان يقول : آه على لقمة
ليس لله على فيها تبعة ، ولا لمخاوق على فيها منة .

وقال أبو علي النور باطى : إذا دخل عليكم فقير فقدموا إليه شيئاً يأكل ، وإذا
دخل عليكم الفقهاء فسلوهم عن مسألة ، وإذا دخل عليكم القراء فدلوهم على الحراب .

قال أبو بكر السكتاني : قال أبو حمزة : دخلت على سري رحمه الله فجاءني
بفتيت فأخذ يجعل نصفه في قدح ، فقالت له : أيش هو ذا تعمل ؟ أنا أشرب هذا كله
في مرة ؟ فضحك ، وقال : هذا أفضل لك من حجّة ، وكان أبو علي الروذباري .
رحمه الله ، إذا رأى الفقراء مجتمعين في مكان واحد ، يستشهد بهذه الآية : « وَهُوَ عَلَى
جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ » (١) .

(١) الشورى : ٢٩

وكان أبو علي يقول : إذا اجتمع الفقراء في مكان واحد يكون أوفق بهم ،
ويفتح عليهم ، ويستشهد بهذه الآية : « قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ » الآية (١)

وقال جعفر الخلدی رحمه الله : هذا الأكل بعد الأكل الذي ترون أصحابنا يقال
له الجوع المفرط ، وقال جعفر رحمه الله : إذا رأيت الفقير يأكل كثيراً فاعلم أنه
لا يخلوا من إحدى ثلاث ، إما لوقت قد مضى [عليه] ، أو لوقت [يريد أن]
يستقبله ، أو لوقت هو فيه .

وقال الشبلي رحمه الله تعالى : لو أن الدنيا لقمة في فم طفل لرحمت ذلك
الطفل . وقال أيضاً : لو أن الدنيا بما فيها لقمة واحدة أكلتها ، وأدع الخلق بلا
واسطة مع الله تعالى ، وقال بعضهم : أكل الطعام على ثلاثة ، مع الإخوان
بالانبساط ، ومع أبناء الدنيا بالأدب ، ومع الفقراء بالإيثار .

قال الشيخ رحمه الله : ليس هذا من آداب الفقراء ، لأن من آداب الفقراء الصوفية
أن لا يكونوا عند الطعام مغتمين ولا مستوحشين ولا متكافين . ولا ينتدرون
الكثير الرديء على القليل النظيف الجيد ، ولا يكون لأكلهم وقت معين . وقد
حضر الطعام فلا يلقمون بعضهم بعضاً ، وإن تقهروهم فلا يردون ، ولا يكرهون
الطعام الكثير الجاف ، وكما كانوا أشد جوعاً فيكون أدبهم في الأكل أحسن .
سمعت شيخاً من الأجلة رحمه الله تعالى يقول : جئت عشرة أيام لم آكل شيئاً
ثم قدّم إليّ الطعام فكنت آكل بأصبعين ، فقال لي صاحب الطعام : آكلت
السنة وكل بثلاثة أصابع .

وحدّثني عن إبراهيم بن شيبان رحمه الله تعالى أنه قال : منذ ثمانين سنة ما كنت

(١) سبأ : ٢٦ وتكملة الآية ، بيننا بالحق وهو المفتاح العليم .

شبهاً بشهوتي ، وكان أبو بكر السكتاني الدينوري ببغداد ولم يكن يأكل شيئاً يكون سبب إظهاره السَّرَّال والمعارضه.

وعن الجنيد رحمه الله تعالى أنه قال : من النذالة أن يأكل الرجل بدينه
وقال أبو تراب : عرض عليّ طعام فامتنعتُ من أكله فعوقبت بالجوع
أربعة عشر يوماً ، فعلمت أني عوقبت ، فاستغثتُ إلى الله تعالى وتبت .

وكان الجنيد رحمه الله تعالى يقول : بصفاء المطعم والملبس والمسكن يصلح الأمر
كله ، وحكى عن سريّ السقطي رحمه الله أنه كان يقول : أكلهم أكل المرضى
في يومهم يوم الغرق ، وقال أبو عبد الله الحصري رحمه الله تعالى : مكثت سنين لا يصلح
لي أن أقول لا أشتهي ، ولا يصلح لي أن آكل :

وحكى عن فتح الموصلي رحمه الله تعالى ، أنه دخل على بشر الخافي رحمه الله
وجاءه زائر من الموصل ، فأخرج بشر درهما وأعطاه لأحمد الجلاء ، وكان يخدمه ،
فقال : مر إلى السوق اشتر طعاماً جيداً وأدماً طيباً ، قال : فخرجت ، فاشتريت
خبزاً طيباً ، وقلت : لم يقل النبي عليه الصلاة والسلام لشيء من الطعام اللهم
بارك لنا فيه وزدنا منه إلا اللبن : فاشتريت اللبن واشتريت تمراً جيداً ، وجئت ،
وقدمت إليه ، فأكل ما أكل ، وأخذ الباقي وخرج ، فلما خرج قال بشر
لمن كان عنده : هذا فتح الموصلي جاءني يزورني تدررون لم لم يقل لي : كل ؟
قال : لأنه ليس للضيف أن يقول لصاحب الدار كل ، تدررون لم قلت : اشتر
طعاماً طيباً ؟ لأن الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر ، تدررون لم حمل ما بقي ؟
لأنه إذا صح التوكل لم يضر الحمل .

٢٢٢

وقيل لعروف السكرخي رحمه الله تعالى : كل من دعاك تمراً إليه !
فقال : إنما أنا ضيف أنزل حيث أنزلوني .

وحكى عن أبي بكر السكتاني رحمه الله تعالى أنه قال: اجتمع سنة من السنين ها هنا، يعني بمكة، مقدار ثلثمائة نفس من الفقراء والمشايخ، فكانوا كلهم في موضع واحد، وكان لا يجري فيما بينهم العلم والمذاكرة، ويكون أخلاق بينهم ومكارم وإيثار بعضهم مع بعض، وكان أبو سليمان الدراني رحمه الله تعالى يقول: إذا أردت حاجة من حوائج الدنيا والآخرة فلا تأكل حتى تقضيها فإن الأكل يميت القلب. وحكى عن رُوَيْمٍ رحمه الله أنه قال: منذ عشرين سنة لم يخطر بقلبي ذكر الطعام حتى يحضر.

وسمعت أحمد بن عطاء أبا عبد الله الروذباري يقول: كان أبو علي الروذباري رحمه الله، اشترى أحمالا من السكر الأبيض، ودعا جماعة من الخلاويين فاتخذوا من ذلك السكر جداراً عليه شرفات، وفي الجدار محاريب على أعمدة منقوشة كلها من السكر، ثم دعا الصوفية حتى هدموها وكسروها واتهبوها. وسمعت أبا عبد الله الروذباري أنه كان يقول: اخذ رجل ضيافة. فأوقد أنف سراج، فقتل له رجل: قد أسرفت، فقال له: ادخل الدار فكل سراج أوقدته تعير الله تعالى فأطش، فدخل الدار ليظنهم إفاً فقدر أن يظفي منها سراجاً واحداً وانقطع.

وحكى عن أبي عبد الله الحصري، رحمه الله، أنه قال: سمعت أحمد بن محمد السامى يقول: كت بمكة، وكان لي ثلاثة أيام لم آكل شئ، فوقع في راسي أن أجمع النساك ومن بالحرام من الفقراء وأهل الفضل، قال: فأتيتهم وهم مضرباً، وأقبلت الفتوح من كل جانب، فلم يزال على ذلك أحد يومه وهو في طرل تلك الأيام لم يأكل شئاً.

باب في ذكر آدابهم في وقت السماع والوجود

قال الشيخ رحمه الله ، حكي عن الجنيد رحمه الله تعالى : أنه كان يقول :
السمع يحتاج إلى ثلاثة أشياء وإلا فتركه أولى : الإخوان ، والزمان ، والمكان ،
وحكي عن الحرث المحاسبي رحمه الله تعالى أنه كان يقول : ثلاث إذا وجدت
تسع بهن ، وقد فقدناهن : حسن القول مع الهداية ، وحسن الوجه مع الصيانة ،
وحسن الإخاء مع الوفاء

وقال أحمد بن محمد بن مقاتل رحمه الله تعالى : [لما] دخل ذو النون رحمه الله تعالى :
بعد اجتماع إليه جماعة من الصوفية ، ومعهم قول بقول : فأستأذنه بأن يقول :
سنتا بين يديه ، فأذن لهم ، فابتدأ يقول :

صغيرُ هوائكَ عذبني فكيفَ به إذا أحتسكا
وأنتَ جمعتَ من قلبي هوى قد كان مُشتركا
أما ترى لِكُتَيْبٍ إذا ضحك الخليلُ بكى

فقام ذو النون وسقط على وجهه والدم يطر من جبينه ولا يستطع على الأوض ، قال :
ثم قام رجل من القوم يعني يتراجد ، فقل له ذو النون رحمه الله تعالى : « الذي
يرآك حين تقوم » (١) فحس ذلك الرجل .

قالو : وسئل إبراهيم المارستاني ، رحمه الله ، عن الحركة عند السماع وتخريق
التياب ، فقال . باغنى أن موسى عليه السلام قص في بني إسرائيل ، فمزق واحد
قميصه ، فأوحى الله تعالى : إلى موسى عليه السلام ، قل له : مزق لي قلبك
ولا تمزق ثيابك .

(١) الشعراء آية ٢١٨

قال الشيخ رحمه الله تعالى : ويدكر في باب وصف السماع ، وبيان الوجد تمام هذا الباب إن شاء الله تعالى :

وقد حكي عن الجنيد أنه قال : لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم ، وإنما يضر فضل الوجد مع نقصان العلم ، والمعنى في ذلك ، والله أعلم ، أن فضل العلم يوجب ضبط الجوارح ، عن الحركات ، عند السماع على قدر طاقة المستمع حتى يفيض على جوارحه بعد جهده ، وليس من الأدب استدعاء الحال والتكليف للقيام ، والفقراء المجرّدون يليق بهم القيام والمطوية من غير تذهب ولا تساكن إلى ذلك . وتركة أولى بهم ، وليس من الأدب المداخلة والمزاحمة في السماع مع أهل السماء . والسكون مع حضور القلب والوقوف على مرامي المستمعين ومعانيهم أولى من المداخلة معهم بالتكليف ، وربما يصير التكليف عادةً فيكون ذلك أغلاظها على القلوب وأظلمها للوقت ، وكل قلب ملوث بمحّب الدنيا ، فسماعه كسر ، وإن تلفت نفسه فيه وذهب روجه .

باب في ذكر آدابهم في اللباس

قال الشيخ رحمه الله : حُكِيَ عن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى : أنه لبس قميصاً أبيض ، يعني غسيلاً ، فقال له أحمد : لو لبيت قميصاً أجوداً من هذا ، أو كما قال ، فقال له : يا أحمد ، ليت قلبي في القلوب مثل قميصي في الثياب ، وحكى عن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى أنه قال : يلبس أحدم عبادة بثلاثة دراهم ، وشهورته في قلبه خمسة دراهم ، فما يستحي أن تجاوز شهوته لباسه ، وبلغني عنه أنه كان يقول : في قصر الثوب ثلاث خصال محمودة : استعمال الشبة ، والظافة ، وزيادة خرقته .

قال : ودخل جماعة على بشر بن الحارث رحمه الله تعالى ، وعليهم المرقعات . فقال لهم بشر : يا قوم ، اتقوا لله ولا تظهروا هذا الزي ، فاكم تعرفون به وتكرمون له ، فسكتوا كلهم ، فقام شاب من بينهم فقال : الحمد لله الذي جعلنا ممن يعرف به ويكرم له ، والله لنظهرن هذا لزي حتى يكون الدين كله الله ، فقال له بشر : أحسنت يا غلام ! مثلك من يلبس المرقعة .

وسمعت الوجيهي يقول : سمعت الجريري يقول : كان في جامع بغداد فقير لا تكاد تجده إلا في ثوب واحد في الشتاء والصيف ، فسئل عن ذلك ، فقال : قد كنت ولعت بكثرة لبس الثياب ، فرأيت ليلة ، فيما يرى النائم ، كأنني دخلت الجنة ، فرأيت جماعة من أصحابنا ، من الفقراء ، على مائدة ، فأردت أن أجلس معهم ، فإذا بجماعة من الملائكة أخذوا بيدي وأقاموني ، وقالوا لي : هؤلاء أصحاب ثوب واحد وأنت فلك قميصان فلا تجلس معهم ، فانتبهت ، فنذرت أن لا ألبس إلا ثوباً واحداً إلى أن ألقى الله عز وجل .

وقال أبو حنص الحداد رحمه الله تعالى : إذا رأيت ضوئ النقيير في ثوبه فلا ترج خيره .

وحكى عن يحيى بن معاذ الرزى أنه كان يلبس الصوف وأُخْلَقَان في ابتداء أمره ، ثم كان في آخر عمره يلبس الخبز واللين ، فقليل ذلك لأبي يزيد رحمه الله تعالى ، فقال : مسكين يحيى ؟ لم يصبر على الدون فكيف يصبر على البخت (١) .

وسمعت طيفور يقول : مات أبو يزيد ولم يترك إلا قميصه الذي مات فيه ، وكانت (٢) عاريةً عليه ، فردوه إلى صاحبها ، ومات ابن الكرّيني ، وكان أستاذ الجنيد رحمه الله ، وعليه مرقعته ، فكان فرد كُمّه وتخاريزه عند جعفر الخلدى فيه ثلاثة عشر رطلا كما بلغنى :

ويقال إن أبا حفص النيسابورى ، رحمه الله ، كان يلبس قميصاً خزاناً ، وثياباً فاخرة وكان له بيت فرش فيه الرمل .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وآداب النقراء في اللباس ، أن يكونوا مع الوقت ، إذا وجدوا الصوف أو اللبد أو المرقعة لبسوا ، وإذا وجدوا غير ذلك لبسوا ، والنمير الصادق أئش ما ليس يحسن عليه ، ويكون عليه في جميع ما يلبس الجلالة والمهابة ، ولا يتكاف ولا يختار ، وإذا كان عليه فصل يواسى من ليس معه ، ويؤثر على نفسه إخوانه بإسقاط رؤية الإيثار ، ويكون أخلقن أحب إليه من الجديد ، ويتبرء بالثياب الكثيرة الجيدة ، ويضمن بالحريقات الخلق القليلة ، ويتكاف للنظافة والطهارة ، وإن أخذت في ذكر ما يجب في هذا الباب يطول وفيما ذكرته

(١) في نسخة أخرى : البخت

(٢) قوله : وكانت . الصواب أن يقال : وكان لأن ، القميص مذكور وليس بمؤنث

باب في ذكر آدابهم في أسفارهم

قال الشيخ رحمه الله تعالى : حُكِيَ عن أبي عليّ الروذباري ، رحمه الله تعالى ، أنه جاء إليه رجل ، وكان عزيمته أن يسافر ، فقال : يا أبا عليّ تقرل شيئاً؟ فقال : بافتي ، كانوا لا يفتشون عن موعده ، ولا يفترقون عن مشوره .

قيل : وسئل رُويم رحمه الله تعالى ، عن أدب المسافر في سفره إذا أراد أن يسافر ، فقال : لا يجاوز همته قدومه ، وحيث ما وقف قلبه يكون منزله .

سمعت هذه الحكاية عن عيسى النصار الدينوري قال : سألت رُويماً .

وحُكِيَ عن محمد بن إسماعيل أنه قال : كُنَّا نَسافر منذ عشرين سنة ، أنا وأبو بكر الزقاق وأبو بكر السكتاني رحمه الله عليهم ، لا نختلط بأحد من الناس ، ولا نعاشر أحداً ، فإذا قدمنا [إلى] البلد ، إن كان فيه شيخ سلمنا عليه وجالسناه إلى الليل ، فإذا جاء الليل رجعنا إلى مسجد ، فيقدم السكتاني فيصلّي من أول الليل إلى أن يُصبح ، ويختم القرآن ، ويجلس الزقاق مستقبل القبلة ، وأنا متفكر إلى أن نُصبح ، ثم يصلي كُنَّا صلاة الغداة بوضوء العتمة ، فإذا وقع معنا إنسان ينام كُنَّا نرى أنه أفضلنا .

وقال أبو الحسن المزين رحمه الله تعالى : حكم الفقير أن يكون كل يوم في منزل ، ولا يموت إلا بين منزلين . وفيما حُكِيَ عن المزين الكبير رحمه الله أنه قال : كنت يوماً مع إبراهيم الخراس رحمه الله ، في بعض أسفاره ، فإذا عقرب يسعي على فخذه ، فقلت لأقْتلها ، فمنعني من ذلك وقال لي : دعها ، كل شيء مفتقر إلينا ، واسنا مفتقرين إلى شيء .

وكان الشبلي ، رحمه الله تعالى ، إذا نظر إلى من يسافر من أصحابه ، ويرى تقطعهم في أسفارهم يقول : ويلكم ! أبدًا مما ليس منه بد .

وَحَكِي عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ النَّصِيبِيِّ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، قَالَ : سَافَرْتُ ثَلَاثِينَ سَنَةً مَا خَطَّتْ قَطُّ خِرْقَةً عَلَى مِرْقَعَتِي ، وَلَا عَدَلْتُ إِلَى مَوْضِعٍ عَلِمْتُ أَنَّ فِيهَا رَفَقًا ، وَلَا تَرَكْتُ أَحَدًا يَحْمِلُ مَعِيَ شَيْئًا .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : ليس من آدابهم أن يسافروا للدوران والنظر إلى البلدان وطلب الأرزاق ، وإنما يسافرون إلى الحج والجهاد (١) ، ولقاء الشيوخ ، وصلة الرحم ، ورد المظالم ، وطلب العلم ، ولقاء من يفيدون منهم شيئاً في علوم أحوالهم أو إلى مكان له فضل وشرف ، ولا يتركون في أسفارهم شيئاً من أخلاقهم وأورادهم التي كانوا يعملونها في الحضر ، ولا يغتيمون قصر الصلاة ، وإن طار شهر رمضان ، وإذا كان جماعة يمشون بمشي أضعفهم ، ويخدمهم لأشفق عليهم ، وإذا جلس واحد لقضاء حاجة وقتوا الفراغ ، وإن تخلف (٢) واحد انتظروه ، وإن عمز أحدهم عن المشي أو اعتل أقاموا عليه ، وإذا دخل وقت الصلاة لم يبرحوا من موضعتهم حتى يصلوا ، إلا أن يكون معهم ماء أو بقرب منهم الماء ، وهذا حال الضعفاء .

وأما حال الأقوياء ، فكما قل إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى : ما هابني شيء قط إلا ررر كتته .

وكما سئل أبو عمران رحمه الله عن الجزع والعجز لدى يالحق المسافر في سفره

(١) يعتقد كثير من الناس أن الصوفية لا شأن لهم بالناحية العملية قط ، ويسرنا هنا ، أن نذكر هؤلاء ، أن الصوفية كانت لهم جولات موفقة في الحروب وكانوا يديعون أنفسهم لله ، مجاهدين صابرين وها هو الموافق يبه إلى أن من أغراض الصوفية في أسفارهم : الجهاد . (٢) قوله : وإن يخلف : الصواب . تخلف .

فقال : إذا خفتَ عليه فألقه في اليم ، يعني : لا تبال أي شـ ما لحقك بعد ما تكون متوجهاً إلى الله تعالى وهو أبو عمران الطبرستاني .

وقال أبو يعقوب السوسى رحمه الله تعالى : يحتاج المسافر في سفره إلى أربعة أشياء ، وإلا فلا يسافر : علم يسوسه ، وورع يحجزه ، ووجد يحمله ، وخلق يصونه .

وقال أبو بكر الكتاني ، رحمه الله : إذا سافر الفقير إلى اليمن ، ثم رجع إليه مرة أخرى ، هجروه ، وتأمرُوا بهجرانه .

ويقل : إنما سُمى « السفر » سفراً ، لأنه يُسفر عن أخلاق الرجال .

فيذا ما حضرني من آدابهم في أسفارهم . وبالله التوفيق .

باب في ذكر آدابهم في بذل الجاه والسؤال والحركة

من أجل الأصحاب

قال الشيخ رحمه الله تعالى : سمعت جماعة من أصحاب الشيخ أبي عبد الله الصبيحي يقولون : لا يصح المقر للفقير حتى يخرج من الأملاك ، فإذا خرج من الأملاك يتولد له جاهٌ من ذلك ، فينبغي أن يبذل جاهه حتى لا يبقى له جاه ، فإذا بذل جاهه بقي عليه قوة نفسه فيبذل ذلك ، يعني نفسه ، لأصحابه بالخدمة لهم والحركة في أساليبهم . فعند ذلك يصح له المقر . سمعت أبا عبد الله البرزقاني يقول : دخل المظفر القرميسي الرملة ومعه السيد ، وكان لهما جاه عظيم عند أغنياء البلد ، فما زالوا يبذلون جهمهم وينفقون على الفقراء حتى لم يبق لهم جاه عند أحد ، وكان لا يعطيهم أحد شيئاً بسؤال ولا بدّين ولا برهن ، فعند ذلك كان يطيب وقتهم وقيل لإبراهيم بن شيبان رحمه الله : أيش حال مظفر القرميسي الخرقان والسؤال والخدمة لأصحابه ، فقال : قد رفع قدماً في التتوة لله فلا يريد أن يتأخر عن قدم رفعتها لله تعالى .

وكان بعض الصوفية ببغداد لا يكاد أن يكل شيئاً إلا بذل السؤال ، فمضت عن ذلك ، فقال : اخترت ذلك أشدة كراهية نفسي ذلك . ودخل شيخ من أجه الشيوخ بلداً ، فرأى فيها مسجداً قد أجا به نفسه لكل شيء . من الطاعات والعبادات والمقر والتقليل ، وكان قد تولد له من ذلك قبول عند العامة ، فقال له بعض الشيوخ : لا يصح لك جميع ما أنت فيه إلا أن تُكدي الكيس من الأبرار . فاستجاب له . فغيره ، فصعب ذلك على المرید وسعجز عن ذلك ، فمضت به مطرقة إلى السؤال والحاجة ، فكان يرى أن ذلك عقوبة تخلفته لذلك الشيخ في أيامه .

قال أبو نصر رحمه الله تعالى : كان هذا الشيخ أبو عبد الله بن المقرئ ، والشيخ الذي أمره بالسؤال أبو عبد الله السجزي رحمه الله .

وبلغني عن شيخ من الأئمة أنه كان يصوم ويطلب لإفطاره كسراً من الأبواب ولا يأكل غيرها شيئاً إلى وقت إفطاره من الليلة الثانية ، فنظن به رجل ، فوضع بين يديه طعاماً فلم يأكل منه ، وفارق ذلك الموضع الذي عُرف به ، ولم يرجع إليه بعد ذلك .

وحكى عن ممشاذ الدينوري أنه كان ربما ربما يقدم عليه جماعة من إخوانه من الفقراء ، وكان يدخل السوق ويجمع في حجره كسراً من الدكاكين ، ويحمل إليهم .

وحكى عن بنان الحمّال أنه قل ما علمت قط بأني صفتان إلا مرة واحدة ، رأيت فقيراً يصوم النهار ، ويخرج بعد المغرب إلى السوق ، ويأخذ من كل دكان نقمة ، فإذا سد رمقه رجع إلى موضعه ، فأخذته معي ليلة ، وكنت آخذ من الناس الخبز الكثير والملح والخلواء والقواكه وأدفع إليه حتى اجتمع معه من ذلك شيء كثير ، فلما أراد أن ينصرف ، قل لي : يا شيخ ، أنت صاحب شرطة ؟ فقلت : لا ، أنا بنان الحمّال ، فرمى جميع ما كان معه في وجهي ، وقال لي : يا صفتان ، هذا الذي فعله أبت إنما يفعله عندنا صاحب الشرطة لا المشايخ ، كل من تقول له : هات فيعطيك ما تريد .

وحكى عن بعض المريدين ، وطلب شيئاً لأصحابه وأكل معهم ، فأنكر عليه جماعة من المشايخ أكله معهم ، وقالوا : خدعتك نفسك وطلبت لنفسك ، ولو كنت طلبت لأصحابك وبذلت جاهك لهم لم تأكل معهم .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وحكم من يفعل ذلك أن يترك ذلك إذا صارت عادته ، وسكنت إلى ذلك نفسه ، ومن سأل الضرورة لم يأخذ إلا مالا بدله من ذلك فإن أعطوه الكثير فيأخذ منه حاجته ويخرج الباقى .

والأكل بالسؤال أجمل من الأكل بالمقوى ، والنقير إذا اضطر إلى السؤال فكفارته صدقة ، ومر على بعض المشايخ أيام^{هـ} ولم يأكل شيئاً ، وكان في بلد غريبة حتى كاد يتلف ، ولم يسأل ، فقليل له في ذلك ، فقال : منعى عن السؤال قول النبي صلى الله عليه وسلم : لو صدق السائل ما أفصح من ردّه ، وكرهت أن يردني مسلم فلا يفلح أقول النبي صلى الله عليه وسلم .

باب في ذكر آباہم إذا فتح عليهم شيء من الدنيا

قال الشيخ رحمه الله : أبو يعقوب التَّرجوري رحمه الله تعالى : سمعت أبا يعقوب السوسى رحمه الله تعالى ، يقول : جاء ما فقير ، ونحن بأرجان ، وسهل بن عبد الله رحمه الله تعالى يومئذ بها ، فقال : إنكم أهل العناية ، فقد نزلت بي محنة ، قال سهل بن عبد الله رحمه الله : في ديوان المحن ، وقعت منذ تعرضت لهذا الأمر ، فما هي ؟ قال : فتح لي شيء من الدنيا ، فاستأثرت بها في غير ذي محرم ، ففقدت إيماني وحالي ، فقال سهل لأبي يعقوب رحمه الله تعالى : أأيش تقول في هذا ؟ قال : فقلت : محنته بحاله أعظم من محنته بإيمانه ، فقال سهل : مثلك يقول هذا .

وحكى عن خير النساء رحمه الله تعالى ، قل : دخلت بعض المساجد وإذا فيه فقير من الفقراء ، وكنت أعرفه ، فلما رأني تعلق بي ، وبكى ، وقال لي : أيها الشيخ ، تعطف علي ، فإن محنتي عظيمة ، فقلت : يا هذا وما محنتك ؟ قال لي : فقدت البلاء وقورنت بالعافية ، وأنت تعلم أن هذه محنة عظيمة ، قال : وكان قد فتح عليه شيء من الدنيا .

وقال أبو تراب النخشي رحمه الله تعالى : إذا توافرت النعم على أحدكم فإيبك على نفسه فإنه سالك به غير طريق الصالحين .

وسمعت الوجيبي رحمه الله تعالى يقول حمل إلى بنان الحمال ألف دينار ، وصبوه بين يديه ، فقل للذي صبه : ارجع وخذ ، ووالله لولا ما عليه من كتابة اسم الله تعالى لبذلت عليها ، هو ذا يغرر بي بهريقه . قال : وفتح لابن بنان رحمه الله تعالى أربعة دراهم ، وهو شحم ، فوضعوها عند رأسه ، فرأى في المنام كأن قائلاً يقول : من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أعمى الله تعالى قلبه ، فاتتبه فأخذ منها دانتين وترك الباقي .

وسمعت ابن علوان رحمه الله تعالى يقول حُبل إلى الحسين النورى رحمه الله
ثلثمائة دينار ، قد باعوا عقر رأسه ، فجلس على قطرة الصَّراة وهو يحذف بواحد واحد
منها إلى الماء ، ويقول : سيدى تريد أن تخدعنى عنك بهذا .

وحكى جعفر الخُلدى رحمه الله تعالى ، قال : كان ابن زيرى من أصحاب الجنيد
رحمهما الله تعالى ، وكان قد فُتح عليه شىء من الدنيا ، فانقطع من الفقراء ، فاستقبلنا
يوماً وفى كفه منديل فيه دراهم كثيرة ، فلما رأنا من بعيد قال : يا أصحابنا ، إذا
كنتم أنتم متعززون بالفقر ، ونحن متعززون بالغنى ، فمتى نلتقى ؟ قال : ثم رمى إلينا
بجميع ما كان فى كفه .

وقال أبو سعيد بن الأعرابى : كان فتى يصحب أبا أحمد القلانسى رحمه الله ،
ثم غاب عنه مدة ، ثم رجع من سفره وقد فُتح عليه شىء من الدنيا واجتمع عنده
مال ، فقلنا لأبى أحمد : تاذن لنا أن نزوره ؟ فقال : لا ، فإنه كان يصحبنا على البقر ،
ولو بقى حاله ، كان ينبغى لنا أن نزوره ، فإذا رجع من سفره على هذه الخلة فيجب
عليه أن يزورنا .

وحكى أبو عبد الله الحصرى رحمه الله تعالى ، قال : مكث أبو حفص الخُدردى
رحمه الله بالرملة ، وعليه خرقتان ، وفى وسطه ألف دينار ، وهو يمكث اليومين
والثلاثة والأربعة وأبى أن يأكل منها ، وهو يواسى الفقراء منهم ، إلى أن فنى
عن آخرها .

وقال الحصرى رحمه الله تعالى ، خرجت مع الشبلى فى أيام القحط فطرد
أصديقه ، فدنا منى على إنسان فأعطاه دراهم كثيرة ، قال : فجدد منى منى
ملاى من الدراهم ، فكلنا قمينا إنساناً من الفقراء أعطاه به حتى لم يبق إلا القليل
فقلت له : يا سيدى ، الصبيان فى البيت جوع ، فقال لى : أليس أعمال ؟ فبَكَد
الجيد حتى اشترت شياً من الكسب والبزور وما بقى من الدراهم ، وحمله
إلى صديقه .

وحكى عن أبي جعفر الدراج رحمه الله تعالى ، قال : خرج أستاذي يوماً
يتطهر ، فأخذت كسفه ففتشته ، فوجدت فيه شيئاً من الفضة مقدار أربعة دراهم ،
فتحيرت في أمره ، وكان لنا أوقات لم نأكل شيئاً ، فلما رجعت قلت له : كان في كفك
كذا ونحن جوعاً ، قال : هاه أخذته ، رُدّه ، ثم قال لي بعد ذلك : خذ واشتر
به شيئاً ، فقلت بحق معبودك ما أمرُ هذه الفضة ؟ فقال : لم يرزقني الله تعالى شيئاً
من الدنيا [لا] صفراء ولا بيضاء غيرها ، فأردت أن أوصي أن تدفن معي فإذا كان
يوم القيامة أردّها إلى الله تعالى ، أقول : هذه الذي (١) أعطيني من الدنيا ، أو كما قال
قال ودفع وزير المعتضد مالاً إلى أبي الحسين النوري ، رحمه الله تعالى ، حتى
يفرقه على المتصوفة ، فصبه في بيت وجمع صوفية بغداد فقال لهم : كل من يحتاج
منكم إلى شيء فليدخل البيت وليأخذ حاجته منه ، فكان يأخذ الرجل مائة درهم ،
والآخر أكثر والآخر أقل ، ومنهم من لا يأخذ شيئاً ، فلما فئت الدراهم ، ولم يبق
شيء قال لهم : بُعدكم من الله تعالى على مقدار أخذكم من الدراهم ، وقربكم من
الله تعالى على مقدار ترككم لها .

(١) قوله : الذي . الصواب أن يقال : التي

باب في ذكر آداب من اشتغل بالمكاسب والتصرف

في الأسباب

قال الشيخ ، رحمه الله تعالى : قال مهرا بن عبد الله رحمه الله : من طعن على
الاكتساب فقد طعن على السنة ، ومن طعن على التوكل فقد طعن على الإيمان .
ومثل الجنيد رحمه الله عن الكسب ، فقل يستقي الماء ويلقط الوبى .
وكتب إسحق المغازلي رحمه الله تعالى ، وكان من أحد المشيخ ، إلى بشر بن
الحارث رحمه الله تعالى ، وكان بشر^ه يعمل المغازل ، فكان في كذبه : ياغنى عنك
أنك استغنيت عن أمر معاشك بعمل هذه المغازل ، أرأيت إن أخذ الله تعالى سمك
وبصرك الملتجأ إلى من ؟ قال ، فترك بشر^ه ذلك العمل واشتغل بالعبادة .

ومأل رجل ابن سالم ، بالبصرة ، رحمه الله تعالى ، وأنا حاضر في مجامع ، وكان
يتكلم في فضل المكاسب ، فقال له : أيها الشيخ ، نحن مستعدون بالكسب أم
بالتوكل ؟ فقال ابن سالم : التوكل حال ارسول ، والكسب سنة ارسول الله صلى
الله عليه وسلم ، وإنما استن لهم الكسب لعله يضعفهم ، حتى إذا سقطوا عن درجة
التوكل التي هي حاله لا يسقطوا (١) عن درجة طاب المعاش التي هي سنته ، ولا
ذلك لهلكوا .

وحكى عن عبد الله بن المبارك أنه كان يقول : لا خير فيمن لا يفتقر
ذل المكاسب .

وكان عبد الله بن المبارك يقول : مكاسبك لا تمعك من التوكل والتوكل
إذا لم تضعيهما في كسبك ، ويقال : إن أبا سعيد الخراساني ، رحمه الله ، خرج سنة

(١) قوله . لا يسقطوا . الصواب . لا يسقطون .

من الستين من الشام إلى مكة مع القافلة ، فجلس ليلة إلى الصباح يخرز نعال أصحابه من الفقراء والصوفية .

وقال أبو حفص رحمه الله تعالى : تركت الكسب مرة ، ثم عارذته ، ثم تركت الكسب ، فلم أعاود إليه بعد ذلك .

وحكى عن بعض الفقراء أنه كان بدمشق رجل أسود ويصحب الصوفية ، وكان يمر كل يوم يدق الجص بثلاثة دراهم ولا يأكلها إلا في ثلاثة أيام ، فإذا أخذ الأجر ، يشتري به طعاماً [ما] ، ويجيء إلى أصحابه ، ويأكل معهم كفاً ، ويرجع إلى عمله .

وحكى عن أبي القاسم المنادي رحمه الله تعالى ، أنه كان يخرج من منزله ، فإذا كان وقع في يده مقدار دانقَيْن يرجع من الطريق إلى منزله أى وقت كان .

وحكى عن إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى ، [أنه] كان يقول : إذا عرج المرید على الأسباب بعد ثلاثة أيام فالعمل في المكاسب ودخول السوق أولى به .

وحكى عن إبراهيم بن أدهم أنه كان يقول : عليك بعمل الأبطال ، الكسب من الخلال والنفقة على العيال .

قال أبو نصر رحمه الله تعالى : ومن اشتغل بالمكاسب فادبه أن لا يشتغل عن أداء الفرائض في أوقاتها ، ولا يرى رزقه من ذلك ، وينوى بذلك معاونة المساكين ، وينصفهم ، فإذا فضل شيء من كسبه ونفقة عياله ، لا يجمع ، ولا يمنع ، وينفق على إخوانه من الفقراء الذين ليس لهم معاش ولا معلوم ولا سؤال ، لأنه

وإن امتحن بذلك ، فهو واحد منهم ، وكذلك هؤلاء الذين ليس لهم علاقة إذا فتح عليهم شيء ساعدود ، ويهتمون بأسبابه أكثر من اهتمامهم بأنفسهم .

وحكى عن أبي حفص الحداد رحمه الله تعالى ، أنه كان أكثر من عشرين سنة يعمل في كل يوم بدينار ، ويُنفقه عليهم ، يعني للصوفية ، ولا يسأل عن مسألة ويصوم ، ثم يخرج بين العشاءين فيتصرف من الأبواب .

وقال الشبلي رحمه الله : أيش حرقتك؟ فقال: خراز ، فقال له : نسيت الله تعالى بين الخرز والخرز (١) .

وقال ذو النون رحمه الله تعالى : إذا طلب العارف المعاش فهو لا شيء ، والله تعالى أعلم .

(١) قوله : بين الخرز والخرز . الأظهر أن يقال : بين الخرزة والخرزة

باب في أداء الأخذ والعطاء ، وإدخال الرفق على الفقراء .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : أخبرني جعفر الخلدی ، رحمه الله ، قال : سمعت
الجيد ، رحمه الله تعالى ، يقول : سمعت سري السقطی ، رحمه الله تعالى ، يقول :
أعرف طريقاً مختصراً إلى الجنة : لا تسأل أحداً شيئاً ، ولا تأخذ من أحد شيئاً ،
ولا يكون (١) معك شيء تعطى أحداً .

وحكى عن الجيد ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : لا يصح لأحد الأخذ حتى
يكون الإخراج أحب إليه من الأخذ .

وقال أبو بكر [أحمد] بن حمويه صاحب الصبيحي رحمه الله تعالى : من أخذ
الله أحد بجزء ، ومن ترك لله ترك بجزء ، ومن أخذ بغير الله أخذ ببدل ، ومن ترك بغير
الله ترك ببدل .

سمعت أحمد بن عليّ الوجيهي يقول : سمعت الزرقق يقول : استقبلني يوسف
الصبيح بمصر ، معه كيس فيه دراهم ، فأراد أن يناولني ، فرددت يده إلى صدره ،
فقال : خذها مني ولا تردها عليّ ، فلو علمت أني أملك شيئاً أو أني أعطيك شيئاً
ما أعطيتك هذا .

سمعت أحمد بن عليّ يقول : سمعت أبا عليّ الروذباري رحمه الله تعالى يقول : ما رأيت
أحسن أدباً من ابن ربيع الدمشقي في إدخال الرفق على الفقراء ، وذلك أني بتُّ
عنده ليلة ، فشكيت عن سهل بن عبد الله ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : علامة الفقير
الصادق أن لا يسأل ولا يرُدّ ، ولا يجبس ، فلما أردت أن أفارقه ، حمل معه شيئاً
من الدراهم ، ووقف على الجانب الذي حملت ركبتي ، وقال لي : كيف حكيت
عن سهل الحكاية ؟ فلما حكيت له الحكاية ، وقالت له : لا تسأل ولا ترد ، فطرحها
في ركبتي ، وانصرف .

(١) قوله : ولا يكون . سياق الكلام يقتضي أن يقال : ولا يكن بالجزء عطفاً على ما قبله

وقال أبو بكر الزقاق رحمه الله تعالى : ليس السخاء أن يعطى الزاجد المعدم ،
إنما السخاء أن يعطى المعدم الواجد .

وحكى عن أبي محمد السُّرْتَعَش ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : لا يصلح الأخذ
عندي حتى تقصد من تأخذ منه فتأخذ له لالك .

وحكى عن جعفر الخلدي ، عن الجنيد رحمه الله تعالى أنه قال : ذهبت يوماً
إلى ابن الكُرَيْبِيِّ ومعي دراهم أريد أن أدفعها إليه ، وكان عندي أنه لا يعرفني ،
وسألت أن يأخذ ذلك فقال : أنا عنه مستغن ، وأنى أن يأخذ مني ، فقلت له : إن
كنت [أنت] عنها مستغنيا فأما رجل من المسلمين أسرُّ بأخذك لها فتأخذها لإدخال
السرور على ، فأخذها مني .

وذَكَرَ عن أبي القاسم المنادي ، رحمه الله تعالى ، أنه كان إذا رأى دخاناً
يخرج من [بيت] بعض جيرانه ، فيقول لبعض من يكون عنده : مرّ لي
هؤلاء فقل لهم : أعطونا من هذا الذي تطبخون ، فقل له قائل : نفسي يسخنون
الماء ، فقل : مرّ إليهم ، لأى شيء يصلح هؤلاء الأغنياء غير أن يعطونا شيئاً
ويشفهوا لنا في الآخرة .

وقال الجنيد رحمه الله تعالى : حملت دراهم إلى حسين بن المصري ، وكانت
امرأته قد ولدت ، وهم في الصحراء ، وليس لهم جار ، فأبى أن يقبلها مني ،
فأخذت الدراهم ، ورميت في الحجرة التي كانت فيها المرأة ، وقلت : أيتها المرأة
هذه لك ، فلم يكن له حيلة فيما نعت .

وسئل يوسف بن الحسين ، رحمه الله تعالى ، إذا واحيت رجلاً في الله .
فخرجت إليه بكل ما لي ، هل أكون قائماً بعهده فيما ماكني الله تعالى ، قل :
أنسى لك بما ألزمتك من ذلِّ الأخذ ، واستدركت من عزِّ الإعطاء ، إذا كان في العطاء
رفعة وفي الأخذ مذلة .

باب في آداب المتأدلين ومن له ولد

قال الشيخ رحمه الله تعالى : قال أبو سعيد بن الأعرابي : كان سبب تزويج أبي أحمد القلانسي ، وأمه مصعب بن أحمد ، أن شاباً من أصحابه خطب ابنة لصديق لأبي أحمد ، فلما حضر وقت عقد النكاح امتنع الشاب واستحيا من ذلك الرجل الذي كان يزوجه بابنته ، فلما رأى ذلك أبو أحمد قل : ياسبحان الله يزوج رجل بكرمته فتمتنع عليه ، فاعقدوا النكاح على أبي أحمد وقبل رأس أبي أحمد ، قال : ما علمت أن لي عند الله تعالى من المقدار أن يكون لي مثلك ختن ، وما علمت أن لابنتي عند الله تعالى من المقدار أن يكون لها مثلك زوج .

قل أبو سعيد : بقيت عنده ثلاثين سنة وهي بكر ، أو كما قال .

وحكى عن محمد بن عليّ القصار ، رحمه الله تعالى ، أنه كان له أهل وولد ، وكانت له بنية ، وكان جماعة من أصدقائه عنده يوماً فصاحت الصبية برب السماء تريد السكب ، فضحك محمد بن عليّ وقال : قد أدبتهم بذلك حتى إذا احتاجوا إلى شيء يطلبون من الله تعالى ولا يطلبون مني .

وسمعت الوجيبي يقول : كان لبنان الحلال رحمه الله تعالى أولاد، فربما كان يجيء أبه ويقول : يا أبي ، أريد خبزاً ، وكان يصفعه ويقل : مرّ كدّ مثل أهلك وقل : وحاء يوماً قل : يا أبي ، إني أريد ممشاً ، قل : فأخذ بيده وجاء به إلى من يبيع الممش وقال له : ادفع إليه ممشاً بقيراط حتى أصبح على ممشك إلى أن تبعه ، فدفع إليه الرجل ، ووقف بنان يصيح : يا أيها الذم اشتروا من هذا الصغير المذاء الذي يفنى ولا يبقى ، فما لبث طويلاً حتى باع الرجل ممشه كله .

وحكى عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى أنه قال : إذا تزوج البقير فمثلته مثل رجل قد ركب السفينة ، فإذا وُلد له قد غرق ، وهذه الحكاية تُعرف لسفيان الثوري رحمه الله تعالى .

وحكى عن بشر بن الحارث ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : لو دفعتُ إلى الاهتمام بمؤنة وحاجة ما أمنتُ على نفسي أن أصبحُ شرطيًّا ، وكان لأبي شعيب البرائي كوخٌ ، فمرتُ به امرأة من أبناء الدنيا فقالت له : إني أريد أن أتزوج بك وأخدمك ، فخرجت من جميع ما كانت تملكه ، وتزوج بها أبو شعيب ، فلما أرادت أن تدخل الكوخ نظرت إلى قطعة خُصاف فقالت : ما أنا بداخله حتى تُخرجها ، أليس سمعتك تقول : تقول الأرض لابن آدم تجعل [اليوم] بيني وبينك شيئاً وأنت غداً في بطني ؟ فما كنتُ لأجعل بيني وبينك حجاباً ، فأخذ الخُصاف وأخرجها فرمى بها ، ثم قال : ادخلي ، فدخلتُ فمكثنا يتعبدان في ذلك المكان سنين كثيرة ، حتى توفيا وهما على تلك الهيئة .

قال الشيخ رحمه الله : وليس من آداب من تزوج ، أو كان له ولدٌ ، أن يكيل أمرَ عياله إلى الله تعالى ، ويجب عليه أن يقوم بفرضهم ، إلا أن يكونوا مثله في الحال ، وليس من آدابهم أن يتزوجوا ذوات اليسار ، ويدخلوا في رفق أسدبهم ، ومن أدب البقير أن يتزوج بفقيرة مُقلّة ، وأن ينصفها ، وإن رغبت فيه امرأة غيبه أن لا يرتفق منها .

وحكى عن فتح الموصلي ، رحمه الله تعالى ، أنه أحذيوماً صبيّاً له فقيرٌ ، ففتحه : سمعتُ هاتفاً يقول : يا فتح ، ألا تستحي أن تحب معناه غير الآقيل : فإقبت ولدألى بعد ذلك .

فإن قول قائل قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أولاد وكان يقبأهم ويعانقهم ويضمهم إلى صدره ، وقال الأقرع بن حابس لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله .

إلى عشرة من الولد ما قبّلتُ واحداً منهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : من لا يرْحَمَ
لا يُرْحَمَ ، يقل لقائل هذا القول : قد أبعدت القياس ، لأن النبي عليه الصلاة
والسلام إمام الخلق إلى يوم القيامة ، ومصحوبه العصمة وقوة البوة وأنوار الرسالة
في جميع الأشياء ، لا يأخذ منه الأشياء ، ولا يكون في الأشياء بخظه : لأن
جميع حركاته تأديبٌ للغير من أمته ، وهؤلاء ليس لهم تلك القوة ولا ذلك
التخصيص ، وإذا لاحظهم بعنايته يغار عليهم أن يدعهم أن يلتفتوا بخواطهم
إلى من سواه .

باب في ذكر آدابهم في الجلوس والمجالسة

قال الشيخ رحمه الله تعالى : حُكِيَ عن سَريِّ السَّقَطِيّ رحمه الله تعالى أنه كان يقول : الجلوس في المساجد حوائث ليس لها أبواب .

وَسُئِلَ سَريٌّ عن المروءة ، فَقَالَ : صيانة النفس عن الأُداس ، وإنصاف الناس في المجالسة ، فإن زاد كان متنضلاً .

وقال بعض المشايخ : النقيير ينبغي له أن تكون سجّاداته على أليتيه ، يعني من كثرة الجلوس .

وَحُكِيَ عن أبي يزيد رحمه الله أنه قال : قمت ليلة أصلي ، فعبيت ، فجلست ومددت رجلي ، فسمعت هاتفاً يقول : من يجالس الملوكة ينبغي له أن يحسن الأدب .

وعن إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى أنه قال : تربعتُ مرة فهتف بي هاتفاً هكذا تجالس الملوكة ؟ فما تربعت بعد ذلك أبداً .

وقال إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى : رأيت فقيراً له جلسة حسنة ، فتقدمت إليه ومعى دراهم ، فصبتها في حجره ، فقال : اشتريت هذه الجلسة بمائة ألف درهم ، تريد أن أبيعها بهذا ؟ .

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى : مجالسة الخائفين تسمى الروح ، وروية الأصدقاء تمنع الذوق .

وسمعت الوجيبي يقول : رأيت ابن مملوكة المطار الدينوري ، وقد تبرّم بليس له ، فقلت تجالس مثل هذا ؟ فقال ابن مملوكة : لا تمكن مفاصله :

ويقال : إذا أشكل عليك أمرٌ أخيك فاعتبره بخليسه .

قال : وكان حسن القزّاز رحمه الله تعالى له أخذٌ فكان يكثر الجلوس بالليل ، فسئل عن ذلك ، فقال : بُني هذا الأمر على ثلاثة أشياء : أن لا نأكل إلا عن فاقة ، ولا نتكلم إلا عن ضرورة ، ولا ننام إلا عن غلبة .

وقال جعفر : كان الجنيد رحمه الله تعالى يقول : لو علمت أن صلاة ركعتين أفضل من جلوسى عندكم ما جالسْتُكم .

باب فی ذکر آدابہم فی الجوع

قال الشيخ رحمه الله تعالى : قال يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى : لو علمت أن الجوع يباع في السوق ما كان ينبغي لطلاب الآخرة إذا دخلوا السوق أن يشتروا غيره .

وقال : الجوع على أربعة أوجه : للمريدين رياضة ، وللتائبين تجربة ، وللزهاد سياسة ، وللعارفين مكرمة .

قال وكان سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى كلما جاع قوى ، وإذا آكل شيئاً ضعف .

وقال سهل رحمه الله تعالى إذ شبعتم فاطلبوا الجوع ممن ابتلاكم بالشبع ، وإذا جعتم فاطلبوا الشبع ممن ابتلاكم بالجوع وإلا تماديتم وطغيتم .

وقال أبو سليمان رحمه الله : الجوع عنده في خزائن مدخرة لا يعطيه إلا لمن يجبه خاصة

وسمعت ابن سالم يقول كلاماً في معنى أدب الجوع : أن لا ينقص من عاداته إلا مثل أذن السَّنور ، فقلت له : قد حكيت بالأمس ، وقيل ذلك عن سهل بن عبد الله ، رحمه الله تعالى ، أنه كان لا يأكل الطعام ثلثين وعشرين يوماً . وكان سهل رحمه الله تعالى لا يترك الطعام ، وإن كان الطعام يترده ، بل كان يرد على قلبه ما يأخذه ويشغله عن أكل الطعام .

وسمعت عيسى القصار رحمه الله يقول : من أدب الجوع أن يكون الفقير موقفاً للجوع في وقت الشبع ، حتى إذا جاع يكون الجوع أيسره .

وسمع شيخ من المشايخ رجلاً من الصوفية يقول : أنا جائع . فقال له : كذبت ،
ف قيل له : لم قلت ذلك ؟ فقال : لأن الجوع سرٌّ من سرِّ الله تعالى ، موضوع في
خزائن من خزائن الله تعالى ، لا يرضه عند من يُفشيهِ .

قال : ودخل [رجلٌ] من الصوفية على شيخ ، فقدم إليه طعاماً ، فأكله ، فقال له :
مذ كم لم تأكل الطعام ؟ قال : مذ خمس ، فقال : ليس بك جوع النقر ، جوعك
جوع مخل ، عليك ثيابٌ وأنت تجوع ؟ أو كما قال .

باب في ذكر آداب المرضى في مرضهم

قال الشيخ رحمه الله تعالى : سمعت بعض أصحاب ممشاذ الدينوري يحكي عن ممشاذ رحمه الله تعالى : أنه اعتلَّ علةً شديدةً ، فدخل عليه أصحابه عائدين له ، فقالوا : كيف تجدك ؟ قال : لا أدري ، ولكن سألوا العلة كيف تجدني ، فقالوا له : كيف تجد قلبك ؟ فقال : قد فقدت قلبي منذ ثلاثين سنة .

وسمعت محمد بن معبد البانياسي يقول : رأيت الكردي الصوفي رحمه الله تعالى ، وقد اعتلَّ ، فعيداً ستة أشهر ، وكان قد وقع الدود في موضع من بدنه ، فإذا وقع منها دودة ردها إلى موضعها .

ودخل ذو النون علي مريض من أصحابه يعودده فقال [له] : ليس بصادق في حبه من لم يصبر على ضربه ، فقال المريض : ليس بصادق في حبه من لم يتأذى بضربه .

وكان سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى ، إذا مرض أحد من أصحابه يقول له : إذا أردت أن تشكي فقل : أوه ، فإنه اسم من أسماء الله تعالى ، يستروح إليه المريض ، ولا تقال له : أوه ، فإنه اسم من أسماء الشيطان .

وسمعت أبا بكر أحمد بن جعفر الطوسي بدمشق يقول : كان باني يعقوب النهر جورى رحمه الله تعالى : وجع في بطنه سنين ، وكانت نحسة في جوفه ، وكان يقول : أعرف دواءه بقيراط فضة يذهب بهذه العلة ، ولكن لا يداوه ، إلى أن خرج من الدنيا ، فسألت عن ذلك بعض المشايخ فقال : كان الكافي ، فكان لا يداويه من أجل النهس .

ومرض الثورى رحمه الله تعالى ، مرضه ، فتخلف عن عيادته رجل من أصحابه ، ثم أتاه فجعل يعتذر إليه ، فقال له : لا تعتذر ، فقل من اعتذر إلا كذب .

وكان بسهل ابن عبد الله رحمه الله تعالى : البواسير الظاهرة ، فكان يحتاج أن يتوضأ لكل صلاة ، وكان يقول : أعرف له دواء بقراط ، ولم يداوه إلى أن خرج من الدنيا ، فالت عن ذلك فقلوا : كان لا يداويها حتى لا تنكشف عورته ولا ينظر إلى عورته أحد .

ويقال : إن بشرأ الحافي رحمه الله تعالى : مرض مرضه ، فدخل عليه الطبيب ، فأخذ بشر يصف للطبيب ما به ، فقيل له : يا أبا نصر ، أما تخشى أن تكون هذه شكايه ، فقال ، لا ، إنما أخبره بقدرة القادر [علي] .

ووجدت في كتاب أظنه بخط جعفر الخلدی رحمه الله قال : اعتل أبنفید رحمه الله تعالى : علة شديدة ، فكان يقول : ليس إلا ما قال ذو النون رحمه الله تعالى : يا من يشكر ما بهب هب لنا ما نشكر ، وربما كان يقول : هذا غذاؤهم من كل شيء ، يحضره .

باب في آداب المشايخ ورقتهم بالأصحاب وعظفهم عليهم

قال الشيخ رحمه الله تعالى : حُكِيَ عن أَلْجَنِيدِ ، رحمه الله تعالى ، أنه كان يقول لأصحابه : لو علمت أن صلاة ركعتين أمضتُ من جلوسي معكم ما جلست عندكم .

وَحُكِيَ عن بشر الحافي ، رحمه الله تعالى ، أنه كان قد تعرّس في يوم شديد البرد وهو يتفض ، قلنا له : يا أبا نصر ما هذا ؟ فقل : ذكرتُ الفقراء وأن ليس لهم شيء ، ولم يكن لي ما أواسيهم به ، فأحببت أن أراسيهم بنفسى .

وسمعت الدُّقِّي يقول : كنت بمصر ، وكنا في المسجد جماعة من الفقراء جلوس ، فدخل الزقاق ، فقام عند أسطوانة يركع ، فقلنا : يفرغ الشيخ من صلاته ونقوم . ونسلم عليه ، فقام وجاء إلينا ، وسلم علينا ، فقلنا : نحن أولى بهذا من الشيخ ، فقال : ما عذب الله تعالى قلوبنا بهذا قط .

وسمعت الوجيبي يقول : سمعت الجريري يقول : وافيتُ من الحج ، فابتدأت بالجنيد رحمه الله تعالى وسلمت عليه ، وقلت : حتى لا يتعسى ، ثم أتيتُ منزلي . فلما صليت الغداة التفتُ فإذا بالجنيد رحمه الله تعالى : خلفي ، فقلت : يا سيدي . إنما ابتدأت بالسلام عليك لكي لا تتعنى إلى هاهنا ، فقال لي : يا أبا محمد ، هذا منك وذاك فضل لك .

وقال أبو سعيد بن الأعرابي : كان شاب يعرف بـ إبراهيم الصايغ ، وكان لأبيه نعمة ، فانقطع إلى الصوفية ، وصحب أبا أحمد القلاسي ، فربما كان يقع بيد أبي أحمد شيء من الدراهم فكان يشتري له الدُّقاي والدُّقوا ، والحلواء ، ويؤثره عليه .

وعن جعفر الخلمي قال: [دخل] رجل إلى الجنيّد رحمه الله تعالى ، فأراد أن يخرج من مِدْكِهِ كَلَّهُ ويخلس معهم على النقر ، قال : فسأعت الجنيّد رحمه الله تعالى يقول له : لا تُخْرِجْ كُلَّ مَا مَعَكَ ، احبس مقدار ما يَكُنْ بِكَ ، وأَخْرِجِ النُّضْلَ ، وَتَقَوَّتْ بِمَا حَبَسْتَ ، واجتهد في طلب الحلال ، لا تُخْرِجْ كَمَا عِنْدَكَ ، فَاسْتَؤْمِنُوا عَلَيْكَ أَنْ تَطَابِقَ نَفْسُكَ وَالرَّبِّيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ عَمَلًا أَثَبَّتَهُ .

سمعت الوجيبي يقول : سمعت أبا علي الروذباري رحمه الله تعالى يقول : كنا في البادية جاعة ، ومعنا أبو الحسن العطوفى ، فربما كانت تلحقنا الناقة وتظلم علينا الطريق فكان أبو الحسن يصعد تلاً ويصيح صياح لذئاب حتى يسمع كلاب الحى فينبحون ، فيمر على صوتهم ، ونحمل إلينا من عندهم دعونة .

وقال أبو سعيد الخراساني رحمه الله تعالى : دخلت الرملة ، فذهبت إلى أبي جعفر القصاب ، فبت عنده ، ثم خرجت من الرملة إلى بيت المقدس ، فجاء إلى بيت المقدس خلفي وقد حمل معه كُسَيْرَاتٍ وَقَالَ : اجعلني في حِلٍّ . كانت هذه في البيت ولم أدر .

باب في ذكر آداب المريدين والمبتدئين

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وجدت في كتاب أبي تراب السخشي ، رحمه الله ،
الحكمة جند^ه من جنود الله تعالى يقوى بها آداب المريدين .

وحكى عن الجنيدي ، رحمه الله تعالى ، أنه قد سأله بعض الفقراء أو بعض
الشيوخ ، فقال له : يا سيدي ، ما للمريدين في مجازاة الحكايات ؟ فقال : الحكايات
جند من جنود الله تعالى ، يقوى بها قلوب المريدين ، قال : فقلت : هل في ذلك
شاهد من كتاب الله تعالى ؟ فقال : نعم ، قال : « وكلا تقصصنا عليك من أنباء
الرسول ما نثبت به فؤادك » (١) وقال يحيى : الحكمة مروحة قلوب المريدين تروح
عنها وهيج الدنيا .

وحكى عن مشاذ الدينوري ، رحمه الله تعالى ، أنه كان يقول : إن عيني لتقر
بالفقر ، [الصادق] وإن قلبي ليفرح بالمريد المتحقق . وقال أبو تراب رحمه الله
تعالى : رياء العارفين إخلاص المريدين .

وقال أبو علي ابن الكاتب رحمه الله تعالى : إذا انتفع المريد إلى الله تعالى :
بكل يته ، أول ما يقيده الله تعالى الاستغناء به عن سواه .

وسئل الشبلي رحمه الله عن المريد إذا وقعت به الحيرة ، فقال : الحيرة من
وجهين ، حيرة تقع من شدة خوف اقتراف الذنوب ، وحيرة تقع من
التعظيم للقلوب .

وقال الشبلي رحمه الله تعالى : كنت في أول بدائي إذا غلبني النوم كنتحل
بالمح ، فإذا زاد علي الأمر أحميت الميل فأكتحل به .

وقال أبو سعيد الخراز رحمه الله تعالى : من أدب المريد ، وعلامة صدق إرادته ،

أن يكون الغالب عليه الرقة والشفقة والتلطف والبذل ، واحتمل المكاره كلها عن عيده وعن خلقه حتى يكون لعبيده أرضاً يسعون عليها ، ويكون للشيخ كالابن البار ، وللصبي كالأب الشفيق ، ويكون مع جميع الخلق على هذا ، يتشكى بشكواه ويغتم لمصائبهم ، ويصبر على أذاهم ، فإن هذا مراد الله تعالى من المرادين الصادقين : أن يعطفوا على الخلق من حيث عطف الله تعالى عليهم ويتأدبوا بآداب الأنبياء والصديقين ، وآداب أوليائه وأحبابه حتى ترفع الحجب التي بينه وبين الله تعالى ، فما دام هو متمسكاً بهذه الآداب ، ومتخلقاً بهذه الأخلاق ، ويكون مستعيناً في ذلك بالله : متوكلاً على الله عز وجل راضياً عنه .

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى : شغلُ المرید في قلبه ، إقامة الفرض ، ولاستغفار من الذنب ، وطلب السلامة من الخلق .

وسئل يوسف بن الحسين رحمه الله تعالى : ما علامة المرید ؟ فقال : تركُ كل حيط لا يريد ، مثل ما يريد ، وأن يسلم منه عدوه كما يسلم منه صديقه ، وعلامة المرید وجدانه في القرآن ككل ما يريد ، واستعمال ما يعلم ، وتعلم ما لا يعلم وترك الخوض فيما لا يعنيه ، وشدة الحرص على إرادة النجاة من الوعيد مع الرغبة في الوعد ، والتشاغل بنفسه عن غيره .

وقال أبو بكر البارزى رحمه الله تعالى : إذا سلك المرید الهولَ في أول قدم فلا نبالي ، فإنه إن يلقاه بعد ذلك إلا راحة .

باب في ذكر آداب من يتفرد ويختار الخلوّة

قال الشيخ رحمه الله تعالى : حُكِيَ عن بشر الخافي ، رحمه الله تعالى ، أنه كان يقول : ليتني الله تعالى عند [خلواته] ، وليلزم بيته ، وليكن أئمة الله عز وجل وكلامه .

سمعت الدقي يقول : سمعت الدرّاج يقول : كان أبو المييب رجلاً كبيراً ، وكان يتفرد في المسجد الشعثة ، فصادفهُ أيلة في مسجد ، فقالت له : من أين أنت ؟ فقال لي : أنا من كل مكان ، فقلت : من كان من كل مكان فأين علامته ؟ قال : لا يستوحش من شيء ، ولا يستوحش منه شيء ، قال : فحملتُ إياه الشبلي رحمه الله تعالى ، فنظر إليه ، وقال : ليس هذا من دواب الإصطبل وإلا فأين سمته ؟ قال : فصاح الشبلي رحمه الله تعالى ، واطم وجهه ، وهام وهو يقول : صدق والله . إن كان من دواب الإصطبل فأين سمته ؟

وسئل الجنيّد رحمه الله تعالى عن الخلوّة ، فقال : إن السلامه مصاحبة لمن (١) طلب السلامه فترك الخلوّة وترك التواضع إلى ما أوجب العلم مفارقتة .

وحكى عن أبي يعقوب السوسني ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : لا يزال إلا يقوى عليه إلا الأفرياء ، من الرجال ، ولأمثلة الاجتمع أربع ، يعملون (٢) بعضهم بروية بعض .

وسمعت أبا حفص عمر الخطاط رحمه الله تعالى يقول : رأيت أبا بكر المعلم رحمه الله تعالى بأطاكه [يقول] : طولت شهده أن لا يزال إلا يعملون متين سنة ، فسئل عن ذلك فقال : كنت ستين سنة أذكر الحسن بن علي بن عبد الله ، فلما انفردت ودخلت الأقسام إذا أردت أن أقوم إلى أوردني التي كانت عادي بين الناس لم يتهبأ لي ، فوقع في قلبي أي ما آمنت بالله تعالى بعد ففدت إيماناً به

(١) قوله : لمن . لأصح أن يقال : من .

(٢) قوله يعملون . لعل الصواب : يعلمون .

وأقمتُ هناك عشر سنين حتى صفالي في الخلوة أورادي كما كانت تصفوا لي في الأوقات التي كنت بين المعارف .

وحكى عن إبراهيم الخواص ، رحمه الله تعالى ، أنه رأى رجلا في البادية حسن الأدب حاضر القلب ، فسأله ، فقل : كنت أعمل بين الناس والمعارف في التوكل والرضا والتفويض ، فلما فارقتُ المعارف لم يبق معي من ذلك ذرة ، فجئت حتى أطلب نفسي ها هنا بدعاويها إذا انفردت عن المعلومات والمعارف .

باب في ذكر آدابهم في الصداقة والمودة

قال الشيخ رحمه الله تعالى : قال ذو النون رحمه الله تعالى : ما بُعد الطريق إلى صديق ، ولا ضاق مكان من حبيب . وسمعت أبا عمرو إسماعيل بن نجيد يقول : سمعت أبا عثمان يقول : لا تثق بمودة من لا يحبك إلا معصوماً .

وفيها حكى جعفر الخلدي عن ابن السماك رحمه الله تعالى ، أنه قال له صديق : الميعاد بيني وبينك غداً نتعاتب ، فقل له ابن السماك رحمه الله تعالى : [بل] بيني وبينك غداً نتغافر ، ويقال : إن كل مودة يزداد فيها باللقاء فهي مدخولة في المودات .

وسئل عن حقيقة المودة فقال : هي التي لا تزداد بانبر ولا تنقص بالجناء . وهذه الحكاية عن يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى . وقال بعضهم : الإعراض عن الصديق إبقاء على المودة .

قال أبو العباس بن مسروق رحمه الله تعالى ، فيما بلغني : وفي هذا سنة عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله لأبي هريرة رضي الله عنه : رز غيباً تزداد حبا وقيل ليحيى بن معاذ رحمه الله تعالى : كيف حالك ؟ فقل : كيف حال من يكون عدوه دأؤه وصديقه بلاؤه ؟

وقال الجنيدي رحمه الله تعالى : لقد كنت أرى أقواماً تجزئني منهم الطرة فهي زادي من الجمعة إلى الجمعة .

وقال بعض المشايخ : إذا صح لي مودة أخ فلا أبالي متى تقيته .

وعن الووي ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : الصديق لا يناسب العدو ، والعفو لا يُحسب له شيء .

وقال الجنيدي رحمه الله تعالى : إذا كان لك صديق فلا تسره فيك بما يكرهه . وعن جعفر الخلدي قال . سمعت أبا محمد المغازلي رحمه الله تعالى يقول . من أراد أن تدوم له المودة فليحفظ مودة إخراجه القدماء .

باب في ذكر آدابهم عند الموت

قال الشيخ رحمه الله تعالى : بلغني عن أبي محمد الهروي ، رحمه الله تعالى أنه قال : مكثتُ عند الشُّلي ، رحمه الله تعالى ، ليلة غداة التي مات فيها ، فكان يقول طرل اللال هاتين البيتين :

كُلُّ بَيْتٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى السَّرْجِ
وَجْهَكَ الْمَأْمُولُ حُجْنَا يَوْمَ يَأْتِي النَّاسُ بِالْحَجَجِ

وحكى عن ابن الفرّاجي ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : رأيت حول أبي شُرب النخشي رحمه الله تعالى ، أصحاب مائة وعشرين ركوة ، فما مات منهم على الفقر إلا نفسان قل بعضهم . أحدهما ابن الجلاء ، والآخر أبو عبّيد البسري .

وورد على قلب ابن بنان المصري ، رحمه الله شيء ، فهم على وجهه ، فلتحقوا ، في وسط متاحة بني إسرائيل في اربل ، ففتح عينيه ، ونظر إلى أصحابه ، وقال . ارتع فهذا مرتع الأحباب ، وخرجت روجه . هذه الحكاية عن الوجيبي .

وسمعت الوجيبي ، رحمه الله تعالى ، يقول . سمعت أبا علي الروذاري ، رحمه الله تعالى يقول . دخات مصر ، فرأيت الناس مجتمعين ، فقالوا . كسافي حنارة فتى سمع قذلا يقول .

كَبُرَتْ هِمَّةُ عَبْدٍ طَمِعَتْ فِي أَنْ يَرَاكَ

فشهق شهقة فمات .

وسمعت بعض أصحابنا يقول . قول أبو زيد رحمه الله عند موته . ما ذكرتك إلا عن غنلة ، ولا قبضتني إلا عن فترة .

وحكى عن الجسيّد ، رحمه الله تعالى ، أنه قال . جلست عند أستاذي .

ابن الكُرَيْبِي ، رحمه الله تعالى ، عند موته ، فنظر إلى السماء ، فقال : بَعْدَ .
فطأطأت رَأْمِي إلى الأرض ، فقال : بَعْدَ . يعنى إنه أقرب إليك من أن تنظر
إلى السماء ، أو إلى الأرض ، وتشير إليه بذلك .

وقال الجريري رحمه الله تعالى . حضرت وفاة أبي القاسم الجعيد رحمه الله
تعالى ، فلم يزل ساجدا ، فقلت له : يا أبا القاسم ، أليس بلغت هذا المكان وبلغ
منك ما أرى من الجهد لو امتدحت ؟ فقال لى : يا أبا محمد ، أخرج ما كنت إليه
هذه الساعة ، فلم يزل ساجداً ، حتى فارق الدنيا ، وأنا حاضره .

وقال بكران الدينورى ، رحمه الله تعالى : حضرت وفاة الشبلى : رحمه الله تعالى ،
فقال لى : على قلبى درهم مظلمة ، تصدقتُ عن صاحبه بالسوق ، فإلى شئ
أعظم من ذلك ، ثم قال : وضئنى للصلاة ، ففعلتُ ذلك . فنسيت تحابى لحيته ،
وقد أمسك لسننه ، فقبض على يدي فدخلها فى لحيته ، ومات .

وكان سبب وفاة أبي الحسين النورى ، أنه سمع بهذا البيت :
لَا زَيْتٌ أَنْزِلُ مِنْ وُدَادِكَ مَسْرُلاً * تَنْحِيرُ الْأَسْبَابِ عِنْدَ رَأْوِهِ
فتواجد ، وهام فى الصحراء ، فوقع فى أجندة نصب قد قطعت ، ووقبت أصوباً
مثل السيوف ، فكان يشى عليها ، ويعيد البيت إلى العداة ، والدم يسيل من
رجليه ، ثم وقع مثل السكران ، فورمت قدماه ، ومات رحمه الله تعالى ،
اللقى يقول : كنا عند أبي بكر الزرقف ، رحمه الله تعالى عداة ، فكان يقول :
تبقينى هاهنا ؟ فما بلغ الأولى حتى مات .

وكان سبب موت ابن عطاء ، رحمه الله تعالى ، أنه أدخل على الربير ، فحكاه
الوزير بكلام غليظ ، فقال ابن عطاء : ارفق يارجل ، فأمر بضرب حقه على أسنانه
فمات فيه .

ومات إبراهيم الخواص رحمه الله تعالى ، في جامع الرى ، وكانت بعد علة الجوف ، فكان إذا قام مجلأ يدخل الماء ، ويغسل نفسه ، فدخل الماء مرة فخرج روحه ، وهو في وسط الماء .

وقال أبو عمران الإصطخري ، رحمه الله تعالى . رأيت أبا تراب اللخشى ، رحمه الله تعالى في البادية ، قائماً ميتاً لا يسكه شيء .

وسمعت أبا عبد الله أحمد بن عطاء يقول : سمعت بعض النقراء يقول : لما مات يحيى الإصطخري ، رحمه الله تعالى ، جلسنا حوله ، فقل له رجل منا : قل أشهد أن لا إله إلا الله ، فجلس جالساً ، ثم أخذ يد واحد ، فقل : قل أشهد أن لا إله إلا الله وخلى يده ، وأخذ بيد الآخر الذى بجانبه ، وقل : قل أشهد أن لا إله إلا الله وخلى يده ، وأخذ بيد الآخر الذى بجانبه ، حتى عرض الشهادة على كل واحد منا ، ثم استلقى على قفاه ، وخرج روحه .

وقيل للجنيد : كان أبو سعيد الخراز ، رحمه الله تعالى ، كثيراً ما كان يتواجد عند الموت ، فقل الجنيد رحمه الله : لم يكن بعجب أن تكون تطير روحه إليه اشتياًقاً .

وهذا ما حضرني في الوقت من آدابهم ، والذي لم يذكره أكثر وبالله التوفيق .

كتاب المسائل واختلاف أقوالهم في الأجوبة

قال الشيخ رحمه الله تعالى : أذكر طرفاً من اختلافهم في مسائل ، تفرّدوا بها ، بأجوبة شتى ، ببيان ما يشكل من ذلك على العلماء والفقهاء ، وسائر الناس من أهل الظاهر ، الذين ليس هذا من شأنهم .
مسألة في الجمع والتفرقة .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : الجمع والتفرقة اسمان ، فالجمع جمع المتفرقات ، والتفرقة تفرقة المجموعات ، فإذا جمعت قلت الله ولا سواد ، وإذا فرقت قلت : الدنيا والآخرة والكون ، وهو قوله « شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » (١) وهذا جمع ثم فرق فقل : « وَالْمَلَائِكَةُ ، وَأُولُوا الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ » كذلك قوله « قولوا آمَنَّا بِاللَّهِ » (٢) ، وقد جمع ثم فرق ، فقال : « وما أنزل إليها وما أنزل إلى إبراهيم » الآية ، فالجمع أصل والتفرقة فرع ، فلا تعرف الأصل إلا بالمروع ، ولا تثبت الفروع إلا بالأصل ، وكل جمع بلا تفرقة فهو زندقة ، وكل تفرقة بلا جمع فهو تعطيل .

وقد تكلم في معنى الجمع والتفرقة ، المشايخ المتقدمون فقال أبو بكر عبد الله بن طاهر الأبهري ، رحمه الله تعالى ، وسئل عن ذلك فتبيل له : إلى ماذا أشار المقوم إلى معنى الجمع والتفرقة ؟ فقال : « أشار قوم إلى أن جمعهم في آدم عليه السلام ، وفرقهم في ذريته » وأشار قوم إلى أن جمعهم في المعرفة ، وفرقهم في الأحوال .

وللجنيد في معرفة الجمع والتفرقة :

فَجَمَعْنَا إِيَّانَ وَأَفْتَرَقْنَا لِعَابِي
فَلَقَدْ صَيَّرَكَ أَوْجِدُ مِنَ الْأَحْشَاءِ دَانِي

فَتَحَتَّقْتِكَ فِي مِرِّي فَنَاجَاكَ إِسَابِي
إِنْ يَكُنْ غَيْبُكَ الْعَظِيمُ عَنِ الْحَظِّ عِيَابِي

وقال ، أظنه النورى ، : الجمع بالحق تفرقة عن غيره ، والتفرقة عن غيره جمع به ، وقال غيره : الجمع اتصل ، لا يشهد الإناة متى يشهد الإناة ، فما وصل والتفرقة شهود ؟ لمن شاهد المباينة وقال قوم : لا مجموع بحق إلا مفرقا عن نعت ، ولا مجموع بعث إلا مفرقا عن حق ، وهما متنافيان ، لأن الجمع بالحق خروج عن حُجته ! وتفرقتهم ، والجمع بالحق حجب بالحق وتفرقة عنه ، وقال قوم : « الجمع ما جمع البشرية في شهود البشرية ، والتفرقة ما فرقها عن تقسيم الرسوم »

وقد ذهب أجنيد ، رحمه الله تعالى ، إلى أن قرُّبه بالوجد جمع ، وغيبته في البشرية تفرقة .

وقال أبو بكر الواسطي ، رحمه الله : إذا نظرت إلى نفسك مرقت ، وإذا نظرت إلى ربك جمعت ، وإذا كنت قائماً بغيرك فأنت ميت « وهذه أحرف مختصرة في معنى الجمع والتفرقة ولمن يتدبر في فهمه إن شاء الله تعالى .

مسألة في الفناء والبقاء ، قال الشيخ ، رحمه الله تعالى ، سئل أبو يعقوب الهرجوري ، عن صحة الفناء والبقاء ، فقال : هو فناء رؤية فيم العبد لله عز وجل ، وبقاء رؤية قيام لله تعالى في أحكام العبودية .

وسئل أبو يعقوب ، رحمه الله تعالى ، عن صحة علم الفناء والبقاء ، قال : تصحبه العبودية في الفناء والبقاء ، واستعمل علم ارضا ، ومن لم تصحبه العبودية في الفناء والبقاء ، فهو مدع .

قال الشيخ رحمه الله تعالى ، الفناء والبقاء اسمان ، وهما هتان لعبدٍ موحداً ، يتعرض الارتقاء في توحيده من درجة الموم ، إلى درجة المخصوص . ومعنى الفناء والبقاء في أوائله ، فناء الجبل بقاء العلم ، وفناء المعصية ببقاء الطاعة ، وفناء الغفلة ببقاء الذكر ، وفناء رؤيا حركات العبد لبقاء رؤيا عناية الله تعالى في سابق العلم .

وهد تكلم في ذلك المشايخ المتقدمون ، فقال سمنون رحمه الله تعالى : العبد في حال الفناء محمول وفي حال الحمل مورود ، وهي نعوت تؤدي إلى نعوت . وقال : أول مقامات الفناء الوجود وللشاهدات للبقاء .

وقال أبو سعيد الخراز ، رحمه الله تعالى ، في معنى قوله « وما بكم من نعمتي فبين الله » (١) قال : « أ - لاهم في أفعالهم من أفعالهم ، وهو أول حال الفناء » .

وعن جعفر الخلدي ، قال : سمعت اجـمد رحمه الله تعالى ، يقول ، ومثل عن الفناء فقل : « إذا فني الفناء عن أوصافه ، أدرك البقاء بتمامه » قال : وسمعت الجنيد رحمه الله تعالى يقول ، وقد سئ عن الفناء ، فقل : « استعجاب كمالك عن أوصافك ، واستعمال الكل منك بكليتك .

وقال ابن عطاء : « من لم يفن عن شاهد نفسه بشاهد الحق ، ولم يفن عن الحق بالحق ، ولم يفن في حضوره عن حضوره ، لم يقع بشاهد الحق »

وقال الشبلي رحمه الله تعالى : « من فني عن الحق بالحق ، لقيام الحق بالحق ، فني عن الربوبية ، فضلاً عن العبودية » وقال ، أظنه رؤيتم ، رحمه الله تعالى ، وقد سئل عن الفناء والبقاء ، فقال : « أول علم الفناء ، هو النزول في حقائق البقاء ، وهو الأثرة لله تعالى على جميع مادونه ، وتقدم كل حال معه حتى يكون هو الحظ ، وسقوط ما سواه حتى تفني عبادتهم لله تعالى بأنفسهم ، ببقاء عبادتهم لله تعالى . بعد ذلك ، لا يدركه المعقول بالعقول ، ولا تنطق به الألسن .

وقد قال الله تعالى : « كل من عليها فان » (٢) فنزل علامة الفاني : ذهاب حظه من الدنيا والآخرة ، بورود ذكر الله تعالى ، ثم ذهاب حظه من ذكر الله تعالى :

عند حظه بذكر الله تعالى له ، ثم تقفى رؤية ذكر الله تعالى له ، حتى يبقى حظه بالله ، ثم ذهاب حظه من الله تعالى برؤية حظه ، ثم ذهاب حظه برؤية حظه ببناء الفناء وبقاء البقاء .

والكلام فى هذا طريق ، وفيما ذكرناه كفاية إن شاء الله تعالى .

مسألة فى الحقائق :

قال الشيخ رحمه الله تعالى : أخبرنى جعفر قال سمعت أبا جعفر رحمه الله تعالى قال : سمعت سرياً يقول ، وقد وصف أهل الحقائق ، فقال : « كلهم أكل المرضى ونومهم نوم الغرقى ، وسئل أبا جعفر رحمه الله تعالى عن الحقيقة ، فقال : « أذكره ثم أدع هذا وهذا » وقال أبو تراب رحمه الله تعالى : « علامة الحقيقة البلوى » (١) وقال غيره : « علامة الحقيقة رفع البلوى » (٢)

حكى عن رؤيم رحمه الله تعالى أنه قال : أتم الحقائق ما قارن العلم ، سمعت الوجيبي يقول : سمعت أبا جعفر الصيدلانى رحمه الله تعالى يقول : « الحقائق ثلاث ، حقيقة مع العلم ، وحقيقة مع العلم ، وحقيقة تشطح عن العلم » ، وقال أبو بكر الزقاق رحمه الله تعالى : كنت فى تيه بنى إسرائيل ، فوقع فى قلبى أن علم الحقيقة ، يخالف علم الشريعة ، فإذا بشخص تحت شجرة أم غيلان ، صاح : يا أبا بكر كل حقيقة تخالف الشريعة ، فهى كفر .

وقيل لبعضهم ، وأظنه رؤيم ، رحمه الله تعالى : ، والله تعالى أعلم ، متى يتحقق العبد بالعبودية ؟ قال : إذا سلم القيادة من نفسه إلى ربه ، وتبرأ من حوله وقوته ، وعلم أن الكل له وبه .

(٢) فى بعض النسخ . التلوين

(١) فى بعض النسخ : التلوين

وقال رؤوم رحمه الله تعالى: أصح الحقائق، ما قارن العلم. وقال أجنيد رحمه الله: أبت الحقائق أن تدع في القلوب مقلة للأويلات.

وقال المزين الكبير رحمه الله تعالى: «الذي حصل عليه أهل الحقائق في حقه ثقتهم، أن الله تعالى غير منقود فيطلب، ولا ذو غاية فيدرك، فمن أدرك موجوداً فهو بالموجود مغرور، وإنما الموجود عندنا معرفة حال، وكشف علم بلا حال».

وسمعت الحسين بن عبد الله الرازي، رحمه الله تعالى، يقول: سئل عبد الله، ابن طاهر الأبهري، رحمه الله تعالى، عن الحقيقة، فقال: «الحقيقة كلها علم، فسئل عن العلم فقال: العلم كله حقيقة»، وعن الشبلي رحمه الله تعالى، أنه قال: «الألسنة ثلاثة: لسان علم، ولسان حقيقة، ولسان حق، فلسان العلم ما تؤدي إلينا بالوسائط، ولسان الحقيقة ما أوصل الله تعالى إلى الأسرار بلا واسطة، ولسان الحق فليس له طريق».

وحكى عن أبي جعفر القروي، رحمه الله تعالى، أنه قال: حقيقة الإنسانية أن لا يتأذى منك إنسان، لأن حقيقة الاسم في نفسه: أن يكون كل شيء بك مستأنساً.

وسئل بعض الصوفية عن حقيقة الوصول، فقال: ذهب العقول. وقال أجنيد رحمه الله تعالى: إن الحقائق اللازمة والتصود القوية الحكمة. لم تبق على أهلها سبباً إلا قطعته، ولا معترضاً إلا منعته، ولا أويلاً موهماً تصدق المراد إلا كشفته، فالحق عندهم لصحة الخال مجرد، والجد في دوام السير محض، حتى يراهين من العلم واضحة، ودلائل من الحق بيّنة. وقال الرازي رحمه الله تعالى: «الحقائق المحترزة إذا بدت حجب الحقائق المستترة».

مسئلة في الصدق.

قال الشيخ رحمه الله تعالى: أخبرني جعفر الخلدی رحمه الله تعالى، قال:

سمعت أجنيد، رحمه الله تعالى، يقول: ما من أحد طلب أمراً بصدق، وجدَّ إلا أدركه، وإن لم يدرك الكل أدرك البعض.

قال أبو سعيد الخراز رحمه الله تعالى: «رأيتُ كأن مَلَكين نَزلا على من السماء، فقالا لي: ما الصدق؟ قلت: الوفاء بالعهد، فقالا لي: صدقت، فعرجا إلى السماء، وأنا أنظر إليهما، يعني في النوم.»

وقال يونس بن الحسين رحمه الله تعالى: «الصدق عندي حب الأفراد، ومناجاة الرب جل وعلا، وموافقة السر والعلانية مع صدق اللهجة، والنشغال بالنفس دون رؤية الخلق بعدهمة النفس، وتعلم العلم والاتباع مع تصحيح المطعم والملبس، وأخذ القوت.»

وسئل حكيم: ما علامة الصادق؟ قال: «كتمان الطاعة، قهيل. ما أروحُ الأشياء على قلوب الصادقين؟ قال: «استنشاق عفو الله تعالى، وحسن الظن بالله تعالى»، وقال ذو النون، رحمه الله تعالى: «الصدق سيف الله تعالى في أرضه، ما وُضع على شيء إلا قطعه.»

وسئل حارث، رحمه الله تعالى، عن الصدق، فقال: «مصحوب على جميع الأحوال»، وقال أجنيد رحمه الله تعالى: «حقيقة الصدق تجرى بموافقة الله تعالى في كل حال.»

وقال أبو يعقوب رحمه الله: «الصدق موافقة الحق في السر والعلانية، وحقيقة الصدق القول بالحق في مواطن الملكة.»

وسئل آخر عن الصدق، فقال: «صحة التوجه في القصد.»

مسألة في الأصول، يعني أصول مذهب القوم.

حكى عن أجنيد رحمه الله تعالى، أنه قال: اتفق أهل العلم، على أن أصولهم خمس خلال: صيام النهار، وقيام الليل، وإخلاص العمل، والإشراف على الأعمال بطول الرعاية، والتوكل على الله في كل حال.

وحكى عن أبي عثمان رحمه الله تعالى ، أنه قال : أصلنا السكوت والاكتفاء بعلم الله عز وجل . وقال أئجد رحمة الله تعالى : « القصان فى الأحوال ، هى فروع لا تضر ، وإنما بضر التخلّف مثقل ذرّة فى حال الأصول ، فإذا أحكمت الأصول ، لم يضر نقص فى الفروع » .

وقال أبو أحمد القلاسى ، رحمه الله تعالى : « بُنيت أصول مذهبنا على ثلاث خصال : لا يطالب أحداً من الناس بواجب حقنا ، ونطالب أنفسنا بحقوق الناس ، ونلزم أنفسنا التقصير فى جميع ما نأتيد » ، وقال سهل بن عبد الله رحمه الله : أصولنا سبعة أشياء التمسك بكتاب الله تعالى ، والافتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكل الحلال ، وكف الأذى واجتناب الآثام ، والتوبة ، وأداء الحقوق » .

وسمعت الحصرى رحمه الله تعالى يقول : « أصولنا ستة أشياء : رفع الحدث ، وإفراد القيد ، وهجر الإخوان ، ومفارقة الأوطان ، ونسيان ما علم ، وما جُهِل » . وقال بعض المقرء : « أصولنا سبعة أشياء : أداء الفرائض ، واجتناب المحرم ، وفتح العلائق ، ومعاينة الفقر ، وترك الطالب ، وترك الادخار لوقت ثن ، والانتقاء إلى الله تعالى ، فى جميع الأوقات » .

مسألة فى الإخلاص .

سئل أئجد رحمه الله ، عن الإخلاص ، فقال : « ارتدع رذيتك ، وفردك عن الفعل » .

وقال ابن عطاء : الإخلاص ما تخلص من الآفات .

وقال الحارث المحاسبى رحمه الله تعالى : « الإخلاص إخراج الخلق من معاملة

الله تعالى ، والنفس أول الخلق » .

وقال ذو النون رحمه الله : « الإخلاص ما خاس من العدوان يفسده » .

قال أبو يعقوب السوسى رحمه الله : « الإخلاص ما لم يعلم به منك فى كتبه ،

(١٩ — الدع)

ولا عدو فيفسده ، ولا تُعجَب النفس به « وحكى عن سهل بن عبد الله ، رحمه الله تعالى ، أنه قال ، « أدلُّ لا إله إلا الله كثير ، والمخلصون منهم قليل » .
وقال سهل بن عبد الله ، رحمه الله تعالى : « لا يعرف الرياء إلا المخلص » .
وسئل أجنيد ، رحمه الله تعالى مرة أخرى عن الإخلاص ، فقال : « إخراج الخلق من معاملة الله تعالى ، والنفس أول الخلق » .
وعن بعض المشايخ قول : إذا قل لك قائل ، ما الإخلاص ؟ فقل : إفراد القصد إلى الله تعالى ، وإخراج الخلق من معاملة الله عز وجل ، بترك الحول والتموة مع الله عز وجل .

وعلاوة المخلص ، محبة الخلو لمناجاة الله تعالى ، وقلة التعرف إلى الخلق بعبودية الله عز وجل ، وكرهية علم الخلق في معاملة الله تعالى .
ومثل أظنه ، أبا الحسين النوري رحمه الله تعالى ، عن الإخلاص ، فقال :
« ترك الموافقة للخلق » .

مسألة في الذكر .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : سمعت ابن سالم يقول ، وسئل عن لذكر ، فقال :
« الذكر على ثلاث فذكر باللسان ، فذاك الحسنة بعشرة ، وذكر بالقلب ، فذاك الحسنة بسبعائة ، وذكر لا يوزن ثوابه ، ولا يُعدُّ ، ودو الامتلاء من المحبة ، والحياه من قربه » . قيل لابن عطاء رحمه الله تعالى ، ما يفعل الذكر بالسرائر ؟ فقال :
ذكر الله تعالى ، إذا ورد على السرائر بإشرافه أزال البشرية في الحقيقة برعوناتها .
وقال سهل بن عبد الله ، رحمه الله تعالى : « ليس كل من ادعى الذكر ، فهو ذاكر »
وسئل سهل بن عبد الله ، رحمه الله تعالى ، عن الذكر ، فقال : تحقيق العلم بأن الله تعالى مشاهدك ، فتراه بقلبك قريباً منك ، وتستحي منه ، ثم تؤثره على نفسك وعلى أحوالك كلها .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : قال الله عز وجل « فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ »

أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا» (١)، ثم قال في آية أخرى: «أَذْكُرُ وَاللَّهُ ذِكْرًا كَثِيرًا» (٢)، فهو أخصر من الأول. ثم في آية أخرى: «فَذَكِّرُونِي أَذْكُرْكُمْ» (٣)، فصار الذاكرون لله متفاوتين في ذكركم، كتفاوتهم في المخاطبة لهم في الذكر. قال وسئل بعض المشايخ عن الذكر، فقال: «المذكور واحد، والذاكر مختلف، ومحل قلوب الذاكرين متفاوت».

وأصل الذكر إجابة الحق من حيث اللوازم.

والذكر على وجهين: فوجه منه: التهليل، والتسبيح، وتلاوة القرآن، ووجه منه: تنبيه القلوب على شرائط التذكير على أفراد الله تعالى، وأسمائه، وصفته، ونشر إحسانه، ونفاذ تقديره، على جميع خلقه، فذكر الراجين على وعده، وذكر الخائفين على وعيده، وذكر المتوكلين على ما كشف لهم من كفايته، وذكر المراقبين على مقدار ما طمع عليهم بأطلاع الله تعالى عليهم، وذكر المحبين على قدر تصفح النعماء.

وسئل الشبلي رحمه الله تعالى، عن حقيقة الذكر، فقال: نسيان الذكر يعني نسيان ذكر الله تعالى، ونسيان كل شيء سوى الله عز وجل.
مسألة في الغناء.

سئل الجنيد، رحمه الله تعالى: أيما أتم؟ الاستغناء بالله تعالى، أم لا يقتصر على الله عز وجل؟ فقال: الافتقار إلى الله عز وجل موجب الغناء بالله عز وجل، فذاكر الله عز وجل لا يغنى الله عز وجل، كمال الغناء بالله تعالى. فلا يقال: أيما أتم؟ لا أتم إلا بتوحيدهم إلا بتوحيدهم الآخر، ومن صحح الافتقار صحح الغناء قال: وسئل يومئذ بن الحسين رحمه الله تعالى: ما علامة الغناء؟ قال: «الذي يكون غناءه ما لا يلدني» قال: «وهي يكون الغنى محمودا في غناه غير مذموم؟ قال: إذا كان هذا الغنى أخذ الناس من

جهته ، غير مانع عن حقه ، متعاوناً في كسبه ، على البر والتقوى ، لا متعاوناً في تجارته على الإثم والعدوان ، ولم يتعاق قلبه بما له دون الله عز وجل ، ولا استوحش لنقده ، ولا استأنس بملكه ، وكان في غناه مفتقراً إلى الله عز وجل ، وفي فقره مستغنياً بالله تعالى ، ويكون خازماً من خزان الله تعالى ، فكان غناه له لاعليه ، فإذا كان بهذه الصفة كان من أهل الفوز والنجاة ، ودخل الجنة بعد الفقراء بخمسةائة عام بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . « يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائها بخمسةائة عام »
 وسئل عمرو بن عثمان المكي ، رحمه الله عن الغنا الذي هو جامع للغنا . فقال :
 « الغنا عن الغنا ، لأنك إذا استغبت بالغنا ، كنت محتجاً إليه من أجل استغنتك وإذا كنت غنياً بالله عز وجل لا بالغنا ، تكون مستغنياً عن الغنا ، وغير الغنا » .

١٤٣٣

وقال أجنيد ، رحمه الله تعالى : « النفس التي قد أعزها الحق بحقيقة الغنا تزول عنها موافقت الفاقات » .

،

مسألة في الفقر .

قل أجنيد رحمه الله تعالى : الفقر بحر البلاء ، وبلاؤه كله عز .

وسئل عن الفقير الصادق ، متى يكون مستوجباً لدخول الجنة قبل الأغنياء بخمسةائة عام ؟ فقال : « إذا كان هذا الفقير ، معاملاً لله عز وجل بقلبه ، موافقاً لله فيما منع ، حتى يُعَدَّ للفقير من الله نعمةً عليه ، يخاف على زوالها كما يخاف على زوال غناه ، وكان صابراً محتسباً مسروراً باختيار الله له الفقر ، صائماً لدينه ، كاتماً للفقير ، مظهرراً للإيأس من الناس ، مستغنياً بربه في فقره ، كما قال الله عز وجل . « للفقراء الذين أُحْصِرُوا في سبيل الله (١) » الآية ، فإذا كان الفقير بهذه الصفة يدخل الجنة قبل الأغنياء بخمسةائة عام ويُكفى يوم القيامة مؤونة الوقوف والحساب ، إن شاء الله تعالى .

وقال ابن الجلاء ، رحمه الله تعالى : « من لم يصحبه الورع في فقره أكل الحرام النص وهو لا يدري » .

وسئل أئبيد ، رحمه الله تعالى ، عن أعز الناس ، فقال « النقيير اراضى » .
وقال المزين رحمه الله : حد الفقر ، أن لا ينفك النقيير من الحاجة . وقال المزين رحمه الله تعالى : إذا رجع النقيير إلى الله عز وجل ، كان موصوفاً مع العاوم فيتخير في وجوده ، وقال أئبيد رحمه الله تعالى : « لا يتحقق الإنسان بانقر حتى يتقرر عنده أنه لا يرد القيامة أنقرمه » .

مسألة في الروح وما قالوا فيه .

قال الشبلي رحمه الله تعالى : « بالله قامت الأرواح ، والأجساد ، والخطرات لا مذوتها » ، وقال الشبلي ، رحمه الله تعالى : « لأرواح تخطت ، فعمقت عند لدغات الحقيقة ، فلم ترمعبوداً يستحق العبادة ، عن أن تقترب إلى ذلك الشاهد بغير ذلك الشاهد ، وأيقنت أن الحدث لا يدرك القديم بصنفة المعولة » .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : ورأيت في كلام الراسطي ، رحمه الله تعالى ، في الروح ، فقال : « الروح روحان : روح بدنية الخلق ، وروح بدنية النبات ، وهو الروح الذي قال الله عز وجل : « وكذلك أوحي إليك روح من أمره » (١) وسمى الروح روحاً للطائفة ، وإذا أساءت الجوارح في أمومتهم لأصبحت روح الروح عن ملاذغاب السبب ، قال : وكلما وقع للروح من الملاحظات (٢) في الأوقات [و] عرفت المخطبات ، وأشارت إلى المعينات (٣) ، من العلم والروح ، رحمه الله تعالى : « إنما هما شيئون : الروح والعقل ، فالروح الأنسي إلى الروح محبباً ، ولا العقل يتهيأ له أن يدفع عن العقل مكروداً » .

(٢) في نسخة : ذنب

(١) شوري : ٥٢

(-) في نسخة : المعاملات

وحكى عن أبي عبد الله السَّجَّاجِي ، رحمه الله تعالى ، أنه قال ، إن العارف إذا وصل فكان فيه روحان : روح لا يجرى عليه التغيير ولا اختلاف ، وروح يجرى عليه التغيير والتلوين .

وقال بعضهم : الروح روحان ، الروح القديمة ، والروح البشرية . واحتج بقول النبي

صلى الله عليه وسلم : تنام عيناى ولا ينام قلبى ، قال : فظاهره ينام بروح البشرية ، ١٤٣

وباطنه يقظان لا يجرى عليه التغيير ، وكذلك قوله : إِنَّمَا أَسَى لِأَسْنٍ ، وقد أخبر ١٤٤

أنه لا يُسِّ ، وإنما هو خبر عما هو فيه من الروح القديمة ، وكذلك قوله : لست ١٤٥

كأحدكم ، إني أظن عند ربى ، وهو صفة الروح القديمة ، لأنه أخبر عنها بما ليس من وصف الأرواح .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وهذا الذى قال القائل فى الروح لا يصح ، لأن

القديم لا ينفصل من القديم ، والمخوف غير متصل بالقديم ، وبالله التوفيق .

سمعت ابن سالم ، وقد سئل عن الثواب والعقاب ، يكون للروح وللجسد ، أو

للجسد وحده ؟ فقال : الطاعة والمعصية ، لم تظهر من الجسد دون الروح ، ولا من

الروح دون الجسد ، حتى يكون الثواب ، والعقاب ، على الجسد دون الروح ، أو على

الروح دون الجسد ، ومن قال فى الأرواح بالتناسخ ، والتقل ، والقيد ، فقد ضل

ضلالاً بعيداً وخسر خسرانا مبيهاً .

مسألة فى الإشارة :

قال الشيخ رحمه الله تعالى : إن سأل سائل ، ما معنى الإشارة ؟ فيقال له : قول

الله عز وجل : « تبارك الذى (١) » و « الذى » كالكناية ، والكناية كالإشارة فى

لطافتها ، والإشارة لا يدركها إلا الأكابر من أهل العلم ، وقال الشبلى رحمه الله تعالى :

(١) الفرقان : ١

كل إشارة أشار الخلق بها إلى الحق ، فهي مردودة عليهم ، حتى يشيروا إلى الحق بالحق ، ليس لهم إن ذلك طريق .

وقال أبو يزيد رحمه الله تعالى : « أبعدهم من الله تعالى ، أكثرهم إشارة إليه » قال : ودخل رجل على الجنيد ، رحمه الله تعالى : فسأله عن مسألة : فأشار الجنيد بعينه إلى السماء ، فقال له الرجل : « يا أبا القاسم : لا تُشيرُ إليه ، فإنه أمرٌ إليك من ذلك ، فقال الجنيد رحمه الله تعالى : صدقت وضحك .

حكى عن عمرو بن عثمان المكي أنه قال : « أصحابنا حقيقة بهم توحيد ، وإشارتهم شرك » . وقال بعضهم : كلُّ يريد أن يشير إليه ، ولكن لم يجعل لأحد إليه سبيلاً .

وحكى عن الجنيد رحمه الله تعالى ، أنه قال لرجل : « هو ذا تشير يا هذا ؟ فكم تشير إليه ؟ دعه يُشيرُ إليك » .

وقال أبو يزيد رحمه الله تعالى : من أشار إليه بعلم فقد كفر ، لأن الإشارة بعلم لا تقع إلا على معلوم ، ومن أشار إليه بمعرفة فقد أخطأ ، لأن الإشارة بالمعرفة لا تقع إلا على محود .

سمعت الدُّقِّي يقول : سئل الزقاني ، رحمه الله عن المريود ، فقال : « حقيقة المريود أن يشير إلى الله تعالى ، فيجد الله مع نفس الإشارة » وقيل له : فنتى يستوعبُ حاله ؟ قال : « هو أن يجد الله تعالى بإسقاط الإشارة » وعنده المسألة تُعرف للجنيد رحمه الله تعالى .

وقال النووي رحمه الله تعالى : قُرب اقرب ، في الأمر بالهدى ، بعد التوجه . وقال يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى : « إذا رأيتَ الراسي يشيرُ إلى العمل ، فطريقه طريق الورع ، وإذا رأيتَ يشيرُ إلى العلم ، فطريقه طريق العبادة ، وإذا رأيتَ يشيرُ إلى الأمن في الرزق ، فطريقه طريق الزهد ، وإذا رأيتَ يشيرُ إلى الآيات ، فطريقه طريق الأبدال ، وإذا رأيتَ يشيرُ إلى الآلاء ، فطريقه طريق العارفين » .

وقال أبو علي الروذباري رحمه الله تعالى : « عَلِمْنَا هَذَا إِشَارَةً ، فِذَا صَارَ عِبَارَةً خَفَى » .

وسأل رجل أبا يعقوب السوسى ، رحمه الله تعالى ، مسألة ، وكان يشير في سؤاله ، فقال له : « يَا هَذَا نَحْنُ نُسَبِّغُ مَجَابِكَ ، مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الْإِشَارَةِ ، كَأَنَّهُ يَكْرَهُ ذَلِكَ مِنْهُ .

مسائل شتى :

مسألة في الظرف : سئل أبا جنيد رحمه الله تعالى ، عن الظرف ما هو ؟ فقال : « اجتناب كل خُلقٍ دَنِيٍّ ، واستعمال كل خُلقٍ سَنِيٍّ ، وَأَنْ تَعْمَلَ لِلَّهِ ، ثُمَّ لَا تَرَى نِكَ عَمَلَت .

مسألة في المروءة : سئل أحمد بن عطاء رحمه الله تعالى عن المروءة فقال : « أَنْ لَا تَسْتَكْثِرَ لِلَّهِ عَمَلًا عَمَلَهُ ، وَكَمَا عَمَلَتَ عَمَلًا كَأَنَّكَ لَمْ تَعْمَلْ شَيْئًا ، وَتَرِيدُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ .

مسألة ، لم سميت هذه الطائفة بهذا الاسم ، يعنى الصوفية ، قال ابن عطاء : رحمه الله تعالى ، لصفائها من كدر الأغيار ، وخروجها من مراتب الأشرار .
وقال النورى رحمه الله تعالى : سميت بهذا الاسم ، لاشتغالها عن الخلق بظاهر العابدين ، وانقطاعها إلى الحق بمراتب الواصلين .

وقال الشبلى رحمه الله تعالى : سميت بهذا الاسم ، لبقية بقيت عليهم من نفوسهم ، ولولا ذلك لما لاقت بهم الأسماء .

وقال بعضهم : سميت بهذا الاسم ، لتسميتها بروح الكفاية ، وتظاهرها بوصف الإجابة .

مسألة في الرزق : قال يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى : فى وجود العبد الرزق من غير طلب ، دلالة على أن الرزق مأمور بطلب صاحبه .

وقال بعضهم : إن طلبتُ الرزق قبل وقته لم أجده ، وإن طلبت الرزق بعد وقته لم أجده وإن طلبته في وقته كُفِيتهُ .

وحكى عن أبي يعقوب ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : اختلاف الناس في سبب الرزق ، فقال قوم : سبب الرزق التكلف والعيابة ، وهو قول القدرية ، وقال قوم : سبب الرزق التقوى ، وذهبوا إلى ظاهر القرآن « وَبِمَن يَتَّقِ اللَّهُ يُجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ (١) » وغلطوا في ذلك .

والعلم عند الله تعالى ، أن سبب الرزق الخلقة ، لقوله عز و لم : خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ (٢) : فلم يخص مؤمنًا دون كافر ، وقال أبو يزيد رحمه الله : أثبت على رجل من المريدين عند بعض العلماء خيراً . فقال العلم : من أين معاشه ؟ فقالت : لم أشك في خلقه حتى أسأله عن رزقه ، فحجل العلم وانقطع .

مسألة : سؤال الجبّيد رحمه الله تعالى ، إذا ذهب اسم العبد وثبت حكم الله تعالى : قال : اعلم رحمتك الله تعالى أنه إذا عظمت المعرفة بالله ذهب أثر العبد ، ووثقت رسومه ، فعند ذلك يبدو علم الحق ، وثبت اسم حكم الله تعالى .

مسألة : سؤال الجبّيد رحمه الله تعالى ، متى يستوى عبد العبد حامده وذممه . نقل : إذا علم أنه مخلوق ، ويكون ثباتاً .

مسألة : سؤال ابن عطاء ، رحمه الله تعالى ، متى يدل سلامة الصدر ؟ أو متى يدل سلامة الصدر ؟ قال : بالوقوف على حق اليقين وهو القرآن ، ثم يعطى علم اليقين ، ثم يطاع بعده عين اليقين فيسلم صدره عند ذلك ، وعلامة ذلك أن يرضى بقدر وقدره ، هيبته ومحبة ، ويراد حفيظاً ووكيلاً ، من غير تهمة اعترضت .

مسألة ، سؤال أبو عثمان رحمه الله تعالى ، عن الغم الذي يسهو الإنسان ، ولا يدري من أيش هو ، فقال أبو عثمان رحمه الله تعالى ، إن الروح تتحدث لتتوب ،

(١) الطلاق : ٣ و ٢ (٢) الروم : ٤٠ نص الآية : الله الذي خلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء ؟ سبحانه وتعالى عما يشركون .

والجنايات على النفس ، وتنساها النفس ، فإذا وجدت الروح صحواً من النفس ،
عُرِضَ عَلَيْهَا جُنَايَاتُهَا فَيَغْشَاهَا الْإِنْكَسَارُ وَالذُّوبَانُ ، وَهُوَ الْغَمُّ الَّذِي يَجِدُهُ ، وَلَا
يَدْرِي مِنْ أَيْنَ دَحَلَ عَلَيْهِ .

مسألة في الفراسة ، سئل يوسف بن الحسين ، رحمه الله تعالى ، عن حديث
النبي صلى الله عليه وسلم « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى ، فقد : هذا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم حق ، وخصوصية لأهل الإيمان . وزيادة كرامة لمن
نور الله تعالى قلبه ، وشرح صدره ، وليس لأحد أن يحكم لنفسه بذلك ، وإن
كثر صوابه ، وقال خطره ، ومن لم يحكم لنفسه بحقيقة الإيمان والولاية والسعادة ،
فكيف يحكم لنفسه بفضل الكرامة ؟ وإنما ذلك فضله لأهل الإيمان ، من غير
إشارة إلى أحد بعينه .

مسألة لإبراهيم الخواص رحمه الله تعالى في الوهم ، سئل إبراهيم الخواص رحمه
الله تعالى ، عن الوهم ، فقال : الوهم : هو قيام بين العقل : والفهم ، لا منسوب
إلى العقل ، فيكون شيئاً من صفاته ، ولا منسوب إلى الفهم ، فيكون شيئاً منه
صفاته ، وهو قيام ، وهو شبيه بضوء بين شمس وماء ، فلا ينسب إلى الشمس ، ولا
ينسب إلى الماء ، وشبيه بوسن بين النوم واليقظة ، فلا نام ولا يقظان ، فهذه
صحود (١) وهو نفاذ العقل إلى الفهم ، أو الفهم إلى العقل ، حتى لا يكون بينهما
قيام ، والفهم صفوة العقل ، كما أن حالص الشيء لبه .

مسألة : سئل أبو يزيد رحمه الله تعالى عن معنى قوله تعالى : ثم أورثنا الكتاب
الذين اصطفينا من عبادنا « (٢) الآية .

(١) في رواية أخرى : محوه

(٢) فاطر ٣٢ وتكملة الآية : فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق

بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير .

قال أبو يزيد رحمه الله تعالى : السابق مضروب بسوط المحبة ، مقتول بسيف الشوق ، مضطجع على باب الهيبة ، والمتقصد مضروب بسوط الحسرة ، مقتول بسيف الندامة ، مضطجع على باب الكرم ، والظالم مضروب بسوط الأمل ، مقتول بسيف الحرص ، مضطجع على باب العقوبة .

وقال غيره : الظالم لنفسه معاقب بالحجاب ، والمقتصد والنج ^{هـ} داخل الباب ، والسابق بالخيرات ساجد على البساط للملك الوهاب .

وقال غيره : الظالم معاقب بالندامة على الإفراط ، والمقتصد ^{هـ} مشتمل بالكلافة والاحتياط ، والسابق بالخيرات ساجد بقلبه للحق على البساط ، الظالم لنفسه بتواضع الإشارة محجوب ، والمقتصد بتصریح الإشارة مكنوف ، والسابق بالخيرات بتصحيح الإشارة محبوب .

وقال غيره : الظالم لنفسه دوالمقتصدب والسابق بالخيرات م .
مسألة في التمني .

سئل رُويم بن أحمد رحمه الله تعالى ، هل للمريد أن يتمنى ؟ فقال : ليس له أن يتمنى ، وله أن يأمل ، لأن في التمني رؤية النفس ، وفي الأمل رؤية السبق ، والتمنى من صفات النفس ، والتأمل صفة القلب ، والله أعلم .
مسألة في سر النفس .

قال مهنا بن عبد الله رحمه الله ، وسئل عن سر النفس ، فقال : « النفس سر السر ما ظهر ذلك السر على أحد من خلقه إلا على فرعون ، يقال : أدركه السر ، وادركه سبع - جُج سماءية ، وسبع حجب أرضية ، فكأنها يدفن العبد نفسه في سماء ، سما قلبه سماء سماء ، فإذا دفنت النفس تحت الثرى ، وصلت بأقواب إلى العرش .

مسألة : سئل الثبلي رحمه الله تعالى عن الغيرة فقال : الغيرة غيرتان : غيرة البشرية ، وغيرة الإلهية ، فغيرة البشرية على لأشخاص ، وغيرة الإلهية على الوقت أن يضع فيما سوى الله تعالى .

مسألة : قال فتح بن شخرف رحمه الله تعالى ، سألت إسرائيلاً أستاذ ذى النون رحمه الله تعالى ، فقلت له : أيها الشيخ هل تُعَذِّبُ الأَسْرَارَ (١) قبل الزلزل ؟ فلم يجبنى أيّاماً ، ثم قال : يافتح إن نويت قبل العمل فتعذب الأَسْرَارَ قبل الزلزل ، قال ثم صرخ صرخة عاش ثلاثة أيام ثم مات .

مسألة : سأل أبو بكر محمد بن موسى النرغاني ، المعروف بالواسط رحمه الله تعالى عن صفة القلوب فقال : البلوب ثلاثة أحوال : قلوب ممتحنة ، وأخرى مصطلمة وأخرى منسفة وأوائل أحوالها الانتساف ، وهو المحقق بأوائله أنه لم يكن قلب نبيّاً مذكوراً فإذا حضرت وقعت إلى الاصطلام ، وهو الموت ، ثم الطمس وهو : ذهاب . فهذا أوّلك وآخرك ، كي لا تقول : أنا أميتُ وأدبرت ، وهذه الثلاثة أخرست الأسن عن النطق .

مسألة : سئل الجريري رحمه الله تعالى عن البلاء ، فقال البلاء على ثلاثة أوجه : على المخلصين بقم وعقوبات ، وعلى السابقين تمحيص وكفّرات ، وعلى الأبياء والصديقين ، من صدق الاختبارات .

مسألة : في المرق بين الحب والود ، الحب فيه بعد وفيه قرب ، والود لافيه قطع ولا بعد ولا قرب . إن شامداً الحب حق اليقين ، وشهد الود عين اليقين ، وشاهد الصيابة علم اليقين ، والود وصل بلا مواصلة . لأنّ الوصل ثابت والمواصلة تصرف الأوقات .

مسألة : في البكاء .

سئل أبو سعيد الخزاز رحمه الله تعالى عن البكاء ، فقال : « البكاء من الله إلى

(١) الأَسْرَارُ جمع سر ، السرقوة روحانية عذابها الحجاب ، ويقول أحد الصوفية اللهم مهّما عذبتني بشيء فلا تعذبني بذل الحجاب

الله وعلى الله ، فالبكاء من الله لطول تعذيبه بالحزن عنه إذا ذكر طول المدة إلى لقائه ، والبكاء من خوف الاقطاع ، والبكاء من الفرق لما تواعده من المكاباة لمن قصر ، والبكاء من الفزع إذا قام الإشفق من الحادث التي تحرم الوصول إليه والبكاء إليه ، وهو أن يتكلم سره الهيجان إليه ، والبكاء من طيران الأرواح بالحزن إليه ، والبكاء من وآله العتل إليه ، والبكاء من التأوه ، والبكاء من الوقوف بين يديه ، والبكاء برقة الشكوى إليه ، والبكاء بالتمرغ على بساط الذل طلب الزلفى لديه ، والبكاء عند المفاضة إذا ترهم أنه بطنى بده ، والبكاء خوفاً أن يقطع الطريق ، فلا يصل إليه ، والبكاء خوفاً أن لا يصلح للقاءه والبكاء من الحياء منه بأى عين ينظر إليه ، ثم البكاء عليه إذا بطنى بده ، في بعض الأوقات مما عوده والبكاء من الفرح في نفس وصوله إليه ، إذا اكتنفه ببرد ، كالصبي الرضيع يرتضع ثدى أمه وهو يبكي ، فهذا ثمانية عشر وجهاً .

مسألة : في الشاهد .

سئل أجنيد رحمه الله تعالى ، لم أسمى الشاهد شاهداً ؟ فقال : الشاهد لحق ، شاهد في ضميرك وأسرارك مطلعاً عليها ، وشاهداً لجماله في ختمه وعباده ، فإذا نظر الناظر إليه شهد عامه ينظره إليه : وشاهد الصوفية : هو أن يقطع منزل المرادين ، فشاهد عموم العارفين ، وحملة اسم الشاهد الحاضر في الغيب ، لا يخرج ولا يفتقر ولا يتعقل فإن غنل غنلة مرید فليس بشاهد ، وكلما يجرى فيه غير هذا في ظاهر الظن فهو باطل ، فليس هو طريق الصوفية .

مسألة : في صفاء المعاملة والعبادة .

قال : اجتمع مشايخ حرم الله تعالى ، على أبي الحسين على بن هند القرشي الفارسي رحمه الله تعالى ، فسألوه عن صفاء العبادة والمعاملة ، فقال : إن للعقل دلالة والحكمة إشارة ، وللمعرفة شهادة ، فالعقل يدك ، والحكمة تشير ، والمعرفة تشهد أن صفاء

العبادات لا يُبدل إلا بصفاء معرفة أربعة : فأول ذلك معرفة الله تعالى ، والثاني معرفة النفس ، والثالث معرفة الموت ، والرابع معرفة ما بعد الموت ، من وعد الله ووعيده ، فمن عرف الله تعالى قام بحقه ومن عرف النفس استعد لمخالفاتها ومجاهدتها ومن عرف الموت استعد لوروده ، ومن شهد وعيد الله تعالى ، ينزجر عن نهيه ، وينتدب لأمره فمراعاة حق الله تعالى على ثلاثه أوجه : على الوفاء ، والأدب ، والمروءة فأما الوفاء فانفراد القلب بفرائضه ، والثبات على مشاهدة وحدانيته بنور أزليته ، والعيش معه ، وأما الأدب فمراعاة الأسرار من الخطرات ، وحفظ الأوقات ، والانتطاع عن الحسد والعداوات ، وأما المروءة فالثبات على الذكر نطقاً وفعلاً ، وصيانة اللسان . وحفظ النظر ، وحفظ المطعم والملبس ، وينال ذلك بالأدب ، لأن أصل كل خير في الدنيا والآخرة الأدب . وبالله التوفيق .

مسألة : ما الكريم؟

قال حارث رحمه الله تعالى : « الكريم الذي لا يبالي لمن أعطى .

وقال الجنيدي رحمه الله : الكريم من لا يحوجك إلى وسيلة .

مسألة : في الكرامة .

قال قوم : الكرامة أن يبلغ المراد قبل ظهور الإرادة .

وقال قوم : الإعطاء فوق المأمول .

مسألة : في الفكر .

سئل الحارث المحاسبى رحمه الله تعالى عن الفكر فقل : الفكر في قيام الأشياء بالحق .

وقال قوم : التفكير صحة الاعتبار .

وقال آخرون : الفكر ما ملأ القلوب من حال التعظيم لله عز وجل .

والفرق بين الفكر والتفكر ، أن التفكير جولان القلب ، والفكر وقوف القلب على ما عرف .

مسألة : في الاعتبار : قال الحارث المحاسبي أبو عبد الله بن أسد رحمه الله تعالى : الاعتبار استدلال الشيء على الشيء ، وقال قوم : الاعتبار ، ما وضح فيه الإيمان ، واستوفته العقول .

وقال قوم : الاعتبار ، ما نفذ في الغيب ولم يردّه مانع .

مسألة : ما النية ؟ قال قوم : النية العزم على الفعل ، وقال قوم : النية معرفة اسم العمل .

وقال الجنيد رحمه الله تعالى : النية تصوير الأفعال ، وقال آخر : نية المؤمن ، الله عز وعل

مسألة : ما الصواب ؟ قال قوم : الصواب التوحيد فقط .

وقال الجنيد رحمه الله تعالى : الصواب كل نطق عن إذن

مسألة : سئل الجنيد عن الشفقة على الخلق ما هو ؟ قال : تعطيتهم من نفسك

ما يطلبون ، ولا تحملهم ما لا يطيقون ، ولا تخطبهم بما لا يعاينون

مسألة : في التقيّة ، قال قوم : استعمال الأمر والنهي ، وقال قوم : ترك الشهوات ،

وقال قوم : التقيّة : حرم المؤمن كما أن الكعبة حرام مكة ، وقال قوم : التقيّة :

نور في القلب يفرق بها بين الحق والباطل

وقال سبيل والجنيد والحارث وأبو سعيد رحمه الله تعالى عليهم جميعاً :

استواء السر والعلانية

مسألة في السر ، قال بعضهم السر : ما لا يبين به عجز النفس ، السر

ما غيبه الحق ، وأشرف عليه به ، وقال قوم : السر سرّان ، سرّ الحق ، وهو ما أشرف

عليه بلا واسطة ، وسر للخلق ، وهو ما أشرف عليه الحق بواسطة ، ويقال : سرّ من

السرّ للسرّ ، وهو حق لا يظهر إلا بحق ، وما ظهر بخلق فليس بسرّ .

وحكى عن الحسين بن منصور الحلاج رحمه الله تعالى ، أنه قال : أسرارنا بكر
لا يفتضحها وهم واهم

وقال يوسف بن الحسين ، رحمه الله تعالى : قلوب الرجال قبور الأسرار (۱) .
وعد أيضاً أنه قال : لو أطلع زري على سرى قلعتي .

[وقال بعضهم] شاعر :

حالٌ بَسِيرٌ قد أسرَّ جَمَعِيهَا وَكَلَاهُمَا فِي سِرِّهَا مَسْرُورٌ
مَا سِرَّ مَسْرُورٌ بِشِيرٍ بِسِيرِهِ مِنْهُ إِلَيْهِ مُسَوِيًّا مَغْرُورٌ
وقال آخر :

يَاسِرٌ سِرٌّ يَدِقٌ حَتَّى
وظَاهِرٌ بَاطِنٌ تَجَلَّى
وقال النوري رحمه الله تعالى :

عَمْرِي مَا اسْتَوَدَعْتُ سِرِّي وَسِرَّهَا سِوَانَا حَذَاراً أَنْ تَشِيَعَ السَّرَائِرُ
وَلَا لَأَحْظَنَهُ مُقَدَّمَتَايَ بِأَحْظَنَةٍ فَتَشْهَدَ نَجْوَانَا الْعُيُونُ النَّوَاطِرُ
وَأَلَيْكَ جَعَلْتُ الْوَهْمَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ رَسُولاً فَأَدَّى مَا تُكِنُّ الضَّمَائِرُ

فهذا ما حضرني في الوقت من مسائلهم ، ومسائل هؤلاء أكثر من أن
يتبيها ذكرها .

وقد حكى عن عمرو بن عثمان المكي ، رحمه الله تعالى ، أنه قال : العلم كله
نصفان : نصفه سؤال ونصفه جواب ، وبالله العوْفِيقُ .

(۱) وفي رواية : صدور الأحرار قبور الأسرار

كتاب المكاتبات والصدور والأشعار والدعوات والرسائل

باب في مكاتبات بعضهم إلى بعض

سمعت أحمد بن علي الكرجي رحمه الله تعالى يقول : كتب أجنيد إلى ممشاذ الدينوري رحمه الله تعالى كتاباً : فلما وصل الكتاب إليه ، قلبه وكتب على ظهره ، ما كتب صحيح إلى صحيح قط ، ولا افترقا في الحقيقة ، وكتب أبو سعيد الخراز إلى أبي العباس أحمد بن عطاء رحمهما الله : يا أبا العباس تعرف لي رجلاً قد كملت طهارته ، وبريء من آثار نفسه عنه به له ، موقوف مع الحق بالحق للحق ، من حيث أوقفه الحق ، حيث لا له ولا عليه ، فالحق يعاله امتحن له ، وامتحان للخلق به فإن عرفت لي هذا ، فدلتني عليه حتى إن قبلي كنت له خادماً .

وكتب عمرو بن عثمان المكي رحمه الله كتاباً إلى بغداد ، إلى جمعة للصوفة بها فكان في كتابه : وإيكم لن تصلوا إلى حقيقة الحق ، حتى تجاوزوا تلك الطرقت المنظمة ، وتسلكوا تلك المفاوز الميائكة . فحضر عند قراءته أجنيد والشبلي وأبو محمد الجريري رحمهم الله ، فقال أجنيد رحمه الله : ليت شعري من الداخل فيها ؟ وقال الجريري : ليت شعري من الخارج منها ؟ وقال الشبلي : ياليتني لم يكن لي منها مشام الریح :

وفيا ذكر عن الشبلي رحمه الله ، أنه كتب إلى أجنيد رحمه الله ، فكتب فيه : يا أبا القاسم ، ما تقول في حال علا فظهير ، وظهير نقير ، ونقير فيهر ، فمستناخ واستقر ؟ فالشواهد منظمة ، والأوهام خفسة ، والأسن خرسية ، والعلوم مندرسة ، ولو تكاثفت الخليفة على من هذا حاله ، لم يزد ذلك إلا توحشاً ، ولم أقبلت الخليفة إليه تعافناً ، لم يزد ذلك إلا تبعداً ، فالخاص في هذا الحال قد صند بالأغلال

والأنكال ، وغلبه على عقلة فخال وحاد الحق بالحق ، وصار الخلق عقلا ، وكتب
تحتها هذين البيتين :

يا دلال السّا اطرف (١) كليل فإذا ما بدأ أضما طرف فيه
كُتُّ أبكى على منه فلما أرّ توّلى بكيت منه عليه

قل : فترك الرقعة عنده من الأربعاء إلى الأربعاء ، وكتب تحتها : يا أبا بكر :
الله الله في الخلق ، كنا نأخذ الكلمة فنشقها ، ونقرظها ، وتكلم بها في السرايب
وقد جئت أنت فخلعت العذار ، بينك وبين أكبر الخلق ألف طبقة ، في أول
طبقة يذهب ما وصفت .

قال الشيخ رحمه الله ، وكنت بالرّملة ، وكان بها إنسان هاشمي ، وله جارية
مشهورة بحسن الصوت ، والحدّ ذاقه في القول فسألنا أبا عليّ الروذباري ، أن
يكتب إليه رقعة ، يستأذن لنا بالدخول عليها ، حتى نسمع منها شيئا ، فكتب
إليه على البديهة بحضرتي :

بسم الله الرحمن الرحيم بلغني - بلغك الله سؤالك وأعطاك مأمولك - أن عندك
من مناهل الورود ، منبلا يردُّ عليه قلوب أدلّ الوجود ، فيشربون منه بعقد الوفاء ،
شرا بآيورثهم حقائق الصفاء ، فإن أذن لنا بالدخول عليه ، فلنا على ربّ المنهل
أن يزّين المجلس بفقد الأغيار ، ويحجبه عن نواظر الأبصار ، ومجيئنا مقرون
بإذنك والسلام .

وسمعت أبا عليّ بن أبي خالد الصوري بصور يقول : كتبتُ إلى أبي عليّ
الروذباري رحمه الله كتابا ، وكتبت فيه هذين البيتين :

إنّ كتمى أبا عليّ حُببِيك فرارا من التشارك فيه
حَبْذا رُوذبارُ ماذا علينا لك حقا وذاك منه بتيه

(١) في رواية أخرى : كطرف (٢) في رواية أخرى : السر

قال ثم استقبلني بعد ذلك بأيام ، وكان في يدي جزء ، وأخذه من يدي وكتب على ظهره :

أغراك بالحبِّ حُبِّ في تخيُّبه لطفُ الجنانِ وعطفٌ في تعشبه
يا ابن الصبَّابات عن ورد بلا صدر نجعت صفو الموى في غير مطالبه
قف تحت صفتيه بالودِّ منك له مُستهترا بتباريح الشجون به

قال ومرض رجل من أصحاب ذي النون ، فكتب إليه : أن ادعُ الله لي ، فكتب إليه ذو النون رحمه الله : يا أخي سأنتني أن أدعو الله لك ، أن يزيل عنك النعم ؟ واعلم يا أخي أن المرض والعلّة يأنس بها أدل الصفاء ، وأصحاب الهمم والضناء لأنها في حياتهم دركٌ للشفاء ، ومن لم يعد البلاء نعمة فليس من الحكماء ، ومن لم يأمن الشفيق على نفسه ، فقد أمن أهل التهمة على أمره ، فليكن معك يا أخي من الله حياء يمدك من الشكوى والسلام .

وكتب رجل إلى ذي النون رحمه الله : آسك الله تعالى بقربه . فكتب إليه ذو النون رحمه الله : أوحشك الله من قربه ، فإنه إذا آسك بقربه ، فهو قدرٌ ، وإذا أوحشك من قربه فهو قدره ، ولا نهاية تقدره حتى يترك ملهوفاً إليه .

وسمعت جعفر الخدي رحمه الله يقول : سمعت أجنيد رحمه الله تعالى يقول : دفع إلى سرى السقطى رقعة ، قال : هذا مكان قد كنت أحيى به رقعة ، فإذا فيها مكتوب : سمعتُ حادياً في البادية يقول :

أبكي وهالاً تدرين ما بيكيني
أبكي حذاراً أن تفارقيني
وتقطعي وصلي وتهجريني

وقال الروذباري رحمه الله ، كتب إلى بعض أصدقائي : كتابي إليك كمودتي لك ، نورٌ منك دلّ عيني عليك ، وحجبها عن النظر إلا إليك ، والسلام .

وكتب أبو عبد الله أيضاً في كتاب إلى بعض أصدقائه : ما الذي أدّاك إلى الصبوة ، بعد تمسكك من الخطوة ؟ وما الذي حداك على قطع حبل الوصال ، بعد المحافظة على الاتصال ؟ أو ما علمت أن لورود الكتب فرحة تعدل فرحة القرب ؟ .

وكتب شيخ من الأجلة إلى بعض المشايخ : وجدى بك حماني عن الإشارة إليك ، وما لدا من قُربك غيب عني مؤنة الذِّكر لك ، فحقيقتك ظاهرة ، وأعلامك زاهرة ، وسطوتك قاهرة ، ظهرت سطوتك فخنست معرفتي عند ظهورها ، وذهل عقلي عند ورودها ، وقصّر علمي عند شرح بيان ظهورها ، وقصّرت عبارتي عند استيلاء حقيقتك والسلام .

سمعت أبا الطيب أحمد بن مقاتل العكسي يقول : كتب أبو الخير التيناتي إلى جعفر الخلدی رحمه الله كتاباً ، فكان فيه : وزرُ جبل الفقراء عليكم ، لأنكم ركنتم إلى أبناء الدنيا ، واشتغلتم بأموركم فبقوا جبهة .

وقال يوسف بن الحسين رحمه الله : كتبت إلى بعض الحكماء ، وشكوتُ زكوني إلى الدنيا ، وما أجدُ في طبعي من الأخلاق التي لست أرضاها من نفسي لنفسي ، فكتب إليّ : بسم الله الرحمن الرحيم ، وصل كتابك ، وفهمتُ ما ذكرتُ ومخاطبتك - أكرمك الله - شريكك في شكواك ، ونظيرك في بلواك ، إن رأيت أن تديم الدعاء وقرع الباب ، فإنه من قرع الباب ، ولم يعجز عن القرع دخل ، وإن تهبأ لك ما تريد من الصفاء ، والطهارة ، فدع ما أنت فيه من البلاء ، من اقتراف مساويء لا تجدى عليك منفعة في دينك ، ولا دفياءك ، وتجنّب قُرب من لا تأمن

على نفسك في مواصلته العفلة ، والبطالة ، واستعن على ذلك كماه بالقداعة والتجزى ،
وسئله أن يمن عليك بتوبة طهرى لا عملى ، والسلام .

وقال يوسف بن الحسين رحمه الله ، كتب حكيم إلى حكيم ، يسأله عما يؤديه
إلى صلاح نفسه ، فكتب إليه : إن فساد نفسى قد شغلنى عن صلاحك ، واست
أجد فى نفسى فضلةً لغيرها ، والسلام .

وقال : كتب أبو العباس أحمد بن عطاء رحمه الله إلى أبي سعيد الخراسانى رحمه الله
كتباً فقال فيه : وأعلمك أن النقرء وأصحابنا بعدك ، صاروا يذقرون بعضهم لبعض
فكتب إليه أبى سعيد رحمه الله : وأما ما ذكرت أن أصحابنا بعدى ، صاروا
يذقرون بعضهم لبعض ، فاعلم أن ذلك غيرة من الحق عليهم ، حتى لا يسكن
بعضهم إلى بعض .

وقال الرزى : كتب بعض المحبين إلى حبيبى — يعقبه : إن المودة لم تزل
موصولة ، فزُرْ بلادى ، وأكثرودادى ، واحذرُ عداة الحى أن يلقوك ، وليظن
العداء أنك جافٍ .

وكتب بعض المشيخ كتباً ، فكان فيه هذا النصل ، وأنا وجدته بخط جعفر
الخلدي : تفكرى فى مرارة البين يمنعنى من التمتع بحلاوة الوصل ، وتكره عيني
أن تقرّ بتربك ، مخافة أن تسخن بسعدك ، فلى عند الاجتماع كبد تربى ، وعند
التسائى مائة تكف ، وأقول كما قال الشعر :

وما فى الدهر أشقى من محبٍ * وإن وجد الهوى حلاوة الملاقى
تراه باكياً فى كس حين * مخافة فرقة ، أن لا يلقى
فيكى إن أوا شوقاً إليهم * ويذكر إن ذوا خوف العراق
فسخن عيى عند التئى * وتسخن عيى عند التلاقى

وحكى عن حسين بن جبريل المرندى رحمه الله ، وكان من المشيخ الأجلة ،
أنه قل : ورد على كتاب من مكة ، فقرأت عن جماعة من أصحابنا ، وكان من

بعض تلامذته ، فكان في الكتاب : أعلمك يا شيخى أن أصحابك كلهم ترائقوا بعضهم مع بعض ، فبقيتُ بلا رفيق ، فرأيتُ يوماً في الطوان غزالاً يطوف فأعجبني ذلك ، فرافقته وكان لي قرصان شعيرٌ في كل ليلة ، قرص لي وقرص له ، فبقي معي أشهراً ليلها ونهارها ، فليلةً من الليالي لم أفرغ للإفطار وتأخر ذلك ، فلما أردت أن أفطر ، فإذا به قد أكل القرصين ، فقلت : ويحك قد ظهرت منك الحيانة ، فرأيت دموعه تسيل على خده ، فذهب حياءً مني ، فاسألك أن تدعو الله تعالى أنت وأصحابك ، أن يردّه عليّ

قال : وكتب شاه الكرماني رحمه الله ، إلى أبي حفص رحمه الله : إذا رأيتُ أمرى كله مصيبةً ، فكيف أكون في مصائبى ؟ فكتب إليه أبو حفص رحمه الله : أنت مصائبك ، ولا تكن مع إلفك لمصائبك .

وفيه حكاية عن ابن مسروق عن سري السقطي رحمه الله ، أنه قال : كتب إلى بعض إخواني ، فكتبت إليه : يا أخى أوصيك بتقوى الله الذي يسعد بطاعته من أطاعه ، وينتقم بمعصيته ممن عصاه ، فلا تدعونك طاعته إلى الأمن من عذابه ، ولا تدعونك بمعصيته إلى اليأس من رحمته ، جعلنا الله وإياكم حذرين من غير قنوط ، وله راجين من غير اغترار والسلام .

وكتب أجنيد رحمه الله كتاباً إلى علي بن سهل الإصبهاني ، وكان فيه : واعلم يا أخى ، أن الحقائق اللازمة ، والقصود القوية المحكمة ، والعزائم الصحيحة المؤكدة ، لم تُبق على أهلها سبباً إلا قطعته ، ولا معترضاً إلا منعتته ولا أثراً في خفي السرائر إلا أخرجته ، ولا تأويلاً موهماً لصحة المراد إلا كشفته ، فالحق عندهم بصحة الحال مجرداً ، والجد في دوام السير محمداً على برادين من العلم واضحة ، ودلائل من الحق بيّنة .

قال الشيخ رحمه الله : فأما مكاتباتهم ، ومراسلاتهم أكثر من أن يتبها جمعها في الأجزاء الكثير ، وإما ذكرنا هذا طرفاً على حسب ما أمكن في الوقت ، لأن

المراسلات الطوال نحو رسالة النورى إلى أجنيد رحمهما الله في مسألة البلاء، ورسالة
أبي سعيد الخراز إلى النورى، ورسالة الجنيد إلى يحيى بن معاذ وإلى يوسف بن
الحسين، ومجاو بتيهما، ورسالة عمر والمكي إلى ابن عطاء، وغير ذلك، لم يتهيأ لنا
ذكره، ولكن نذكر رسالة واحدة للجنيد إلى أبي بكر الكسائي الدينورى
رحمهما الله، وهى مختصرة إن شاء الله تعالى.

رسالة الجنيد إلى أبي بكر الكسائي رحمهما الله تعالى: أخى أين محلك عند
تعطيل العشار (١)؟ وأين دارك وقد خربت الديار؟ وأين منزلك والمذزل قاع صنف
قفار؟ وأين مكانك والأماكن عواف دوارس الآثار؟ وماذا خبرك عند ذناب
جوامع الأخبار؟ فيم نظرك عند اصطلام محضر النظار؟ فيم فكرك وليس بحين
نظر ولا افتكار؟ وكيف هدوؤك على ممر الميل والنهار؟ وكيف حذرُك عند وقوع
فواجع الأقدار؟ وكيف صبرك ولا سبيل إلى عزاء ولا اصطبار؟ فابك الآن إن
وجدت سبيلا إلى البكاء، بكاء الواهية الحزينة الموجهة الشكلى، بنقد أعزة الألاف
وفناء أجلة الأخلاف، وإبادة ما مضى من الاكتاف، وذذب مشيخ الاعتطف
وورود بداية الاختطف، وروادف عواصف الارتجاف، وتبع قواصف الاعتطف،
وبواهر قواهر الاعتكف، وثواقب ملامح الاعتراف، إلى أين موثلك، وإلى ما يبلغ
مصدرك، والأحلام متمزقة، والقلوب متصدعة، والعتول منخاعة، والأبواب كلها
مرتفعة، وأنت فى أوابد مدمسة، ونجوم منطمسة، وسبل ملتبسة، قد أضلك فى
اختلاف مناهجها ظاهرها، وانطبقت عليك أرضها وسماؤها، ثم أفضى بك من
إلى لجة اللجج، والبحر الزاخر الغامر المحتاج، الذى كل بحر دونه أوجده، فهو فيه
كتفلة أو حجة، فقد قذف بك فى كثيف أمواجه، وتلاطم عليك بعظيم هوله
وارتجاجه، فمن مستنقذك من متاننات الميهانك أو مخرجك مما هنالك؟ كاتبي إليك

(١) يشير إلى الآية القرآنية التى جاءت - مع آيات أخرى - فى وصف هول يوم القيامة

وهى: وإذا العشار عطلت.

أبا بكر ، وأنا أحمد الله حمداً كثيراً ، وأسأله العفو والعافية في الدنيا والآخرة ، وصل
إلى منك كتبٌ فهمتُ ما ذكرت فيها ، ولم يمنعني من إجابتك عليها ما وقع في
وهمك ، وشق على ما ذكرت من غمك ، وليس حالك عندي حال معتوب عليه ،
بل حالك عندي حال معطوف عليه ، وبحسبك من بلائك أن أكون سبباً للزيادة
في البلاء عليك ، وإني عليك لمشفق ، وإنما منعي من مكاتبتك ، لأنني حذرت
أن يخرج ما في كتابي إليك إلى غيرك بغير علمك ، وذلك أني كتبت منذ مدة
كتاباً إلى أقوام من أهل إصبهان ، ففتح كتابي ، وأخذت نسخته ، استعجم بعض
ما فيه على قوم ، فأتعبنى تخصيمهم ، ولزمني من ذلك مؤنة عليهم ، وبالخلق حاجة
إلى الرنق ، وليس من لرنق بالخلق ملاقاتهم بما لا يعرفون ، ولا مخاطبتهم بما
لا يفهمون ، وربما وقع ذلك من غير قصد إليه ، ولا تعمد له ، جعل الله عليك واقية
وجنة وسامنا وإيك . فعليك ، رحمك الله ، بضبط لسانك ، ومعرفة أهل زمانك ،
وخاطب الناس بما يعرفون ، ودعهم مما لا يعرفون ، قلى من جهل شيئاً إلا عاداه ،
وإنما الناس كالإبل المائة (١) : ليس فيها راحلة ، وقد جعل الله تعالى ، العلماء والحكماء
رحمة من رحمته ، وبسطها على عباده ، فاعمل على أن تكون رحمة على غيرك ، إن
كان الله قد جعلك بلاء على نفسك ، وأخرج إلى الخلق من حالك بأحوالهم ،
وخاطبهم من قلبك على حسب مواضعهم ، فذلك أبلغ لك ولهم ، والسلام عليكم
رحمة الله وبركاته .

وقال الشيخ رحمه الله : وإنما وضعتُ في هذا الكتاب هذه الحكاية والرسالة
حتى يتأمل من ينظر فيه . ويستفيد منها بما فيها من الإشارات الصحيحة ،
والعبارات الفصيحة ، ويقف على مقاصد القوم في مكاتبتهم ، لأن بين كل طائفة
من الناس مكاتبات ومراسلات ، على حسب ما يليق بهم . وبالله التوفيق .

(١) قوله : المائة . لعلمها : المائة

باب في صدور الكتب والرسائل

صدر للجنيّد ، رحمه الله : آثرك الله يا أخى بالاصطفاء ، وجمعك بالاحتواء ،
 وخصّك بعلم أهل السُّبَى ، وأطلعك من المعرفة على ما هو أولى ، وتمّم لك ما تريد
 منك له ، ثم أخلاك منك له ، ومنه له به ليُفردك في قلبه لك ، بما يُشهدك ، من حيث
 لا يلحقك شاهدٌ من الشواهد يخرجك ، فذلك : أول الأول الذي محبه رسوم
 ما ترائف مما غيَّب به عنك بعلم ما استأثر به منه له ، ثم أفردك منك لك ، في أول
 تفريد التجريد ، وحقيقة كائن التفريد ، فسكذلك إذا انفرد بذلك أباد وأفنى الإبادة
 ما سلف من الحق من الشاهد بعد إفناء محاضر الخلق ، فعند ذلك يقع حقيقة
 الحقيقة من الحق للحق ، ومن ذلك : ما جرى بحقيقة علم الانتهاء إلى علم التوحيد
 على علم تفريد التجريد ، فقد عزره الله وحجبه عن كثير ممن ينتحل ويدعيه ،
 ويتحقّقه ويصطنفه .

صدر آخر : موتك حقيقة الاختصاص عن أرائح الانتقاص ، وآوك الحق
 في خفي من الملاحظة لحظك مثلاً بالإجلال له عن ذكر نفسك وحالك في أوان
 ذكره ، ثم أذكرك أنه ذكرك في قديم الأزل قبل حين البؤى ، وقبل حال البؤى ،
 إبه فعل لما يشاء ، وهو قدير .

صدر آخر : أكرمك بطاعتك ، وخصّك بولايتك ، وجلالك بستره ، ووثقك ليدك
 نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأطلعك على فهم كتابه ، وأطلقك بالحكمة ، وأمسك
 بالقرب ، وحصك بالفوائد ، ومنحك الزيادات ، وألزمك بابيه ، وكذلك خدمته ،
 حتى تكون له موافقاً ، ولكأس محبته ذاتقاً ، فيتصل العيش بالعيش ، والحياة
 بالحياة ، والروح بالروح ، فتم العممة ، وتسلم من المعتبة ، فتصح العافية ،
 وتكمل السلامة .

صدر آخر . بدت لك تجائب مافي الغيوب من أنبائها ، وكشفت لك عن حقائق ما تكن من أكنانها ، وأوضحت لك عن سر غرائب إحقافها ، وخاطبتك بكل ما كن من عطائها ، بلسانه الذي ينطق به عن خفي مكانه ، فأوضح منطق يوضح عن حكم بيانه ، ايس بما صرح به من الفصح من اسانه ، لكن بما أوقفه الحق من مراد إعلانه ، وذلك : غير كائن قبل حينه وأوانه ، والمراد بفهم ذلك : هو المفرد الموجود من أهل دهره وزمانه .

صدر آخر : حاطك الله بحياطته التي يحوط بها المستخلصين من أحبابه ، وثبتتك وإيانا على سبيل مرضاه ، وأولج بك قباب أنسه ، وأرقاك في رياض فنون كرامته ، وكلاك في الأحوال كلها كلاءة الجنين في بطن أمه ، ثم أدام لك الحياة المستخلصة من قيمومية الحياة على دوام ديمومية أبدية ، وأفردك عمّا لك به وعماله بك ، حتى تكون فرداً به في دوامها ، لا أدت ولا مالك ولا العلم به ، ويكون الله وحده .

هذه الصدور كلها للجسد ، رحمه الله ، ونخبها إشارات لطيفة ، ورموز خفية ، تعبر عن الحقائق المشككة وتنبئ عن السرائر والخصوصية التي تنفرد بها هذه العصابة في تجريد التوحيد ، وحقيقة التفريد ، فمن نظر فيه فليتأمل ، فإن فيه لأهل الفهم فوائد ، ولأهل العناية بهذا العلم زوائد ، وعلى القلوب من المعرفة بذلك جميل عوائد ، والله الموفق للصواب .

ولغير الجيد صدور حسنة ، أذكر من ذلك طرفاً إن شاء الله .

صدر لأبي عليّ الروذباري ، رحمه الله : أنسك الله في كمال الأحوال وتامها ، وبلوغ الغايت ونظامها ، وأنس بك قلوب أهل مصافاتك وموالاتك ، في دوام فضلك ومعافاتك ، وجعل لك ما اتضح لك موصولاً بك في حياتك ، وبعد وفاتك ، ومن علينا بما يقصر عنه بلوغ الآمال ونهاية الأحوال ، وزادك من فضله الذي عودك من ربه وألطافه وإحسانه ، والله يمن علينا في ذلك بما نرجوه .

صدر لأبي سعيد ابن الأعرابي : كلاً كم الله كلاءة الوليد ، وألحقاً وإياكم
بصالح العبيد ، الذبن كشف عن قناع قلوبهم ، فشهدوا الوعد والوعيد ، فمن كان
منهم خائفاً فالرجاء منهم غير بعيد ، ومن كان منهم راجياً فالخوف في قلبه عتيد ،
فهم بمحبته صائلون ، ولهيبته خاضعون ، بسطية المحبة والرجاء أن يكونوا قانطين ،
وقبضهم الخوف أن يكونوا مخدوعين أو آمنين ، فهم بين الخوف والرجاء وانفون ،
فقد أفلتهم الشوق ، وأزعجهم لذوق ، فحسن الظن قائدهم ، وخوف الفوت سائقهم ،
والتوفيق رائدهم ، والحب مطيئهم ، طالبين مطلوبين ، منوردة لهم أعلام الطريق ،
معمورة لهم المناهل توضح لهم بالعوائد ، متقلبين بالطرقات والفوائد .

صدر آخر له : أماتك الله عنك ، وأحياك به وأيدك بانتميمهم ، وفرغ قلبك من كل
وهم ، وأفناك بانقرب عن المسافة ، وبالأنس عن الوحشة .

صدر آخر له : كلاك لله كلاءة الوليد المرحوم ، وحفظك حفظ أولى العصور ،
ووهب لك معرفة ما أنعم به عليك ، واستخرج منك ما جبلت عليه ، وحجبت عن
نفسك القاطعة دونه ، وكفك عوائقها وبوائقها ورؤية عمالك ، وآثر سعيك ،
وتزكية نفسك ، وأعتقك من رقيا ، وكفك عوارض تحيرها ، وفضول تكلفها ،
واستخصك انفسه منها ، ليحقق فيك العبودية ، فيزكو عمالك وإن خف ، وينمو
سعيك وإن قل ، وتطيب حياتك وإن مت ، - تي يوصلك بالحياة التي لا موت
فيها ، والبقاء الذي لا فناء بعده ، وتولي أمرك بالحسنى في عواقبها ، كما كفك الصير
في أوائلها ، إنه ولي التمام لما ابتدأه .

صدر لأبي سعيد الخراز : عصمتك الله بذكره عن نفسك ، وكشفتك بتدبره عن
وصفك ، وقسم لك من العلم به في فعالك ، حتى تكون ممن جمع له جبل الرشد
وأعلى في ذلك مكانك ، وكشفت في ذلك بالبيان ، وأنا أسأل الله تعالى : أن
يجمع لك من نفسك ما فرق ، ويبين عنك منها ما جمع ، إنه الولي لذلك
والقادر عليه .

صدر آخر له : حماك الله عن نفسك بذكره ، وصدقك في ذلك بشكره ، ولا أخلاقك في ذلك بإقباله ، وقسم لك من جزيل نواله ، وأعادك من شديد محبته له ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

صدر آخر له ، وأظنه للخراز : قسم الله لك من العلم الرفيع ، وأفردك في الذكر المنع ولا أخلاقك من رعايته ، وأفردك بولايته ، وتولاك فيما استرعاك ، وكان لك في ذلك وكفاك ، وأقبل عليك وشفاك ، وقسم لك من ذكره ووالاك ، وأنسك بطاعة وأعلاك ، ولا وكلك إلى نفسك وهو اك .

صدر للكردي الصوفي الأرموي : منحك الله بما به منحك ، وحماك عن طويبات الصفات بالإجابة لمن رتب الرويات ، وحماك عنك ، بشاهد ما فيه بدأك ، وعظيم ما به ابتدأك ، وأحملك في محل التجلية لما أراد ولما به أريد ، وأظلمهم واقع براءة التسليم [التي] تحوى أسرارهم لمن يفانى ، فتسرى همومهم لمن يعانى ، قد باشروا منه ما له استبشروا ، وفي ميادين محبته انتشروا ، ألمابهم سواطع أنوار التوحيد ، ولو امع التجريد ، باينين عماله وبه بانوا ، فهيم كالذي كانوا .

صدر كتاب للثقي ، رحمه الله : هنأك الله كرامته ، فأنت غيث لأهل مودته ، وكهف لأهل موافقته ، ودال على معرفته ، ومنتسب إلى وحدانيته ، ومخبر عنه به ، ومن اصطغعه لنفسه في قديم أزليته ، وأطاعه على مكنون سره ، وأشهده مجارى قدرته ، وأنطق لسانك بحكمته ، وأقامك لدلالته ، وجعلك معياراً على المريدين ، والمحققين البالغين ، المتأهبين بحسن استبانته ، إنه ولي ذلك ، ولا مزيل إليه إلا به ، والسلام .

صدر آخر للثقي : أكرمك الله وأعلاك ، وقرّبك بعطائه وأدناك ، وقسم لك من نواله وأرضاك ، وأعادك من بلائه وشفاك ، وتولاك فيما ألزمك وكفاك ، إنه ولي تقديره ، ذورافة لمن التحأ إليه ، ومهيمن على من استند إليه ، نعوذ بالله لنا ولك من كل بلية ، ونستميذه ونستغفره من كل خطية .

صدر آخر . تودد الله إليك بعطفه ، ولا أخلاك من نائه ولطفه ، وأعاذك من
بلائه وعنفه ، ولا حجبك بفعلك عن ذكره ، ولا سترك بعملك عن شكره ،
إنه وليٌ قديرٌ .

صدر آخر ، عصمك الله بما عصم به المتقين ، وأودعك من العشق السليم ،
وكاشفك بذكره الرفيع ، وآنتك بدوام إقباله عليه ، إنه وليٌ قديرٌ .

قال الشيخ ، رحمه الله : والذي حملنا على جمع هذه الرسائل والصدور
والمكاتبات في هذا الكتاب : ما أودع فيها من المعاني والإشارات ، لينظر الناظر
فيه ، ويستدل بذلك على مراتب القوم ، ولطائف إشاراتهم ، وطهارة أسرارهم ،
وخصوصيتهم بالفهم ، والعلم ، والعقل ، والأدب ، لأن من عادة أهل المعرفة والأدب
أن يعرفوا أمثالكم بمخاطباتهم وأشعارهم ، ومكاتباتهم ، إذا فاتهم المجالسة والمخاطبة
وبالله التوفيق .

باب في أشعارهم في معاني أحوالهم وإشاراتهم

حكى عن يوسف بن الحسين أنه قال : سمعت بعض الثقات يحكى عن
ذى النون المصرى ، رحمه الله أنه قال :

إذا ارتحل الكرامُ إليك يوماً
فإن رحلتنا حطت رضاء
أنحما في فناءك يا إلهى
فُسُنا كيف شئت ولا تكلنا
ليلتمسوك حالا بعد حال
بخحك عن حلول وارتحال
إليك مفوضين بلا اعتلال
إلى تدبيرنا يا ذا المعالى

ولدى النون ، رحمه الله أيضاً :

مَنْ لاذ بالله نجا بالله
إن لم تكن نفسى بكف الله
الله أنفاسه جرت لله
وسره مرّ قضاء الله
فكيف أنقذ لحكم الله
لأحوال لي فيها بغير الله

أنشدنى أبو عمرو بن علوان للجنيد ، رحمه الله ، هذه الأبيات :

تغرب أمرى عند كل غريب
وذاك لأن العارفين رأيتهم
فأصبح أمرى ليس يدرك غوره
فصرت عجباً عند كل عجب
على طبقت في الهواء رتوب
سوى أنى للعارفين خطيب

وللجنيد ، رحمه الله ، في الاحتراق والتعذيب :

يا موقد النار في قلبى بقدرته
لا عار إن مت من خوف ومن حذر
وله أيضاً :

يا مسعري أسفاً يا متلفي شغفاً
حاشاك من استغاثاتى فكيف وقد
لو شئت أطفأت عن قلبى بك النار
أوليتنى نعماً طاحت بأذكار

سمعت أحمد بن علي أوجيهي بالرملة يقول : كتب أبو الحسين النوري كتاباً
إلى أبي سعيد الخراز ، رحمه الله ، فكتب فيه هذه الأبيات :

لعمري ما استودعتُ سره سوانا حذاراً أن تشيع السرار
ولا لاحظته مُقلتاي بنظرة فتشهد نجانا القلوب الوظر
ولكن جعلت الوهم بيني وبينه رسولاً فأدى ما تكين الضائر
وأشدد القاد لأبي الحسين النوري ، رحمه الله ، يصف فقد حاله ويعاد :

أنى إليك إشارات القلوب معاً لم يبق منهن إلا درس العلم
أنى إليك قلوباً طال ما هطت سحائب الجود منها أبحر الحكيم
أنى إليك نفوساً طح شهدها فيما ورا الحيث بل في شاهد القدم
أنى إنيك لسان الحق مُد زمن أودى وأذكاره في الوهم كأنه دم
أنى إليك بياناً تستكين له أسمع كل فصيح مقول فيهم
أنى وحقك أخلاقاً لطائفه كانت مطايهم في مكن الكظم

قل الشيخ ، رحمه الله : أنشدني جعفر الخالد الجنيدي ، رحمه الله ، هذين
البيتين :

مالي جنيتُ وكنتُ لا أجفي ودلائل الهجران لا تخفي ؟ !
وأرائك تستيني وتمزجني وقد عهدتكَ شربي صرفاً !

وفيما ذكر عبد الله بن الحسين ، قال : سمعت أحمد بن الحسين البصري يقول :
حضرت مجلس الجنيد ، رحمه الله ، فسأله رجل مسألة ، فأنشد :

نم على سر وجدِهِ النفس والدمع مع مقلته يسبح
مدله هائم له حرق أنفسه بالحزين تفتس
مهبذب عارف له فطان من نور أنس الحبيب يقتبس
يا ، بأبي الأشعث الغريب فتى ليس له دون سؤله أنس

يا، بأبي جسمه الزكي وإن كان عليه خليق دنس
قال : وأنشدني أبو بكر الدقي بدمشق قال : أنشدني أبو علي ، أحمد بن محمد
الروذباري ، رحمه الله ، لنفسه :

حدُّ القناعةِ محورُ الكلِّ منك إذا لاحَ المزيدُ يجددُ عنه مُطَّلَعُ
فإنْ تحققَ وصفُ الوجدِ مُشتملاً على الإشاراتِ لم يَلوِ على الطمعِ
قال : وأنشدني الوجيبي قال : أنشدني أبو علي لروذباري لنفسه :

كتبتُ إليكم بماءِ الجفونِ وقلبي بماءِ الهوى مُشربُ !
وصفني تخطُّ وقلبي يميلُ وعيناي تمحو الذي تكتبُ !
قال : وأنشدني أبو عبدالله ، أحمد بن عطاء الروذباري لخاله أبي علي ،
رحمه الله :

تأمل من بعد تأمليه
موانع عن احتواء الوصال
على أن يرد عليك الصفات
فاقنع بقنعه أن تراه
حلول فنائك صفو الوصل
إليك عن الوصل في كل حال
بعت التمكن عند الكمال
فقت مدى لحظه في النوال

وله :

إني أجلك عن رُوحِي وأبدلها
وكيف تفديك رُوحُ أنتِ واهبها
فداءُ عبدك رُوحُ أنتِ واهبها
وقد مننتِ علي من يفتديك بها؟!
قال : وأنشدني أبو بكر : أحمد بن إبراهيم المؤدّب البيروتي بمصر للخواص
رحمه الله :

صبرتُ على بعض الأذى خوفَ كله
وجرعتها المكروه حتى تدرّبتُ
ألا ربّ ذلّ ساق للنفسِ عزةً
ودافعتُ عن نفسي لنفسي فغزتِ
ولو جرعتها جملةً لاشمّزتِ
ويا ربّ نفسٍ بالتعزُّزِ ذلتِ

بِإِذَا مَا مَدَدْتُ الْكَفَّ أَلْتَمِيسُ الْغَنَى إِلَى غَيْرِ مَنْ قَالَ اسْأَلُونِي فَسَدَّتْ
سَأَصْبِرُ نَفْسِي إِنْ فِي الصَّبْرِ عِزَّةٌ وَأَرْضِي بِدُنْيَائِي وَإِنْ هِيَ قَلَّتْ
وَأُنشِدُ أَبُو حَفْصٍ عَمْرَ الشُّمَّاطِيَّ بِالرَّمْلَةِ لِلخَوَّاصِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ :

لَقَدْ وَصَّحَ الطَّرِيقُ إِلَيْكَ قَصْدًا فَمَا أَحَدٌ أَرَادَكَ بِسَبْتَدَلُ
فَإِنْ وَرَدَ الشِّتَاءُ فَأَنْتَ صَيْفٌ وَإِنْ وَرَدَ الْمَصِيفُ فَأَنْتَ ظِلٌّ

قال عمر : معناه من كتاب الله تعالى قال : « كَلَّا إِنْ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِي »

وَالسَّمْعُونَ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ : سَمِنُونَ الْأَجِبُّ يُصِفُّ ، الْوَجْدُ :

هَبْنِي وَجْدُكَ بِالْعُلُومِ وَوَجِدْهَا مَنْ ذَا يَجِدُكَ بِأَلَا وَجُودٍ يَنْظُرُ
أَلَيْتَمَطَّنِي بِالْعِلْمِ لِمَ تَرَكْتَنِي حَبِيرَانَ فَيْكَ مُلْدَدًا لَا أَبْصُرُ
بِأَنَاثِبَاءٍ وَالِدَهُ رُيْبِرُ عِزُّهُ مَا لَاحَ مِنْكَ صَغِيرَةٌ قَدْ يَهْرُ
قَدْ كُنْتُ أَطْرَبُ لِلوُجُودِ مَرُوعًا طَوْرًا يُغَيِّبُنِي وَطَوْرًا أَحْضَرُ
أَفْنَى الْوُجُودِ أَشَاهِدُ مَشْهُودَهُ يَفِينِي الْوُجُودَ وَكُلُّ مَعْنَى يَحْضَرُ
وَضَرَحْتَنِي فِي بَحْرِ قُدْسِكَ سَابِغًا أَبْعِيكَ مِنْكَ بِأَلَا وَجُودٍ يَنْظُرُ
وَلَهُ :

سَعَتُ قَبِي عَنِ الدُّنْيَا وَلَدَيْهَا فَأَتَى فِي الْقَلْبِ شَيْءٌ غَيْرُ مُتَّفِقٍ
وَمَا تَطَبَّقَتْ الْأَجْنَانُ عَنِ سَعَةِ إِلَّا وَجْدُكَ بَيْنَ الْجَنَنِ وَتَحَدُّ

أخبرني جعفر الخدي ، رحمه الله ، فيما قرأت عليه ، قال : سمعته يقول ،
رحمه الله ، يقول : كان أبو الحسن سرى السقطي ، رحمه الله ، كثيرا ينشد
هذه الأبيات :

وَلَمَّا أَدْعَيْتُ الْحَبَّ قَالَتْ : كَذَّبْتَنِي فَمَا لِي أَرَى الْأَعْضَاءَ مِنْكَ كَوَاسِيَا
فَمَا أَحَبُّ حَتَّى يَلْصُقَ الْجِلْدُ بِالْحَشَا وَتَذْبُلُ حَتَّى لَا تُحِبُّ الْمَسْدِيَا

وَتَحَلَّ حَتَّى لَا يُبْقَى لَكَ الزَّوَى سَوَى مُقَلَّةٍ تَبْكِي بِهَا أَوْ تُنَاجِيَا

قال الجنيد، رحمه الله: دخلتُ غُرْفَتَهُ وهو يكنس بيته بمخرقة ويقول:

وَمَا رُمْتُ الدُّخُولَ عَلَيْهِ حَتَّى حَلَلْتُ مُحَلَّةَ الْعَبْدِ لِذَلِيلِ

وَأَغْضَيْتُ الْجُفُونَ عَلَى قَذَاهَا وَصُنْتُ النَّفْسَ عَنْ قَالٍ وَقِيلِ

قال: وكان يقول كثيراً هذا البيت:

مَا فِي النَّهَارِ وَلَا فِي اللَّيْلِ لِي فَرَجٌ فَأَبَالِي أَطَالَ اللَّيْلُ أُمَّ قَصُورًا

أنشدني أبو عمرو الزَّيْجَانِي، بتبريز قال: كان الشبلي، رحمه الله يقول:

عند موته:

قَالَ سُلْطَانُ حُبِّهِ: أَنَا لَا أَقْبَلُ الرَّثَا

فَسَلُّوه فَدَيْتَهُ لِمَ قَتَلْتَنِي تَحْرُشَا

وله:

أَظَلَّتْ عَيْنَانَا مِنْكَ يَوْمًا غَمَامَةً

أَضَاءَتْ لَنَا بَرْقًا، وَأَبْطَى رَشَاشَهُ

فَلَا غَيْبًا يَجُودُ فَيَأْسُ طَامِعٌ وَلَا غَيْبًا يَأْتِي فَيُرْوَى عَطَاشُهَا

ثم قال للنساج: أين موضعك من هذا؟ قال: بحيث الذل، فقال: آه تذكر

لذلِّ بحضرتي، غيرة منه على المكان! ثم أنشأ يقول:

تَقَدُّ فَضَّلْتُ لَيْلِي عَلَى النَّاسِ كَانَتْ عَلَى أَلْفِ شَهْرِ فَضَّلْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ

فِيهَا حُبُّهَا زِدْنِي جُودِي كُلَّ لَيْلَةٍ وَيَا سَفْوَةَ الْأَيَّامِ مَوْرِدُكَ الْحَشْرُ

وقال الشبلي، رحمه الله، في مجلسه يوماً:

وَعَيْنَانِ قَالَ اللَّهُ: كَرْنَا فَكَانَتَا فَعُورَانِ بِالْأَبَابِ مَا تَفْعَلُ الْخَمْرُ

ثم قال: استُ أعنى العيون النُّجُلَ ولكنني أعنى عبون القلوب ذوات الصدور

فَسَطَوِي لِمَنْ كَانَ لَهُ عَيْنٌ فِي قَلْبِهِ، وَأُذُنٌ وَاعِيَةٌ، وَالنَّظَرُ مَرْضِيَةٌ.

فقال أبو الفرج العُكْبَرِيُّ : سألته عن الغيرة ، فقال : غيرة البشرية
للأشخاص ، وغيرة الإلهية على الوقت أن يضع فيما سوى الله ، ثم أثنأ
وهو يقول :

ذابَ مما في فؤادي بداني وفؤادي ذابَ مما في البدنِ
فاقطعوا حبلِي وإن شئتم صلوا كل شيءٍ منكم عندي حسنٌ
صحَّ عند الناسِ أني عاشقٌ غيرَ أنْ لمْ يعلموا عشقِي لمنْ

وجرى شيء من العلم فأنشأ يقول :

وشغلتُ عنْ فيمِ الحديثِ سوىَ ما كان منكٍ وحبِّكٍ تعزِي
وأديمُ نحوِ محدثي نظري أنْ قد فيمتُ وعندكٍ عجزِي

وكان ينشد هذين البيتين كثيراً في مجلسه :

رأني فأوراني عجائبَ ألقفه فيمتُ وقلبي بالترافقِ يدورُ
فلا غائبٌ عنِّي وأسوأُ بذِكْرِهِ ولا هوَ عنِّي معْرِضٌ فأغيبُ
وله :

جَرَى السيلُ فاستبكتني السيلُ إذ جرى وفطنتُ له من مَقامِي سرورُ
يكونُ أجاجاً دُونَكَ فإذا أنتهى إليك تنقِي طيبك فطيبُ

ويقال : إن هذه الأبيات لسهل بن عبد الله رحمه الله في الصبر على الدنيا

أتذكرُ ساعةً أنعمتُ فيها وأنتَ وليدُ عاصمِ
لتعلمَ أن هذا الدهرَ يمسي ويصبحُ طامسُ
فلا يَمَلَأُكَ حُبُوبُ سرُورِ وإنْ وافكُ مَكْرُوهُ هَميرِ
وإنْ قرأفتُ في دُنْيَاكَ ذمياً فقال في إثره ياربُّ تقدِرِ

وليحيي بن معاذ الرزني ، رحمه الله عليه :

أموتُ بدارٍ لا يصابُ دوائياً ولا فرجٌ لي أرى في البلادِ

بقولون : یحیی جن من بعد صحۃ
 إذا کان داء المرء حب ملیک
 مع الله یقضی دهره متلذذاً
 ذرونی وشائی لا تزیدون کرمتی
 الا فاهجرونی وارغبوا فی قطعتی
 کونی الی المولی ، وکفوا ملامتی

لأبی العباس بن عطاء فی الشکر :

وکی یدیک عندی ما شکرت لیا
 تسعفت عن حملها عجزاً لتحملها
 وله :

کیف شکری لمن به یحسن الشکر
 یتم یشکر المحبون وجداً
 وله :

حتی ، أقول لقد کلفتنی شططاً
 جمعت شیئین فی قلبی له خطر
 مر تعلقنی والشوق یضرمها
 لا کنت إن کنت أدری کیف یمسئنی
 لک تحوق بالبلوی أقشعراً لیا
 قد مسنی الضر والشیطان ینصب لی
 فلا تسکنی الی نفسی فیظفر بی

ولأبی حمزة الصوفی ، رحمه الله ، یقال : إنه وقع فی بر فطموا رأسها فجاء

ولا یعلم العذال ما فی حشائبها
 فمن غیره یرجو طیباً مداویا
 تراد ، مطیعاً کان أو کان عاصیا
 وحلوا عانی نحو موالی الموالیا
 ولا تکشفو عما یجن فؤادیا
 لانس بالمولی علی کل ما ینیا

حملتها أنت عنی مع بوادیک
 لکن أیدیک تحملها أیدیک

ومنه شکری له فی الوداد
 وصفاء من خاصة الافراد

حملی هواک وصبری إن ذال لعجیب
 نوّعتین ضدین : تبرید وتلیب
 فکیف یجتمعا : روح وتعذیب
 صبری علیک وصبری : صبر آیوب
 فظل من ثقلها عریان مکروباً
 وأنت ذو قوة والعبد منکوب
 من کان یقرّبنی إذ کنت محجوباً

سبع ، ففتح رأس البئر ونزل ، فتملق أبو حمزة برجله ، فأخرجه من البئر .
فسمع هاتفاً يقرل : هذا حسن يا أبا حمزة : نجيبك من التلف بالتلف : من الشعر
بالسبع ، فقال عند ذلك :

نهاني حباي منك أن أكنتم الهوى
تلطفت في أمري فأبدت شاهدي
تراءيت لي بالغيب حتى كأنما
أراك وبني من هيبتك لك وحشة
وتحبي محباً أنت في الحب حنة
وأغسيتني بالفضول من الكشف
إلى غابي واللطف يدرك بالظن
أبشرتني بالغيب أنك في الكف
فتروني بالظن مدب وبالظن
وذا عجب كون الحية مع الحبيب

ولأبي نصر بشر بن الحارث ، رحمة الله عليه :

لا آجبن لوحدتي وتفردتي
ذهب الإخاء فليس ثم أحوة
فإذا تكشفت لي بما في قلبه
وَمِنَ التَّفَرُّدِ فِي زَمَانِ حَرِيصِ
إِلَّا نَمِيقَ بَالِسَانَ مَرِيصِ
عَايَاتِ تَمَّ تَمَسِّعُ لَمَامِ

وأيوسف بن الحسين الرازي ، رحمة الله عليه :

أحب من الإخوان كل مداني
يوافقني في كل أمر أحب
فمن لي بهذا إيتي قد وجدته
وكل غطيض الطرف فر من مداني
ويؤاني حتى وبعد موتي
فقد سمعته مني وهو حي

ولأبي عبد الله القرشي ، رحمة الله عليه :

وأنت خليط النفس في كل شأنها
تغامرها حتى كأنك أمها
يعارضها الواثنون فيك بكل ما
وبغلتها ما كنت أنت لها به
وأمكن من لذي منة منة
وعلى قولها فاقوى لك فاقوى
يقلقها في سرها والعلاء
فتعذرهم في كل ما كان

لقد قرحت أفاقها فيك مرة وقد قرحت منها الشويدة ثانية

وكتب أبو عبد الله الهيكلي إلى أبي عبد الله القرشي ، رحمه الله تعالى :

ذات هويته تسكون مذكرة
لا تجتلي عين العقول ضياءها
معرفة تحت الخواطر منكردة
فليها بها الأبصار عنها مبصرة
وأعز متنع مسكان تناول
منها على من لا يراها مخبره
سأل المعارف كلها إلا بها
مسدودة عنها المذاهب متفيرة
عإذا علقت بها وغبت بعينها
عنها تجلت للعقول مخبره

ولأبي سعيد الخزاز ، رحمة الله عليه :

قلب يعبك لا يومى إلى أحد
فؤاده بك مشعوف ومهيجته
تكد همته تقاك بالخبر
تدوب من قلق التقريب والنظر
إذا سمت بك يا عزي ومفتجري
كوا من جمعت في السمع والبصر
حتى ترى سرها في الوجه كالقمر
سراجان من لو يشا أبدى عجائبها

جواب أبي عبد الله القرشي للهيكلي ، وهو فيما قيل : قول أبي سعيد الخزاز :

إذا أس الخق الخق حقيقة
وليس لأن السر سمي بما يلي
من الوجد بات عن نعوت السرائر
ولا تب عن مكشوفها فظ عارف
عليه به لكن أوصاف قادر
ولكن بتمثيل اللطيف المائر
فأنت خالط للشعاع المباشر
ولم تعر من بعث لنعتك قاهر
ولأبي الحديد كتبها إلى القرشي :

أعابك أن أقول هلكت وجدا
ولو أن الرشاد لظرفي
عليك ، وقد هلكت عليك وجدا
جلدت جفونها بالدمع جلده

جواب أبي عبد الله :

وَلَكِنِّي أَقُولُ حَيْثُ حَقًّا إِذَا لَوَجَدُ الْمُبْرَحُ مِنْكَ يَهْدَا
وَأِنْ حَلَّ الرَّقَادُ بِجَنَنِ عَيْنِي رَقَدْتُ إِجَابَةً لَكَ لَا أَهْدَا

قال الشيخ، رحمه الله : وهذه الأشعار فيها ما هي مشككة ، وفيها ما هي جلية ،
ونهم فيها إشارات لطيفة ، ومعان دقيقة ، فمن نظر فيها فليتدبرها حتى تقف على
مقاصدهم ، ورموزهم ، حتى لا ينسب قائلها إلى ما لا يليق بهم ، وإذا أشكل عليه ولم
يفهم فليبحث بالسؤال عن من يفهم لأن لكل مقام مقال ، ولكن علم أهل
وهم اشتغلا بشرح لطائف الكتاب .

باب الدعوات التي كان يدعو بها المشايخ المتقدمون

من أهل الصفوة

دعاء كان يدعو به ذوالنون رحمه الله ، اللهم الحول حركك والطول طولك ،
 ولك في كل خلقك مدد قوة وحول ، وأنت الفعال لما يشاء لا العجز ولا الجهل
 يعارضانك ، ولا نقصان والزيادة يُجبرانك ، وأنت يعارضانك ، وهما ما أحدثت
 أو يرومان إحاطتك ، وهما ما خفت ؟ وكيف لا يكونان بما أحدثت وما خلقت ،
 وأنت الموجود بالدلائل عليك ؟ فلن يخاق خلقك غيرك أنت ؟ فتبارك يا من كل
 يدرك فمن خفيته ، وكل محدود المدروكات فمن صنعته ، أنت الذي لا يدركك
 في الدنيا العيان ، ولا يستغنى عنك مكان ، ولا يعرفك غيرك إلا بإقرارك
 بالوحدانية ، ولا يجهلك من خلقك إلا بإقص المعرفة ، ولا يسببك شيء ، عن شيء ،
 ولا يحدث قدرتك أحد ، ولا يخلو منك مكان ، ولا يشغلك شأن عن شأن .

دعاء آخر لذي النون ، رحمه الله : اللهم اجعل العيون منا فوارات بالعبرات ،
 والصدور منا محشوة بالعبير والجزقات ، واجعل قلوبنا غواصة في موج قرع أبواب
 السموات ، تلهة من خوفك في البه ادى والفلوات افتح لأبصارنا باباً إلى معرفتك ،
 ولعرفتنا أفهاماً إلى النظر في نور حكمتك ، يا حبيب قلوب الوالدين ، ومنتهى رغبة
 الراغبين . ولذي النون رحمه الله : اللهم أنت آنس المؤمنين لأوليائك ، وأقربهم
 بالكفاية من المتوكلين عليك لمشاهدتهم فضمايرهم تسطع على أسرارهم . إلهي ،
 سرى إليك مكشوف ، وأنا إليك ملبوف ، إذا أوحشني الذنب أنسى ذكرك
 عالماً بأن أزمة الأمور بيدك وأن مصدرها عن قناتك . إلهي ، من أولى بالند
 والتقصير مني وقد خلقتني ضعيفاً ؟ ومن أولى بالعفو منك وعلمك بي سابق وأمرك
 بي محبط ؟ أظعنك بإذنك والمنة لك علي ، وعصيتك بعلمك والحجة لك علي .

أَسْأَلُكَ بِوَجُوبِ رَحْمَتِكَ وَانْقِطَاعِ حُجَّتِي وَتَقَرُّرِي إِلَيْكَ وَغَمِّكَ عَنِّي ، أَنْ تَغْفِرَ لِي
خَطِيئَتِي الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ .

دعاء ليوسف ابن الحسين رحمه الله : اللَّهُمَّ إِنَّا نَبَاتُ نِعْمِكَ فَلَا تَجْعَلْنَا حَصَائِدَ
نِقَمِكَ . اللَّهُمَّ أَعْطِنَا مَا تَرِيدُهُ مِنَّا ، يَا مَنْ أَعْطَانَا الْإِيمَانَ بِهِ مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ لَا تَمْنَعُنَا
عَفْوُكَ مَعَ السُّؤَالِ فَإِنَّا إِلَيْكَ آيِبُونَ وَمِنَ الْإِصْرَارِ عَلَى مَعْصِيَتِكَ تَائِبُونَ ، فَإِنَّا إِلَيْكَ
ذَائِعُونَ تَائِبُونَ . اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مَا مَنَنْتَ بِهِ عَلَيْنَا مِنَ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ الَّذِي بِهِ
هَدَيْتَنَا ، وَأَعْفُ عَنَّا . إِلَهِي نِعْمَكَ مَحِيطَةٌ بِنَا ، وَأَنْتَ الْمَذْخُورُ لِشُكْرِهِمْ ، وَعَنْتَ
مَا شَكَرَكَ أَحَدٌ إِلَّا بِكَ :

وفل يوسف رحمه الله : سمعت حكيماً يقول في دعائه : الحمد لله الذي شكر على
ما به أنعم ، وذم على ما لو شاء منه عصم . شكر نفسه بنفسه عن خالفه ، لأنه الذي
الذي لا إله إلا هو .

قل : سمعت بعض المشايخ يقول في مناجاته .

أَيَا جُودَ رَبِّي فَاجِ رَبِّي بِحُجَّتِي فَمَا لِي إِلَى رَبِّي سِوَاكَ سَبِيح
دَعَاءٍ لِلْجَيْدِ ، رَحْمَةِ اللَّهِ عَلَيهِ ، مَسْخُورِجٍ مِنْ كَذِبِ الْمُنَاجَاةِ ، إِلَهِي رَبِّي أَسْأَلُكَ
يَا خَيْرَ السَّامِعِينَ ، وَيُسُودَكَ وَمُجْدَكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ ، وَبِكْرَمَتِكَ وَفَضْلِكَ يَا مُسَبِّحَ
السَّامِحِينَ ، وَيَا حَسَامَتِكَ وَرَأْفَتَكَ يَا خَيْرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسْأَلُكَ بِسُؤَالِ حَمِيعِ حَمِيعِ مُنْذِرِ
مُتَوَاضِعِ ضَرْعِ اشْتَدَّتْ إِلَيْكَ قَافَتُهُ ، وَانزَلَتْ بِكَ عَلَى قَدْرِ الضَّرُورَةِ حَمِيمَتُهُ ، وَتَوَاضَعَتْ
وَعَظُمَتْ فِيمَا عِنْدَكَ رَغْبَتُهُ ، وَعَلِمَ أَنَّ لَا يَكُونُ شَيْءٌ ، إِلَّا تَمَشِيَّتَكَ ، وَلَا يَكُونُ شَيْءٌ ، إِلَّا
إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِكَ ، فَكَمْ مِنْ قَبِيحٍ قَدْ كَسَّرْتَهُ ، وَكَمْ مِنْ بِلَاءٍ قَدْ سَرَعَتْ ، وَكَمْ مِنْ
عَثْرَةٍ قَدْ أَقْلَتْهَا ، وَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ قَدْ سَهَاتَ بِهَا ، وَكَمْ مِنْ مَكْرُودٍ قَدْ رَفَعْتَهُ ، وَكَمْ مِنْ
نِئَابَةٍ قَدْ نَشَرْتَهُ ، أَسْأَلُكَ يَا سَامِعَ أَصْدَاتِ الْمُسْتَغِيثِينَ ، وَعَالِمَ خِيِّ إِخْمَارِ الْعِصَامَتِينَ ،
وَمُطَّلِعَ فِي الْخَلَوَاتِ عَلَى أَعْمَالِ الْمُتَحَرِّكِينَ وَنَظَرَ إِلَى مَادِفِ وَجَلٍ مِنْ أَشْرَارِ السَّامِعِينَ ،

أسألك أن لا تحجب - بسوء فعلي - عنك صوتي ، ولا تقضحني - بخفي ما أطلعت عليه من مري ، ولا تعاجلني العقوبة على ما علمته من خلواتي ، وكن بي في كل الأحوال راقفاً ، وعلى في كل الأحوال عاطفاً ، إلهي وسيدي وسندي أبا بك عائد لائذ مستغيث مستجير من تكاثف مخاوف علال سري ومن لزوم ذلك ضميري وقلبي ، حتى يكاد ذلك أن يلا صدري ، ويوقف على الانسباط إلى ذكرك عقلي ولساني ، ويمنع من الحركة في الخدمة جسمي ، فأنا في حبس ما يعارضني من ذلك من القصر والتقصير أسألك أن تخرج ذلك عن ذكري ، وتمنعه من قلبي ، واجعل أوقاتي من الليل والنهار بذكر معمورة ، وبخدمتك وعبادتك موصولة ، حتى يكون الورد ووروداً واحداً والحل حالاً واحداً لا سأمه فيدول افتور ولا مكدال ولا تقصير ، حتى أسرع به إليك في حين المبادرة ، وأسرح بذلك إليك في ميادين المسابقة وأرزقني من طعم ذلك اللذات المسابقة يا أكرم الأكرمين .

سمعتُ أبا سعيد الدينوري بأطرابلس يدعو بهذا الدعاء في مجاسده : اللهم إني أسألك بحقك عليك فلا حق أحق من حقك ، عليك بحقك على أهل الحق ، وبحق أهل الحق عليك ، وبحق كل ذي حق بأن لك بقدمك بعلمك بكل شيء . ومالك لكل شيء وقدرتك على كل شيء . صل على محمد وعلى آله وأن تفعل بي كذا وكذا .

وحكى عن عمر بن بحر قول : هذا دعاء حفظه عن الشبلي أنه كان يدعو به . اللهم لك الحمد يا ضياء السموات والأرض ، ويا بهاء السموات والأرض ، ويا قيوم السموات والأرض ، ويا نور السموات والأرض ، بحق أسمائك عليك ، وبحقك عليك فلا حق أحل منك عليك ، وبحق ما أنزلت وبحق من جعلت له فيما أنزلت يا الله ويا من لا سواك الله ، ويا من أنت الله : صلى عن محمد ، وعلى آل محمد ، واجمعهم ولا تشتتهم ، وارحم ظرافهم ، وأعمر بواطنهم ، وقم لهم بالكلاءة

والكفاية ، وكن لهم عوضاً من كل عوض ، وارحمهم ، ولا تردّهم إليهم طارقة عين ولا أقل من ذلك ، بحق كل حق أنت ذلك الحق ، واجعلهم أتقياء وأجلاً في معانيك اللدنية ، واجعلهم ممن إذا قل ، قال على التحقيق ، وإذا سكت فلا سواك .

ومن دعوات يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله عليه : إلهي وسيدي وأملي ومن به يتم عملي . وكان يقول : إلهي أدعوك بلسان أملي حين كان لسان عملي ، وإلهي ما أطيب واقعات الإلهام منك على خطرات القلوب ، وما ألدّ مناجاة الإسرار إليك في وطيات الغيوب . إلهي ، إذا قلت لي في القيامة : عبدي ما غرّك بي ؟ فأقول : سيدي ، برّك بي . وإن أدخلتني النار بين أعدائك لأهبرتهم بأني كنت في الدنيا أحببك لأبك مولاي ومن جميع الأشياء مغناي . وكان يقول : اللهم إن جيتني نجيتني بعفوك وإن عدّبتني عدّبتني بعدلك رضيت ما بي لأبك ربي وأب عبدك . إلهي أنت تعلم أني لأقوى على النار وأما أعلم أني لأصالح للجنة في الحيلة إلا عفوك . وقال : إلهي وسيدي وسروري تكرر منك شغاي عن قبيح عملي وإن كان فيه شغاي ، وسروري بنعمتك شغاني عن حسن عملي وإن كان فيه نجاتي . وسروري بك أنساني السرور بنفسي . وكان يقول : اللهم إني أنقرب إليك ، وبك أدلّ عليك ، وحبتي نعمك لا عملي ، وما أظلم تحاسب غداً بعدلك من غشيتك اليوم بفضلك ، وعفوك يستغرق الذنوب ، ورضوانك يستغرق الآمال ، ولو لا أنك بالعفو . وما كان عبدك بالذنوب يعود .

وكان يقول ، إلهي وسيدي ومولاي ومن جميع الأشياء مغناي ، سميت نفسي بالذنوب فردّها على بالتوبة ، وأنت تعلم أن الكريم من عبداك يعفو عن ظلمه وقد ظلمت نفسي وأنت أكرم الأكرمين فاعف عني ، إلهي ، أنت تعلم أن إبليس عدو لك ولي ، وليس شيء ، أنكي الكده واقطع أكيدته من غير أنك لي فاعف

لى يا أرحم الراحمين . سمعتُ عمر الملقى بأَنْظَا كية يقول : قلت لِبعض المشايخ ينبغي أن تدعوا لى ، فقال يافتي ، أنا أدعوك ، ولكن ينبغي لك أيضاً أن تكون بالحضرة ، فإذا دعوتُك ولم تكن بالحضرة لم ينفع دعائى .

وحكى عن إبراهيم بن أدهم ، رحمه الله ، أنه كان فى سفينة ، فهاج البحر ، وأمروا الناس أن يرموا بأمّعتهم إلى البحر ، فقيل له : يا أبا إسحق ، أدع الله لنا فقال : ليس هذا وقت الدعاء ، هذا وقت التسليم .

وقال بعضهم : صدق الإجابة من ربك فى صدق الدعاء من قلبك ، قال : وسمعت جعفرأ قال : سمعت أجميد رحمه الله قال : كان سرى السقطى ، رحمه الله ، إذا دعا ، يقول : اللهم مهما عدبتي بشىء فلا تعذبني بذل الحجاب ، وعن أبى حمزة ، رحمه الله ، قال : قلت لسرى السقطى رحمه الله : ادع لى ، فقال : جمع الله بينى وبينك تحت شجرة طوبى ، فإنه بلغنى أنه أول مدخل الأولياء الجنة يستريحون تحت شجرة طوبى .

وفى حكي عن أبى محمد الجريوى قول : سمعت إبراهيم المارستنى رحمه الله تعالى يقول : رأيت الخضر ، رحمه الله ، فى المنام ، فعلمنى عشر كلمات وأحصاه على يده : اللهم إنى أسألك حسن الإقبال عليك ، والإصغاء إليك . والفهم عنك ، والبصيرة فى أمرك ، والنفاز فى طاعتك ، والمواظبة على إرادتك ، والمبادرة فى خدمتك ، وحسن الأدب فى معاملتك ، وبرد التسليم إليك ، والنظر إلى وجهك .

وحكى عن أبى عبيد البُسرى ، رحمه الله تعالى ، قال : رأيت عائشة ، رضى الله عنها ، فى المنام ، فقلت لها : يا أمى ، علمينى دعاء ، قال قالت : يا أبا عبيد ، قل : اللهم أقلل مؤنتى ، وأحسن معونتى ، وأعنى على أمر دنياى وآخرتى ، قال قلت يا أمى ، زيدينى ، قالت : يكفيك يا أبا عبيد .

وكان بعض المشايخ إذا دعا ، يقول فى دعائه : إلهى أدعوك فى الملائكة تدعى الأرباب ، وأدعوك فى الخلاء كما تدعى الأحباب :

قال الشيخ ، رحمه الله : ومألتُ بعض المشايخ عن الدعاء ، ما وجهه لأهل التسليم والتمويض ؟ فقال : يدعو الله ، عز وجل ، على وجهين : أحدهما يزيد ذلك تزيين الجوارح الظاهرة بالدعاء لأن الدعاء ضرب من الخدمة يريد أن يزين جوارحه بهذه الخدمة ، والوجه الثاني أن يدعو آثاراً لما أمره الله تعالى بالدعاء .

دعاء للجنيد ، رحمه الله تعالى ، إلهي ، وسيدي ، ومولاي ، من أحسنُ منك حكماً لمن أيقن بك ؟ ومن أوسع منك رحمة لمن اتقاك وقصدك ؟ ومن أسرع منك عطفاً ورأفة لمن أراذك وأقبل على طاعتك ؟ فكلمهم في نعمائك يتقربون ، ولك بفضلك عليهم يعبدون ، سرت همومهم بك إليك ، وانفردت إرادتهم لديك . وأقبلت قلوبهم بك عليك ، وفنيت حظوظهم من دونك واجتمعت لك وُحداك ، فبهم إليك في الليل والنهار متوجهون ، وعليك في كل الأحوال مقبلون ، ولك على الأحوال مؤثرون ، فأنا أسألك إلهي وسيدي ومولاي أن تكون لي بفضلك كاللأ كفيلاً عاصماً راحماً ، فإني إليك لاجئ ، وبك مستغيث ، وإليك راغب ، ومنك راغب وعليك في أمور الدنيا والآخرة متوكل ، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين .

فهذه طرف من دعواتهم في معاني مقاصدهم وأحوالهم ، مختصر لمن أراد أن يظلم فيها ، ويتبرك بذلك ، وبالله التوفيق .

باب في وصاياهم التي أوصى بها بعض لبعض

قال بعض المشايخ: قلت لرويم، رحمه الله: أوصني بوصية، فقال لي: يا بني ليس غير بذل الروح، فإن قدرت على ذلك وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية. واجتمع أصحاب يوسف بن الحسين عند يوسف، رحمه الله، فقالوا له: أوصنا، فقال: اقتدوا بجميع ما رأيتم مني إلا شيئين: لا تستدينوا على الله تعالى، ولا تصحبوا المردان.

وقيل لسرى السقطي رحمه الله: أوصنا بشيء، فقال: لا تستدينوا على الله تعالى ولا تنظروا في وجوه المرد.

وقال رجل لأبي بكر البارزي: أوصني، فقال: احذر أفتك، وعادتك، والسكون إلى راحتك.

وقال أبو العباس بن عطاء، رحمه الله، في بعض وصاياہ لإخوانه: احذروا أن تكون غمومكم من أجل ما يظهر لكم، وعليكم بما شاء الله دون ما تشاءون. وعن جعفر الخادي، رحمه الله، أنه قال: كان الجنيد رحمه الله يوصي لرجل، ويقول: قدم نفسك وأخر عزمك، ولا تقدم عزمك وتؤخر نفسك فيكون في إبطاء كثير.

ووجدت في كتاب لأبي سعيد الخراز، رحمه الله، يوصي مریدا أو صديقاً له فيقول: يا أخي خالص أصحابك مخالصة، وخالط أهل الدنيا مخالطة، شاهدهم بظاهرتهم، وخالفهم بفعالهم، ودينك لا تثلب، وإن ضحكوا فأبك، وإن فرحوا فحزن، وإن استراحوا فجد، وإن شبعوا فمجوع، وإن ذكروا الدنيا فاذكر الآخرة واصبر على قلة الكلام والنظر والحركة والطعام والشراب واللبس حتى يسكنك الله من الفردوس حيث يشاء برحمته؟

وقال أبو سعيد الخراز، يوصي بوصية لبعض أصحابه: احفظ وصيتي أيها المرید

وارغب في ثواب الله تعالى ، وإنما هو أن ترجع نفسك الخبيثة فتذيبها بالطاعة .
وتفارقها وتميتها بالخلفة ، وتذبحها بالإياس فيما سوى الله ، وتقتلها بالحياء من الله
عز وجل ، ويكون الله حسبك ، وتسارع في جميع الخيرات ، وتعمل في جميع المقامات
وقلبك وجل أن لا يُقبل منك ، فهذا حقائق القبول والإخلاص والصدق ، حتى
تتخلص وتصير إلى الله تعالى ، والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

وصية أوصى بها ذو النون لبعض إخوانه ، فقال : يا أخى ، أعلم أنه لا شرف أعنى
من الإسلام ، ولا كرم أعز من التقى ، ولا عقل أحرز من الورع ، ولا شفيح أنجح
من التوبة ، ولا لباس أجل من العافية ، ولا وقاية أمتع من السلامة ، ولا كبر
أغنى من القنوع ، ولا مال أذهب لتفاقة من الرضا بالقوت ، ومن اقتصر على بعض
الكفاف فقد انتظم الراحة ، والرغبة مفتاح التعب ومطية النصب ، والحرص داع
إلى التهجم في الذنوب ، والشرة جامع لساوى العيوب ، ورب طمع كاذب وأمل
خائب ورجاء يؤدي إلى الحرمان وإرباح ينول إلى الخسران .

وقال الجنيد ، رحمه الله ، في كلام له لبعض أصحابه : أوصيت بقلة لا تنفك عن
الحال الماضية عند ورود الحال الكائنة ، قل : وقفات لأبي عبد الله الخياط الذي يروى
رحمه الله : أوصنى بشيء ، فقال : أوصيت بنصلة ما أعلم أن يكون خصلة لم تصعبه
آفة غيرها ، قات : وما هي ؟ قل : ذكر الأخت باجميل في شهر الغيب ، ودعاء
وحكى عن أبي بكر الوراق رحمه الله ، أنه قل : بعث العزم من شهوة
واشتريت ذلك من خوف ذلك ، هذا جزاء من خاف وصية الله تعالى

وأتى رجال ذا النون المصري ، رحمه الله ، فقال له : أوصنى ، فقال له : أوصيت
إن كنت أريدت في علم الغيب بصدق التوحيد فقد سبق لك قبل أن تتكلم من
لأن آدم عليه السلام إلى يومك هذا دعوة النبيين والمرسلين فذات خير لك وإن
تكن غير ذلك ، فأنى ينقذ الداء الفرقي ؟ !

سمعت أبا محمد المهلب بن أحمد بن مرزوق المصري يقول : لما حضرت أبا محمد المرتعش رحمه الله ، الوفاة أوصى إلى بأن أقضى دينه ، وكان عليه ثمانية عشر درهما ، فلما دفناه قومت ثياب بدنه ثمانية عشر درهما فبعتها بثمانية عشر درهما ، فخرج رأساً برأس ، وقضينا دينه ، واجتمع المشايخ فأخذوا كسفه ، وكان فيه قماش مثل ما يكون في الكنف ، فأخذ كل واحد منهم شيئاً وتفرقوا .

ودخل رجل على إبراهيم بن شيبان ، رحمه الله ، فقال له : أوصني بشيء ، فقال له إبراهيم : اذكر الله ولا تنسه ، فإن لم تستطع ذلك فلا تنس الموت ، قيل لبعض المشايخ : أوصني ، فقال : أمح اسمك من ديوان القراء (١) : وقيل لأبي بكر الواسطي رحمه الله : أوصنا ، فقال : عدوا أنفسكم وأوقاتكم والسلام ، وقيل لآخر : أوصني ، فقال : القلة والذلة والحقوق بالله عز وجل .

وقال ذو النون رحمه الله : بينا أنا أسير في جبل المقطم إذا برجل على باب كرف ، فسمعتة يقول : سبحان من عطل قلبي من الإياس وعمره بالآمال فالإياس سه قد فارقتي والآمل فيه قد أوصلني فتأملته ، فإذا هو رجل قد أكدته العبادة وأقرحته الزهادة ، فدنوت منه ، فتركتني وولى ، فقلت له : أوصني ، قال : انظر أن لا تقطع أملك عن الله تعالى طرفة عين ، واجمع بين السراء والضراء ، واصل بينك وبين الله تعالى ، تر السرور في يوم يخسر فيه المبتلون .

قلت : زدني ، قال : حسبك حسبك .

وقال رجل لدى النون رحمه الله : زودني كلمة ، فقال : لا تؤثرن الشك على اليقين ، ولا ترض من نفسك بغير التسكين ، وإن تأتت نائبة الدهر ،

(١) كان هناك دواوين للقراء يكتب فيها اسم القارىء ليأخذ أجر أشهرها وتكون

به شهرة بأنه قارىء .

فتحملها بحسن الصبر ، وأرْمِ بِأَمَّاكِ نَحْوَ الدَّائِمِ الخَيْرِ حَيْدَهُ بِأَمَّاكِ قَائِمًا ، واغتمم مواصلة الله تعالى فإن الله عبداً أَلْفَوْهُ فاستأنسوا به ، وعرفوه فأنسوه على معرفته .
ووصلوه على عَيْنِ يَقِينٍ ، فَسَمَتْ أَبْصَارُهُمْ نَحْوَ عَظِيمٍ ، جَائِلٍ قَدَرَاتِهِ ، فسقاهم من حلاوة مواصلته ، والعقبة من لذات مخالصته ، فإبصارهم حول العرش دوى .
وَلَدُّ عَلَيْهِمْ حَيْثُ تَتَقَعُّ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لِسُرْعَةِ تَسْتَجِبِهَا لِجِبَابِ دَعَائِهِمْ .

وَالجُنَيْدُ ، فِي بَعْضِ وَصَايَاهُ ، يَقُولُ : يَا أَسْحَى ، فَاحْمِلْ ، ثُمَّ تَجَلَّ لِلْمَلِكِ أَنْ يَعْجَلَ الْمَوْتَ بِكَ ، وَبَادِرْ ، ثُمَّ بَادِرْ قَبْلَ أَنْ يَبَادِرَكَ إِلَيْكَ ، وَقَدْ وَصَّكَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْمَاضِينَ مِنْ إِخْوَانِكَ ، وَالْمُتَّقِينَ مِنْ أَوْلِيَاءِكَ ، وَأَخْدَانِكَ ، فَذَلِكَ حِصْنُ الْبَاقِي عَلَيْكَ ، وَالنَّافِعُ لَكَ ، وَكُلُّ مَا مَوَى شَأْنُ فَعْلِكَ لَا لَكَ ، وَهَذَا مَوْعِظَتِي لَكَ ، وَوَصِيَّتِي إِلَيْكَ ، فَاقْبَلْهَا بِحَسَنِ الْقَبُولِ وَتَقَبَّلْ بِاسْتِعْمَالِهَا وَالسَّلَامَ .

فهذا طرف من وصاياهم ، وتخصيص مقاصدهم في ذلك ، وبالله التوفيق .

كتاب اللمع

باب في حُسن الصوت والسمع وتفاوت المستمعين

قال الشيخ رحمه الله، قال الله عز وجل: «يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ» (١)
تأخر في التفسير: الخلق العليق، والصوت الحسن.

وروي في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما بعث الله نبياً
كأن حسن الصوت.

رسول النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما أدرك الله تعالى شيئاً كما أدركه نبي
حسن الصوت. حديث.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: الله أشد أذاناً بالرجل الحسن الصوت بالقرآن
من صاحب القينة بقينته.

وفي حديث: أن داود عليه السلام قد أعطى من حسن الصوت حتى كان
يسمع قرآنه إذا قرأ الزبور الجن، والإنس، والوحش، والطير، وكان بنو إسرائيل
يستمعون فيستمعون، وكان يحمل من مجلسه أربعائة جنازة ممن قد مات كما روي
في الحديث.

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ندد أعطى أبو موسى من مراً
من ميرا آل داود، ما أعطى من حسن الصوت.

وفي الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ يوم الفتح فمدّ مداً، وأنه
كان يرجع.

وعن معاذ بن جبل أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لو علمت أنك
هو ذا تسمع لجهرت به (١) تحبيراً ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ .

قال الشيخ رحمه الله : يحتمل هذا معنيين ، والله أعلم ، أحدهما : أنه أراد
بذلك ، أن يزين قراءته للقرآن ، وهو رفعُ صوته بقراءة القرآن ، فحسب
الصوت عند قراءته ، ويطيب الغمة ، لأن القرآن كلام الله عز وجل مخلوق
فلا يزين ذلك بصوت مخلوق وغمة مكسبة . والمعنى الآخر : يحتمل أنه أراد
بذلك أي زَيَّنُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالْقُرْآنِ ، فيكون مقدماً ومزخراً في معنى ،
كقوله : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ سِوَا حَقِيقَةٍ » (٢)
معناه مقدّم ومزخر على معنى : أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى عَبْدِهِ قِيَمًا وَمَا يَنْهَى عَنْ
ومثل ذلك في القرآن كثير .

وقد ذم الله تعالى الأصوات المنكرة بقوله عز وجل : إِنَّ الْأَكْثَرَ لِلْأَصْوَاتِ
أَصْوَاتُ الْخَمِيرِ (٣) . وفي ذمِّه الأصوات المنكرة فحده الأصوات الطيبة
وقد تكلم الحكماء في معنى الأصوات الحسنة ، والغرف الطيبة ، وأن الله عز وجل في ذلك
فقال ذو النون ، رحمه الله ، وقد سأل عن الصوت الحسن ، فقال : محطبان
وإشارات إلى الحق ، أو دعياً كل طيب وطيبة .

وعن يحيى بن معاذ الرزني ، رحمه الله ، أنه قال : الصوت الحسن
من الله تعالى ، لقلب فيه حب الله تعالى .

وقال آخر : الغمة الطيبة ، روح من الله تعالى ، يروح به من يتروقه
بنار الله تعالى .

(١) وفي نسخة : لجهرته لك (٢) الكيف : ١ (٣) لقان : ١٥

وسمعت أحمد بن علي الوجيهي يقول : سمعت أبا علي الروذباري ، رحمه الله
يقول : إن أبا عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي ، رحمه الله ، كان يقول : ثلاث
إذا وجدت متبرع كيهن ، ، وآد فقدناهن أجمع : حسن الصوت مع الديانة ، وحسن
الوجه مع الصيانة ، وحسن الإخاء مع الوفاء .

وعن بندار بن الحسين ، رحمه الله : أنه كان يقول : الصوت الطيب حكمة محيية
والله سائمة ، بصوت رخيم ، ولسان لطيف ذلك تقدير العزيز العليم .

ومن اللطيفة التي جعل الله في الأصوات الطيبة : أن الطفل في المهد يبكي لوجود
الأم ، فتسمع الصوت الطيب فيسكت وينام .

ومشهور : أن الأوتان كانوا يعالجون من به العلة من السوداء بالصوت الطيب ،
فيرجع إلى حال صحته .

وقال الشيخ ، رحمه الله : ومن السر الذي جعل الله في الأصوات الطيبة التي
فيها إنذار : توى في البوادي إذا عييت الجمال ؛ وقصرت عن السير : يحدو لها
الحادي ، فتسمع وتمد أعناقها وتصفي بأذانها نحو الحادي . وتجوذ في السير ، حتى
تزعزع يحملها من شدة سيرها ، وربما تلتف نفسها إذا انقطع عنها حدو الحادي من
ثقل حملها ومرعة سيرها بعد ما كانت لا تحس بذلك من إصغائها إلى حدو حاديتها
واستماعها إلى حسن نعمته وطيب صوت حاديتها .

قال الشيخ ، رحمه الله : وقد حكى لي في هذا المعنى ، الدُّقِّيُّ بدمشق ، وقد كان
سأل عن ذلك ، فقال : كنت في البادية ، فوافيت قبيلة من قبائل العرب
فأضاقني رجل منهم وأدخلني خبائه ، فرأيت في الحباء عبداً أسود مقيداً بقيد ،
ورأيت جملًا قد ماتت بين يدي البيت ، ورأيت جملًا قد نحل وهو ذابل كانه
هو ذا ينزع روحه ، قال : فقال لي الغلام المقيد : أنت الليلة ضيف لمولاي ، وأنت
عنده كريم ، فتشفع فيّ حتى يحل عني هذا القيد ، فإنه لا يردك ، قال : فلما قدّموا

في الطعام ، أبيت أن آكل ، فامتد ذلك على صاحبي ، فقال لي : مالك ؟ فقلت :
لا آكل طعاماً إلا بعد أن تهب لي جناية هذا الغلام وتحل عند قيده ، فقال : يا هذا
إن هذا الغلام قد أفقرني ، وأهلك جميع مالي ، وأضر بي وبعيالي ، فقلت له : ما فعل ؟
قال : إن هذا الغلام له صوت طيب ، وكنت أعيش من ظهر هذه الجمال ، فحميتهم
أحمالاً ثقيلة ، وحدّ لهم حتى قطعوا مسيرة ثلاثة أيام في ليلة واحدة ، من طيب
نعمته في حدّوه لهم ، فلما وافدنا وحطوا أحملهم ما أتوا كأنهم إلا هذا الجمال الواحد
وأنت ضيفي ، ولا كرامتك قد وهبتك لك ، قال : قال عند قيده ، وأكلت الطعام ،
فلما أصبحنا أحببت أن أسمع صوته ، قال : فسألته أن يسمعني صوته ، قال : فإنه
أن يحدو على جمال كان يُسكنني عليه الماء من بئر هناك ، قال : فنقده هذا الغلام من
يسوق ذلك الجمال ويحدو ، قال : فرفع صوته وهم ذلك الحدو ولسمع حدو من
أنا على وجهي ، وما أظن أني قلت سمعت صوتاً طيباً من صوتك ، وكان يحدو
يصيح ويقول : يا رجل أيش تريد مني ؟ قد فقلت عنك على أن يسمعني

حكاه الدقي على هذا المعنى ، أو كما قال ، والله أعلم .

سمعت أحمد بن محمد الطائي : نقلاً كذا ، يقول : سمعت بشراً يقول : سمعت

إسحق بن إبراهيم الموصلبي : من الخاذق في القول ، يعني في الغيب ، فقلت : إن

يمكن من أفسده ، وتفرغ في إحباسه ، وانظف في الخلاله .

باب في السماع واختلاف أقوالهم في معناه

قال الشيخ رحمه الله : بلغني أنه سئل ذو النون ، رحمه الله ، عن السماع ، فقال :
وارد حتى يزعج القلوب إلى الحق ، فمن أصغى إليه بحق تفتح ، ومن أصغى إليه
بنفس تزدق .

وعن أحمد بن الحواري ، رحمه الله أنه قال : سألت أبا سليمان الداراني ،
رحمه الله ، عن السماع واستماع القصائد التي تاشد بالألحان ، فقال : من اثنين أحب
إلى الله من واحد .

وسئل أبو يعقوب النهرجوري ، رحمه الله ، عن السماع ، فقال : حال يبدى
لرحوع إلى الأسرار من حيث الاحتراق .

وقال بعضهم : السماع لطف غذاء الأرواح لأهل المعرفة ، لأنه وصف يدي عن
سائر الأعمال ، ويدرك برقة الطبع لرقته ، ويدرك بصفاء السر لصفائه واطمئنه
عند أهله .

وعن أبي الحسين الدراج ، أنه كان يقول : جل بي السماع في ميدان من ميادين
البهاء ، فأوجدني في وجود الحق عند العطاء ، فأسقاني بكأس الصفاء ، فأدركت به
منازل الرضا ، وأخرجني إلى رياض النزهة والقضاء .

وسئل الشبلي ، رحمه الله ، كما بلغني ، عن السماع ، فقال : السماع : ظاهره
فتنة ، وباطنه : عبرة ، فمن عرف الإشارة حل له استماع العبرة ، وإلا فقد استدعى
الفتنة وتعرض للبلية .

وحكى عن الجنيد ، رحمه الله ، أنه كان يقول : من سمع السماع يحتاج إلى
ثلاثة أشياء ، وإلا فلا يسمع ، قيل له : وما تلك الثلاثة ؟ قال : الزمان ،
والمكان ، والإخوان .

ويقال : إن كل من لا يحب السمع الطيب من الآدميين فله نقص فيه واشتغال
قد ورد على خاطره فأذهاه .

وحكى عن جعفر ، عن الجنيد ، رحمه الله ، أنه قال : تنزل الرحمة على النقراء
في ثلاثة مواطن : عند السمع ، فإنهم لا يسمعون إلا عن حق ، ولا يقدمون إلا عن
وجد ، وعند مجاراة العلم ، فإنهم لا يتكلمون إلا في أحوال الصديقين والأولياء ،
وعند أكلهم الطعام ، فإنهم لا يأكلون إلا عن فاقة :

قال : وسئل أبو علي الروذباري ، رحمه الله ، عن السمع ، فقال : ليت حاصد مناه

رأساً برأس .

وسئل أبو الحسين النوري ، رحمه الله ، عن الصوفي ، فقال : الصوفي الذي
سمع السمع ، وآثر على الأسباب .

وسمعت أبا الطيب : أحمد بن مقاتل العكي يقول : قال جعفر : كان أبو الحسين
بن زيري من أصحاب الجنيد ، وكان شيخاً فاضلاً ، فربما كان يحضر في موضع يكون
فيه السمع ، فإن استطابه فرش إرادته وجلس ، وقال : التقير مع قلبه ، أين ما وجد
قاه ، جلس ، وإن لم يستطع قال : السمع لأرباب القلوب ، وأخذ يعلو ويصرخ .
وسمعت الحصري ، رحمه الله ، يقول في بعض كلامه : أيش عمل بالسمع
ينقطع إذا انقطع من يسمع منه ، ينبغي أن يكون سماعتك متصلاً غير منقطع .

واسئل عن السمع فقال : ينبغي أن يكون ظناً دائم وشراب دائم ، فكل

ازداد شربه ازداد ظمؤه .

باب في وصف سمات العامة

وإباحة ذلك لهم إذا سمعوا ذكر الترغيب والترهيب

بالأصوات الطيبة، ويحشم ذلك على طاب الآخرة

قال بشار بن الحسين، رحمه الله: كل من لم يحب السماع الطيب من الآدميين
فمنقوص في حاشيته، لأن كل تمتع يقتنع به الإنسان فيه تكلف وإن كان من
موجبات إلا السماع، فإنه إذا خالص من المقصد الفاسدة بإباحة لا تحتاج إلى التكلف،
وكل من سمع السماع من طريق الطيبة والتأثر بالنعمة واستحسان الصوت فليس ذلك
محرمًا عليهم ولا مظهرًا، وإن لم يكن قصدهم في ذلك الفساد والمخالفة والمهور وتروك
الحدود، إن شاء الله تعالى.

فصل

قال الشيخ، رحمه الله: وما يستدل بذات على إباحة السماع قوله تعالى (وفي
الأنف ما لا تعلمون) (١)، وقوله تعالى: «ستريهم آياتنا في الآفاق وفي
الأنف» (٢)، وما أرانا الله في أنفسنا، وأبصرنا ذلك في الخواص الخمسة التي قد
يميز بها بين الشيء، وضده، كالعين تميز بالنظر بين الحسن والقبيح، والأنف تميز بين
رائحة الطيبة والمنتنة، والفم يميز بالدوق بين الخلاوة والحرارة، واليد يميز باللمس
بين اللين والخشن، وكذلك الأذن تميز بين الأصوات الطيبة وغير الطيبة والمنكرة.
قال الله تعالى: «إن أنكر الأصوات لصوت الحمير» (٣) ففي مذمته للأصوات
المنكرة محمداً للأصوات الحسنة، ولا يميز بينهما إلا بالسمع وهو الإصغاء،
والاستماع بحضور القلب، وإدراك الفهم، وإزالة الوهم.

(١) الذاريات: ٢١ (٢) فصلت: ٥٣ (٣) لقمان: ١٩

فصل آخر

قال الشيخ ، رحمه الله : وذلك أن الله ، تعالى ، وصف ما أعد لأهل الجنة من النعيم ، فذكر ما ذكر في كتابه من السدر المنضود ، والطلح المنضود ، والنماكية الكثيرة ، وذكر لحم الطير ، والخور العين ، والسندس ، والإسترغف ، والرحيق لمختوم ، والأرائك ، والقصور ، والغرف ، والأشجار ، والأمهات ، وغير ذلك ، وذكر أنهم في روضة يعبرون ، قل مجاهد : وهو السماع الذي يسمون في الجنة بأصوات شجية ، ونغات شبيهة من الجوارى الحسان والخور العين ، يلقن صدورهم نحن الخالدات فلا تموت أبداً ، ونحن الناعبات فلا نموت أبداً ، كما ذكرنا في الحديث :

وقد ذكر الله ، تعالى ، تحريم الخمر من جميع ذات ، فقد أيسر من غيره ، وعلم : من شربها في الدنيا لم يترجمها في الآخرة ، لأن يتوب ، فقد أيسر من غيره في جهالة ما أباح الله تعالى للمؤمنين في الدنيا من جميع ذلك ، من غير أن يترجموا لجنه ، وصار الخمر مخصصاً من جميع ذلك بالتحريم ، ومن المكاتب والآله وظاهر الخبر .

فصل آخر

وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم ، دخل بيت عائشة رضي الله عنها ، وفيه جاريتان تغنيان وتضربان بالدف ، فلم يشهد من ذلك ، وكان من حديثه ، رضي الله عنه ، حين غضب ، وقال : أمرت الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : دعهما يا عمر ، فإن لكل قوم عيدا .

ولو كان محظوراً لسكان سواها في العيد وغير العيد ، والأخبار في مثل ذلك كثيرة .

ومثل ما روى عن أبي بكر الصديق ، رضى الله عنه ، حين دخل على عائشة ،
رضى الله عنها ، وقد وعك ، وكان يقول :

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شرك نعله

ومثل بلال ، كان يرفع حنجرته إذا اشتد به الوعك ويقول :

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة بوادٍ وحوالي إذ خر وجليل

وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطنيل

وكذلك عائشة رضى الله عنها ، كانت تقول شعر لم يبد :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خانك كجلد الأجر

ثم قالت : رحمة الله على لم يبد كيف لو أدرك زماننا هذا ! وقد أشد الشعر
جماعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكره يطول ، أشدنى أبو عبد الله
الحسين بن خالويد النحوى ، قال : أشدنى ابن الأنبارى بإنشاد رفته قال : أشد
كعب بن زهير بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذه الأبيات :

بانت سعاد فقلبي اليوم مقبول متم إثرها لم يفد مقبول

وما سعاد غداة البين إذ ظعنوا إلا أغن غضيض الطرف مكحول

شجبت ندى شيم من ماء محنية صاف بأبطح أضحي وهو مشمول

تنفى الرياح القذى عنه ، وأفرطه من صوب سارية بيض يعاليل

أكرم بها خلة لو أنها صدقت موعودها ، أو لو أن النصح مقبول

لكنها خلة قد سيط من دمها فجع ، وولع ، وإعراض ، وتبديل

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً وما مواعيدُهُ إلا الأباطيل

أرجو وأمل أن يجعلن في أبد وما هنن إدخال الدهر تعجيل

ولا تدمك بالوصل الذى زعمت إلا كما يمسك الماء الغرابيل

فلا يغرنك مامنت وما وعدت إن الأمانى والأحلام تضليل

أَمْسَتْ مُعَادُ بِأَرْضِ ابْنِ يُبْلَغِيَا
 وَلَنْ يُبْلَغِيَا إِلَّا عَذَابُهَا
 صَخِيمٌ مُقَادِمًا فَعَمَّ مَقِيدُهَا
 حَرَفٌ أَخُوهَا أَبُوهَا مِنْ مُبَجَّةِ
 إِلَّا الْعِتَاقُ الْجِيِبَاتُ الْمُرَاسِيَلُ
 فِيهَا عَلَى الْأَيْنِ إِرْقَالٌ وَتَبْيِغَالُ
 فِي خَلْقِيهَا عَنِ بِنَاتِ النَّحْلِ تَقْضِيلُ
 وَعَمَّهَا خَالِيَا قَوْدَا شِمْلِيلُ

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : إن من الشعر حكمة ، وقد قيل : إن الحكمة ضالة المؤمن ، ولما صح جواز الإنشاد للشعر ، فسواء كان ينشأه بالنعمة الطيبة والصوت الحسن ، أو يكون إنشاده بالحدو ، والحدو ، والتقصير ، والرمل ، والرجز ، إذا لم يكن لذلك مقاصد قائمة ، وإرادة باطلة ، ومحرورة ، وحدو ومخالفة ومماندة ، والله أعلم .

فصل آخر

قال الشيخ ، رحمه الله : وقد رخص في السمع ، واستجازه جماعة من أئمة العلم والفقهاء ، منهم مالك بن أنس ، ذكر عنه : أنه سمع رجلا في وقت الهاجرة يحدو بباب داره وهو يغنى ويقول :

مَا بَالُ قَوْمِكَ يَا رَبَّابَ حَزْرًا كَانَهُمْ غَضَابُ

قال فقال له مالك : لقد أسأت التأديبة ومنعت القتالة ، قال : فسأله فقال :

عَنْ تَأْدِيْتِهِ ، فَقَالَ لَهُ : تَرِيدُ أَنْ تَقُولَ : أَخَذْتُمَا مِنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ

والمشهور عنه وعن أهل المدينة أنهم كانوا لا يكرهون ذلك ، وفي تجويز ذلك

أخبار عن عبدالله بن جعفر رضي الله عنه ، وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنه ، وعن غيرهما من الصحابة والتابعين .

وقد أجاز الشافعي رحمة الله عليه أيضاً السماء والترجم بالشعر ما لم يكن فيه إسقاط المروية .

وقد ذكر عن ابن جريح ، مع جلالة ، أنه قال : ما كان سب قدومي من اليمن ومقامي بمكة إلا بيتان من الشعر سمعتهما يوماً وهما :

بِاللَّهِ قَوْلِي لَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْتَبَةٍ مَاذَا أَرَادَتْ بِطَوْلِ الْمَكْتَبِ بِالْيَمَنِ ؟
 أَنْ نَمَّتِ الْمَسْتِ ذُنُوبًا وَهَمَّيْتُ بِهِ فَهَذَا وَجَدْتُ بِتَرْكِ الْحَجِّ مِنْ ثَمَنِ

وقد ذكر عن ابن جريح أيضاً : أنه كان يرحص في السماء ، فقبل له : إذا أتيت يوم القيمة ، وتوفيت بحسناتك وسيتاتك ، ففي أي الجنة يكون سمعك ؟
 قال ابن جريح : لا يكون في الحسنات ولا في السيئات ، لأنه تشبه بهما .
 لا يدخل في الحسنات ولا في السيئات ، قال الله تعالى : « لَا يُؤْخَذُ بِالْأَعْوَابِ فِي آيَاتِكُمْ » (١) .

قال الشيخ رحمه الله : فبهذه فصول مختصرة في إباحة الدعاء العامة إذا لم يصححها في ذلك مقاصد فاسدة .

١٥٤ ودخول في نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم : سماء الأوتار ومزمار والمعازف والكوبة والطبل ، لأن ذلك سماء أهل الباطل ، وهو المحذور المنهى عنه بالأخبار الصحاح المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

باب في وصف سماع الخاصة

وتفاضلهم في ذلك

سمعت أبا عمرو : اسماعيل بن نجيد ، قال سمعت أبا عثمان سعيد بن عثمان الواسي الواعظ ، يقول : السماع على ثلاثة أوجه : فوجه منها أمر بين والمبتدئين ، يستدعون بذلك الأحوال الشريفة ، ويُخشى عليهم في ذلك الفتنة والمراءاة .

والوجه الثاني : للصدّيقين يطلبون الزيادة في أحوالهم ، ويسمعون من ذلك ما يوافق أحوالهم وأوقافهم .

والوجه الثالث : لأهل الاستقامة من العارفين ، فهم لا يفترون ولا يتأبون على الله فيما يروى على قلوبهم في حين السماع من الحكمة والسكينة أو كما قال .

وحكى عن أبي عقوب إسحاق بن محمد بن يوسف الجوزي أن أهل السماع على ثلاث طبقات : فطبقة منهم تطمح للحكمة والعلوم وحرارة ، وطبقة منهم صامت ساكن الصفة ، وطبقة منهم يفترون ويؤفكون فهو الضعيف منهم .

وعن بشار بن الحسين أنه قال : السماع على ثلاثة أوجه : فوجه من يسمع بالطبع ، ومنهم من يسمع بالحال ، ومنهم من يسمع بالخيال .

قال الشيخ ، رحمه الله : من يسمع بطبعه يملك قلبه الخالص والعقل السليم الذي يروى مستطيب الصوت الطيب لأنه من جسد روح وحمى وهو قلبه ذكر ذلك ، ومن يسمع بحاله فإنه يأمل إذا سمع حتى يركب عليه معنى من

ذِكْرُ عِقَابٍ أَوْ حَطَابٍ ، أَوْ ذِكْرُ وَصَالٍ أَوْ هَجْرٍ ، أَوْ قُرْبٍ أَوْ بَعْدٍ ، أَوْ تَأْسَفٍ
 عَلَى فَاتٍ أَوْ تَعْطِشٍ إِلَى مَا هُوَ آتٍ ، أَوْ ذِكْرُ طَمَعٍ أَوْ يَأْسٍ ، أَوْ بَسْطِ
 أَوْ مَشْتَأَسٍ ، أَوْ خَيْرِ الْاِفْتِرَانِ ، أَوْ وِفَاءٍ بِالْعَهْدِ ، أَوْ تَصَدِيقٍ بِالْوَعْدِ ، أَوْ تَقْضِ
 الْعَهْدِ ، أَوْ ذِكْرُ فَلَاقٍ وَاشْتِيَاءٍ ، أَوْ فَرَحِ الْاِتِّصَالِ ، أَوْ تَرْجِ الْاِنْفِصَالِ ،
 وَالْحَسْرَةِ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ ، أَوْ التَّنَدُّوْطِ عَلَى الَّذِي أَمَّلَ ، أَوْ ذِكْرُ صَفَةِ الْحُبِّ ،
 وَتَمَكُّنٍ مِنَ الْمُوَدَّةِ ، أَوْ ذِكْرُ سِتْرَائِصِ الصَّبْوَةِ بَعْدَ تَمَكُّنِهِ مِنَ الْخَطْوَةِ ،
 وَتَمَكُّنِهِ مِنَ الْوَقْفِ عِنْدَ مِلْحَةِ الْحَسْبِ ، أَوْ تَهَارُجِ الشَّجْوَةِ وَفَنُونِ الْفَنُونِ ،
 وَتَهَارُجِ الْخَطْوَةِ ، وَتَمَكُّوْبِ الْعِبْرَاتِ ، وَتُرُودِ الزُّفْرَاتِ ، وَتَجَدُّدِ الْحَرَكَاتِ ،
 وَتَمَكُّنٍ مِنَ الْحَمِيَّةِ مِنْ ذَلِكَ حَالٍ ثُمَّ يُوَافِقُ حَالَهُ فَيَكُونُ كَالْقَدْحِ يَقْدَحُ فِي سِرِّدٍ
 عَلَى قَسْرِ حَالِهِ ، وَتَقْدِيرِهِ ، وَقُوَّةِ فَادِحِهِ ، فَتَشْتَعِلُ نَارُ تَرْمِي بِشَرِكَيْهَا ، فَيَبِينُ ذَلِكَ
 عَلَى جَوْرِ رَجْحٍ ، وَيُظْهِرُ عَلَى ظَاهِرِ حِفْظِهِ التَّغْيِيرَ وَالْحَرَكَةَ وَالْاِضْطِرَابَ وَالتَّهْيِجَ ،
 فَعَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِ يَضْبُطُ ، وَعَلَى قَدْرِ قُوَّتِهِ وَارِدِهِ يَعْجِزُ عَنِ الضَّبْطِ ، فَسَبْحَانُ مَنْ
 يَتَوَلَّى سَيِّئَتِهِمْ وَحَفِظَهُمْ ، وَلَوْلَا فَضْلُ عَلَيْهِمْ وَرَحْمَتُهُ وَرَفِقَتُهُ بِهِمْ لَاطَارَتْ عُنُقُولُهُمْ ،
 وَتَلَيَّتْ نُفُوسُهُمْ ، وَذَهَبَتْ أَرْوَاحُهُمْ .

وَمَنْ يَسْمَعُ بِالْحَقِّ وَمَنْ الْحَقُّ فَإِنَّهُ لَا يَتَرَسَمُ بِهِمْ هَذِهِ الرُّسُودُ ، وَلَا يَلْتَمِتُ
 إِلَى هَذِهِ الْأَحْوَالِ ، وَلَا يَشْهَدُ هَذِهِ الْأَفْعَالِ ، لِأَنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ شَرِيفَةً فِيهِ
 مُزَوَّجَةً بِحَفِوْظِ الْبَشَرِيَّةِ ، مُرْتَبِطَةً بِحُدُودِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَهِيَ مُتَمَسِّقَةٌ مَعَ الْعَيْلِ ،
 وَلَا يُؤْمِنُ عَلَيْهَا الزَّالِ ، حَتَّى يَكُونَ سَمَاعُهُ بِاللَّهِ وَتِلْكَ وَمَنْ اللَّهِ وَإِلَى اللَّهِ ،
 وَهُمْ الَّذِينَ وَصَّوْا إِلَى الْحَقَائِقِ ، وَعَبَّرُوا الْأَحْوَالَ ، وَفَنَّنُوا عَنِ الْأَفْعَالِ
 وَالْأَفْوَالِ ، وَوَصَّوْا إِلَى مَحْضِ الْإِخْلَاصِ ، وَصَفَاءِ التَّوْحِيدِ ، فَخَدَّتْ بِشَرِيَّتِهِمْ ،
 وَفَنَّنَتْ حَفِوْظَهُمْ ، وَبَقِيَتْ حُقُوقُهُمْ ، فَشَهِدُوا مَوَازِدَ الْحَقِّ بِالْحَقِّ بِإِلَاعَةِ
 وَلَا حَفْظًا لِإِبْشَرِيَّةِ وَلَا تَعَلُّمًا لِرُوحِ الْعَمَّةِ ، فَشَهِدُوا مِنْ مَوَازِدِ السَّمَاعِ عَلَى أَسْرَارِهِ

إظهار حكمتها وآثار قدرته وعجائب لطفه وغرائب عبادته « ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ
مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ » (١).

وقال بعضهم: أدل السماع في السماع على ثلاثة ضروب: فضرب منهم أبناء
الحقائق، وهم الذين يرجعون في سماعهم إلى مخاطبة الحق لهم فيما يسمعون،
وضرب منهم يرجعون فيما يسمعون إلى مخاطبات أحوالهم وأوقانهم ومقتضى قلوبهم، وهم
مراعاة العلم ومطابرون بالصدق فيما يشبهون إليه من ذلك، والضرب الثالث هم
الفقراء الجردون الذين قطعوا العلائق ولم تتوثق قلوبهم بحجة الدنيا والامتثال
بالجمع والمنع، فهم يسمعون بطيبة قلوبهم، ويليق بهم السماع، وهم أقرب الناس
إلى السلامة، وأسماهم من المقتد، والله أعلم.

باب في ذكر طبقات المستمعين

قال الشيخ رحمه الله : اختلف المستمعون في السماع على طبقات ، فطبقة منهم اختاروا سماع القرآن ولم يرو غير ذلك ، واحتجوا بقوله تعالى : « وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ مُرْتِلاً » (١) ، وقوله : « أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ » (٢) ، وقوله : « مَثَانِي نَقَّشَهَا اللَّهُ لِعِبَادِهِ لِيَجْزِيَ الْمُتَّقِينَ » (٣) ، وقوله : « الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ » (٤) ، وقوله : « لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ » الآية (٥) ، وقوله : « وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ » (٦) ، وقوله : « الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ » (٧) . والآيات في ذلك تكثر .

واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم : نهينوا القرآن بأصواتكم ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم لابن مسعود رضى الله عنه : اقرأ ، فقل : أنا أقرأ وعليك أنزل ؟ قال : أنا أحب أن أسمع من غيري . وقول البراء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بالتين والزيتون ، فما رأيت أحسن من قراءته ، وقوله عليه الصلاة والسلام : شيببني هود وأخواتها ، وقوله لأبي موسى ؟ قد أوتي مزماراً من مزامير آل داود . ، وقوله حين سئل : من أحسن قراءة ؟ قال : من إذا قرأ رأيت أنه يخشى الله تعالى ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ على عصابة من أهل

(١) المزمل : ٤ (٢) الرعد : ٢٨ (٣) الزمر : ٢٢ (٤) الحج : ٣٥ (٥) الحشر : ٣١ وتكلمة الآية : لرأيت خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال تضربها للناس لعلمهم يتفكرون (٦) الإسراء : ٨٢ (٧) الزمر : ١٨

١٦٢ الصُّفَّة يَسْتَرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنْ الْعُرَى وَقَارِيءٍ يَقْرَأُ لَهُمْ ، وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « فَكَفَّ إِذَا جُنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ » (١) فَصَعِقَ ، وَأَنَّهُ قَرَأَ : « إِنْ تُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ » (٢) ، فَبَكَى . وَأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ إِذَا عَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ دَعَا وَاسْتَبَشَرَ ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ عَذَابٍ دَعَا وَاسْتَعَاذَ .

١٦٤ والأخبار في ذلك كثيرة ، فمن اختار استماع القرآن فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا خير في قراءة ليس بها تدبر ، وقد ذكر الله تعالى المستمعين القرآن في مواضع من كتابه على وجهين : فوجهٌ منها قوله عز وجل : « فَرِيقٌ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ » (٣) إلى قراءة على قلوبهم ، فهو لاء كانوا يستمعون القرآن بأذانهم ولم يحضروا بشوقهم ، فلفظهم لاء ، فليس بذلك ، وطبع على قلوبهم ، وهم الذين قال الله عز وجل : « وَلَا تَسْمَعُ لِمَنْ يُنَادِيكَ مِنَ الْمَرْءِ قَالُوا : سَمِعْنَا وَأَوْحَمْنَا لَا يَسْمَعُ مِنْكُمْ » (٤) .

والوجه الثاني : هم الذين وصفهم الله عز وجل فقال : « فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ (٥) الْوَسِيلَ إِلَى اللَّهِ . فَيُؤَلِّئُ بِهِ قُلُوبَهُمْ لِيَتَذَكَّرُوا أَلْفَاظًا مِنْ اللَّهِ . وَمَنْ يَتَذَكَّرْ فَإِنَّهُ عَلَى سُبُلٍ كَثِيرٍ مِمَّا نَسُوا . وَمَنْ يُؤَلِّئْهَا لِيُتَذَكَّرْ فَذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ . وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ » . ولو ذكرت ما يدخل في هذا الباب من تسمي القرآن بضمير الجمع وهو من ومن الفصل بعض أعضائه ، ومن غيب قلبه عن القرآن ، ومن غلبت عليه الدنيا إلى وقتها هذا أطال به الكتاب ، والله اعلم بالصواب .

(١) النساء : ٥١

(٢) المؤمنون : ٥٤

(٣) سورة : ١٦ وآية : ١٦٤ . والآية : ١٦٤ : « فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ (٥) الْوَسِيلَ إِلَى اللَّهِ . فَيُؤَلِّئُ بِهِ قُلُوبَهُمْ لِيَتَذَكَّرُوا أَلْفَاظًا مِنْ اللَّهِ . وَمَنْ يَتَذَكَّرْ فَإِنَّهُ عَلَى سُبُلٍ كَثِيرٍ مِمَّا نَسُوا . وَمَنْ يُؤَلِّئْهَا لِيُتَذَكَّرْ فَذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ . وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ » .

طبع الله على قلوبهم وانهم لم آمنوا هم

(٤) الأنفال : ٢١ (٥) المسائدة : ٢٣ . والآية : ٢٣ : « وَمَنْ يُؤَلِّئْهَا لِيُتَذَكَّرْ فَذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ . وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ » .

الدمع ما عدوا يقولون : وربنا آمننا فاكتمنا مع الشاكرين

زرارة بن أوفى من الصحابة : أمَّ بالناس فقراً آية من كتاب الله فصعق ومات ،
ومثلي أبي جبير من التابعين ، قرأ عليه صالح المرّي فشيق ومات .

وقد حكى عن الشبلي رحمه الله أنه معاله أبو علي المغازلي رحمه الله فقل : ربما
تطرق سمعي آية من كتاب الله تعالى فتحذربي على ترى الأشياء والإعراض عن
الدنيا ، ثم أرجع إلى أحوالي وإلى الناس ، ثم لا أبقى على هذا وأدفع إلى الوطن
الأولى : فقال : ما طرق مسامعك من القرآن فاجتذبك به إليه فذاك عطف منه
بك ، وما رددت إلى نفسك فهو شفقة منه عليك : لانه لم يصح لك التبري من
الحول والقوة في التوجه إليه .

وقد حكى عن أحمد بن أبي الحواري عن أبي سليمان الداراني رحمه الله أنه
قال : ربما أبقى في الآية خمس ليالي ، ولولا أني أترك الفكر فيها ما جزتها أبداً ،
وربما جاءت الآية من القرآن فيطير فيها العقل ، فسبجان الذي يردد
بعد ذلك .

وقد حكى عن الجنيد رحمه الله أنه قال : دخلت على سري السقطي رحمه الله
فرايت بين يديه رجلاً قد غشى عليه ، فقال لي : هذا رجل سمع آية من كتاب الله
عز وجل فغشى عليه ، فقلت : اقرأ عليه هذه الآية التي قرئت عليه ، فقرأ ، فأفاق .
فقال لي : من أين لك هذا ! فقلت : رأيت يعقوب عليه السلام كان عماء من أجل
مخلوق ، فبمخلوق أبصر ، ولو كان عماء من أجل الحق ما أبصر بمخلوق ، فاستحسن
مني ذلك .

وحكى عن بعض الصوفية أنه قال : كنت أقرأ ليلة هذه الآية : « كَلُّ نَفْسٍ
ذَائِقَةُ الْمَوْتِ » (١) فجعلت أردوها وإذا أنا بهاتف يهتف : إلى كم تردد هذه
الآية ؟ وقد قتلت أربعة من الجن لم يرفعوا رؤوسهم إلى السماء منذ خلقوا .

سمعت أبا الطيب أحمد بن مقاتل العكبي يقول : كنت مع الشبلي رحمه الله في مسجد ليلة في شهر رمضان وهو يصلي خلف إمام له وأنا يجنبه ، فقرأ الإمام هذه الآية : « وَ لَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ » (۱) الآية ، فزعمت قلت : قد طارت روحه ، ورأيت قد اخضر وهو يرتعد ، وكان يقول : بمثل هذا تخاطب الأحياء يردد ذلك مراراً .

فمن اختار سماع القرآن اختاره لما ذكرنا من هذه الآيات ، والأخبار .

والمعول عند سماع القرآن حضور القلب ، والتدبر والتفكير والتذكر وعلى ما يصادف قلبه عليه من قراءته فيكون الغالب على وقته في سماعه القرآن ، فإذا لم يكن له حال ولم يكن في قلبه وحده يطرده ما سمعه من القرآن ويوافقه ويرعجه فممن
« كَمَثَلِ الذَّرَى يَنْعَقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ » (۲)

(۱) الإسراء: ۸۶ (۲) البقرة: ۱۷۱ وتكملة الآية: لا ادعاء ونداء صم بكم عن فهم لا يعقلون

باب ذکر من اختار سماع القصائد والأبيات من الشعر

قال الشيخ رحمه الله : فأما الطبقة التي اختارت السماع : سماع القصائد وهذه

لأبيات من الشعر ، فحجتهم من الظاهر في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : إن

من الشعر حكمة ، وقوله : الحكمة لله المؤمن ، وزعمت هذه الطائفة : أن القرآن كلام الله

كلامه صفة ، وهو حق لا يطبقه البشر إذا بدا ، لأنه غير مخلوق لا تطبقه الصفات المخلوقة ،

ولا يجوز أن يكون بعضه أحسن من بعض ، ولا يزين بالنعمة المخلوقة ، بل به

الإنسان الأشبه ، وهو أحسن الأشياء ، ومع حسنه لا تستحسن المستحسنات ، قال

عنه صلى الله عليه وسلم : «أشبه أن الله ذكر فقال من مدكر» (١) وقال : «لو أنزلنا

القرآن على من سواه من جنس آدم ، فكذلك لو أنزلنا الله تعالى على النمل

لكنهم لو أنزلت عليهم القرآن ، لكانت لهم الحجة على ربهم ، ولو أنزلنا

القرآن على من سواه من جنس آدم ، لكانت لهم الحجة على ربهم ، ولو أنزلنا

القرآن على من سواه من جنس آدم ، لكانت لهم الحجة على ربهم ، ولو أنزلنا

القرآن على من سواه من جنس آدم ، لكانت لهم الحجة على ربهم ، ولو أنزلنا

القرآن على من سواه من جنس آدم ، لكانت لهم الحجة على ربهم ، ولو أنزلنا

القرآن على من سواه من جنس آدم ، لكانت لهم الحجة على ربهم ، ولو أنزلنا

القرآن على من سواه من جنس آدم ، لكانت لهم الحجة على ربهم ، ولو أنزلنا

القرآن على من سواه من جنس آدم ، لكانت لهم الحجة على ربهم ، ولو أنزلنا

القرآن على من سواه من جنس آدم ، لكانت لهم الحجة على ربهم ، ولو أنزلنا

القرآن على من سواه من جنس آدم ، لكانت لهم الحجة على ربهم ، ولو أنزلنا

(٢) الحشر : ٢١

(١) القمر : ١٧

نسبها نسبة المخطوط لانسبة الحقوق ، وهذا السماع وإن كان أهله متفاوتين في درجاتهم وتخصيصهم فإن فيه موافقة للطبع ، وحفظاً للنفس ، وتنعياً للروح ، لتشاكنة بتلك اللطيفة التي جُعلت في الأصوات الحسنه ، والنغمات الطيبة وكذلك الأشعر فيها معان دقيقة ، ورقة وفصاحة وإطافة وإشارات ، فإذا سلقت هذه الأصوات والنغمات على هذه القصائد والأبيات يشاكل بعضها بعضاً وتتمها ويحسبها ، ويكون أقرب إلى المخطوط ، وأخف مجازاً على السراير والقلوب ، وأقل حرجاً على كل مخلوق بالمخلوق .

فمن اختار سماء القصائد على استماع القرآن اختار حرمه الله من بعض مديحه من الخطر ؛ لأنه حق ، والنفوس تخلس عنده ، وتنبعث من حركاته ، وتلجس في حفظها وتمسكها إذا أشرق عبيها أنوار الحق والشعشعة وأبقت بها من نورها ، فقالوا : ما دامت البشرية باقية ونحن بصفتها وحفظها وأبقت بها من نورها الشعجية والأصوات الطيبة فإنها بسلامة بقية هذه الخطوط بين الأصوات والانساطنا بذلك إلى كلام الله عز وجل الذي هو صفة كلامه الذي هو نور

وقد ذكره جماعة من العامة القراء بما تطريب ، وهو مع الألفاظ الموحدة من غير غير جازر عندهم ، قال الله تعالى : «ورأى أن نوراً من نورها» (الأنعام : ١٠٨) ذلك لأن الطباع البشرية متفارقة عن جميع القرآن وتلاوته : لا يحسن ولا يسهل على تلاوتهم هذه الأصوات المصوغة ليحتملها ، تلك الخطوط الموحدة إلى الألفاظ ولو كانت القلوب حاضرة ، والأوقات معددة ، ولا يسهل على الألفاظ وطباع البشرية متفارقة ، لما احتيج إلى ذلك . وبالله التوفيق .

باب في وصف سماع المریدین والمبتدئين

قال الشيخ رحمه الله: سمعت أبا عمرو عبد الواحد بن عوان بالرحبة، رحية مالك ابن طوق، قال: كان شاباً يصحب الجنيد رحمه الله، فكان إذا سمع شيئاً من الذكر يزعق، فقال له الجنيد يوماً: إن فعلت ذلك مرة أخرى لم تصحبني، قال: فربما كان يتكلم الجنيد رحمه الله في شيء من العلم، فيتغير، ويضبط عند ذلك نفسه حتى يقطر عن كل شعرة من بدنه قطرة من الماء، وحكى لي أبو عمرو: أنه صالح يوماً من الأيام صيحة فانشق وتلفت نفسه.

ورأيت أبا الحسين السبرواني صاحب الخواص بدمياط، وكان يحكى عن الجنيد رحمه الله أنه قال: رأيت رجلاً قد سمع السماع حتى تفسخ، ورأيت رجلاً سمع الذكر حتى مات، أو كما قال، وسمعت الدقي يقول: سمعت الدراج يقول: كنت أذا وابن القوطني ماراً بن علي الدجلة بين البصرة والأبلة وإذا بقصر حسن، له منظر وعليه رجل بين يديه جارية تغني وتقول:

كلَّ يومٍ تنوَّنُ غيرُ هذا بك أَجملُ
في سبيلِ الله وُدُّكَ كان مِنِّي لك يُبدلُ

قال: وإذا شابٌ تحت المظرب يده ركوة وعليه مرقعة يتسمع، فقال: يا جارية بالله وبحياة مولاي إلا أعدت علي هذا البيت، قال فأقبلت الجارية عليه وهي تقول هذا البيت:

كلَّ يومٍ تنوَّنُ غيرُ هذا بك أَجملُ

وكان الشاب يقول: هذا والله تروني مع الحق في حالي، قال فشهو شبة، وحمد، فتأملناه فإذا هو ميت، قال: فقلنا: قد استقبلنا فرض، فوقفنا، فقال صاحب القصر للجارية: أنت حرة لوجه الله تعالى، قال ثم خرج أهل البصرة

وصولاً عليه ، فلما فرغوا من دفنه قام صاحب القصر وقال : أليس تعرفوني ؟ أنا فلان بن فلان أشهدكم أن كل شيء لي في سبيل الله تعالى ، وكل جوارى أحراراً ، وهذا القصر لسبيل ، قال : ثم رمى بثيابه ، وأتزر بإزار ، وارتدى بالآخر ، ومر على وجهه والناس ينظرون إليه حتى غاب عن أعينهم وهم يبكون ، فما رآه أحد بعد ذلك ولا سُمع له خبر ، وما رأيت يوماً أحسن من ذلك اليوم ، أو كلاماً هذا معناه ، والله أعلم .

قال : وسمعت الوجيبي يقول : سمعت أبا علي الروذباري يقول : دخلت مصر فرأيت الناس مجتمعين أو منصرفين من الصحراء ، فسألتهم ، فقالوا : كنا في جنازة فتى سمع قائلاً يقول :

كبرت عممة عبد طمعت في أن تراك

وزعق زعقة ومات . ومما حكى الدقي قال : سمعت أبا عبد الله بن اجلا ، يقول : رأيت بالمغرب شيئين عجيبين ، رأيت في جامع قَيْرَوَان رجالاً يتخطى الصوف ، ويسأل الناس ويقول : تصدقوا علي فإني كنت رجلاً صوفياً فضغنت . والآخر أتى رأيت شيخين اسم أحدهما جبلة والآخر زريق ، وكل واحد منهما تلامذة ومريدون ، فزار يوماً من الأيام جبلة زريق مع أصحابه ، فقرأ رجل من أصحاب زريق شيئاً من القرآن ، فصاح من أصحاب جبلة رجل صيحة فأت ، فيما كان غداً يومئذ قال جبلة لزريق : أين صاحبك الذي قرأ بالأمس ؟ فدعا وقال له : اقرأ ، فقرأ شيئاً فصاح جبلة صيحة فأت القاري . في مكاه ، فقال : واحد واحد والادى أظلم ، وهذا معناه .

وحكى محمد بن يعقوب عن جعفر المبرقع ، وكان من الأبرياء ، أنه حضر في جمع فيه سماع ، فقام وتواجد وقال في قيامه : ختم بنا المریدون .

قال الشيخ رحمه الله : ولا يصح السماع المرید حتى يعرف أسماء الله تعالى وصفاته : حتى يضيف إلى الله ما هو أولى به ، ولا يكون قلبه ملوثاً بحب الدنيا وحب

النساء والمحمدية ، ولا يكون في قلبه طمع في الناس ولا تشوف^ة إلى المخلوقين ، مراعيًا
لقابه ، حافظًا لحدوده ، متعاهدًا لهفته ، فإذا كان كذلك يسمع ما يكون داخلًا في
صفة التائبين والتواضعين والطلبين والمنيبين والخاشعين والخائفين ، ويسمع ما يحته
على المعاملة والشاهدة ، ولا يسمع على الجملة ، ولا يتكلم ، ولا يسمع الاستطابة
والتلذذ ، لا يسير عذابه فرشغفه عن عبادته ورعاية قلبه ، فإن لم يكن كذلك
يجب عليه ترك ذلك الاجتهاد والتباعد عن المواضع التي يحضر فيها ذلك ، ولا
يحضر السمع إلا في مواضع تجرى ذكر ما يحته على المعاملة ويجدد عليه ذكر الله
على والثناء على الله وما فيه رضا الله .

وإن كان مبتدئًا لا يعلم شرائط السمع فيقصد من يعلم ذلك من المشايخ حتى يتعب
منه ذلك ، حتى لا يكون من جملة الهوى والعيا ، ولا يضيف إلى الله تعالى ما هو منزله عنه
فيكفر ولا يدري ، ولا تدعوه نفسه وهواه إلى اتباع الحظوظ ويخيل إليه الهوى
والشيطان أنه من الخلق فهبك عند ذلك والله ولي التوفيق .

باب في وصف المشايخ في السماء وهم المقرمطون العارفون

قال الشيخ رحمه الله : سمعت الوجيهي يقول : سمعت الطيالسي الرازي يقول : دخلت على إسماعيل أسقاذ ذي النون رحمه الله وهو جالس ينسكت بأصبعه على الأرض ويقرم مع نفسه بشيء ، فلما رأيته قال : أتخسن تقول شيئا ؟ قلت : لا . قال : أنت بلا قاب . سمعت أبا الحسن علي بن محمد الصغير في قال : سمعت زكريا . وقد سئل عن المشايخ الذين تقيهم : كيف كان يده في وقت الصلاة ؟ قال : مثل قطع الغنم إذا وقع في وسطه الذئب . قال : وسمعت قيس بن عمر الخوصي يقول : ورد علينا أبو القاسم بن مروان الباهوندي وكان قد صاحب أبا سعيد الحريري رحمه الله وكان قد ترك الخصور عند السماع سمين كثيرة ، فطهر معاً في دعوة أبي إسحاق بن عمار أئياتاً فيها هذا البيت :

ورق في المني أعطشتا ^(١) أن وليكن ليس يسكن

قال : فكان أصحابنا يقولون ويترجمون . قلت : سأكون من كل وحشيه عن معنى ما وقع له في هذا البيت ، فيسكن أكبرهم قولان على معنى العيش في الأحوال ، وأن يكون العبد ممنوعاً من الحلق الذي يعمد به فيسكن . لا يقنع منهم ذلك ، فسأناه ، وقلنا : سمعت ما عندك ، فقال : يكون في قوله الأحوال ويكرم بجميع الكرامات ، ولا يعطيه الله من ذلك ، أو كونه في هذا هذا معناه ، والله أعلم .

وسمعت يحيى بن الرضا العارفي ببغداد يقول : وأكثير من ذلك في قوله

(١) وما يشبه هذا المعنى قول بعضهم :

وأعطشتا والمناخوض غماره وأوحشتا والمؤنسون كثير

قال : سمع أبو حنيفة الصوفي رجلاً يطوف وينادي : يَسْعَتَرَا بَرِّي (١) ، فسقط
وغشى عليه ، فلما أفاق ، سئل عن ذلك وقال : سمعته يقول : أَسْعَ تَرَى بَرِّي . قال
الشيخ رحمه الله : فكذلك قال المشايخ الذين هم من العلماء بهذا الشأن وأهل الفهم
بهذه القصة : أن السماع على حسب ما يقر في القلوب من حيث شغلها ووقته
وحضوره ، ألا ترى أن صوت الصائت حيث أدّى إلى أبي حنيفة سمعه من حيث
وقته وشغلها :

وما يستدل بذلك على ما قلناه ، والله أعلم ، حكاية حُكيت عن عتبة الغلام
رحمه الله أنه سمع رجلاً يقول :

سُبْحَانَ جَبَّارِ السَّمَا * إِنَّ الْمُحِبَّ نَفِي عِنْدِ

فقال عتبة رحمه الله : صدقت . وسمعه رجل آخر فقال : كذبت : فقال بعض
من هو عارف بهذا الشأن . كلاهما أصابا ، أما عتبة رحمه الله صدقه لوجود تعبه في
محبه ، وأما الآخر فكذب لوجود راحته وأنه في محبه . وعن أحمد بن مقاتل
أن ذا النون المصري رحمه الله دخل بغداد ، فاجتمع إليه قوم من الصوفية ومعهم
قوالب ، فاستأذنه في أن يقول شيئاً ، فأذن له في ذلك ، فأشأ يقول :

صَغِيرٌ هَوَاكَ عَدَنِي * فَكَيْفَ بِهِ إِذَا أَحْتَسَكَ
وَأَنْتَ جَمَعْتَ فِي قَلْبِي * هَوَى قَدْ كَانَ مُشْتَرَكَا
أَمَّا تَرَى لِمُكْتَتِبِ * إِذَا ضَحِكَ انْخَلَى بِكِي

قال : فقام ذو النون رحمه الله ، ثم سقط على وجهه ، ثم قام رجل آخر ، فقال
ذو النون رحمه الله : « الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢) » قال : فجلس ذلك الرجل .

(١) في هامش إحدى النسخ : من يشتري زعتر أبري والزعتر نبت معروف عند العطارين

(٢) الشعراء : ٢١٨

قال الشيخ رحمه الله : والمعنى في قوله «الذي يراك حين تقوم» أشار إلى قيامه ومزاحمته لغيره بالتكلف ، فعرفه بأن الخصم في دعواك بقيامك ليس غير الله ، ولو كان الرجل صادقاً في قيامه لم يجلس ، وذلك أن المشايخ منهم مشرفون على أحوال من هو دونهم بفضل معرفتهم ، ولا يجزئهم أن يسامحهم إذا جاوزوا حدودهم وادّعوا حال غيرهم . وعن أبي الحسين النوري رحمه الله أنه حضر محاسناً فيه سماع ، فسمع هذا البيت :

مَا زِلْتُ أَنْزِلُ مِنْ وَدَادِكَ مَنْزِلًا

تَتَحَوَّرُ الْأَبَابُ عِنْدَ نُزُولِهِ

قال : فقام وتواجد وهام على وجهه ، فوقع في أجمة قصب قد كسحت وبقى أصولها مثل السيوف ، فأقبل يمشي عليها ويعيد البيت إلى الغداة والدم يخرج من رجليه ، ثم ورمت قدماه وساقاه وعاش بعد ذلك أياماً قليلة ومات :

وحكى عن أبي سعيد الخزاز رحمه الله أنه قال : رأيت علي بن الموفق ، وكان من أجلة المشايخ ، وقد حضر في وقت السماع ، وقد سمع شيئاً ، فقال : أقيسوني فأقاموه ، وتواجد ، ثم قال في واجده : أنا الشيخ الزقان ، قال أبو بكر رحمه الله : والمعنى في ذلك ، والله أعلم ، أنه يريد أن يعطى بذلك حقه على جلسائه وقريته . يقول : أنا الشيخ الزقان ، ومن حسن أدبه أنه يتكلم حتى يحسب بذلك من الناس أن والدهاب ، لأنه من أحوال المريدين والمبتدئين .

وحكى لي بعض إخواني عن أبي الحسين الدراج أنه قال : قصد يومئذ الحسين من بغداد للزيارة والسلام عليه ، قال : فلما دخلت الرمي سألني ، فكل من أسأل عنه يقول أيتسّ تعمل بذلك الزنديق ! فصيتته صدرى ، حتى عذمت على الانصراف ، فبت تلك الليلة في بعض المساجد ، فلما أصبحت قلت في نفسي : قد جئت هذا الطريق كله لا أقول من أن أراه ، فلم أزل أسأل عنه حتى دفعت إلى مسجده ، فدخلت عليه وهو قاعد في الخراب وبين يديه رجل وفي حبه .

مصحف وهو يقرأ ، وإذا شيخ بهي حسن الوجه واللاحية فدنوت إليه وسامت عليه
فرد علي السلام ، وقعدت بين يديه ، فأقبل علي وقال لي : من أين أنت ؟ قلت :
من بغداد ، فقال : وما الذي جاء بك ؟ فقلت : قصدت الشيخ للسلام عليه ، فقال
لي : لم أن في بعض هذه الباران قال لك إنسان : تقم عندنا حتى أشتري لك داراً
وجارية ، أو كما قال ، كان يقعدك عن هذا الجي ، ؟ قال : فقلت : ما امتحنني الله بشيء ،
من ذلك ، ولو امتحنني ما كنت أدرى كيف أكون ، ثم قال : أحسن أن تقول
تسلياً ، فقلت : نعم ، قال لي : هت ، فابتدأت أقول :

يا ربنا كفى داريت في كطينتي * ولو كنت ذا حزم لم تهدمت كما تبنى
تأني وكما ولدت أفضل فؤادكم * ألا ليتنا كنا إذ التيت لا نغني

فان ، فأطبق المصحف ، ولم يزل يبكي حتى ابتل حخته وتوبه ، حتى رحمته لم يكن .
ثم قال لي : يا بني توم أهل الري يقولون يوسف زنديق ، من صلاة الغداة هو
ذا أقرأ في المصحف لم تقطر من عيني قطرة ، وقد قامت على القيامة بهذين البيتين :
قال : وكان الشبلي رحمه الله يتواجد كثيراً ، إذا سمع هذا البيت :
و داد كره ماجر ، وحببكم لي * ووصلكم حرم ، ورسامكم حرب
وقام الدق ليلة إلى شطر الليل وهو يتخبط ويسقط على رأسه ويقوم ، والخلق
يكون ، والقولون يقولون هذا البيت :

بالله فأرؤد فؤاد مكتسب * ليس له من حبيب خالف

وأشبه ذلك كثير ، ولا يخفى على العاقل إذا تأمل في مقاصدهم واختلاف شربهم
وأما كتبهم في السماع ، إذا تأمل في هذا القليل الذي ذكرت وكيف على مرادى من
ذلك إن شاء الله ، وبالله التوفيق .

باب في وصف خصوص الخصوص

وأهل الكمال في السماع

قال الشيخ رحمه الله : سمعت أبا الحسن محمد بن أحمد بالبصرة قال : سمعت أبا
يقول : خدمت سهيل بن عبد الله ستين سنة فما رأيت تغييراً عند شيء كان يسمعه
من الذكر والقرآن أو غير ذلك ، فلما كان في آخر عمره قرأ رجل بين يديه
هذه الآية : « فَأَيُّكُمْ لَا يُؤَخِّدُ مِنْكُمْ فِدْيَةً » (١) الآية ، فوجد قد رثى ،
وكاد أن يسقط ، فلو رجع إلى حال صحوه لمكانه عن ذلك ، فقلت : وما
حبيبي قد ضمنت

وحكى ابن سناء أيضاً عن أبيه أنه قال : رأيت رجلاً من أهل كابل قد
أصطفى بين يديه قرآن ، فقرأ رجل من ثلاثمائة سورة في القرآن ، فقرأ
في قوله تعالى : « الْبُكَاءُ » ولم يكد حتى نال من الضحك ما جعله يثقل على
قال : فسأته عن ذلك لأنه لم يكن يضحك ، فقلت : يا أبا عبد الله
وسمعت ابن سناء يقول : سمعت أبا عبد الله يقول : سمعت أبا عبد الله
والله أعلم : إن الذي ذكره أبا عبد الله حدثت به في بعض من سمعوا من
بوجب قوة حديث ذلك ، لا يريد أن يروى عنه ، بل يريد أن يروى عنه ،
ذلك لا يتغيره شيء ، فقلت : ومن ثمت أوه

قال الشيخ رحمه الله : سمعت أبا عبد الله يقول : سمعت أبا عبد الله
الله سمع حين سمع رجلاً يوحى بكل شيء ، فأتى به من سمعوا من
قلت القريب ، يعني التحدث في ذلك ، فقلت : يا أبا عبد الله سمعت
لأن حاله قبل السماع يهول منه ،

وَمَعَنِي آخِر : وذلك أن مهمل بن عبد الله رحمه الله قد حكى عنه أنه قال :
حالي في الصلاة وقبل المدخول في الصلاة شيء ، واحد ، وذلك أنه يراعى قلبه
ويراقب الله تعالى بسرّه قبل دخوله في الصلاة ، ثم يقوم إلى الصلاة بخضور قلبه
وجمع كهمّه ، فيدخل في الصلاة بالمعنى الذي كان به قبل الصلاة ، فيكون حاله
في الصلاة وقبل الصلاة واحداً ، وكذلك حاله قبل السماع وبعده بمعنى واحد .
فيكون سماعه متصلاً ووجدته متصلاً وشربه دائماً وعطشه دائماً ، وكما ازداد
شربه ازداد عطشه ، وكما ازداد عطشه ازداد شربه ، فلا ينقطع أبداً .

وسميت أحمد بن علي الكرجي المعروف بالوجيهي يقول : كان جماعه من
الصوفية مستجمعين في بيت حسن القرآز ، وعندهم قوالون يقوالون ، وهم يتواجدون ،
فأشرف عليهم ممشاذ ، فلما نظروا إليه سكتوا جميعاً ، فقل لهم ممشاذ : مالك
قد سكتتم ؟ ارجعوا إلى ما كنتم فيه فلو جمعت ملاهي الدنيا في أذني ما شغلت
همي ولا شفت بعض ما بي .

قال الشيخ رحمه الله : وهذا أيضاً من صفات أهل الكمال ، ولا يكون فيها
فضلة اطارقهم يطرقتهم ولو ارد يرد عليهم ، ولم يبق من طبائعهم ونفوسهم وبشريتهم
حاسة إلا وهي مبدلة ومهذبة لا تأخذ من النغات حظوظها ولا تتلذذ بالأصوات
الطيببة ولا تتنعم بها ، لأن همومهم مفردة ، وأسرارهم طاهرة ، وصفاتهم لا يعارضها
كدورة الحسوس وظلمات النفوس وتغيير البشرية ومقارنة الإنسانية « ذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء » .

وبالغنى عن أبي القاسم الجنيد رحمه الله أنه قيل له : كنت تسمع هذه القصائد
وتحضر مع أصحابك في أوقات السماع ، وكنت تتحرك ، والآن فأنت هكذا

ما كن الصفة ، فقرأ عليهم الجنيد هذه الآية « وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ أَلْفًا مَرَّةً كُلَّ شَيْءٍ » (١) ، فكأنه يشير بذلك ، والله أعلم ، يعني أنكم تنظرون إلى سكون جوارحي وهُدُوء ظاهري . ولا تدرون أين أنا بقلبي وهذه أيضاً صفة من صفات أهل الكمال في السماع .

قال الشيخ رحمه الله : وهؤلاء ربما يحضرون في المواضع التي فيها السماع لأحوال شتى ، وجهات مختلفة ، وربما يجتمعون معهم من جهة مساعدة أخ من إخوانهم ، وربما يحضرون لعلمهم وثباتهم وكبر عقولهم حتى يعرفون ما هم وما عليهم من شرائط السماع وآدابه ، وربما يجتمعون مع غير أبناء جنسهم من سعة أخلاقهم وتحملهم فيكونون معهم بائنين منهم ومنفردين عنهم ببواطهم وإن كانوا مع جاسانهم بظواهرهم ، وبالله التوفيق .

باب ق سماء الذكر والمواظ

والحكمة وغير ذلك

قال : سمعت أبا بكر محمد بن داود الدينوري الدقي يقول : سمعت أبا بكر الزرقاني يقول : سمعت من الجليلي يد رحمة الله تعالى كلمة في التوحيد هيتمنى أربعين سنة .
سنة ، وثاناً بعد في غمار ذلك .

وقال جعفر الخزاز رحمه الله : دخل رجل من أهل خراسان على حميد بن محمد بن عبد الله بن عيسى جماعة من المشايخ فقال : يا أبا القاسم متى يستوى على العبد عمله في الدنيا ؟ فقال : بعض أولئك المشايخ : إن أدخل المارستان وقتئذ بقيت من فقال له حميد رحمه الله : ليس هذا من شأنك ، ثم قيل على الرجل فقال : يا حميد ، إذا علمت أني أكون في الجنة ، ففكرت الرجل نسيته وخرج .

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله : الحكمة جند من جند الله تعالى يتسوى في أبواب أوليائه ، ويقف : إن الحكمة إذا خرج من الباب يقع على الثياب ، وإذا خرج من المصانع لم يرد الأذنين .

قال الشيخ رحمه الله : ومثل هذا في الأخبار كثير : من ذكر من سمع كلمة أو ذكر أو حكمة حسنة رافقه ذلك وشرف من ذلك في مره وجداً أو في قلبه حترفاً ويقف : كل من لا يركب ذلك يحظه في كلفه ما يغفك وعظه عن كلفه :

وقال أبو عوانة : فعل من حكيم في أنف رجل ، أنفع من موعظة أنف رجل .
والله في مصادفات القلوب من حيث حده ، القلوب عند ما يطرأ من وارتت الغيوب من المسموعات والمنظورات ، فإذا تنققت قلوب ، وإذا احتلمت وتضدت ضعفت ، إلا لأهل الاستقامة والصدق والكامل فيهم قد جاوزوا ذلك وسدقت عنهم رؤيتهم التميز فلا يتسربون ، وإنما ربه تجدد لهم أذكرا به يسمعون وتصنعون

لهم المشاهدات وقتاً بعد وقت ، وذلك زيادات الصفاء تجدد لهم عند سماع الحكمة
والإصغاء إلى طرائف الحكمة .

والمراد فيما ذكرتُ : أن مقصود القوم في السماع الذي يسمعون من القرآن
والقصائد والذكر وغير ذلك من أنواع الحكم ليس كنه لحسن النغمة والطيب الصوت
والتنعم والتلذذ بذلك ، لأن الرقة والبيجان والوجد كامن فيهم أيضاً عند فقدان
الأصوات والنغمات ، والسكون والهدوء كامن فيهم عند فقدان الأصوات
والنغمات ، فعلمنا أن المقصود في جميع ما يسمعون ما تصادف قلوبهم من خاس ما في
قلوبهم من الواجيد والأذكار ، فيقوى الوجد بما تصادف به قلوبهم .

باب آخر في السماع

قال الشيخ رحمه الله : قد ذكرنا أن المعول والمقصود في ذلك على مقاصد المستمعين فيما يسمعون ، وعلى حسب مصادفات أسرارهم من ذلك ، ومن حيث أوقاتهم وما يكون الغالب على قلوبهم ، فإذا سمعوا شيئاً يوافق ما هم به في الوقت تسمى بذلك مكتمات سرارهم وما انضمت عليه ضمائرهم ، فينطقون من حيث وجد لهم ، ويشيرون من حيث قصدهم وصدقهم وإلى ما يليق بحالهم ، ولا يخطر ببالهم قصد الشاعر في شعره ومراد القائل بقوله ، وكذلك لا تصطاهم غفلة القارىء عند قراءته إذا كانوا منتبهين ، ولا يوحشهم تشدت الذاكر عند ذكره إذا كانوا مستجمعين ، وربما تتفق الخالان ، ويتشاكل الوقتان ، وتتجانس الإرادتان ، ويكون القادح أقوى والوقت أصفى والعلل أحنى ، وإذا شملتهم العناية وصحبهم التوفيق فيها محفوظون عن الزلل ومبرءون من العلل في جميع أحوالهم .

وبين ما ذكرت في هذه الحكايات التي أذكرها إن شاء الله. ذكر عن محمد بن مسروق البغدادي أنه قال : خرجت ليلة في أيام جاهليتي وأنا نشوان وكنت أغنى بهذا البيت :

« بِزَيْرِ أَبَاذٍ » (١) كَرِيمٌ مَا مَرَّرْتُ بِهِ إِلَّا تَعَجَّبْتُ مِمَّنْ يَشْرَبُ الْمَاءَ

قال فسمعت قائلاً يقول :

وَفِي جَهَنَّمَ مَاءٌ مَا تَجَرَّعُهُ خَلْقٌ فَأَبْقَى لَهُ فِي الْجَوْفِ أَمْعَاءُ

قال : فكان ذلك سبب توبتي وانتغالي بالعلم والعبادة أو كما قال ، ألا ترى أنه حين أدر كته العناية امحق الباطل الذي كان فيه بمصادفة الحق له وكان باطله سبباً لنجاته حين صحبه التوفيق وشملته الرعاية ، وقد حكى أيضاً عن أبي الحسن بن رزقان أنه

(١) اسم بلدة

قال : كنت أمشي مع رجل من أصحابنا بين بساتين بالبصرة إذ سمعنا ضاربا بالطنبور وهو يقول :

يا صباح الوجوه ما تنصفونا طول ذا الدهر كلكم تظلمونه
كان في واجب الحرق عليكم إذ بلينا بحبكم تنصفونه

قال : فشق صاحبي شقة ثم قال : وماذا عليك لو قلت ؟ :

يا صباح الوجوه سوف تموتون ن وتبلى حدودكم والعيون
وتصبرون بعد ذلك رسما فاعلموا ذلك إن ذلك يقين

ألا ترى أنه أجابه من حيث وقته وأبان عما في ضميره ، ولم يحشه قبح مقصد

التعامل في قوله ، لاستيلاء الحقائق عليه وامتلائه بوجده ؟ وقد حكى في هذا المعنى

أيضا عن الشبلي رحمه الله : أنه مثل عن معنى قوله « ومسكر واو مكر الله والله خير

ألمأكرين » (١) ف قيل له : قد علمت موضع مكرهم فما موضع مكر الله بهم ؟ فقال :

تركهم على ما هم فيه ولو شاء أن يغير غير . قل : فشهد الشبلي رحمه الله في السؤال

أنه لم يغيره جوابه فقال : أما سمعت بفلانة الطنبرانية في ذلك الجانب تقول ؟ :

ويصبح من ميوالك الرمل عندي وتفعده فيحسن منك ذلك

قال الشيخ رحمه الله : فانظر أين تقع إشارته من قصدها ؟ وجميع ذلك داخل

في الذي قيل : إن الحكمة ضالة المؤمن .

وصاحب المسئلة والسؤال أبو عبد الله بن خفيف رحمه الله كما رأيت ، والله أعلم .

(١) آل عمران : ٤٤

باب فيمن كره السماع ، والذي كره الحضور في المواضع التي

يقرون فيها القرآن بالأحان ، ويقولون القصائد

ويتواجدون ويرقصون

فقد كره ذلك من جهات شتى : فتقوم كرهوا ذلك لأخبار رويت عن بعض الأئمة المتقنين والعلماء والتابعين أنهم كرهوا ذلك ، فكره من كره ذلك اقتداءً بهم ومناجاةً لهم ، إذ كانوا هم الأئمة في أحكام الدين والمتقدمين في عصرهم على جماعة السوء .

وقوم كرهوا ذلك للمريدين والقاصدين والتائبين لعظم ما فيه من الخطر والابتلاء ، وذلك ولما بعوا حفظهم فتنحوا عند ذلك عقودهم وتنسخ عزيمتهم ويركعوا إلى شيوخهم ويتعرضوا للفتنة ويتعروا في البلية .

وطائفة أخرى كرهت ذلك وزعمت أن الذي يتعرض لاسماع هذه الرذائل لا يخلص من أحد وجهين : إما هم قوم متأمنون من أهل الدعاية والفتنة ، أو هم قوم وصوا إلى الأبحر والشريفة وعاقبوا المقامات الرضية وأماوا نفوسهم بالرياضات والمجاهدات وطرحوا الدنيا وراء ظهورهم وانقطعوا إلى الله عز وجل في جميع ما بينهم ، قالوا : وسنا نحن من هؤلاء ولا من هؤلاء فلا معنى لاشتغالنا بذلك وتوكلنا ذلك أولى بنا ، والاشتغال بالطاعات وأداء المنكرات واجتناب المحرمات يشغلنا عن ذلك .

قال : سمعت أحمد بن علي الوجيهي يقول : سمعت أبا علي الروذبري رحمه الله يقول : قد بلغنا في هذا الأمر إلى مكان مثل حد السيف فإذا منا كذا في النار .

قال: وأخبرني جعفر الخَلْدِيُّ فيما قرأتُ عليه قال: سمعت الجُنَيْدَ رَحِمَهُ اللهُ يقول: جئتُ إلى سُرَى السَّقَطِيِّ رَحِمَهُ اللهُ يوماً فقال لي: أَيْشَ خَبَرَ أَعْمَابِكَ يقولون قصائد؟

قلت: نعم

قال: يقولون عاشقٌ كَذِبٌ؟ لو شئتُ أن أقول هذا الذي بي من هذا النوع . قلت .

قال الجنيد رحمه الله: وكان معه هذا كثيرا، كان يستره وكان معروفا له بحروفه.

وكرهت طائفة أخرى ذلك من جهة أن العام لا تعرف متاصدا الفوه في سمعونه، فربما غلطوا في متصدهم ورتقوه، ففكروا ذلك: شفقة على العامة وبسببها أخذوا بغيره على الوقت الذي إذا فت لا يدرك.

وطائفة أخرى كرهت ذلك: لما قد فقد من إخباره، وعدمه من التلاوة وفردية، ومن كان يصاح لذلك، وما قد لي من الاختلاط بغير أهله، فإنه في ذلك من مجاسة الأضداد ومحاطة أهل العذر، فقد ترك ذلك طلبا للسلامة، لا بد من شدة ومعرفة بأهل زمانه.

وطائفة أخرى كرهت ذلك تقول النبي صلى الله عليه وسلم في رواية: سمعته يقول: من حسن إسلام المرء ترك ما لا يعنيه، فقلنا: هذا ما لا يعنيه من ذلك، بل ذلك، وليس هو من زاد القبر، ولا ما يطالب به العجوة في الآخرة، بل هو من هذا المعنى.

وطائفة أخرى من أهل المعرفة بالسكوت، لا هو ذلك، لأن أحم لهم، مستقيمة وأوقاتهم معمورة وأذكارهم صافية وأسرارهم طاهرة، وقسبهم حادثة، وعقولهم مجتمعة، لم يخطر ببالهم خاطر، ولا يخرى في أفكارهم عارض، إلا وهم في قولهم.

عليه ، يعلمون من أين مَوْرده وإلى أين مَصْدَره ، ليس فيهم فضلة لطوارق سمع
الظاهر من معارضة طوارق سمع الباطن من دوام المناجاة والطائف
الإشارات وخفي المعاتبات والمخاطبات والمجاوبات فيذكره جليسه ولا يعرفه أنيسه ،
فهم مع الله تعالى ببواطنهم ، وإن كانوا مع الخلق بظواهرهم « ذلك فضل الله يؤتيه
مَنْ يَشَاءُ (١) » .

فهذا مما حضرني في هذا الوقت والله التوفيق .

كتاب الوجد

باب في ذكر اختلافهم في ماهية الوجد

قال الشيخ رحمه الله : اختلف أهل التصوف في الوجد : ما هو ؟ فقل عمرو
ابن عثمان المكي رحمه الله : لا يقع على كيفية الوجد عبارة ، لأنها سر الله تعالى
عند المؤمنين الموقنين .

وذكر عن الجنيد رحمه الله أنه قال : كما أظن أن الوجد هو المصادقة بقوله
عز وجل : « وَوَجِدُوا مَا وَعَدُوا وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا
لِّأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ » (١) يعني صادفوا ، وقال : « وَمَا تَقَدَّمُ
لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ » (٢) أي تصادفوا ، وقال : « حَتَّى إِذَا جَاءَهُ
لَمْ يَجِدْهُ » (٣) يعني لم يصادفه .

وكل ما صادف القلب من غم أو فرح فهو وجد ، وقد أخبر الله تعالى
عن القلوب : أنها تمطر وتبصر وهو وجد لها ، قال الله تعالى : « فَرِحَ لَمْ يَجِدْهُ
لَمْ يَجِدْهُ » (٤) أي تصادفوا ، وقال : « حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ » (٥)
بين التي تجد وبين التي لا تجد .

وقد قيل أيضا : إن الوجد مكنشفت من الحزن ، ألا ترى أن الوجد
ما كنا فيتحرك ويظير منه الزفير والشهيق ، وقد يكون من غم أو فرح
في وجدده لا يظير منه شيء ، من ذلك ، قال الله تعالى : « وَجَدْتُمْ قُلُوبَهُمْ غَافِلِينَ » (٥)

(١) الكهف : ٤٩ (٢) البقرة : ١١٠ (٣) النور : ٢٩
(٤) الحج : ٤٦ (٥) الحج : ٢٥

قال بعض المشايخ من المتقدمين : الوجد وجدان : وجد ملك ، ووجد لقاء ،
قول الله عز وجل : « فَمَنْ لَمْ يَجِدْ » يعني من لم يملك ، وقوله تعالى : « ووجدوا ما
عملوا حاضرا » يعني لقوا .

وقال بعضهم : كل وجد يحدك فيما لك فذاك وجد ملك ، وكل وجد تجده
فذاك وجد اللقاء تلقى بقلبك شيئاً ولا يثبت .

وسمعت أبا الحسن الحصري رحمه الله يقول : النفس أربعة ، مدع مكشوف ،
ومعترض تدرج له وتدرج عليه ، ومتحقق قد اكتفى بحقيقته ، ووجد قد فنى بما يجد ،
وحكى عن سهل بن عبد الله رحمه الله أنه قال : كل وجد لا يشهد له
الكتاب والسنة فهو باطل .

وقال أبو سعيد أحمد بن بشر بن زياد بن الأعرابي رحمه الله : أول الوجد رفع
الحجب ، ومشاهدة الرقيب ، وحضور الفهم ، وملاحظة الغيب ، ومحدثه السر
والنفس المنقود ، وهو فنونك أنت من حيث أنت .

قال أبو سعيد رحمه الله : الوجد أول درجات الخصوص وهو ميراث التصديق
الغيب ، فاما ذاقوها وسطع في قلوبهم نورها ، زال عنهم كل شك وريب .
وقال أيضاً : الذي يحجب عن الوجد رؤية آثار النفس والتعلق بالعلائق
والأسباب ، لأن النفس محجوبة بأسبابها ، فإذا انقطعت الأسباب ، وخلص الذكر
وصح القلب ورق وصفا ، ونجعت فيه الموعظة والذكر وحل من المناجاة في محل
غريب ، وخوطب وسمع الخطاب بأذن واعية وقلب شاهد وسر طاهر ، فشاهد
ما كان منه خالياً ، فذلك هو الوجد ، لأنه وجد ما كان عنده عدماً معدوماً .

باب في صفات الواجدين

قال الشيخ رحمه الله: قال الله عز وجل: مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر (١) الله هذه صفة من صفات الواجدين. وقوله تعالى: رجأت قلوبهم (٢) فالوجل صفة من صفات الواجدين، وفي الحديث ١٦٨ أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ: فكيف إذا جئنا من كل أمة بشييد وجئناك على هؤلاء شهيداً (٣) فصعق، فالصعقة صفة من صفات الواجدين.

والأخبار تكثر من مثل الزفير والشهيق والبكاء والغشية والأين والصعقة والصراخ والصيحة فكل ذلك من صفات الواجدين.

وهم على طابقتين، واحد ومتواجد.

فما الواجدون فيهم على ثلاثة أصناف: : فصف منهم وجددهم مصحوبهم، لأنهم

يعارضهم في الأحيين دعوى النفوس والأخلاق البشرية ومنح الطبيعة في كل وقت الوقت ويتغير عليهم الحال، والصف الثاني وجددهم مصحوبهم لأنهم طرأ عليهم ما يشاكل وجددهم من طوارق السمع تعبر تلك وعاشروا تعشروا عليهم عليهم الوجد، والصف الثالث وجددهم مصحوبهم عن السواء، وقد أفهم ذلك الوجد: لأن كل واحد قد في وجددهم، فاست فيهم ففهم من وجددهم، لأن كل شيء عندهم كالمفتود عند وجددهم بوجددهم بذهب ذلياً وجددهم.

فأما المتواجدون فيهم أيضاً على ثلاثة أصناف في وجددهم: : وهم الكرميون والمتشبهون وأهل الدعابة ومن لا وزن له، وصف منهم: الذين يستنبطون الاحيون الشريفة بالتعرض بعد قطع الملايق المشاهدة، وأسباب الظلمة، فذلك الوجد من أهل

(١) الزمر: ٢٣

(٢) الحج: ٣٥

(٣) النساء: ٤١

منهم ، وإن كان غير ذلك أولى بهم ؛ لأنهم نبذوا الدنيا وراء ظهورهم ، فتواجدهم مطايبيةً وتسليماً وفرحاً وسروراً بما قد عانقوا من خلع الراحة وترك المعلومات .

قال الشيخ رحمه الله : فمن أنكرك ذلك ويقول : ليس هذا في العلم . فيقل له : قد

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا دخلتم على هؤلاء المعذبين فابكوا ، فإن لم تبكوا فتبأ كوا .

فالتواجد من الوجد ، بمنزلة التباكي من البكاء . والله أعلم .

وصنف ثالث : أهل الضعف من أبناء الأحوال ، وأرباب القلوب والمتحققين

بالإرادات ، فإذا عجزوا عن ضبط جوارحهم وكتمان ما بهم تواجدهم ونفضوا مالا طاقه لهم بحماد ولا سبيل لهم إلى دفعه عنهم وردّه ، فيكون تواجدهم طالباً للتفرج والتسلي ، فهم أهل الضعف من أهل الحقائق .

قال : سمعت عيسى القصار يقول : رأيت الحسين بن منصور حين أخرج من الحبس

ليقتل فكان آخر كلامه أن قال : حسب الواجد إذا الواحد . قال : وما سمع أحد

من المشايخ الذين كانوا ببغداد هذا ، إلا استحسنا منه هذه الكلمة .

وسئل أبو يعقوب النهر جوري رحمه الله عن صحة وجد الواجد وسقمه فقال :

صحة قبول قلوب الواجدين له ، وكذلك سقمه إنكار قلوب الواجدين له ، وتبرده

جلسائه ؛ إذ كانوا أشكالا غير أضداد وليس ذلك لغير أبناء جنسهم .

باب في ذكر تواجد المشايخ الصادقين

قال الشيخ رحمه الله : حُكي عن الشبلي رحمه الله : أنه تراجع يوماً في مجلسه فقال : آه ليس يدري ما بقلبي سواه ، فقبل له : آه من أي شيء ، ؟ فقال : من كل شيء ، وذكر عنه أيضاً أنه تواجد يوماً فضرب يده على الخائط حتى عميت عليه يده قل : فعمدوا إلى بعض الأطباء ، فلما أتاه قال للطبيب : ويلك ! بأي شاهد جئتني ؟ قال : جئت حتى أعالج يدك ، فاعطه الشبلي رحمه الله وطرده ، قال : فعمدوا إلى طبيب آخر أظف منه ، فلما أتاه قال له : ويلك ، بأي شاهد جئتني ؟ قل : بشاهده ، قال : فأعطاه يده فبسطها وهو ساكت ، فلما أخرج الدواء جعل عليه صاح وتواجد ، وترك إصبعه على موضع الداء وهو يقول :

أَبَيْتُ سَبَابَكُمْ قَرِحَةً عَلَى كَيْدِي
بِتُّ مِنْ تَفْجِعِكُمْ كَالأَسِيرِ فِي المَذَارِ

وذكر عن أبي الحسين النوري رحمه الله : أنه سمع رجلاً ينادي في دعوة ، تجرى بينهم مسألة في العمى ، وأبو الحسين النوري رحمه الله سأل ، قال : ثم رفع رأسه فأشدهم هذه الأبيات :

رَبِّ وَرَقَاءَ كَهَنُوفٍ فِي الفُجْحِي
فَبُكَايَ رَبِّمَ أَرْقَهْهُ
هِيَ إِنْ تُشَاكِرَ كَفَلَا أْفَهْمُهَا
غَيْرَ أَنِّي بَأَجْرِي أَعْرِفُهَا
ذَاتُ سَحَابٍ صَدَحَتْ فِي قَهْدِي
وَبِكَلَامِي أَسْأَلُكَ عَفْوِي
وَإِذَا أَسْأَلُكَ مَا أَسْأَلُكَ
وَهِيَ أَيْضاً جَمْعٌ مَعْدُومِي

قال : فابقى في القوم أحد إلا قاموا ، فاشد النوري هذه الأبيات : وقال بعض الصوفية : هو ذي أسنم ، يدسني أن أسمع كلمة في العيب من غير

واحد يتكلم بها عن وجهه .

ويقال : إن أبا سعيد الحرَّاز رحمه الله : كان كثير التواجد عند ذكر الموت
فسئل عن ذلك أجنيد رحمه الله فقال : العارف قد أيقن أن الله لم يفعل شيئاً من
المكاره بغضاً له ولا عقوبةً ، ويشاهد في صنائع الله تعالى الحالة به من المكاره صفة
المحبة بينه وبين الله عز وجل : وإنما ينزل به هذه الموازل ليردَّ روحه إلى اصطفاة
نه واصطناعاً له ، فإذا كوشف العارف بهذا وما أشبهه لم يكن يعجب أن تطير
روحه إليه اشتياقاً ، وتنقلب من وطئها اشتياقاً ، فلذلك ما رأيت من التواجد
عند ذكر الموت ، ورُبَّما أتى ذلك على قرب منيته ، والله يفعل بوليِّه ما يشاء
وما يجب .

وسئل بعض المشايخ عن الفرق بين الوجود والتواجد فقال : الوجود هو ذي
الغيبية وإرسالات الحقيقة ، والتواجد داخل في الأكتساب ، راجع إلى أوصاف العبد
من حيث العبد .

ولدى كره الوجد ، مشاهدة علة في الذي يتواجد . عن أبي عثمان الخيري في عظة
حكى عنه أنه رأى رجلاً قد تواجد فقال له : إن كنت صادقاً فقد أظبرت كتمته
وإن كنت كاذباً فقد أشركت ، والله أعلم بمقصده من ذلك . ويشبهه أنه أُرر بذلك
شفقة عليه ، وحذراً من الفتنة والآفة ، والله أعلم .

باب في قوة سلطان الوجد وهيجانه وغلباته

قل : أخبرني جعفر بن محمد الخُلدي رحمه الله فيما قرأت عليه قال : سمعت الجنيد رحمه الله يقول : قال : ذكر يوماً عند سري السقطي رحمه الله تعالى المواجه الحادة في الأذكار القوية وما جاس هذا مما يقوى على العبد فقل سري رحمه الله وقد سأنته فيه فقل : نعم يضرب وجهه بالسيف وهو لا يحده .

قال أبو القاسم رحمه الله : كان عندي في ذلك الوقت أن هذا لا يكون ، فراجعت له في ذلك الوقت فقلت له : يضرب بالسيف ولا يحس ؟ قال : لا ، ذلك ! فقال : نعم ، يضرب بالسيف ولا يحس ، وأوم على ذلك .

وعن الجنيد رحمه الله أنه كان يقول : إذا تقوى الوجد يكون تمهين يستقر العبد وذكر عنه أيضاً أنه قال : لا يضرب نقص الوجد من فضل العبد ، وفضل العبد من فضل الوجد وقد ذكر عنه جعفر الخُلدي رحمه الله أنه قال : الخليل بن أحمد بن الغلابة أتم من حل الغلبة في الوجد ، والغلبة في الوجد تتم من تحبوس قلبه في الوجد فتميل له ، كيف كانت هذا القول ، فقال : تحبوس من غلبته وحل الوجد أتم ، والمحبوب بعد حمله لا ير عن نفسه وتجاهده .

قل الشيخ رحمه الله ، وبيان ما قال الله أعلم : أن من يكون شاملاً لا يرى بعد غلبات الوجد وقوة الوجد يكون أتم في بعده من غيره حتى لا يرى غيره صفاته ، والغلبة لسلطان الوجد من قوة الوجد عليه ، فمصدره قوته لسلطان الوجد حل الساكن الذي لا يتدح فيه القادح ولا يرجح فيه السادر .

سمعت ابن مسلم يقول من أريد أن يحل من عباده أن يكون له من الوجد ما يحل حتى يبقى خمسة وعشرين يوماً أو أربعين يوماً ، ولا يأكل شيئاً من ذلك ، يبرق عند البرد الشديد في الشتاء ، وعليه قوس واحد ، فإنه إذا سأل من كان من العلماء يقول : لا تسألني فإنه لا ينتفع من في هذا الوقت بخلافه .

سمعت أبا عمرو بن علوان يقول : سمعت الجنيد رحمه الله يقول : الشبلي رحمه الله سكران ولو أفاق من سكره لجاء منه إمام ينتفع به .
 وحكي عن الجنيد رحمه الله أنه كان يقول : ذكرت المحبة بين يدي مرمى السقطلي رحمه الله فضرب يده على جند ذراعه فمدها ثم قال : لو قلت إنما جف هذا على هذا من المحبة لصدقت قال : ثم أغشى عليه حتى غاب ، ثم تورد وجهه حتى صار مثل دائرة القمر فما استطعنا أن ننظر إليه من حسنه حتى غطينا وجهه .
 وقال عمرو بن عثمان المكي رحمه الله : الذي يحل بالقلوب من الامتلاء والوجد حتى لا يبق فيه فضل لوجود حال كان يعرفها قبل ذلك ، إنما هي زيادة للنفوس في معرفتها ، لعظم قدر الحق وقدر ما يستحق حتى يتبين لها عن الحال التي يكون هم منفرداً بها عن كل شيء حتى لا تجد غيره ، فعند ذلك انقطع عنها حس كل محسوس ، وإنما أدركت انقطاعه عن المحسوسات بما أوقعه الحق عليه منه فلم يكن فيه فضل لغيره .

وعن أبي عثمان المزين رحمه الله أنه كان يقول :

فَسُكِرُ الْوَجْدِ فِي مَعْنَاهُ صَحْوٌ وَصَحْوُ الْوَجْدِ سُكْرٌ فِي الْوَصَالِ

باب في الواجد الساكن والواجد المتحرك أيهما أتم؟

قال الشيخ رحمه الله : قال أبو سعيد بن الأعرابي رحمه الله في كتابه في الوجد إن سائلاً سأل فقال : أيما أفضل وأتم ، الحركة في الوجد أم السكون فيه ؟ وقد قال قوم : إن السكون والتمكن أفضل وأعلى من الحركة والانزعاج ، قال أبو سعيد : فالجواب في ذلك والله أعلم : إن الواردات من الأذكار ، منها ما يوجب السكون ، فالسكون فيها أفضل من الحركة ، ومنها ما يوجب الحركة ، فالحركة فيها أتم : إذ حكمها القهر لأهلها ، فإذا لم يَتمَّ بهذا القهر كان الوارد ضعيفاً في وروده . ولو ورد بحقيقته لأوجب ضرورة الحركة والواردات من العلوم والأذكار والسكن عن الوجد والاستهتار على القلوب فيشاهدها .

ورأيت جماعة يفضلون أهل السكون لكبر عقولهم وقوتها وإشرافها على ماورد عليها وتمكنها فيه . وهذا لا معنى كذلك ، ولو كان ربما ورد ما لا يلازم (١) العقل المخلوق فيكون نوره أقوى وبرهانه أقوى فيقوم شاهده منه ويعجز العقل عن إدراكه فيكون الوارد أقوى من العقل ، حكم هذه الحركة أتم .

قال أبو سعيد : ومن الواردات ما يكون للعقل ملاوماً (٢) فيردد ويستلهم فلا يظهر مع ذلك حركة لتمكن العقل ، لأنه يشير إليه بما قد عرفه ، فمن شرف أهل السكون إنما شرفهم بفضل عقولهم وشدة تمكّنهم ، ومن فضل المتحركين فضائلهم بقوة الوارد من الذكر الذي ينخس دون فهم العقل ، فكان أفضل من الوارد ، وإذا كان العقلان مستويين - ليس أحدهما أفضل - فليس أتم . وهذا مالا أحسبه يكون : أن يستوي رجلان أو عقلاان أو واردان ، وقد أرى ذلك أهل العلم ، وإذا بطل التساوي رجعتنا إلى ما قلنا في أول المدألة : أن لا معنى

(١) لا يلازم : أي . لا يلائم (٢) في نسخة : ملازما

لتفضيل الساكن على المتحرك ، ولا المتحرك على الساكن ؛ لاختلاف الحال الواردة
التي توجب الحركة ، والحال التي توجب السكون ؛ لأن الواجدين لا يستوون
في كوشفوا به ولا ما شاهدوه من حالة الذكر الموجبة إحدى الخالسين من الحركة
والسكون ، وفي الواردات التي توجب السكون ، هو أعلى من الواردات التي توجب
الحركة ، وفي الواردات التي توجب الحركة ما هو أفضل من الواردات التي توجب السكون ،
فليس النقص ههنا بالحركة ولا بالسكون حتى تعلم الحال الواردة على المتحركين
وعلى الساكنين ، فإن كانت الحال توجب سكوناً فلم تسكن صحباً فهو نقص
عن غيره ، وإن كانت توجب حركة فلم تحركه ذلك على ذلك على نقيض واردة ،
ومشاهدات الواردات على قدر صفة القلوب ، وتخليقها عن الحجب ما بعد
لإدراك الواردات .

فهذه صفة الأذكار لأهل الأحوال وقيامهم بها من حيث ما يوجبها العلم .
فأما أهل الغلابة والسكر فلا يجوز عليهم شيء من هذا الكلام ، والله أعلم .

باب جامع من كتاب الوجد الذي ألفه

أبو سعيد بن الأعرابي رحمه الله

قال أبو سعيد بن الأعرابي : الوجد ما يكون عند ذكر مُزْعَجٍ ، أو خوفٍ مُقْلَقٍ ، أو توبيخٍ على زلّة ، أو محادثة باطيفة ، أو إشارة إلى فائدة ، أو شوق إلى غائب ، أو أسف على فائت ، أو ندم على ماضٍ ، أو استجلاب إلى حالٍ .
أو دعاءٍ إلى واجب ، أو مناجاةٍ بسرٍّ ، وهي مقابلة الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن والغيب بالغيب والسرّ بالسرّ ، واستخراج مالِك بما عليك من سبق لك ، لتسعى فيه فيـكـتـبـك بعد كونه منك ، فيثبت لك قدم بلا قدم ، وذكر بلا ذكر ، إذ كان هو المبتدئ بالنعيم والمتولى لها ، ومُلِمَّ الشكر عليها ، والمضيف إليك كسبها ، فيثبت لك بها درجة عاجلة ، وإليه يرجع الأمر كله ، فيدُجملَةٌ ظهروا علم الوجود .

وقال أبو سعيد رحمه الله : الوجد مباشرة رُوحٍ ومضاعة مزيد ، لا يُصَدَّقُ من قليله ولا يُقدَّرُ على كثيره ، التخيل منه متدارك ، والاستحاث منه إليه متواتر ، فذلك يقع اللهن وربما كان دونه التناج ، فأما البكاء ، والشهيق فتنبه ما يرد إذ كان لم يُعرف قبل وروده ولا أنس به مع سرعة تقصيه مع وقوده . حتى كان جميعاً معاً ، فلم يتم الاستبشار بوروده حتى حُق الأسف على تقصيه ، والحدة وزوال الأعضاء والعلية على العقل فإعظم قدره الوارد وقوة سحره في كل وارد مستغرب أو مفرع مهوّل ، ففي سرعة وروده مع سرعة تقصيه حلاها بالمدارعة ظاهرة ، ولو لا أنه أمسك أوليائه وألقى على كل قلب من ذلك ما أطفأ نطاست عقولهم وذهلت نفوسهم ، وإن كان لا حال معارفة ومناهل مورودة ، وذلك لا يدوم لحظة أو طريقة عين : رفقاً منه بأوليائه حتى ينسيهم فيما أراد كما يريد .

وقال : الوجد في الدنيا فليس بكشف ولكن مشاهدة قلب وتوهم حق وظن
يقين ، فيشهد من رُوح اليقين وصفاء الذِّكر لأنه منتبهٌ ، فإذا أفاق من غمِّرتِه
فقد ما وجد ، وبقي عليه علمُه ، فتمتَّع بذلك رُوحه مع ما زيد من اليقين
بالمكاشفة ، وهذا من العبد على حسب قُرْبِه وبعده ، وعلى ما يشهده من
ذلك خالقُه .

ومنهم من ثبت في وجدته وشاهد من ذلك بتمكينه ، فوصف بعض ما شاهده ،
فيكون ذلك حجة على غيرهم ، ولولا ذلك ما خبروا به توقيهاً عليه وصيانته له
وإشفاقاً أن يضعوه غير موضعه فيُسلبوه ، وربما وقع بهم الوجد من المسموع قبل
تدبره ، ومن المظور إليه قبل الفكر فيه ، ولا يأمنون أن يكون ذلك من الطبع
واستحسان النفس مع ما يجدون فيه من الرقة ويشهدون بعده من الزيادة فيلتبس
عليهم تمييز الحق من الباطل ، ولا يجب لمن يدعى معرفة خاتمه أن يسكن إلى سواه
ويشغل خاطره بناقص أو يقع وهمه على زائل ، وهذا وإن كان مشكلاً عليه
تشابهه ، فإنه عند أهل النظر والتحصيل مميّز بالتفضيل ، إذ ليس ما تلقته القلوب
بمشاهدتها كما توهمته بظنونها ، ولا من كان متروكاً مبهماً كمن كان مخوفاً ،
ولا ما أستجاب كونه كما فاض عن معدنه ، ولا ما نتج عن الفكر كما رشح عن
الذِّكر ، وربما يختلط ذلك على أهل التمييز لعلّة وينكشف لهم بعد زوال العلة لأن
التمييز بالفكر ليس كالمستهير بالذِّكر ولا المتخير المختار كمن غاب عليه الوجد
والاستهتار ، وليس هذا صفة كل واحد لاختلاف أحوالهم ، فمنهم من وجدته عن
العلم ، ومنهم من وجدته بالعلم ، ومنهم من وجدته علم .

فأما الوجد الذي يكون لأهل الثبات من السكون عن الحركة والمنعة بالخلوة لأن
الأنس أفناهم عن الوحشة والقرب عن رؤية المسافة ، فربما بدا لهم بادٍ فيتغالون
في وجودهم ، وربما ردهم إلى صفاتهم ببقيا عليهم لما أفتطروا عليه من الحاجة إلى
الغذاء والنساء فيحشمهم ذلك فيزعمون من رؤيتهم ذلك انزعاجاً يظنونها علة وقد

خافوه زماناً فيلحقهم عند ذلك الوله لطلب ما فقدوه فيحملهم على الاقتحام على كل ما توهموه أنه يوصلهم، غلبت رؤيتهم التمييز، فبادروا مسرعين، كما رأوا سرايا ظنوه ماءً، وكما رأوا ماء ظنوه سراياً لغلبة الطمع، فهم على وجوههم ذاهبون في كل وادٍ يهيمون وكل بارق يتبعون، سبق سيالهم مطارهم ودر كرمهم فكرهم، إلى كل سبب يسلمون، وعليه لا يحولون، والطمع يطمح أبصارهم، واليأس يزجرهم، فلا يأسيهم يدوم فينصرفوا ولا طمعهم يصح فيأتلفوا، أشبه شئ بالحنين، قد سمعت أنفسهم يتناف مهجتهم عندما يطلبون، لو توهموه في تيد ساكرد، أو وراء بحر سبحوه أو وراء نار تأجج اقتحموها كالتفرش إذا رأى ضوء النار لا يقصر عن تقحمها، أو ما رأيتمهم مشردين سيمين بالمفاوز والمهاك والقفار، لا يرون ولا يؤوون؟ إلا أنهم في ذلك محفوظون من الزل بصدقهم في قصدهم، فهم من العلم على سبيل.

وأما من فارق العلوم الظاهرة فغير مأمون عايد الزل، ومن سلك غير الحجة كان من السلامة على خطر.

وكما ذكرنا من علوم الوجد ظاهر أو المحققة العبارة أو ميت (١) إلهيد بالإشارة أو مداس فام عليه، أو مثال قار به، فأما ما كان غير ذلك فإنه علم منه، وشعده فيه، وحقيقته كونه، ووصفه دوقة، لأن حجج الله تعالى على عباده باهرة، وانعاده غير محتاجين إلى علمها، اقيام الشاهد فيها، وانتفاء كل وصف عنها، لأنها مما تولى الله كونهها، وانفرد بعلم كنهها، ومتع أهل الإيمان بها، لما كاشفهم فيها، فلم يجدوا ذلك لغناهم بها عن غيرها، لأن ما أبدى لهم منه فهو له مشهور من العلم ومعه مقيسون باطناً، وهو الغيب الذي وصف الله [به] المؤمنين فقال: «الذين يؤمنون بالغيب» (٢)، فهم في غيبه مغيبون، وهو وإن كان غيباً، لا يلحقهم في ذلك شك ولا ريب.

(١) أومينا: أي . أو مانا (٢) البقرة: ٢

فإن سأل سائل عن الزيادة في وصف الوجد فهيات دون ذلك! فكيف يوصف من ليس له صفة غيره ولا يقام عليه شاهد غيره؟ فهو شاهد نفسه، وحقيقته كونه، يعرفه من وجدته، وينكره من لم يعرفه، ويعجز الجميع، من عرفه ومن لم يعرفه. فهو بالذوق محسوس وصاحبه بالمراد مكاشف، وهو عزيز موجود منيع مفقود محتجب بأنواره عن نوره، وبصفاته عن إدراكه، وبأسمائه عن ذاته: أعني ذات الوجد واليقين والإيمان والحقائق وكذلك المحبة والشوق والقرب، كل ذلك يدق وصفه ولا يدرك كنهه إلا من ذاته وتفضل عليه بآثاره به فيخيلون فيه ولا يصفونه ولا يدركونه، يلبسهم إلياساً ويذهب عنهم الوحشة إيناساً، فكما ازدادوا من صفته وصفاً كانوا من حقيقته أشد بعداً فخرسهم فيه أبلغ من النطق، فلن يعرف أهله منه إلا ما عزفود، واعترافهم بالتقصير فيها نهاية العلم بها، فنطقهم عن وعيهم بلاغة وأكمتهم فصاحة.

فالسائل عن طعمه وذوقه يسأل عن محال، لأن الطعم والذوق لا يدرك بالوصف دون التذوق والتذوق.

والسائل عن كنهه فسؤاله دليل على جهله به، ولا سبيل للعالم إلى جواب كل سائل، إذ كان بعضهم يسأل عما له وبعضهم يسأل عما عليه، فقد أخذ الله على العلماء أن لا يكتموا العلم أهله كما أخذ الله على العلماء أن يصونوه عن غير أهله، وقد قلنا إن أهله غير مرتابين فيسألوا، ولا شاكين فيتعرفوا. وبالله التوفيق.

ولما كانت هذه الأحوال ليس لها نهاية كان الكلام فيها ليس له نهاية، فقطعنا قلوب وصلناه لا تصل إلى مالا نهاية له، لأنها ازديادات في المعارف وليست من كسب الآدميين بل هي داخلية في قوله عز وجل: وَلَدِينَا مَزِيدٌ (١) فهذا بعض عطايا العمومة (٢)، لانهاية لها، ولا يبلغ وصفها فكيف باختصاصه أولهائه بما يورد

(١) ق: ٣٥ ونص الآية: لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد

(٢) في نسخة: المغموضة

عليهم في كل وقت وزمان وطرفة عين؟ وأقل من ذلك من الأحوال التي هي
مذكورة عندنا علماء بفضلها معلومة «لَا يَعَزِبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ» (١)، وهذه
وإن كانت ليست باكتساب الأدميين، وإنما هي خصوص وبعضها موارث
الأعمال، فالطالب من عند الله المزيّد، قد أحكم الأصل الذي يوجب المزيّد،
فمن فرط فيه فليس بأمن عليه أن يسلب الأصل الذي معه، إذ لم يرعه حق
رعايته، لأن التوقّف مع النفوس يقطع الهجوم، والهجوم مع مفارقة العلوم خطأ
بين، فإذا قويت الرغبة عن التوقّف فلهجوم ربما أوصل. فأما من كان مطاعاً
بأصل فخطأ تخطيه إلى الفرع قبل إحكام الأصل، لا يؤمن عليه الزلل.
وبالله التوفيق.

في هذا ما اختصرته من كتاب الوجد لابن الأعرابي، وبالله التوفيق.

كتاب إثبات الآيات والكرامات

باب في معاني الآيات والكرامات وذكر من كان له

شيء من ذلك

قال الشيخ رحمه الله: حكي عن سهل بن عبد الله رحمه الله أنه قال: الآيات لله، والمجزات للأنبياء، والكرامات للأولياء وخيار المسلمين.

وحكي عن سهل بن عبد الله رحمه الله أنه كان يقول: من زهد في الدنيا أربعين يوماً صادقاً مخلصاً في ذلك تظهر له الكرامات من الله عز وجل، ومن لم يظهر له ذلك فلما عدم في زهده من الصدق والإخلاص، أو كلاماً نحو ذلك.

وعن الجنيد رحمه الله أنه قال: من يتكلم في الكرامات ولا يكون له من ذلك شيء، مثله مثل من يمضغ التبغ. قيل لسهل رحمه الله في الحكاية التي قبل هذه فيمن زهد الدنيا أربعين يوماً: كيف يكون ذلك؟ فقل: يأخذ ما يشاء من حيث يشاء.

وسمعت ابن سالم يقول: الإيمان أربعة أركان: ركن منه الإيمان بالقدر، وركن منه الإيمان بالقدر، وركن منه التبري من الحول والقوة، وركن منه الاستعانة بالله عز وجل في جميع الأشياء.

وسمعت ابن سالم رحمه الله وقيل له: ما معنى قولك الإيمان بالقدر؟ فقال: هو أن تؤمن - ولا ينكر قلبك - بأن يكون له عبد بالشرق ويكون من كرامة الله تعالى له أن يعطيه من القدرة وما يتقلب من يمينه على يساره فيكون بالمغرب يعني تؤمن بجواز ذلك وكونه.

والصحيح عن سهل بن عبد الله أنه كان يقول لشاب كان يصحبه : إن كنت تخاف من السبع بعد ذلك فلا تصحبنى .

ودخلت مع جماعة بتسترقصر سهل بن عبد الله رحمه الله ، فدخلنا في القصر بيتاً كان الناس يسمونه بيت السبع فسألناهم عن ذلك فقالوا : كان تجيء السباع إلى سهل بن عبد الله رحمه الله فكان يدخلها هذا البيت ويضيفها ويطعمها اللحم ثم يخفيها ، والله أعلم بذلك ، وما رأيت أحداً من صالحى أهل تستر يكر ذلك .

وسمعت أبا الحسين البصرى رحمه الله يقول : كان بعبادان رجل أسود فقير يروى الخرابات ، فحمت معى شيئاً وطالبتة ، فلما وقعت عينه على تبسم وأتسر بيده إلى الأرض ، فرأيت . يعنى الأرض كلها ذهباً تلمع ثم قال لى : هات ما معك . فناولته ما كان معى ، وهربت منه ، وهانى أمره .

وسمعت الحسين بن أحمد الرازى رحمه الله يقول : سمعت أبا سليمان الخوص رحمه الله يقول : كنت راكبا حماراً لى يوماً ، وكان يؤذيه الذئب فيطأ لى رأسه فكنت أضرب رأسه بخشبة كانت فى يدي ، فرفع الحمار رأسه إلى وقال : ضرب فإنك هو ذا تضرب على رأسك ، فقتل أبو عبد الله : فقتل لأبى سليمان : سليمان وقع لك ذلك أو سمعته ؟ فقال : سمعته يقول كما سمعنى .

وسمعت أحمد بن عطاء الروذبارى يقول : كان لى مذهب فى مصر الشهيرة فكانت ليلة من الليالى أستنجى - أو قال كنت أتوضأ - إلى أن مضى منى رُبْعاً ولم يطب قأبى فتجرت ، وبكيت ، وقلت : يارب العالمين ، ولم أر أحداً يقول : يا أبا عبد الله العفو فى العلم ، وكان عبد الله بن موسى بن فضال ، وكان يؤمن الأيام راكبا فى سارية فى النهر ، فأتى من تحتها قطعته ، فحل الشستكة ، وكان الذئب فيب ، فوقع النخس فى الدخلة ، وكان يندرج للضالة مجرب فكان يدعو به فوجد النخس فى وسط أوراى كان يصيح ، والذئب اللهم يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع على خذلتى ، قال : ثم أتى لى

أبو الطيب العكبي جزءاً اقد جمع فيه ذكر كل ضالة رد الله إلى من دعا بهذا الدعاء في مدة قليلة ، فنظرت فيه وكان أوراقاً كثيرة .

وسمعت حمزة بن عبدالله العكوي يقول: دخلت على أبي الخير التيناني وكنت قد اعتقدت في سرّي فيما بيني وبين الله تعالى أن أسلم عليه وأخرج ، ولا أتناول عنده طعاماً ، ثم دخلت فسلمت عليه وودعته وخرجت من عنده ، فلما تباعدت من القرية فإذا به وقد حمل معه طعاماً فقال لي : يا فتى ، كل هذا ، فقد خرجت لساعة من اعتقادك ، أو كلاماً هذا معناه .

وهؤلاء القوم مشهورون بالصدق والديانة ، وكل واحد منهم إمام مشار إليه في حاجته ، ومقتدى به في أحكام الدين ، فقد صدقهم المسلمون في أحكام دينهم ، وفيما شهدتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رووا عنه وأسندوا إليه من الأخبار والآثار ، ولا يجوز أن يكذبهم أحد ويتهمهم في هذه الحكايات وما يشبه ذلك ، وإذا كانوا صادقين في واحد ، ففي الجميع كفاك . وبالله التوفيق .

باب في حجة من أنكر كون ذلك من أهل الظاهر والحجة عليهم

في جواز ذلك للأولياء والفرق بينهم وبين الأنبياء

عليهم السلام في ذلك

قال الشيخ رحمه الله : قال أهل الظاهر : لا يجوز كون هذه الكرامات لغير الأنبياء عليهم السلام لأن الأنبياء مخصوصون بذلك ، والآيات والمعجزات والكرامات واحدة ، وإنما سُميت معجزات لإعجاز الخلق عن الإتيان بمثلها ، فمن أثبت من ذلك شيئاً لغير الأنبياء عليهم السلام فقد ساوى بينهم ولم يفرق بين الأنبياء وبينهم . قال الشيخ رحمه الله : من أنكر ذلك فإنما أنكرها احترازاً من أن يقع وهن في معجزات الأنبياء عليهم السلام ، وقد غلط قائل هذا القول لأن بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام في ذلك فرقاً من جهات شتى :

فوجه منها أن الأنبياء عليهم السلام مستعبدون بإظهار ذلك للخلق ، والاحتجاج بها على من يدعوهم إلى الله تعالى ، فمضى ما كنتموا ذلك فقد خالفوا الله تعالى في كتابها ، والأولياء مستعبدون بكتابان ذلك عن الخلق ، وإذا أظهروا من ذلك شيئاً للخلق لا تأخذ الجاه عندهم فقد خالفوا الله وعصوه بإظهار ذلك .

والوجه الآخر في الفرق بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام : أن الأنبياء عليهم السلام ينجون بمعجزاتهم على المشركين لأن قلوبهم فاسية لا يؤمنون بالله تعالى والأولياء ينجون بذلك على نفوسهم حتى تظلمن وتوقن ولا تحط بسوء حوز عندفوت الرزق لآثارها أماراة بالسوء ، جاحدة مشرقة ، محبوبة على الشك ، ليس عند يقين بما ضمن لها خالقها من الرزق وذكر القسم عليها .

وقد سألت ابن مالم عن ذلك فقلت له : ما معنى الكرامات وهم قد أكرموا حق تركوا الدنيا اختياراً ؟ فكيف أكرموا بأن يعمل لهم الحجارة ذهباً ، فوجه

ذلك ؟ فقل : لا يعطيهم ذلك قدرها ، ولكن يعطيهم ذلك حتى يحتجوا بكون ذلك على أنفسهم عند اضطرارها وجزعها من فوت الرزق الذي قسم الله لهم فيقولوا الذي يقدر على أن يصير لك الحجاره ذهباً كما هو ذا تنظر إليه ، أليس بقادر أن يسوق رزقك إليك من حيث لا تحسبه ؟ فيحتجوا بذلك على ضجيج نفوسهم عند فوت الرزق ، ويقطعوا بذلك حجج أنفسهم ، فيكون ذلك سبباً لرياضة نفوسهم وتأديباً لها .

وقد حكى لنا ابن سالم في معنى ذلك حكاية عن سهل بن عبد الله رحمه الله أنه قال : كان رجل بالبصرة يقال له إسحاق بن أحمد ، وكان من أبناء الدنيا ، فخرج من الدنيا - أعنى من جميع ما كان له - وتاب ، وصحب سهلاً رحمه الله فقل يوماً لسهل رحمه الله : يا أبا محمد ، إن نفسي هذه ليس تترك الضجيج والصراخ من خوف فوت القوت والقوام ، فقال له سهل رحمه الله : خذ ذلك الحجر وسل ربك أن يصيره لك طعاماً تأكله ، فقال له : ومن إمامي في ذلك حتى أفل ذلك ، فقال سهل : إمامك إبراهيم عليه السلام حيث قال : « رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تَوَّابِينَ » قَالَ : بَلَى وَلَئِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي » (١) .

فالمعنى في ذلك أن النفس لا تطمئن إلا برؤية العين لأن من جبلتها الشك ، فقال إبراهيم عليه السلام : أَرِنِي كَيْفَ تُطْمَئِنُّ نَفْسِي ، فأبى مؤمن بذلك ، والنفس لا تطمئن إلا برؤية العين .

فكذلك الأولياء يُظهر الله تعالى لهم الكرامات تأديباً لنفوسهم وتهذيباً لها ، وزيادة لهم ، ويكون في ذلك فرق بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام ، لأنهم

يُعْطَوْنَ المعجزة للاحتجاج بها في الدعوة ، والدلالة على الله تعالى ، والإقرار
بوحديته تعالى .

والوجه الثالث : في الفرق بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام لأن الأنبياء كما
زيدت معجزاتهم ، وكثرت ، يكون أتمّ لعانيهم وأثبتّ لقلوبهم كما كان
نبيّنا صلى الله عليه وسلم قد أعطى جميع ما أعطى الأنبياء عليهم السلام من المعجزات
ثم زيادة أشياء لم يعط أحد غيره مثل : المعراج ، وانشقاق القمر ، ونبع الماء
من بين أصابعه .

وشرح ذلك بطول ، ومقصودنا من ذلك أن الأنبياء عليهم السلام كما زيدت
من المعجزات يكون أتمّ لعانيهم وفضلهم ، وهؤلاء الذين لهم الكرامات من
الأولياء كما زيدت في كراماتهم يكون وجائبه أكثر ، وخوفهم أكثر حذراً أن
يكون ذلك من المكروه الخفيّ لهم والاستدراج ، وأن يكون ذلك نصيبهم من الله
عز وجل وسبباً ، استقوط منزلتهم عند الله عز وجل .

باب في الأدلة على إثبات الكرامات الأولياء ، وعلة قول من قال

لا يكون ذلك إلا للأنبياء عليهم السلام

قال الشيخ رحمه الله : والدليل على جواز ذلك ، الكتاب والأثر ، قال الله تعالى
« وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ تَسَاقُطُ عَلَيْكَ رُطْبًا خَمِيًّا » (١) ومريم لم
تكن نبياً .

١٧٠ . وحديث النبي صلى الله عليه وسلم في قصة جريج الراهب ، وكلام الصبي ، وجريج
لم يكن نبياً .

١٧١ . وقال النبي صلى الله عليه وسلم في قصة الغار : بينا ثلاثة يمشون إذ آواهم الليل إلى

١٧٢ . غار . الحديث ، وما روى عنه صلى الله عليه وسلم بينا رجل يمشى ومعه بقرة فركبها
فقال : يا عبد الله ما خفنا لهذا إنما خلقنا للحرث فقال القوم : سبحان الله فقال النبي
صلى الله عليه وسلم : آمنت به أنا وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما وليس هما في القوم ولم
يذكر أن الراكب للبقرة كان نبياً ، وكذلك حديث الذئب الذي كالم الراعي ، ولم
يذكر أنه كان نبياً .

١٧٣ . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن في أمتي مكنمون ومحدثون

١٧٤ . وإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه منهم » والمكتم والحدث أتم في معناه من جميع
الكرامات التي ذكر الله عز وجل على البدلاء والأولياء والصالحين ، وحديث عمر
رضي الله عنه أنه قال في خطبته : « يا سارية الجبل » فسمع صوته بالسكر على
باب نهاوند .

وقد روى في الحديث لعلي بن أبي طالب ولفاطمة رضي الله عنهما كرامات

١٧٥ وقد روى عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل ذلك أشياء مثل حديث أسيد بن حضير وعتاب بن بشير أنهما خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة فأضاء لهما رأس عصا أحدهما كالسراج ، على حسب ما روى في الخبر .

١٧٦ وحديث أبي الدرداء وسلمان الفارسي رضي الله عنهما أنه كان بينهما قصعة فسبحت حتى سمعا تسبيحها ، وقصعة العلاء بن الحضرمي حيث بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فخال بينهم وبين الموضع قطعة من البحر فدعا الله تعالى بهم الأعمام ومشوا على الماء كما جاء في الخبر ، وكذلك دعاؤه لما استقبله السبع .

١٧٧ وحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه حين اتى الجماعة الذين وقفوا على الطريق من خوف السبع فطرد السبع من طريقهم ثم قال : إنما يسلط على ابن آدم من يخفه ولو أن ابن آدم لم يخف شيئاً غير الله لم يسلط الله عليه شيئاً يخفه غيره ، ومثله في الأخبار كثير . والصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما قال : رب أنت أعلم بأغبر ذى طهرين لو أقسم على الله لأبرق سمه وإن البراء بن مالك منهم : ولا يكون في الكرامات شيء ، أتم من أن يقسم العبد على الله تعالى فيبرق سمه وقد قال الله عز وجل (ادعوني أستجب لكم) ولم يقل في شيء ، دون شيء .

وقد روى أيضاً لجمعة من التابعين بالأسانيد الصحيحة كرامات وإجابات بمثل ذلك ذكرها إن ذكرنا بعضها فكيف كايا؟! وقد صنّف العلماء في ذلك ما ذكره في هذا الكتاب مصنفات .

وقد روى أشياء في الحديث من الكرامات كثيرة من ذلك إمام بن عبد القيس وللحسن بن أبي الحسن البصرى ولإمام بن يسار ولثابت البناني وإصالح المرسي وإبراهيم بن عبد الله المزني ولأويس القرني ولهرم بن حيان ولأبي مسلم الخولاني وإصالة بن أشيم وللربيع بن خثيم ولداود الطائي ولطارف بن عبد الله بن الشيخير واسمعيدي بن المسيب

والعطاء السامي وغيرهم من التابعين ، وقد رووا عن كل واحد من هؤلاء وغير هؤلاء ،
كرامات كثيرة ، وإجابات وأشياء قد ظهرت لهم ، لا يتبها لأحد أن يدفع ذلك
نصحتها عند أهل الرواية ، وكذلك الطبقة أخرى بعدهم ، مثل مالك بن دينار وفرق قد
السخي وعتبه الغلام وحبیب العجمي ومحمد بن واسع ورابعة العدوية وعبد الواحد بن
زيد وأيوب السختياني وغير ذلك ممن كان في عصرهم . فإذا روى عنهم العلماء والأئمة
الذين كانوا في عصرهم وقد صح عنهم ذلك عندهم وقد حدثوا بها ، مثل أيوب
السختياني وحماد بن زيد وسفيان الثوري وغيرهم من الأئمة والثقات ولم ينكر
ذلك واحد منهم ، وهم أئمتنا في الدين . وبرواياتهم صح عندنا علم الحدود والأحكام
وعلم الحلال والحرام ، فكيف يجوز أن نصدقهم في بعض ما يروون ولا نصدقهم في
بعض ذلك ؟ !

وقد رأيت جماعة من أهل العلم جمعوا ما يشاكل هذا الذي ذكرنا من كرامات
الأولياء والإجابات والذي ظهر لهم في الوقت في هذا المعنى ، فذكروا أنهم قد جمعوا
في ذلك أكثر من ألف حكاية وألف خبر ، فكيف يجوز أن يقال : ذلك كله كذب
موضوع ؟ وإن صح من الجميع واحد فقد صح الكل فإن القليل والكثير في ذلك
سواء ، والذي يحتج بأن الذي كان قبل النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ذلك كان
إكراماً لنبى ذلك الزمان الذي كان ذلك في وقته والذي كان لأصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان ذلك إكراماً للنبي صلى الله عليه وسلم فيقال له : فالذي كان
أيضاً للتابعين ولمن بعدهم وما يكون من مثل ذلك إلى يوم القيامة من الكرامات
فكل ذلك إكراماً للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه أفضل الأنبياء عليه السلام وأُمَّته
خير الأمة .

وكما استحال أن يكون لنبى من الأنبياء عليهم السلام شىء من المعجزات
إلا وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم من مثل ذلك أو أتم من ذلك وأكثر .

فكذلك يستحيل أن يكون في الأمم السالفة لقوم منهم شيء من الكرامات إكراماً
لأنبيائهم إلا ويكون في أمة محمد صلى الله عليه وسلم أيضاً لطائفة منهم أكثر من
ذلك إكراماً لمحمد صلى الله عليه وسلم معاً إن في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من
لا يرى ذلك حالاً ولا مرتبةً ولا كرامةً ويرى ذلك اختباراً ومحنةً موضوعةً
على طرق أصفينائه والمخصوصين من أوليائه ، فهم يخشون من ذلك إذا ظهروا لهم سقوط
منزلاتهم عند الله تعالى ونكوصهم على عقبهم ونزولهم عن درجاتهم ولا يعدون من
ركن إلى ذلك ورضى به حالاً أنه من أهل الخصوص ، ونحن نذكر في ذلك باباً
نبين فيه ذلك إن شاء الله . وإنما أردنا بذلك جواز كونه وبطلان قول من زعم
أن كون ذلك غير جائز في الأمة .

باب في ذكر مقامات أهل الخصوص في الكرامات
وذكر من ظهر له شيء من الكرامات فكره ذلك

وخشى من الفتنة

قال الشيخ رحمه الله : ذكر عند سهل بن عبد الله رحمه الله الكرامات فقال :
وما الآيات وما الكرامات شيء تنقضي لوقتها ، ولكن أكبر الكرامات أن تبدل
خلقاً مذموماً من أخلاق نفسك بخلق محمود :

وعن أبي يزيد البسطامي رحمه الله أنه قال : كان في بدايتي يريني الحق الآيات
والكرامات فلا ألتفت إليها ، فلما رأني كذلك جعل لي إلى معرفته سبيلاً .

وقيل لأبي يزيد رحمه الله : فلان يقال : إنه يمر في ليلة إلى مكة فقال : الشيطان يمر
في لحظة من المشرق إلى المغرب وهو في لعنة الله ، وقيل له : إن فلاناً يمشي على الماء
فقال : الحيتان في الماء والطير في الهواء أعجب من ذلك .

سمعت طائيفور بن عيسى يقول : قال موسى بن عيسى قال أبي : قال أبو يزيد رحمه
الله : لو أن رجالاً بسطوا مصلاه على الماء وتربع في الهواء ، فلا تغفروا به حتى تنظروا كيف
تجدونه في الأمر والنهي .

قال الجنيد رحمه الله : حجب قلوب الخاصة المختصة برؤية النعم والتلذذ بالعطاء
والسكون إلى الكرامات .

سمعت ابن سالم يقول : سمعت أبي يقول : كان رجلٌ يصحب سهل بن عبد الله
رحمه الله يقال له عبد الرحمن بن أحمد فقال يوماً لسهل : يا أبا محمد ، ربما أتوضأ
للصلاة فيسيل الماء من يدي ، فيصير قضبان ذهب وفضة ، فقال له سهل :
يا حبيبي أما علمت أن الصبيان إذا بكوا يبأولون خشخاشةً حتى يشغلوا بها .
فانظر أيش هو ذا تعمل .

وفيما حكاه جعفر الخلدی رحمه الله قال : حدثني أبو بكر الكتاني قال :
قال لي أبو الأزهر وغير واحد من إخواننا حكى عن أبي حمزة قال : اجتمعوا علي
باب يفتحونه فلم يفتح لهم ، قال أبو حمزة : تنجروا ، فأخذ الغاق بيده فحركه
فقال : بكذا إلا فتحته ، فانفتح الغاق .

وذكر عن النوري رحمه الله أنه وافى ليلةً إلى الدجلة قال : فوجدتها وقد انزف
الشط بالشط قال : فقلت : وعزتك لا عبرتها إلا في زورق .

وحكى عن أبي يزيد البسطامي رحمه الله أنه قال : دخل علي أبو علي السدي
رحمه الله وكان أستاذه وكان معه جراب فصبه بين يدي فإذا هو ألوان الجواهر
فقلت له ، من أين لك هذا ؟ قال : وافيت وادياً هاهنا فإذا هي تضيء كالسراج
فحملت هذا منها قال فقلت له : كيف كان وقت ورود الوادي ؟ قال : كان
وقتي وقت فترة عن الحال الذي كنت فيه قبل ذلك ، وذكر الحكاية
والمعنى في ذلك : أن في وقت فترة شغلوه بالجواهر .

قال : أملي علينا أحمد بن علي الوجيهي بالرمية حكاية عن محمد بن يوسف السدي
قال : كان أبو تراب النخشي رحمه الله صاحب كرامات فسفرت معه سنة فاجتمع معه
أربعون رجلاً وكان يظهر لهم من الإرقاق ما شاء الله ول : ثم دفع أبو تراب
رحمه الله علي الطريق وعدلنا فلم يبق معنا إلا شب نحيل فقال أبو تراب : ليس
فيهم أقوى إيماناً من هذا قال : فسیرنا أيها واحتجنا إلى طوعنا ، قال : فسير
أبو تراب عن الطريق ساعة ثم جاء ومعه عذق من التوت ، فجمع بين التوت
ونحن في وسط الرمال ، قال : فجد أبو تراب بهذا العتيق كل من ذلك التوت
فلم يأكل ، فقلنا له : لم لا تأكل ؟ قال : الحال الذي أعنقده في بين وبين الله
تعالى ترك المعلومات وأنت قد صرت معونى ، فلا أصحبك من بعد ذلك ،
قال محمد بن يوسف : قات لأبي تراب رحمه الله : إن شئت أعز من عليه .

وإن شئت أتركه ، فقال له أبو تراب : كن مع ما وقع لك من ذلك . أو كما قال ،
والله أعلم .

سمعت ابن سالم يقول : لما مات إسحاق بن أحمد دخل سهل بن عبد الله
صومعته فوجد فيها منقوشاً فيه قارورتان ، في واحدة منهما شيء أحمر ، وفي الأخرى
شيء أصفر ، ووجد شوشقة ذهب وشوشقة فضة ، قال : فأمر أبي حتى رمى
بالشوشقتين في الدجلة وخلط ما في القارورتين بالتراب ، وكان على إسحاق بن أحمد
دين ، قال ابن سالم : قال أبي : قلت لسهل رحمه الله : أيش كان الذي
في القارورتين ؟ قال : أما الأحمر فلو طرح وزن درهم منه على مثاقيل من النحاس
صار ذهباً ، وأما الأصفر فهو طرح وزن درهم منه على مثاقيل من النحاس لصار
فضة ، والشوشقتان كانت تجربة قال : فقلت له : أيش منه من أن يعمل ذلك ويؤدى
دينه ؟ قال : خاف على إيمانه ، قلت أنا لابن سالم : فلو أدى من ذلك دينه سهل
بن عبد الله رحمه الله ألم يكن أولى من إفساده ؟ فقال ابن سالم : كان سهل رحمه
الله أخوف على إيمان نفسه ، ثم قال : منعه من ذلك الورع ، لأن ذلك يتغير بعد
سبعين سنة .

وذكر عن أبي حفص أو عن غيره أنه كان جالساً وحواله أصحابه ، قال : فنزل
ظلي من الجبل وبرك عندهم ، قال : فبكى أبو حفص أو الشيخ وسبب ذلك الظبي
فسأل عن بكائه فقال : كنتم حولي فوقع في قلبي أن لو كان لي شاة لذبحت لكم
فما برك هذا الظبي عندنا شبيت نفسي بفرعون حين سأل الله تعالى أن يجرى معه
النيل فأجراه ، فبكيت وسألته الإقالة مما تمنيت وسببت الظبي .

وقال بعض المشايخ : لا تعجبوا ممن لم يضع في جيبه شيئاً فدخل يده
فيخرج من جيبه ما يريد ، ولكن تعجبوا ممن وضع في جيبه شيئاً فدخل يده في
جيبه فلا يجده ، فلا يتغير .

قال ابن عطاء : سمعت أبا الحسين النورى يقول : كان فى نفسى من هذه الكرامات شىء ، فأخذتُ قَصَبَةً من الصبيان وقتت بين زورقين ثم قلت : وعزتك لئن لم تخرج لى سمكة فيها ثلاثة أرطال فلا أُغرقنَّ نفسى ، قال : فخرج لى سمكة فيها ثلاثة أرطال ، قال : فبلغ ذلك الجنيد رحمه الله فقال : كان حُكْمَهُ أن يخرج له أفعى تلدغه ، يعنى لو لدغته حيةٌ كان أنفعَ له فى دينه من ذلك لأن فى ذلك فتنة ، وفى لدغ الحية تطهير وكفارة .

قال يحيى بن معاذ رحمه الله : إذا رأيتَ الرجل يشير إلى الآيات والكرامات فطريقه طريق الأبدال ، وإذا رأيتَه يشير إلى الآلاء والنعماء فطريقه طريق أهل المحبة وهو أعلى من الذى قبيلُ ، وإذا رأيتَه يشير إلى الذِّكْرِ ويكون معلقاً بالذِّكْرِ الذى ذكره ، فطريقه طريق العارفين وهو أعلى درجة من جميع الأحوال .

باب في ذكر من كان له شيء من هذه الكرامات فأظهرها
لأصحابه لصدته وطهارته وسلامة قلبه وصحته

قال الشيخ رحمه الله : أخبرني جعفر الخلدي رحمه الله فيما قرأت عليه قال :
حدثني الجنيد رحمه الله قال ، دخلت على سري السقطي رحمه الله يوماً فقال لي :
أعجبك من عصفور يحيى ، فيسقط على هذا الرواق فأخذ ثمرة فأفتشها في كفي فيسقط
على أطراف أنامله فيأكل . فلما كان في وقت من الأوقات سقط على الرواق ففتت
الخبر في يدي فلم يسقط على يدي كما كان قبل ذلك ففكرت في سبب العلة في
وحشته عني فذكرت أني أكلت ملحاً بأبزار فقلت بسري : أنا تيب من الملح
المضيب فسقط على يدي فأكل وانصرف .

وعن أبي محمد المرعشي ، قال : سمعت إبراهيم الخواص رحمه الله يقول تهت
في البادية أياماً فإذا بشخص وافاني ، فقال لي : السلام عليك ، فقلت : وعليك السلام
فقال : تهت ؟ فقلت نعم ، فقال لي : ألا أدلك على الطريق ؟ فقلت : نعم ، قال : فمشي
بين يدي خطوات وغاب عن عيني فإذا أنا على الجادة ، ومنذ فارقت الشخص ما تهت
ولا أصابني الجوع ولا العطش .

وفي حكاية جعفر الخلدي عن الجنيد رحمه الله ، قال : جاءني أبو حفص
اليسابوري رحمه الله مرةً ومعه عبد الله الرباطي رحمه الله وجماعة
وكان فيهم رجل أصلع قليل الكلام ، فقال يوماً لأبي حفص رحمه الله : قد كان
فيمن مضى ، لهم الآيات الظاهرة - يعني به الكرامات - وليس لك شيء من ذلك
فقال : له أبو حفص رحمه الله : تعال ، فجاء به إلى الحدادين إلى كور عظيم محمي ، فيه
حديدة عظيمة فأدخل يده في الكور فأخذ الحديدة الموحاة فأخرجها فبردت في يده
فقال له : يجزيك هذا ، فسئل بعضهم عن معنى إظهار ذلك من نفسه فقال : كان

مُشْرِفًا عَلَى حَالِهِ فَخَشِيَ عَلَى حَالِهِ أَنْ يَتَغَيَّرَ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يُظْهَرِ ذَلِكَ لَهُ فَخَصَّهُ بِذَلِكَ شَفَقَةً عَلَيْهِ وَصِيَانَةً لِحَالِهِ وَزِيَادَةً لِإِيْمَانِهِ .

وَحُكِيَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ شَيْبَانَ أَنَّهُ كَانَ فِي حَدَاثَتِهِ يَصْحَبُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْمَغْرِبِيَّ قَالَ : فَبِعَثْنِي يَوْمًا إِلَى مَوْضِعٍ أَحْمَلُ لَهُ الْمَاءَ قَالَ : فَوَافَيْتُ الْمَاءَ وَإِذَا أَنَا بِالسَّبْعِ قَدْ قَصِدُ الْمَاءَ قَالَ : فَالْتَقَيْنَا جَمِيعًا فِي مَضِيقٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَاءِ قَالَ : فَكُنْتُ مَرَّةً أَرَا حِمِيَّ وَمَرَّةً يَرَا حِمِيَّ حَتَّى سَبَقْتُهُ وَوَصَلْتُ إِلَى الْمَاءِ قَبْلَهُ ، وَعَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ السَّامِيِّ ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى ذِي النُّونِ الْمِصْرِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ فَرَأَيْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ طِشْتًا مِنْ ذَهَبٍ وَحَوْلَهُ النَّدَّ وَالْعَنْبِرَ يُسَجَّرُ ، فَقَالَ لِي . أَنْتَ مَنْ يَدْخُلُ عَلَى الْمَوَكِّ فِي أَوْقَاتِ سَطْوَتِهِمْ ثُمَّ أَعْطَانِي دَرَاهِمًا فَأَنْفَقْتُ مِنْهُ إِلَى بَلَدِي ، وَحُكِيَ عَنْ ذِي النُّونِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ رُبَّمَا يَقْضِمُ الشَّعِيرَ قِضْمًا مِثْلَ الدُّوَابِّ ، وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخِرَازِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ ، قَالَ : كَانَ حَالِي مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَطْعَمَنِي فِي كُلِّ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، قَالَ : فَدَخَلْتُ الْبَادِيَةَ فَمَضَى عَلَيَّ ثَلَاثَةٌ مَا طَعَمْتُ شَيْئًا ، فَأَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الرَّابِعَ وَجَدْتُ ضَمْفًا فَجَلَسْتُ مَكَانِي وَهَذَا أَنَا بِهَاتِفٍ يَقُولُ : يَا أَبَا سَعِيدٍ أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ سَبَبٌ أَوْ قُوَى ؟ قَالَ : فَصَحْتُ وَقَوْلِي لَا . إِلَّا الْقُوَى ، فَتَمَّتْ مِنْ وَقْتِي ، وَقَدْ اسْتَقَلَّتْ فُشِيَّتْ بَعْدَ ذَلِكَ ثَمَا عَشْرًا وَمَا طَعَمْتُ شَيْئًا ، وَلَا وَجَدْتُ أَلْمًا لِذَلِكَ .

وَعَنْ أَبِي عَمْرِو الْأَعْمَاطِيِّ قَالَ : كُنْتُ مَعَ أُسْتَاذِي فِي الْبَادِيَةِ فَأَخَذَ الْمَطَرُ مَدْخَلَ مَسْجِدًا نَكِنُ فِيهِ مِنَ الْمَطَرِ ، وَكَانَ فِيهِ خَشَبٌ فِي سَقْفِهِ ، فَصَعِدْتُ أَنْ يَنْصَلِحَهُ وَكَانَتْ مَعَنَا خَشْبَةٌ فَذَهَبْنَا لِنَجْعَلَهَا عَلَى الْحَائِطِ فَتَقَصَّرَتْ قَدَمَاتُنَا فِي الْمَطَرِ مَدًّا ، فَدَدَمْنَا فَرَكِبْتُ الْحَائِطَ مِنْ هَاهُنَا وَمِنْ هَاهُنَا ، قَالَ عَمْرُو بْنُ أَبِي عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : أَيُّهَا الشَّيْخُ رَأَيْتَكَ يَوْمَ أَمْسٍ وَقَدْ بَعَثَ الْبُرْقُوقُ بِمَدْرِيٍّ فَجِئْتُ خَلْفَكَ فَخَالَتُهُمَا مِنْ طَرَفِ إِزَارِكَ وَقَدْ حَمَلَتْ يَدِي مَمْتَصِعَةً عَلَى أَبِي . قَالَ : فَضَعْتُكَ وَأَوْمَى بِيَدِهِ إِلَى يَدِهِ فَفَتَحَهَا ثُمَّ قَالَ : لَمْ يَنْصَلِحْ وَالْمَطَرُ بِهِ مَمْتَصِعٌ لِحَمَلِكَ وَلَا تَعُدُّ لِمِثْلِ ذَلِكَ .

باب في ذكر الخصوص وأحوالهم التي لاتعد من الكرامات

وهي في معانيها أتم وألطف من الكرامات

قال : سمعت طلحة العصائدي البصري بالبصرة يقول : سمعت المتحفي صاحب سهل بن عبد الله ، رحمه الله يقول : كان سهل بن عبد الله يصبر عن الطعام سبعين يوماً وكان إذا أكل ضعف ، وإذا جاع قوى .

وعن أبي الحارث الأولاسي رحمه الله أنه قال : مكثت ثلاثين سنة ما سمع لساني إلا من سرى ثم حالت الحال فمكثت بعد ذلك ثلاثين سنة لا يسمع سرى إلا من لساني .

وعن أبي الحسن المزين قال : كان أبو عبّيد البصري رحمه الله ، إذا كان أول يوم من رمضان يدخل البيت ويقول لامرأته : طيني عليّ الباب وأتني لي كل ليلة رغيفاً في الكوة فإذا كان يوم العيد رفس الباب ودخلت امرأته البيت فإذا بالثلاثين رغيفاً موضوعة في زاوية البيت فلا أكل ولا شرب ولا تهيأ للصلاة ولا فاته ركعة من صلاة .

وحكى عن أبي بكر محمد بن عليّ الكتاني رحمه الله قال : ما استودعت قط قلباً شيئاً فخاني .

وعن أبي حمزة الصوفي قال : دخل عليّ رجل من أهل خراسان فسأني عن الأمن ، قال : فقلت له : أعرف من لو كان علي يمينه سبع وعلى يساره منسورة ما ميز علي أيهما يتكىء ، قال : فقال الرجل : هذا علم ، هات حقيقةً لجواب مسألتني قال : فسكت ، قال : فخذها يا أبا بذر بنحت ، أعرف من لو خرج من المغرب يريد المشرق ما تغير عليه سرّه بين ذلك . قال أبو حمزة : فبقيت أربعين يوماً و ليلة لم آكل ولم أشرب ولم أنم حتى تبين لي علم ما قال .

وسمعت أبا عمرو بن علوان يقول: كان شاب يصحب الجنيد رحمه الله، وكان له قلب فطن، وربما يتكلم بخواطر الناس، وما يعتقدون في سر أروهم. فقيل للجنيد ذلك، فدعاه وقال: أيش هذا الذي يبلغني عنك؟ فقال: لا أدري، ولكن اعتقد في قلبك ما شئت، قال الجنيد رحمه الله: اعتقدت، فقال الفتى: اعتقدت كذا وكذا، فقال الجنيد رحمه الله: لا، فقال: اعتقد مرة أخرى، فقال الجنيد رحمه الله: اعتقدت، فقال الشاب: هو كذا وكذا، فقال الجنيد رحمه الله: لا، قال: فاعتقد ثالثاً، فقال الجنيد رحمه الله: اعتقدت، فقال الشاب: هو كذا وكذا. فقال الجنيد رحمه الله: لا، فقال الشاب: هذا والله عجيب أنت عندي صادق. وأنا أعرف قلبي وأنت تقول لا.

قال: فتبسم الجنيد رحمه الله ثم قال: صدقت يا أخي في الأول وفي الثاني وفي الثالث، وإنما أمتحنك هل تتغير عما أنت عليه.

وعن جعفر الخادي رحمه الله: قال: سمعت جنيداً رحمه الله يقول: دخل حارت المحاسبي رحمه الله داري فلم يكن عندي شيء، طيب أطعمه، قال: فضيت بي شراً عني فأخرجت منها شيئاً وحمات أقمت ففتح فمد فجعلت في فم فكان يقول من جانب إلى جانب ولا يتناغم ثم قام وخرج فاتقه في الدهان فذهبت خالته وفتت: يا عمي رأيتك لم تبقلع ثم قت وأتميته في الدهان قال: نعم بئى وذلك أن بئى والله تعالى أنه إذا كان شيء من غير وجه لا يهيا إلى بئى، فبئى في الدهان في لإدخال السرور عليك ولم يهيا إلى أن أبلعه فتمت فأتميته في الدهان.

وعن أبي جعفر الحداد أنه قال: أشرف على أبي تراب رحمه الله في المدينة وأراد جالس على بركة، ولي ستة عشر يوماً لم أكل ولم أشرب من البركة الماء وأراد أن يسأل فقال لي: ما جلوسك هاهنا؟ فقلت: أنا بين العلم واليقين أنتظر من يغيب به في الدنيا معه قال: سيكون لك شأن.

قال أبو عبد الله الحصري رحمه الله: رأيت إنساناً (يعني من الصوفية) مكث سبع سنين لم يأكل الخبز، ورأيت رجلاً مكث سبع سنين لم يشرب الماء، ورأيت رجلاً إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة جفت، وعن جعفر المبرقع أنه قال: منذ ثلاثين سنة ما عقدت مع الله عقداً مخافة أن يفسخ ذلك فيكذبني على لساني .

وقال أبو بكر الزقاق رحمه الله: سافرنا مع إسماعيل السدوسي فوق من رأس جبل فكسرت قصبة ساقه فبكيينا فقال: مالك؟ لا تغتموا إنما هو ساق من قطعة طين فإذا جف فر كنهه .

ومثل ذلك في الحكايات كثيرة، وما لم نذكره أكثر، وجميع ذلك أحسن معاني وأنطف من الكرامات التي ذكرناها، وفي ذلك كفاية لمن عقل وأنصف وفهم .

كتاب البيان عن المشكلات

باب في شرح الألفاظ الجارية في كلام الصوفية

مثل قول القائل الحق بالحق للحق، ومنه به له، والحال والمقام والمكان،
 والوقت، والبادي، والبادي، والوارد، والخاطر، والواقع، والقادح، والعارض،
 والقبض، والبسط، والغيبية، والحضور، والصحو، والشكر، وصفو العبد،
 والمجوم، والغليات، والفناء، والبقاء، والمبتدى، والمريد، والمراد، والوجد،
 والتواجد، والنساكن، والمأخوذ والمستتب، والدهشة والحيرة والتحير، والطوال،
 والطوارق، والكشف والمشاهدة، واللوائح والوامع، والحق والحقوق والتحقيق
 والتحقق والحقيقة والحقائق، والخصوص وخصوص الخصوص، وإشاعة
 والإيماء، والرمز والصفاء، وصفاء الصفاء، والزوائد والفوائد، والشاهد
 والمشهود، والموجود، والمنقود، والمعدوم، والجمع، والتفرقة، والشطاح، والصوت،
 والذهاب، وذهاب الذهاب، والنفس والحس، وتوحيد العامة، وتوحيد الخاص
 والتفريد والتفريد.

وهم مفرد، ومر مجرد، والاسم، والرسم، والوسم، والخدعة، والبرهان،
 والمسامرة، ورؤية القلوب، والروح والروح، والعت والصفاء، والانس والحب،
 والدعوى، والاختيار، والبلاء، والاسان، والسر، والعقد، ونسيم، والاشارة،
 والمجو، والمحق، والأثر، والكون، واليكون، والوصول، والفصل، والاصل،
 والفرع، والطمس، والرمس، والدمس، والسبب، والنسبة، وصاحب قلب،
 ورب حال، وصاحب مقام، وفلان بلا نفس، وفلان صاحب إشارة،

وَأَنَا بِلَا أَنَا ، وَنَحْنُ بِلَا نَحْنُ ، وَأَنْتَ أَنْتَ ، وَأَنَا أَنَا ، وَأَنْتَ أَنْتَ ،
 وَهُوَ بِلَا هُوَ ، وَقَطْعُ الْعَلَاتِقِ ، وَبَادِي بِلَا بَادِي ، وَالتَّجَلَّى ، وَالتَّخَلَّى ، وَالتَّحَلَّى ،
 وَالْعَنَّةُ وَالْأَزَلُ وَالْأَبَدُ وَالْأَمَدُ ، وَوَقْتُ مُسَرِّمِدٍ ، وَبَحْرِي بِلَا شَاطِي ، وَنَحْنُ
 مُسَيَّرُونَ ، وَالتَّلْوِينُ ، وَبَذَلُ الْمُسَهِّجِ ، وَالتَّلْفُ ، وَاللَّجَأُ ، وَالانزِعَاجُ ، وَجَذْبُ
 الْأَرْوَاحِ ، وَالْوَطْرُ ، وَالْوَطَنُ ، وَالشَّرُودُ ، وَالْقَصُودُ ، وَالْإِصْطِنَاعُ ، وَالْإِصْفَاءُ ،
 وَالْمُسَخُّ ، وَاللَطِيفَةُ ، وَالْإِمْتِحَانُ ، وَالْحَدِثُ ، وَالسَّكَلِيَّةُ ، وَالتَّلْمِيْسُ ، وَالشَّرْبُ ،
 وَالذَّوْقُ ، وَالْعَيْنُ ، وَالْإِصْطِلَامُ ، وَالْحَرِّيَّةُ ، وَالرَّيْنُ ، وَالنَّعْسُ ، وَالْوَسَائِطُ ،
 وَمَا يَشَأُ كُلُّ هَذِهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ .

باب بيان هذه الألفاظ

قال الشيخ رحمه الله : وأما معنى قولهم « الحق بالحق للحق » فالحق هو الله عز وجل ، وفي التفسير عن أبي صالح في قوله عز وجل : « وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ » (١) قال : الحق هو الله تعالى .

قال أبو سعيد الخزاز ، رحمه الله ، في بعض كلامه : عبدٌ موقوفٌ مع الحق بالحق للحق ، يعني موقوف مع الله بالله ، وكذلك « منه به له » يعني من الله بالله ، وربما يكون في مواضع يعني به ما يكون من اكتساب العبد بالعبد . كما قال أبو يزيد رحمه الله : قال لي ، أبو علي السندي : كنت في حل مني بي لي ، ثم صرت في حل منه به له .

والمعنى في ذلك أن العبد يكون ناظراً إلى أفعاله ويُضيف إلى نفسه فعله فيزول غلب على قلبه أنوار المعرفة يرى جميع الأشياء من الله قائماً بالله معبوداً مردوداً إلى الله ، والحال نازلة تنزل بالعبد في حين ، فيحل بقلب من وجود الرضا والتفويض وغير ذلك ، فيصفونه في الوقت في حاله ووقته ويرون ، ويرون كما قال : الجنيد رحمه الله .

وعند غيره ، الحال : ما يحل بالأسرار من صفاء الأذكار ولا يزول ، فإذا كان حالاً يكون ذلك حلاً .

و « المقام » هو الذي يقوم بالعبد في الأوقات مثل مقام الصبر والوحدانية وغير ذلك . مقام العبد بظاهره وبباطنه في هذه المقامات والمجاهدات والإبراهيم ، هي مقام العبد في شيء منه على التمام فهو مقامه حتى ينتقل منها إلى مقام آخر كما ذكرته في باب المقامات والأحوال .

(١) المؤمنون : ٧١

و «المكان» هو لأهل الكمال والتمكين والنهاية، فإذا كمل العبد في معانيه تمسكن له المكان لأنه قد عمه المقامات والأحوال فيكون صاحب مكان، قال بعضهم :
مكانك من قلبي هو القلبُ كاهُ فليس شيء فيه غيرك موضعُ
و «المشاهدة» بمعنى المداناة، والمحاضرة، والمكاشفة والمشاهدة، تتقاربان في
المعنى إلا أن الكشف أتم في المعنى.

قال عمرو بن عثمان المكي رحمه الله: أول المشاهدة زوايد اليقين سطعت بكواشف
الخضور غير خارجة عن تغطية الغيب وهو التماس القلب دوام المحاضرة لما وارته
الغيوب، قال الله تعالى: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى
السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (١)» يعني حاضر :
و «اللوائح» ما يلوح للأسرار الظاهرة لزيادة السمو والانتقال من حال إلى حال
أعلى من ذلك.

قال الجنيد رحمه الله: لقد فاز قوم دلتهم وليتهم على مختصر الطريق فأوقفهم على
محجة المناجاة ولوح لهم على فهم الدعوة إلى المسارعة بالمناسبة إلى فهم الخطاب إذ
يقول جل وعز «وَسَارِعُوا إِلَى مَنِّفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ (٢)» فهضت العقول مستجيبة
بحسن التوجه لإقامة ما به يحظون عنده.

و «اللوامع» معناد قريب من «اللوائح» وهو مأخوذ من لوامع البرق إذا لمعت في
السحب طمع الصدى والعتشان في المطر.

قال عمرو بن عثمان المكي رحمه الله: إن الله تعالى يورد في صفاء الأوهام مثل
لوامع البرق بعضها في إثر بعض ويبدى ذلك لقلوب أوليائه بلا توهم بأصل ما عقدت
عليه القلوب من التصديق والإيمان بالغيب وما بدا للقلوب لوامعه من زيادة النور
حتى لا يتمكن النفوس توهم ذلك النور في صفاء الأوهام ونو توهمت انقطع ذلك،
وقال القائل:

(٢) آل عمران : ١٣٣

(١) ق : ٣٧

واغترَّ ذُو دَلْمَعٍ بِأَمْعٍ سَرَابٍ

و«الحق» هو الله عز وجل قال الله عز وجل: «وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ» (١).

والحقوق معناه الأحوال والمقامات والمعارف والإرادات والقصود والمعاملات والعبادات، قال الطيالسي الرازي رحمه الله: إذا ظهرت الحقوق غابت الحظوظ، وإذا ظهرت الحظوظ غابت الحقوق:

ومعنى «الحظوظ» حظوظ النفس والبشرية لا تجمع مع الحقوق لأنهما ضدان لا يجتمعان.

والتحقيق تكف العبد لاستدعاء الحقيقة جديده وطاقته.

قال ذو النون رحمه الله: قلت لبعض الحكماء الذين تقيهم: لم وقف سالك الطريق في كبد فجاج المضيق؟ فقال: من ضعف دعائم التصديق وأخذ القلوب بالتحقيق.

و«التحقق» معناه معنى التحقيق وهو مثل التعلم والتعظيم، و«حقيقة» اسم و«الحقائق» جمع الحقيقة، ومعناه وقوف القلب بدوام لا يتصب بين يدي من آمن به، فلو دخل

القلوب شك أو تخيلة فيما آمنت به حتى لا تكون به واقفة وبين يديه متصبية لبطل الإيمان وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم لحارثة: «كل حق حقيقة» ١٨٠
وقال: «عزفت نفسي عن الدنيا فأنهت نبي وأخذت بهزي وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً» و«كأني» يعبر عن مشاعرة قلبه ودوام وقوفه أمامه بين يدي الله تعالى لما آمن به حتى كأنه رأى العين.

قال الجنيد رحمه الله: أبت الحقائق أن تدع القلوب مقابلة لها بل.

و«الخصوص» أهل الخصوص هم الذين خصهم الله تعالى من عامة المؤمنين بالحقائق والأحوال والمقامات، وخصوص الخصوص هم أهل التأييد والتجريد التام ومن

(١) النور: ٢٥ ونص الآية: يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين.

عبر الأحوال والمقامات وسلكها وقطع مفاوزها، وقال الله عز وجل « وَمِنْهُمْ مَّقْتَصِدٌ
 وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ » (١) فالمقتصد خصوص والسابق خصوص الخصوص .
 حكى عن الشبلي رحمه الله أنه قال : قال لي الجنيد رحمه الله : يا أبا بكر
 ما ظلمك بمعنى خصوص الخصوص فيما تجرى إليه من القول عموم ثم قال : خصوص
 الخصوص في نعت الإيماء إليه عموم .

و«الإشارة» ما يخفى عن المتكلم كشفه بالعبارة للطلافة معناه .

قال أبو علي الروذباري ، رحمه الله : علمنا هذا إشارة فإذا صار عبارة خفي ،
 و«الإيماء» إشارة بحركة جارحة .

قال الجنيد رحمه الله : جلست عند ابن الكُرَيْبِيِّ فَوُصِّيتُ بِرَأْسِي إِلَى الْأَرْضِ
 فَقَالَ : بَعْدُ . ثُمَّ أُوصِيْتُ بِرَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ : بَعْدُ ، وَقَالَ الشَّبَلِيُّ : رَحِمَهُ اللَّهُ مَنْ
 أُوصِيَ إِلَيْهِ فَهُوَ كَمَا بَدُوْنُ لِأَنَّ الْإِيْمَاءَ لَا يَصْلِحُ إِلَّا إِلَى الْأَوْثَانِ ، وَقَالَ الْقَاتِلُ :

وَيْ عِنْدَ اللَّقَاءِ وَفِيهِ عَسْبٌ بِإِيْمَاءِ الْجَفُونِ إِلَى الْجَفُونِ

فَأُيِّمَتْ خَيْفَةٌ وَأَذُوبٌ خَوْفًا وَأُفِيْعِي عَنْ حِرَاكٍ أَوْ سَكُونِ

و«الرمز» معنى باطن مخزون تحت كلام ظاهر لا يظفر به إلا أهلُه ، قال القنَادُ :
 إِذَا نَطَقُوا أَعْجَزُكَ مَرْمِي رُمُوزِهِمْ وَإِنْ سَكْتُوا هَيَّبَتْ مِنْكَ اتِّصَالَهُ

وقال بعضهم : من أراد أن يقف على رموز مشايخنا فلا ينظر في مكاتباتهم

ووسائلاتهم ، فإن رموزهم فيها لا في مصنفاتهم .

و«الصفاء» ما خالص من مازجة الطبع ورؤية الفعل من الحقائق في الحين قال الجري

رحمه الله : ملاحظة ما صفا بالصفاء جفاء ، لأن موه مازجة الطبع ورؤية الفعل .

قال ابن عطاء رحمه الله : لا تغتروا بصفاء العبودية ، فإن فيها نسيان الربوبية ، لأنها

مازجة بالطبع ورؤية الفعل ، والله أعلم .

وسئل الکتانی رحمه الله : عن الصفاء فقال : مزايلة المذمومات .

وسئل عن «صفاء الصفاء» فقال : مزايلة الأحوال والمقامات والدخول إلى النهايات ،

« وصفاء الصفاء » إبانة الأسرار عن المحدثات لمشاهدة الحق بالحق على الاتصال بلا علة قال القائل :

صفوُ الصفا في صفوهِ إذعان و صفاؤهُ في كونه إيقانُ
 من بان بين ما أبان به له حقّ البيان بواضح التبيانُ
 هذا حقيقة وجد من وجدِه ولو جدِه هل فوق ذلك بيانُ

و « الزوايد » زيادات الإيمان بالغيب واليقين كلما ازدادت الإيمان واليقين زاد الصدق والإخلاص في الأحوال والمقامات والإرادات والمعاملات .

قال عمرو بن عثمان المكي رحمه الله : زوائد اليقين إذا سطعت بكواشف الحضور عن تغطية القلوب وإوارته للغيوب ، والمنوائد تحف الحق لأهل معاملته في وقت الخدمة بزيادة القيم للتنعم به .

قال أبو سليمان الداراني رحمه الله : رأيت الفوائد ترد في ظلم الليل .

و « الشاهد » ما يشهدك بما غاب عنك ، يعني يحضر قلبك لوجوده ، قال القائل :

وفي كل شيء له شاهد يدل على أنه واحد

و « الشاهد » أيضاً بمعنى الحاضر .

وسئل الجنيد رحمه الله عن الشاهد فقال : « الشاهد الحق في ضميرك هـ مشهورك

مطعم عليها ، والمشهود ما يشهده الشاهد » .

قال أبو بكر الأسطى : الشاهد الحق و « المشهود » الكون ، قال عز وجل « وكن شاهدك

و مشهود (١) والموجود والمفقود اسمان متضادان ، فالموجود : ما خرج من حيز الوجود ،

حيز الوجود ، والمفقود : ما خرج من حيز الوجود إلى حيز العدم .

قال ذو النون رحمه الله : « لا تنزل على مفقود ويكون ذكرا العدم معه » ،

و « المدموم » الذي لا يوجد ولا يمكن وجوده ، فإذا عدت شيئاً ويمكن وجوده

فذاك مفقود وليس بمدموم » .

قال بعض أهل المعرفة : العالم وجودٌ من بين طرفي عدم ، لأنه موجود ، كان عدماً معدوماً ، ويصير عدماً معدوماً ، ولا يشهده العارف إلا بعدم معدوم . فيجعل له عند رؤية عدمه معرفة وحدانية خالقه ، و « الجمع » لفظ مجمل يعبر عن إشارة من أشار إلى الحق بلا خلق قبيل ولا كون كان ، إذ الـكون والخلق مكوّنان لا قوام لهما بنفسهما لأهمهما وجود بين طرفي عدم ، و « التفرقة » أيضاً لفظ مجمل يعبر عن إشارة من أشار إلى الـكون والخلق وهما أصلان لا يستغني أحدهما عن الآخر ، فمن أشار إلى تفرقة بلا جمع فقد جحد الباري ، ومن أشار إلى جمع بلا تفرقة ، فقد أنكر قدرة القادر فإذا جمع بينهما فقد وحد ، وقال القائل :

حمتُ وفرقتُ عنى بهِ وفردُ التواصلِ مثنى العددِ

تعنى جمعت به وفرقت عنى وفرد التواصل في الجمع مثنى العدد في التفرقة ، و « الغيبة » غيبة القلب عن مشاهدة الخلق بحضوره ومشاهدته للحق بلا تغيير ظاهر العبد و « العشيّة » هي غيبة القلب بما يرد عليه ويظهر ذلك على ظاهر العبد ، و « الحضور » حضور القلب لما غاب عن عيانه بصفاء اليقين فهو كالحاضر عنده وإن كان غائباً عنه . قال القائل :

أنت وإن غيبتَ عنى سيدي كالحاضر

وقال النوري :

إذا غيبتُ بدا وإن بدا غيبتُ

وكذلك « الصحو » و « السكر » معناهما قريب من معنى الغيبة والحضور ، غير أن الصحو والسكر أقوى وأتم وأقهر من الغيبة والحضور ، وقد قال في ذلك بعضهم :

فإلانٍ لي حالانِ صحوٌ وسكرةٌ فلازلتُ في حالٍ أصحو وأسكرُ
كفالك بأنَّ الصحوَ أوجد كآبتي فكيف بحال السكر والسكر أجدرُ
جحدتُ الهوى إن كنتُ مذجعل الهوى عيونك لي عيناً تنص وتبصرُ

نظرتُ إلى شيءٍ سِوَاكَ وَإِنَّمَا أَرَى غَيْرَنَا أَحْلَامَ نَوْمٍ يُقَدَّرُ

والفرق بين السكر والغشية، أن السكر ليس نشأته من الطبع لا يتغير عند وروده الطبع، والحواس، والغشية، نشأتها ممزوجة بالطبع تتغير عند ورودها الطبع والحواس، وتتقضى منها الطهارة، والغشية لا تدوم، والسكر يدوم، والفرق بين الحضور والصحو: أن الصحو حادث، والحضور على الدوام.

ومعنى «صفو الوجد» أن لا يعارضه في وجوده شيء غير وجوده كما قال القائل:
تَحَقَّقَ صَفْوُ الْوَجْدِ مِنَّا فَمَا لَنَا عَلَيْنَا سِوَانَا مِنْ رَقِيبٍ يُخْبِرُ

و «الهجوم والغلبات» متقاربا المعنى إلا أن الهجوم فعل صاحب الغلبات، وذلك عند قوة الرغبة، والانفلات من دواعي الهوى والنفوس عند قوة رغبة الطاب إذا لاح له أعلام المزيد في حال طلبه المطلوب، فلو ظن أن مطاوبه وراء البحر كسحبه أو في تيه سلكه بالهجوم عند غلبات الإرادة وقوة سلطان المطاوب عليه لو رأى وراء اقتحمها بالهجوم بتدافع الروح وبذل المنيحة سواء أوصاه ذلك إلى مطاوبه أو لم يوص به، فذلك معنى الهجوم والغلبات.

و «الفناء والبقاء» قد ذكرته في بابيه، ومعنى «الفناء» فناء صفة النفس، ووقف

المنع والاسترواح إلى حال وقع، و «البقاء» بقاء العبد على ذلك، وأصله هو فناء روياء العبد في أفعاله لأفعاله بقيام الله له في ذلك، والبقاء بقاء الله له في قيام الله له في قيامه الله قبل قيامه الله بالله.

والمبتدى، هو الذي يتبدى بقوة العزم في سواك طاب من المنقطعين إلى الله تعالى ويتكلف لآداب ذلك ويتأهب للتأديب بالخدمة والقبول من الذي يعرف حال الذي ابتداء به وأشرف عليه من بدايته إلى نهايته، هو «المريد» الذي صح له الابتداء وقد دخل في جملة المنقطعين إلى الله تعالى بالاسم، وتشهد له قلوب الصادقين بصحة إرادته

ولم يت رسم بعد بحول ولا مقام فهو في السير مع إرادته ، و « المراد » العارف الذي لم يبق له
إرادة ، وقد وصل إلى النهايات وعبر الأحوال والمقامات والمقاصد والإرادات فهو مراد
أريد به ما أريد ، ولا يريد إلا ما يريد .

و « الوجد » مصادفة القلوب لصفاء ذكر كان عنه مفقودا ، و « التواجد »
والتمسك « قريبا المعنى ، وهو ما يمتزج من اكتساب العبد بالاستدعاء للوجد
والسكر ، وتساكفه للتشبه بالصادقين من أهل الوجد والسكر ، و « الوقت » ما بين
الماضي والمستقبل .

قال أجنيد رحمه الله : الوقت عزيز إذا فات لا يدرك : يعني نفسك ووقتك
الذي بين النفس الماضي والنفس المستقبل ، إذا فاتك بالغفلة عن ذكر الله تعالى فلا
الحققة أبدا .

و « البادى » هو الذي يبدو على القلب في الحين من حيث حال العبد ، فإذا بادي
حق يبدي كل باد غير الحق ، قال إبراهيم الخواص رحمه الله : إذا بدا بادي الحق
أفنى كل باد :

و « الوارد » ما يرد على القلوب بعد البادى فيستغرقها والوارد له فعل وليس للبادى
فعل ، لأن البوادى بدايات الواردات ، قال ذو النون رحمه الله : وارد حق جاء
يزعج القرب .

و « الخطر » تحريك السر لا بداية له ، وإذا خطر بانقلب فلا يثبت فيزول مخاطر
آخر مثله ، و « الوافع » ما يثبت ولا يزول بواقع آخر .

سمعت بعض المشيخ وهو أبو الطيب الشيرازي رحمه الله قال : سألت شيخا من
مشايخي مسألة فقال لي : أرجو أن يقع جوابه ، قل الجنيب — رحمه الله خير النساج
رحمه الله حين خرج إليه : هلا خرجت مع أول خاطرك ؟ وذلك أنه خطر بقلبه بأن

الجنيد رحمه الله على باب داره فكان يدفع نخاطره مراراً ، فلما خرج قال له الجنيد ذلك .

ويقال : إن الخاطر الصحيح أول الخاطر ، أي أول ما يخطر ، ومعنى الخاطر أيضاً ما لا يكون للعبد سبباً في ظهوره في الأسرار ، و « الخاطر » أيضاً قهر يستوعب الأسرار :

و « القادح » قريب من الخاطر إلا أن الخاطر لقبوب أهل البيضة والقادح لأهل العفلة ، فإذا تقشع عن قلوبهم غيوم العفلة قدح فيها قادح الذكر ، وهي نغمة مأخوذة من قدح النار بالزاد ، والقادح الذي سترقوا النار . قال القائل :

* يا قادح النار بالزاد *

وقال بعضهم : ليس ما قد حثت الحقيقة كما ساكتة الشريعة .

و « العارض » ما يعرض للقبوب والأسرار من إلقاء العدو والنفس والهوى ، وكل ما يكون من إلقاء النفس والعدو والهوى فهو العارض ، لأن الله تعالى لم يجعل قبولا الأعداء طريقاً إلى قبوب أوليائه إلا بالعارض دون الخاطر والقادح والادي والدار ، قال أنشد :

يعارضني أو أشون قلبي بكما
بمقامه في سره والعلانية

و « التقبض » و « البسط » حالان شرعان لأهل المعرفة إذا قبضوا على أنفسهم من تناول القيام والمباحات والأكل والشرب والكلام ، وإذا بسطوا أنفسهم على هذه الأشياء ، وتولى حفظهم في ذلك ، فالتقبض حال رجال عارف أسبقه نفسهم وغير معرفته والبسط حال رجال عارف أسطه الحق وتولى حفظه حتى يتأدب الخلق به . قال الله تعالى : « وَاللَّهُ يَتَّبِعُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » (١) .

وقال الجنيد رحمه الله في معنى «القبض» و«البسط»: يعني الخوف والرجاء، فالرجاء يبسط إلى الطاعة، والخوف يقبض عن المعصية، وقد قال القائل في صفة حال العارف المتقبض، وصفة حال العارف المنبسط ققل:

معارفُ الحقِّ تحويها إذا نَشِرتُ	ثلاثةٌ ^١ معها الأرواحُ تُختمُن
فعارفٌ ^٢ مُحِظٌّ ^٣ يوظِّ الحقَّ ليس له	عنه ^٤ مساواةٌ ولا منه له نفسٌ
وعارفٌ ^٥ يولا المايكِ معترفٌ	يخفه ^٦ الوجد ماولى له النفسُ
وعارفٌ ^٧ غاب عنه العرفُ فاعتسفتُ	منه السرايرُ مطوى الذرى شرسٌ
حتى استمكنَ وغاب الوعثُ في مهلٍ	فطار شيطانٌ عنه النطقُ والخرسُ
أغاثه الخفقُ عما دونه فله	منه إليه سرارٌ ^٨ وجهها ^٩ خلسُ

يذكر أن العارفين على ثلاثة أصناف: صنف منهم ليس لهم منه نفس، وصنف منهم يختمهم الوجد إلى الحال الذي يتولاهم الحق بالكلاية (١) فيها، وصنف منهم غاب عنهم العرف والعادة وامتوى عندهم النطق والصمت وغير ذلك بعناية الحق لهم، فإن سكتوا فله يسكتون، وإن نطقوا فعن الله ينطقون.

والغيبية، والحضور، والصحو، والسكر، والوجد، والهجوم، والغليات، والفناء، والبقاء. فاعلم أن ذلك من أحوال القلوب المتحققة بالذكر والنعظيم لله عز وجل.

و«المأخوذ» و«المستلب» بمعنى واحد، إلا أن المأخوذ أتم في المعنى وهم العبيد الذين وصفهم في الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال: «ظن الناس أنهم قد خواطوا وما خواطوا ولكن خالط قريتهم من عظمة الله تعالى ما أذهب بعقولهم».

١٨١

(١) الكلاية بمعنى الكلاءة، وهو الحفظ

٢٨٢ وفي الحديث روى أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لا يباغ العبد حقيقة الإيمان حتى يظن الناس أنه مجنون، وقد روى عن الحسن في الخبر كمت إذا رأيت مجاهداً كأنه خر بندج قد ضل حماره لما كان فيد من الوله . والأخبار تكثر في وصف المأخوذ والمستلب وقال القائل .

فَلَا تَلْمَنِي عَلَى مَا كَانَ مِنْ قَلْبِي إِنِّي بِحُبِّكَ مَأْخُودٌ وَمُسْتَلَبٌ

و «الدهشة» سطوه تصدم عقل المحب من هيبته محبوبة إذا القيته عند الإياس لم يجده عاهة إذا انقضت ، وقد روى عن بعضهم أنه قال : « اللهم إني لا أرى في الدنيا فهد لي من عندك ما يسكن إلي قلمي » قال : فغشي عليه فيما أفاق قول : سبحان الله . فقيل له : مم سبحت ؟ قال : ألقى إلى مكينته بدلا من النظر إليه وهال لذلك من بدل ؟ فقلت : يارب دهشت من حُبِّك فلم أتمك أن قلت ما قلت ولبعضهم يقول :

إِنَّ مِنْ أَهْوَاهُ فِدَا دَهْشَتِي لِأَخْوَاتِ الدَّهْرِ مِنْ ذَلِكَ الدَّهْشِ

وكان الشبلي رحمه الله يقول : ياد هشا كأه معناه كل شيء مع الخلق منك دِهْشِكْله :

و «الخيرة» بديهية ترد على قلوب العارفين عند تأملهم وحضورهم وتذكرهم تحجبهم عن التأمل والفكرة ، قال الواسلي رحمه الله : خيرة البديهية أصل من ساء التولي عن الخير .

و «التحير» منازلة تتولى قلوب العارفين بين الراس والذم في الصوتين بصوته ومقصوده لا تطعمهم في الوصول فيرتجوا ولا تؤيسهم عن الطاب فيستريحوا فعند ذلك يتحيرون ، وقد سئل بعضهم عن المعرفة ما هي ؟ فقال : التحير ثم الاتصال ثم الافتقار ثم الخير . قال : فأنال .

قَدْ تَحَيَّرْتُ فِيكَ خَذُ بِرَأْيِي يَادَ كَيْلَا لِمَنْ تَحَيَّرَ فِيكَ

و « الطوالع » أنوار التوحيد تطلع على قلوب أهل المعرفة بتشعشعها فيطمئن ما
في القلوب من الأنوار بساطان نورها كاشمس الطالعة إذا طاعت يخفى على الناظر
من سحوة نورها أنوار الكواكب وهي في أماكنها ، قال الحسين بن منصور
في هذا المعنى .

قَدْ تَجَلَّتْ طَوَالِعُ زَاهِرَاتٍ بِتَشَعُّعِنَ فِي لَوَامِعِ بَرْقٍ
حَصَّنِي وَاحِدٌ بِتَوْحِيدِ صِدْقٍ مَا إِلَيْهَا مِنْ الْمَسَالِكِ طَرِيقُ

و « الطوارق » ما يطرق قلوب أهل الحقائق من طريق السمع فيجدد لهم حقائقهم .
سكى عن بعض المشايخ أنه قال : يطرق سمع علم من علوم أهل الحقائق فلا
أشع أن يدخل قلبي إلا بعد أن أعرض عنها على الكتاب والسنة .

و « الطوارق » في اللغة ما يطرق بالليل .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو : وأعوذ بك من شر
ظور برق الليل والنهر إلا طارقاً يطرق بخير .

و « الكشف » بيان ما يستتر على الفؤاد فيكشف عنه للعبد كأنه رأى عين ، قال
أبو محمد الجريري : « من لم يعمل فيما بينه وبين الله تعالى بالتقوى والمراقبة لم يصل
إلى الكشف والشهادة » وقال النوري رحمه الله : « مكاشفات العيون بالأبصار
ومكاشفات القلوب بالإتصال » .

و « الشطح » كلام يترجمه اللسان عن وجد يفيض عن معدنه مقرون بالدعوى إلا
أن يكون صاحبه مستتاباً ومحفوظاً ، قال أبو حمزة : سألتني رجل خراماني عن الأمن
فقلت : أعرف من لو كان على يمينه سبع وعلى يساره مسورة ، ما ميز على أيهما
أتى ؟ فقال لي : هذا شطح فبت العلم .

وكان بعضهم إذا سأله إنسان مسألة فيها دعوى يقول : أعوذ بالله من

شطح اللسان .

وقد فسّر الجنيّد رحمه الله شطحات أبي يزيد رحمه الله : ولو كان أبو يزيد رحمه الله في ذلك عنده معلولاً ما فسّر لها ، وقد قال القنّاد :

شَطْحُ الْحَقِيقَةِ وَالْأَحْوَالِ بَيْنَهُمَا شَطْحٌ لِذَا الْبَيْنِ يَزْهُو بَيْنَ هَاتَيْنِ
فَالْحَالُ كَالْحَالِ فِي التَّلَوِينِ شَاطِحُهَا وَالْعَيْنُ تُدْنِي إِلَى شَطْحِ الْإِقَاتِينِ
و «الصَّوْلُ» ، لاستطالة باللسان من المرئدين والمتوسّطين على أئمة جسيمة
بأحوالهم وهو مذموم .

قال أبو علي الروذباري رحمه الله : « إن من أعظم الكبائر أن تخون الله في نفسك وتتوهم أن الذي لك ليس غيرك فتجعل دعواتك كدعواتك على من يستحي من الله تعالى أن يخبرك بحاله ، وتأنف من الصّال لأهله فحينئذ يكون على من فوقك وقناة معرفة إذا كان على من هو دونك وسوء أدب إذا كان على من هو مثلك ، فأمم الصّادقون وأعمال الصّالحين يصدونهم عن الله تعالى إلى ما سوى الله . »

وروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « إن قول في دعائه : « يا حيّ يا قيوم » وبك أحول » وقال إبراهيم الخوص رحمه الله في كتابه : « الحمد لله الذي جعل في القرآن وباللّه أصول » وقال القائل :

وَ كَيْفَ يَطِيبُ الْعَيْشَ مِنْ بَعْدِ مَنْ يَدْرُ عَلَى نَبَاتِ الدُّنْيَا فِي حَيْثُ الْوَيْشِ
و «الذهب» تعني الغيبة إلا أن الذهب ثم من الغيب ، والذهب
حسن المحسوسات بمشاهدة مستهكك ، ثم يذهب من الغيب
هذا مالا نهاية له .

قال الجنيّد رحمه الله في تفسيره قول أبي يزيد رحمه الله تعالى : « الحمد لله الذي جعل في القرآن » قال : هو ذهب ذلك الله سبحانه وذهابه من ذهبه وهو معنى قوله : « الحمد لله الذي جعل في القرآن » يعني قد غابت المحاضر وتلفت الأشياء ، فليس يوجد شيء ، ولا يكسب ، ولا يغير الشيء

يسميه قوم الفناء والفناء عن الفناء « وفقد الفقد في الفقد » فهو الذهاب عن
الذهاب ، و « النَّفْس » ترُّوحُ القلب عند الاحتراق ، قل بعض الشيوخ : « النفس »
رُوحٌ من ریحِ الله المسلطة على نارِ الله تعالى : وكذلك « التنفس » ، قال ذو
النون رحمه الله :

مَنْ لاذَ بِاللَّهِ نَجَا بِاللَّهِ وَسَرَّهُ مَرَّةً قَضَاءِ اللَّهِ
لِلَّهِ أَنْفَاسٌ جَرَّتْ لِلَّهِ لِأَحْوَالِ لِي فِيهَا بِغَيْرِ اللَّهِ

و « النفس » أيضاً نفسُ العبد ، قال الجنيد رحمه الله : أخذَ على العبدِ حفظَ
نفسه على ممرِ أوقاته « قال : القائل :

وَمَا تَنَفَّسْتُ إِلَّا كَفْتِ مَعَ نَفْسِي تَجْرِي بِكَ الرُّوحُ مَنَى فِي مَجَارِيهَا

و « الحسن » رسمٌ ما يبدو من صفة النفس ، وقال عمرو المكي ، رحمه الله : من
قال : إني لم أجيد حساً عند غلبات الوجد فقد غلط لأنه لم يدرك فقد الحسوس
إلا بحس .

و « الوجد » و « الفقد » يدركان بحاسة وهما محسوسان ، و « توحيد العامة » معناه توحيد
الإقرار باللسان والتحقيق بالقلب لما يقرب به اللسان بإثبات للوحد بجميع أسمائه
وصفاته بإثبات ما أثبت ونفى ما نفى بإثبات ما أثبت الله لنفسه ونفى ما نفى
الله عن نفسه .

و « توحيد الخاصة » قد ذكرنا في باب التوحيد ، وهو وجودُ عظمة وحدانية
الله تعالى ، وحقيقة قُرب به بذهاب حس العبد وحركته لقيام الله تعالى له فيما أراد
منه ، قد حُكي عن الشبلي ، رحمه الله أنه قال لرجل ، وقد جرى ذكرُ
التوحيد فقال : هذا توحيدك أنت . قال : فأيشَ عندي غيرُ ذا ؟ فقال الشبلي ،
رحمه الله : توحيد الموحّد وهو أن يوحدك اللهُ به ، ويُفردك له ويُشهدك ذلك
ويغيبك به عما يُشهدك ، وهذا صفة توحيد الخاص .

و«التفريد» إفراد الممفرد برفع الحدث وإفراد القيد بوجود حقائق الفردانية،
قال: بعضهم «الموحدون لله من المؤمنين كثير والمفردون من الموحدين قليل»
قال: الحسين بن منصور، رحمه الله: في بعض ما تكلم به عند قتله: حسب
الواجد إفراد الواحد.

و«التجريد» ما تجرد القرب من شواهد الألوهية إذا صفا من كدورة البشرية،
وقال: بعض الشيوخ وقد سئل عن التجريد، فقال: «إفراد الحق من كل
ما يجرى وإسقاط العبد في كل ما يبدي».

و«التجريد» و«التفريد» و«التوحيد» ألفاظ مختلفة لمعان متنفدة وتفصيلها
على مقدار حقائق الواجد وإشاراتهم، قال: القائل.

حَقِيقَةُ الْحَقِّ حَقٌّ لَيْسَ يَعْرِفُهُ إِلَّا الْمُجَرِّدُ فَيَدْرِي حَقَّ تَجْرِيدِهِ

و«الهمم المفرد» و«السِّرُّ المجرّد» بمعنى واحد، وهو هم العبد وسره إذا تجرد من
جميع الأشغال وتجرد بمراقبة ذي الجلال فلا تعارضه خواطر قاطعة ولا عوارض
مانعة عن التوجه والإقبال والقرب والاتصال.

قال: الجنيد، رحمه الله: قال لي إبراهيم الأجرى: يا غلام لأن ترد بهيبتك
إلى الله طرفة عين خير لك مما طلعت عليه الشمس.

وقال الشبلي، رحمه الله لرجل: هيمان الهمم في فضاء العدم، همك همهم
وهمسى هم هايم، و«المحادثة» وصف لنهاية الصديقين، سئل: أبو بكر الصديق
أعلى حال لنهاية الصديقين فقال: هو الطامع والمحدث، وقال: من صلى الله عليه
وسلم، فيما روى عنه: «إن في أمتي مكفون ومحدثون وأنهم رضى الله عنهم»

١٨٥

١٨٦

وقال: سهل بن عبد الله، رحمه الله: خلق الله الخلق ليسارهم ويساروه، قال
الله عز وجل: خلقتكم لتساروني فإن لم تفعلوا فكلموني وحدثوني فإن لم تفعلوا
فناجوني فإن لم تفعلوا فاستمعوا مني.

و«المناجاة» مخاطبة الأسرار عند صفاء الأذكار الملك الجبار، قال أبو عمرو بن علقمان سمعت أبا جندب رحمه الله ليلةً إلى الصباح يقول في مناجاته: إلهي وسيدى تريد أن تقطعني عنك بوصالك أو تريد أن تخدعني عنك بترك كميّيات قلت لأبي عمرو: ما معنى هيّيات؟ قال: التمكن.

و«المسامرة» عتاب الأسرار عند خفي التذكار، قال الروذباري:

سَاكِرَاتُ كَفَوُ كَصِبَاتِي أَشْجَانُهَا كَحَرَقِ الْمَسْوَى وَغَلِيظِهَا نِيرَانُهَا

ومثل بعض المشايخ عن المسامرة فقال: استدامة طول العتاب مع صحة الكون، وروية القلوب هو نظر القلوب إلى ما توارت في الغيوب بأنوار اليقين عند حقائق الإيمان، وهو على معنى ما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين سئل: هل ترى ربنا؟ فقال: وكيف نعبد من لم نره، ثم قال: لم نره الغيوب يعني في الدنيا بكشف العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، قال الله تعالى: «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى» (١) فثبت الروية بالقلب في الدنيا:

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: أعبد الله كما أنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه

يرت، و«لا سم» حروف جعلت لاستدلال المسمى بالتسمية على إثبات المسمى فإذا سقطت الحروف، معناه لا ينفصل عن المسمى.

حكى عن الشبلي رحمه الله أنه كان يقول: ليس مع الخلق منه إلا اسمه وكان

يقول: هت من يقول الاسم باستحقاقه قولاً، وكان أبو الحسين النوري رحمه الله يستشهد في إشارته بهذا البيت:

إِذَا أُمُّ طِفْلٍ مَسَّ جُوعٌ طَفْلَهُ

غَذَّتْهُ بِاسْمِ الطِّفْلِ فَاسْتَعَصَمَ الطِّفْلُ

وكان الشبلي رحمه الله يقول: أريد من قال لاسم وهو يتحقق ما يقول.

وكان يقول: تاهت الخليفة في العلم وتاه العلم في الاسم وتاه الاسم في الذات.

و «الرَّسْمُ» ما رُسِمَ به ظاهر الخلق برسم العلم ورسم الخلق فيمتحن بإظهار سلطان الحق عليه .

سئل الجنيّد عن رجل غاب اسمه وذهب وصفه وامتنحى رسومه فلا رسمه قال نعم عند مشاهدته قيام الحق له بنفسه لنفسه في ملكه ، فيكون ذلك معنى قوله : امتحنى رسومه ، يعنى علمه وفعله المضاف إليه بنظره إلى قيام الله له في قيامه . قال القائل :

بِرُسُومِ دَارِسَاتٍ وَطَلَبِ

و «الرَّسْمُ» ما رُسِمَ الله به الخلقين في سابق عهده به شاء كيف شاء فلا يفيد عن ذلك أبداً ولا يتصلح على علم ذلك أحد ، قال أحمد بن محمد بن عطاء رحمه الله : يظهر الوسمان على القبولين والمطروودين لأنهم ممان يجران على الأبد من غير في الأزل .

و «الروح» و «التروح» سيم تسم به قلوب من أخذت في تروح من تعب قلوب ما حال من الرعاية بحسن العناية ، قال يحيى بن محمد رحمه الله : حكاية ما يرى من جنود الله يُرسبها إلى قلوب العارفين حتى ترّوح منها وتصبح أسير روح ولى الله في المقدس تشغله بمولاه ، وقد سُئِلَ : ما حال قلوب المؤمن في سماوية من دونها حجب الرب مسكراً فيها ويخفى فيها ما يعلم كروح كالمسك بالله من القرب .

و «النعمة» إخبار الناعتين عن أفعال المعبود في حاله .
النعمة والوصف بمعنى واحد إلا أن «الوصف» يكون في الجملة والنعمة في الفرد .
فإذا وصف جمع وإذا فرّق .

و «الصفة» ما لا يتصل عن الموصوف ولا يقال هو موصوف ولا غير الموصوف .
و «الذات» هي الشيء القائم بنفسه و «الاسم» و «النعمة» و «الصفة» و «الذات» .

يكون الاسم والنعمة والصفة إلا لذي ذات ، ولا يكون ذو ذات إلا مسمى منعوتاً
موصوفاً وذلك أن القادر اسمٌ من أسماء الله تعالى ، والقدرة صفة من صفات
الله تعالى ، والتقدير نعت من نعوت الله تعالى ، والمتكلم اسم من
أسماء الله عز وجل والكلام صفة من صفات الله تعالى ، والغفران نعت من
نعوت الله تعالى .

قال الواسطي : ليس مع الخلق منه إلا اسم أو نعت أو صفة ، والخلق محجوبون
بأسمائه عن نعوته وبنعوته عن صفاته وبصفاته عن ذاته ، فمتى ما ذكر العبد تدبيره
وتصويره وفضله وطوله ذكر نعوته ونعته بنعوته وإذا ذكر علمه وقدرته وكلامه
ومشيئته ذكر صفاته ووصفه بصفاته وقال :

إِذَا طَلَعَتْ شَمْسٌ عَلَيْكَ بِنُورِهَا وَأَنْتَ خَاطِبٌ لِلشَّعْرِ الدُّبَابِ شَرِّ
بَعِيدٍ مِنَ الذَّاتِ الْعَزِيزِ مَكَائِبًا وَلَمْ تَعْرِ مِنْ نَعْتِ لِنَفْسِكَ قَاهِرِ

و «الحجاب» حائل يحول بين الشيء المطلوب المقصود وبين طالبه وقاصده ،
كان سري السقطي رحمه الله يقول : اللهم مهِّمًا عذبتني بشيء فلا تعدني
بذل الحجاب .

وقال محمد بن علي الكنتاني رحمه الله : رؤية الثواب حجاب عن الحجاب
ورؤية الحجاب حجاب عن الإعجاب ، معناه والله أعلم : أن رؤية العبد الثواب
أعبادته وذكره حجاب له عن الحجاب المنهني عنه ورؤيته للحجاب حجاب له
عن إعجابه به .

و «الدعوى» إضافة النفس إليها ما ليس لها ، قال سهل بن عبد الله : أغلظ حجب

بين العبد وبين الله الدعوى ، وقال :

وَأَمَّا أَدْعَايْتُ أَحَبَّ قَالَتْ كَذَّبْتَنِي فَأَلِي أَرَى الْأَعْضَاءَ مِنْكَ كَوَاسِيَا

وكان أبو عمرو الزجاجي رحمه الله يقول : من ليس له دعوى فليس فيه معنى

وكان يعنى بذلك أن تُضَيِّف النفس إليها من الطاعات التي ليست من أخلاقها وتكون معها بيئنة لما تدعى ، و «الاختيار» إشارة إلى ما يختار الله للعبد ، ويختار العبد ذلك بعنايه الله له ، حتى يختار باختيار الله له لا باختيار نفسه .

قال يحيى بن معاذ رحمه الله : ما دام العبد يتعرف يقال له : لا تختر فإنك لست بأمين في اختيارك حتى تعرف فإذا عرف يقال له : إن شئت فاختر وإن شئت فلا تختر ، فإنك إن اخترت فبما اخترت وإن تركت اختيارك فباختيارنا تركت : فأنت بنا فيما تختار وفيما لا تختار .

و «الاختبار» : إمتحان الحق للصادقين ، ليعمر بذلك منازل المخصوصين . ويستخرج بامتحانه لهم منهم صدقهم ، إثباتاً لحجته على المؤمنين ، لينزل بهم المريدون .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «أخبر تقية» يعنى العبد من شئت وامتحنته حتى تقبلاً عند استخراجك بالامتحان صدقاً من حول قلبى هو فيه .

و «البلاء» : ظهور إمتحان الحق لعبده في حقيقة حاله لا بتلايه ، ووهبه ، يفتن به من التعذيب .

قال : أبو محمد الجريري رحمه الله الإنسان حيث ما كان بالبلاء .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «محن معاشر الناس بالبلاء» الناس بالبلاء ، الحديث ، وقال بعضهم في البلاء .

دائرات البلاء على تدور	والى ما انتهى على
ما أرى للبلاء سواى	وبلى على السائر تدور
فأنا محنة البلاء وبلى	حاشن لعملا كغير غيبوا
يا بلى على البلاء لا تعدى	من به والبلاء رحما غموا
يا معين البلاء على اعنى	في البلاء ، فالبلاء على

و «اللسان» معناه : البيان عن علم الحقائق .

كتب أبو الحسين النورى رحمه الله إلى الجنيد كتاباً ، فقال فيه : يا سيدي لك في

علم البلاء لسان ، وفي علم بلاء البلاء سينان - يعنى بيان عن علمه -

وسئل الشيبلى رحمه الله عن الفرق بين لسان العلم ولسان الحقيقة فقال : لسان

العلم ما تَدَى إلينا بواسطة ، ولسان الحقيقة ما تَدَى إلينا بلا واسطة .

ف قيل له : ولسان الحق ما هو ؟

قال : ما ليس للخلق إليه طريق - يريد به إذا قال : اللسان ، يعنى بيان علمه

والكشف عند البعدارة -

و «السِرُّ» : خفاء بين العلم والوجود موجود في معناه .

وقد قيل : السِرُّ ما غيَّبه الحق ولم يُشرف عليه الخلق ، فسِرُّ الخلق ما أشرف

عليه الحق بلا واسطة ، وسِرُّ الحق ما يطعم عليه إلا الحق ، « وسِرُّ السِرِّ »

ما لا يحس به السِرُّ ، فإن أحسَّ به فلا يقال له : سِرُّ

قال سهل بن عبد الله رحمه الله : للنفس سرٌّ ما أشاعها الحق إلا على لسان فرعون

فقال : أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ، وقال القائل :

سِرُّ سِرِّ يَدُقُّ حَتَّى يَخْفَى عَلَى وَهْمِ كُلِّ حَى

وظاهر باطن تجلّى من كلِّ شىءٍ لكُلِّ شىءٍ

و «العقد» عقدُ السِرِّ ، وهو ما يعتقد العبدُ بقلبه بينه وبين الله تعالى أن يفعل كذا

أو لا يفعل كذا .

قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ (١) »

وقيل الحكيم : هم عرفت الله تعالى ؟ فقال : بحل العقود وفسخ العزائم .

وقال محمد بن يعقوب الفرجى فيما حكى عنه : منذ ثلاثين سنة ما عقدت بينى

وبين الله عز وجل عقداً مخافة أن يفسخَ على ذلك فيكذبني على لسانى .

ويقال : إن الفرق بين الخاص والعام : أن العامة من المؤمنين قد أوجب الله عليهم الوفاء إذا عهدوا بالسنتهم عهداً ، والخاص : قد أوجب الله عليهم الوفاء إذا عهدوا بقلوبهم عهداً ، و«الهم» إشارة إلى جميع الهموم فيجعلها همماً واحداً .

قال أبو سعيد الخراز رحمه الله : اجمع همك بين يدي الله تعالى .
وذكر عن بعضهم أنه قال : ينبغي للعبد أن يكون همُّه تحت قدمه ، يعني لا يهتم بحال ماض ولا بحال مستقبل ، ويكون مع وقته في وقته .
و«المحظ» : إشارة إلى ملاحظة أبصار القلوب لما يروح لها من زوائد اليقين بما آمن به في العيون .

قال الروذباري .

لاحظتُ فرآني في ملاحظتي
فغبتُ عن رؤيتي مني بعد
وصادفت همتي لطن الخفي
فلا إلى أحد همي ولا فطني
تكنت من كائن دون ماشاه
ولا إلى راحة أسلو فأسأه
الله يعلم ألي لست أذكره
وكيف أذكره إذ كنت أسأه

و«المحور» : ذهب الشيء ، إذا لم يبق له أثر ، وإذا بقي أثره فيكون محوراً .

قال النوري رحمه الله : الخاص والعام في قبيح العبودية ، إلا أن كان الله رفع جذبهم الحق ومحام عن نفوسهم في حرركاتهم وأشيئهم عند نفسه .

قال الله تعالى : «يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ» (١)

معنى قوله : جذبهم الحق : يعني جمعهم بين يديه ، ونحوه عن حرركاتهم عن رؤية نفوسهم في حرركاتهم وأشيئهم عند نفسه ، فإشارة إلى قيامهم في أفعالهم وحرركاتهم .

و«المحق» : يعني المحور ، إلا أن المحق إنما ، لأنه أمرٌ يذهبها من المحور .

قال رجل للشبلي رحمه الله : مالي أراك قلتياً أليس هو معك وأنت معه ؟ فقال
الشبلي رحمه الله : لو كنت أنا معه فاتني ، ولكني محو فيما هو .
يعني : ليس مني شيء ، ولا بي شيء ، ولا عنى شيء ، والكل منه ، وبه ، وبه
كقول القائل :

كل له وبه ومنه فأين لي شيء فأثره فطاح أسانها
و «الأثر» : علامة لباقي شيء قد زال .

قال بعضهم : من منع من النظر استأنس بالأثر ، ومن عدم الأثر تعطل بالذكور .
قال القائل :

فأعدي لكم أثر وقد أسمع لكم خبر
ويقال : إنه وجد على قصر لبعض الملوك مكتوب .

إن آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

وقال الخواص رحمه الله : في معنى الأثر ، وسئل عن توحيد الخالص فقال :
التفريد لله عز وجل في كل الأشياء بالإعراض عما يلحق بقومهم من آثار
الأشياء ، وقال :

لو أن دونك بحر الصين معترضا لخذت ذلك سرايا ذاهب الأثر
و «الكون» : اسم مجمل لجميع ما كونه الكون بين الكاف والنون .
و «البون» معناه البينونة .

و «الكون والبون» : معناهما في علم التوحيد : ما قال الجنيد رحمه الله في جواب
مسألة في التوحيد يصف الموحدين فقال : كانوا بلا كون وبنوا بلا بون .
معناه : أن الموحدين يكونون في الأشياء كأنهم لا يكونون ، وبينون عن الأشياء
كأنهم لا يبينون ، لأن كونهم في الأشياء بأشخاصهم وبنوهم عن الأشياء بأسرارهم
فهذا معنى الكون والبون قال :

تقدّم في تيه التوحيد وحده
وغاب بعز منك حين طلبته

ظَهَرَتْ لِمَنْ أَثْبَتَهُ بَعْدَ بَوْنِهِ فَكَانَ بِلَا كَوْنٍ كَأَنَّكَ كُنْتَهُ
والوصل : معناه لحوق الغائب .

قال يحيى بن معاذ رحمه الله : من لم يعم عينيه عن النظر إلى ما تحت العرش لم يصل إلى ما فوق العرش .

يعنى : لم يلحق ما فاته من مراقبة الذى خلق العرش .

وقال الشبلى رحمه الله : من زعم أنه واصل فليس له حاصل .

وقال بعضهم : إنما حرّموا الوصول لتضييع الأصول ، وقال :

وَوَصَلَكُمْ هَجْرٌ وَوُدٌّ قَلِيلٌ وَقَرَّبَكُمْ بَعْدَ وَسَاءَ لَكُمْ حَرْبٌ

و « الفصل » : فوت الشيء المرجو من المحبوب .

ذكر عن بعض الشيوخ أنه كان يقول : من زعم أن الله وصل فليفتقن (١)

أنه قد اتصل ، وقال آخر : فرح اتصالك بمنزلة فرح الأخص ، وفي الثاني :

فَلَا وَصَلَ وَلَا فَصَلَ وَلَا رَاسَ وَلَا طَبَعَ

« والأصل » : هو الشيء الذى يكون له أصل ، « وصل الأصل » : وصل

و « الأصول » : أصول الدين : مثل التوحيد ، وشأنه لا يصل منه العباد والصدق والإحسان .

و « الفرع » : هو ما ينشأ من الأصل ، وقد تفرقت من الفرع ففرقت من الأصل

فالأصل : أصل الألفاظ التى هي الترويع ، وقد فرقت من أصلها

إلى الأصول ، والأصل : الهداية والتوحيد ، وقد فرقت من أصلها

زيادتها بزبدة الهداية ، والأصول ، وإنما مات ، وقد فرقت من أصلها

هذه الأصول وفروعها ، وهى مسماة باسم « الأصول » ، وقد فرقت من أصلها

قال عمرو بن عثمان المكي رحمه الله : إن الله زاد بالأصول إمام الضمير فى

التفسير ، ولزوم الحجة بالإسناد بعد الإيمان ، وإتقان الأصول .

(١) قوله فليفتقن . هكذا فى الأصل ولعل الصواب : فليفتقن .

وقال بعض العلماء : ما دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهو الأصل ، وما
تزايد عن ذلك الأصل فهو فرع مردود إلى الأصل .
و « الشمس » محسوس البين عن الشيء البين .
وقال الجنيدي رحمه الله في رسالته إلى أبي بكر السكسائي : وأنت في سبيل ملتبسة
ونجود منعلمسة .

قال الله تعالى : فَإِذَا النُّجُومُ طَمَسَتْ (١) ، يعني ذهب ضوءها .
وقال عمرو المكي رحمه الله : وإياك لا تصل إلى حقيقة الحق حتى تسلك تلك
الطرق الملتبسة ، يعني : أنزل تلك الأحوال التي لم ينزلها أحدٌ غيرك ، وقد
ذهب أثرها .

و « المرس » و « الشمس » : يعني لدفن ، ويقال للمقبرة : الديانس .
قال الجنيدي رحمه الله في رسالته إلى يحيى بن معاذ رحمه الله : ثم أدمس شاهدته
في دمس الأندلس ، وأرمس مرمسه في غيب غافر الارتماس ، وأخفي في إخفائه
عن إخفائه ، ثم قطع النسبة عن الإشارة إليه وعن الإيماء بما تفرده منه به .
وهذه إشارة إلى حقيقة التوحيد بذهاب الخلق فيما كان ، كونه لم يكن .
وقال سبيل رحمه الله : إذا دفنت نفسك تحت الثرى وحمل قلبك فوق العرش
يعني : إذا خائفها وفارقتها .

و « القصم » : الكسر .

حكى عن أبي بكر الزقاق رحمه الله : أنه قال : لو أن المعاصي كانت شيئاً اخترته
لنفسى ما أحرزنى ذلك ، لأن ذلك يشبهنى ، وإنما قصم ظهري حين سبق لى منه ذلك .
وقال الواسطي : ظهرت الأمور كلها في حقائقها على الدهور ، فمن شاهدها بشاهد
القديم انقصم مقبلته لذلك .
و « السبب » : الواسطة .

(١) المرسلات : ٨

والأسباب والوسائط التي بين الخلق وبين الله تعالى .
قال أحمد بن عطاء رحمه الله : من شهد صنعَ المسبَّب في السبب أو صدقه مثله هدة
صنعَ المسبَّب إلى السبب ؛ لأن من شيد السبب امتلأ قلبه من زينة الأسباب .
ومن عرف الأسباب الشغلة عن الطاعات انقطع عنها واتصل بالأسباب الراجعة
إلى صالح الأعمال .

ولأبي عليّ الروذباري رحمه الله :
من لم يكن بك فانياً عن حبه
أو تيمته صبابةً جمت له
فكأنه بين المراتب واقف
وعن الهوى والأنس الإحباب
ما كان مفترقاً من الأسباب
لنال حظ أو لحسن باب

و «النسبة» : الحال الذي يتعرف به صاحبه ، بمعنى : التسبب إليه .
قال جعفر الطيالسي لرازي رحمه الله : النسبة سبتان : نسبة الخلق إلى الله
الحقوق ؛ إذا غابت الخليفة ظهرت الحقيقة ، وإذا ظهرت الخليفة غابت الحقيقة
وسئل التمام عن الغريب فقل : الذي ليس له في العلم نسيب .
وقال النوري رحمه الله : كلما رأيت العيون أسب إلى العلم ، وكلما رأيت الناس
نسب إلى اليقين .

فذلك قلنا : معنى النسبة الاعتراف .
وقال عمرو بن عثمان رحمه الله : صنفة الكسوف للأسرار في الدنيا
رؤية ولا متجلياً في نسبة ، يعني في الاعتراف .
وفلان «صاحب قلب» معناه : أن ليس له عبارة للسان وفصحى للبين من غيره
الذي قد اجتمع في قلبه .

حكى عن أبي حمزة رحمه الله أنه كان يقول : أهان حبري من أتعاب .
و «رب حال» معناه : أنه مربوط بحال من الأعمال التي لا تلبس الحبر .

والخوف والرجاء والشوق وغير ذلك ؛ فإذا كان الأغلب على العبد حال من هذه الأحوال يقال له : رَبُّ حَالٍ .

و «صاحب مقام» معناه : أن يكون مقياً في مقام من مقامات الصالحين ، مثل التوبة ، والورع ، والزهد ، والصبر ، وغير ذلك ؛ فإذا عُرف بالمقام في شيء من ذلك يقال له : صاحب مقام .

حكى عن الجنيد رحمه الله أنه قال : لا يبلغ العبد إلى حقيقة المعرفة وصدق النوح حتى يعبر الأحوال والمقامات .

وذكر عن بعض المشايخ أنه قال : وقتت على الشبلي ، رحمه الله ، غير مرة ، رأيت تكلم إلا في الأحوال والمقامات .

و «فلان بلا نفس» معناه : أنه لا تظهر عليه أخلاق النفس ، لأن من أخلاق النفس الغضب ، والحدة ، والتكبر ، والشَّرَّه ، والطمع ، والحسد ؛ فإذا كان عبد قد سلم من هذه الآفات وما شاكل ذلك يقال له : بلا نفس ، يعني كماله ليس له نفس .

قال أبو سعيد الخزاز رحمه الله : عبد رجع إلى الله عز وجل فتعلق بالله وركب في فريب الله ؛ قد نسي نفسه وما سوى الله تعالى ، فلو قلت له : من أنت ؟ وإلى أين ؟ لم يكن له جواب غير أن يقول : الله ؛ لأنه لا يعرف سوى الله تعالى ، لما قد وجد في قلبه من التعظيم لله عز وجل .

و «فلان صاحب إشرارة» معناه : أن يكون كلامه مشتتاً على اللطائف والإشارات وعبر المعارف .

قال الرودباري :

فإن تحقق صفو الوجد مشتتاً على إشارات لا يلوى على أحد

وأما قول القائل : أنا بلا أنا ، ونحن بلا نحن . يعني بذلك تخليته من أفعاله

في أماله .

سئل أبو سعيد الخزاز ، رحمه الله عن معنى قوله : « وَمَا بِكُمْ مِنْ بَعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ » .

قال : أحلامهم من أفعالهم في أقوالهم .

وأما قول القائل لصاحبه : أنا أنت وأنت أنا ، فمعناه : معنى الإشارة إلى

ما أشار إليه الشبلي ، رحمه الله : حيث قال في مجلسه : يا قوم هذا مجنونٌ بنى عامر

كان إذا سئل عن ليلى ، فكان يقول : أنا ليلى ، فكان يغيب بليلى عن ليلى

حتى يبقى بمشهد ليلى ، ويُغيبه عن كل معنى سوى ليلى وبشبهه . الأشهر : كقولهم

بليلى ، فكيف يدعى من يدعى محبته ، وهو صحيحٌ مسلمٌ يرجع إلى قوله

ومألفاه وحفظناه ! فبيهاض أنى له ذلك ، ولم يزل في ذرقة دمه ، ولا يزل في

صفته من أوصافه ؟ ! معناه (١) أن بذلك الجهد المعهود أدنى رتبة عند الله .

قال الشبلي ، رحمه الله : إن متحدين ركب بعض البحر ، فسقط أحدهما في

وغرق ، فألقى الآخر نفسه إلى البحر ، ففزع الله لصدره ، فمترى في البحر .

فقال الأول فصاحبه : أم أنت ، ففزع صاحبه في البحر ، أنت يا صاحبي

في البحر ، فقال له : أنت صاحب بك من فزع ، أنت أنت أنت .

وقال بصحبه : وفزع ضلماً على سبيل الشبلي ، رحمه الله ، ففزع في البحر .

سئى وغشبنى سئى وورثته إلى سئى سئى .

فقال له الشبلي ، رحمه الله : ورثته من أين أنت ؟ فقال له : من

بابك من أين لي ، أن أن فيه ؟ ثم غشبنى سئى .

وقال بصحبه :

ذا كبراً وما كنت أريد فصاروا سئى سئى سئى سئى سئى سئى سئى

فأفسى يدك سئى سئى سئى سئى سئى سئى سئى سئى سئى سئى سئى

(١) قوله : معاً . لعل الصواب أن يقال : معاً أن إلى

وقال بعضهم :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا فإذا أبصرتني أبصرتنا
تحن روحان معاً في جسد أبس الله علينا البدنا

وقال غيره :

يا منية المتمني أفنايتني بك عني
أدليتني منك حتى ظننت أنك أني

ومنه مخاطبة مخلوق لمخلوق في هواه ، فكيف لمن ادعى محبة من هو أقرب

منه من حبل الوريد ؟!

وأما قول القائل : « هو بلا هو » : فهي إشارة إلى تفريد التوحيد ، كأنه يقول :

هو بلا هو القائل : هو ، ولا كتابة الكاتب ، هو ، وهو بلا ظهور هذين الحرفين ،
يعني هما ، أو ، بمعنى : هو .

قال الجنيد ، رحمه الله : في وصف التوحيد ، فقال : حُكْمُهَا عَلَى جَرَّتْ
عَلَيْهَا جَرٌّ ، وَسَاطِئُهَا عَلَى كُلِّ حَقِّ عَالٍ ، ظَهَرَتْ فَقَهَرَتْ ، وَخَفِيَتْ قَاسَمَتْ ،
وَصَدَّتْ فَعَالَتْ ، هِيَ هِيَ بِلَاهِي ، تُبَدِّي فُتَيْدُ مِي بَدَتْ عَلَيْهِ وَتُفْسِي مَا أَشَارَتْ
إِلَيْهِ ، قَرِيبُهَا بَعِيدٌ ، وَبَعِيدُهَا قَرِيبٌ ، وَقَرِيبُهَا مَرِيبٌ .

وقد أشار الجنيد ، رحمه الله : إلى معنى ما ذكرت ، والله أعلم .

وأما « قطع العلائق » فمعنى العلائق : الأسباب التي قد علق على العبد وشغله

بذلك حتى قطعه عن الله تعالى .

قال أبو سعيد الخزاز ، رحمه الله : أمل التوحيد قطعوا منه العلائق ، وهجروا

فيه العلائق ، وخلعوا لراحات ، وتوحشوا بن كل مأوس ، واستوحشوا بن

كل من

و «بادى بلا بادی» : يريد بذلك ما يمدو على قلوب أهل المعرفة من الأحوال والأنوار ووصفاء الأذكار ، فإذا قال : «البادی» أشار إلى ذلك ، فإذا قال : «بلا بادی» أشار إلى أن البادی مُبَدَى ، هو مُبَدَى هذه البوادى على القرب .
 قال الله تعالى : «إِنَّهُ سُورٌ يُبَدَىءُ وَ مُعِيدٌ (١)» فإذا شاهد الحال الذى أبدأ به هو المبدى ، فقل : بادی وأثبتته ، وإذا شاهد المبدى الذى منه البوادى يقول بلا بادی .

قال الخواص . رحمه الله ، فى كتب معرفة المعرفة : لخلق إذا بدأ ، بدأ بلا بادی ، ولا بادی ، من حيث ، لا بادی ، لأن البادی أفضى كل بادی ، من حيث البدى . فلا بادی ، وهو بادی ، من حيث لا بادی ، وإلا ذلك على قرب مشهدة الحق منهم .

و «التجلى» : التماس ، والتشبه بالصدقين ، بالأحوال ، وإظهار الأعمى .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «ليس الإيمان بالتمسك ولا بالتكليف ، وإنما هو أن يقر فى القلب وصدقه الأعمال» .

وقال بعضهم :

مَنْ تَجَلَّى بِغَيْرِ مَا هُوَ فِيهِ
 فَفُتِحَتْهُ شِدَاهِدُ الْأَمْتِ

و «التسجلى» : إشراق أنوار إقبال الحق على قلوب المقربين عليه .

وقال النورى ، رحمه الله : تبلى خاققه بخاققه ، واستقر عين حقه بخاققه .

وقال الواسطى ، رحمه الله : فى قوله تعالى : «ذَلِكَ نَسْفَةٌ لِمَنْ كَفَرَ» .

تغابن أهل الحق على تقدير الغناء ولزوم اليد والرجل .

وقال النورى رحمه الله : بتجاهل حركات الخسيس وجهات ، ووجهات الخسيس .

وسمجت .

(٣) التغابن : ٥

(١) البروج : ١٣

وقال بعضهم :

قَدْ تَجَلَّى لِقَلْبِهِ مِنْهُ نُورٌ فَاسْتَضَاءَتْ بِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ
 و«التَّخَلَّى» : هو الإعراض عن العوارض المشغلة ، بالظاهر والباطن ، وهو اختيار
 الخلوقة ، وإيثار العزلة ، وملازمة الوحدة .

قال أجبكيد ، رحمه الله : القلوب المحفوظة لا يعرضها وأبيها ، لمجانبة محادثة
 غيره ، ضمناً مندبها ، ونظراً منه لها ، وإبقاء عليها ، ليخلص لهم ما أصفاهم به
 وما جمعهم له ، وما عاد به عليهم .

وهذه بعض حقايق من أراذه الله بالخلوقة به ، وجمعه الأنس ، وحال بينه وبين
 ما يكرهه له .

وعن يوسف بن الحسين ، رحمه الله : في معنى التَّخَلَّى قال : هو العزلة ، لأنه لم
 يتوكل على نفسه ولا على غيره ، فاعتزل من نفسه إلى ربه .

وقال بعضهم :

ن قَلْبِ النَّبِيِّ وَكَوْنَهُ عَائِشَ دَعْوَاهُ فِي النَّبِيِّ لَا يَكَادُ أَنْ يَمَسَّخَلِي
 و«ن قَلْبِ النَّبِيِّ» : كناية عن بعض ما به يكن فكان .

حسبك من الشيء ، رحمه الله : أنه كان يقول في صفة الخلق : إن الله كاتِبُهُمْ
 وَالْعَبْدُ كَتَبُهُمْ .

وقال ذو القرن العسري رحمه الله : علة كل شيء : صنعه . ولا علة لصنعه ،
 معناه : والله أعلم . أن وجود القممان في كل شيء : مصنوع كان ، لأنه لم يكن
 له مكان ، وليس في صنعه الصانع لمصنوعته علة :

وقال بعضهم :

يَا شَفِي رِينَ السَّقَا مِ وَإِنْ كُنْتَ عَاتِي

و«الأزل» : معناه معنى التبدد ، لأن القديم يسمى به غير الهري ، ويقال :

شيء أقدم من شيء ؛ والأزل والأزلية لله تعالى لا يتسمى بالأزل شيء غير الله جل جلاله ، و «الأزل» اسم من أسماء الأولية ، فهو الله الأول القديم الذي لم يزل ولا يزال ، و «الأزلية» صفة من صفاته .

قال بعض المتقدمين : الحق فيما لم يزل كهبو فيما لا يزال ؛ فقوم استحسنوا هذه المقالة ، لنفي التغيير عن الحق ؛ لأنه بجميع أسمائه وفعاله لم يزل ، وقوم قالوا يندزم القائل لهذا ، القولُ بقدم الأشياء ؛ وفرقوا بين أسماء الفعل وأسماء الذات ، وصفات الفعل وصفات الذات ، والله أعلم .

و «الأبد» و «الأبدية» : نعت من نعوت الله تعالى ، والفرق بين الأبدية والأبدية : أن الأزلية لا بداية لها ولا أولية ، والأبدية لا نهاية لها ولا آخيرية .
وسئل الواسطي عن الأبدية : إشارته إلى تركة القطع في العبد وانحدار الأوقات في السرمد .

وقال : الرسم والرسم : نعتان يجريان في الأبدية ، والرسم في الأزل .
وقال آخر : الأزل والتبدد والأبد غير مرئية في حقيقة الأبدية ، كما هو في حركات وإشارات تعبرنا بذلك إلى خاتمة نجاته .

وحكى عن الشبل رحمه الله : أنه قال في شأن من من رتب الأبدية ، لا زمان ، ولا أوقات ، ولا دهر ، ولا يوم ، ولا ليل ، ولا شيء من ذلك ، بل هو في حال ما أحدثت الأشياء ، فهو مشغول بحسب ما شاء من الأبدية ، لا يتركها ما حكم عليهم .

وقال عمرو بن عثمان المكي رحمه الله : ما بين الأبدية والأزل ، لا ينفصل في سرمد الأبد .

و «وقتي سرمد» وأما قول القائل : وقتي سرمد ، من قول القائل : وقتي سرمد ، بين يند وبين الله لا يتغير في جميع أوقاته ، وهو كلام لا يند عن غير من قاله .

لعت صفاته ، لأن الصفات كائنة التغيير ، وهي متغيرة إذا لم تتغير لأنها إذا لم تتغير
فقد تُتغير عن الحال الذي جُبلت عليه .

قال بعضهم ، وهو الشبلي :

تَسْرَمَدٌ وَقَبِي فِيكَ وَهَرْمَسَرٌ مَدٌ وَأَفْنِيْتِي عَنِّي فَصِرْتُ مُجْرَدًا

«بحري بلا شاطيء» وقول القائل : بحري بلا شاطيء ، معناه أيضاً قريب من
المعنى الذي ذكره ، في الوقت المسمرد ، وهذه لفظة قد حُكيت عن الشبلي رحمه
الله تعالى أنه قال - يوماً في مجلسه في عقيب كلام جرى له - قال : أنتم أوقاتكم
مقطوعة ، ووقتي ليس له طرفان ، وبحري بلا شاطيء ، يعني بذلك أن الحال الذي
حصى الله تعالى به من التعظيم لله وخالص الذكر له ، والانتفاع إليه ، لا نهاية
لها ولا انقطاع ، والشيء إذا لم تكن له نهاية ولا غاية ، فلا يُعبرُ عنه بأكثر
من ذلك .

قال : الله عز وجل : « قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدًّا أَكْرَاهَاتِ رَبِّي لَنَفَيْدَ
الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدًّا (١) » لم يجعل لها غاية
لأن الموصوف بها ليس له نهاية .

وقال بعضهم : من عرف الله أحبه ، ومن أحبه غرق في بحر الهمة .

وقال آخر :

لَمَّا أَنْ دَوَّكَ بِحَرَ الصَّيْنِ مُعْتَرِضًا نَحَلْتُ ذَاكَ سَرَابًا ذَاهِبَ الْأَثَرِ

وقول القائل : «نحن مسيروون» يريد بذلك تسيير القلوب وسيرها عند انتقالها

من حال إلى حال ، ومن مقام إلى مقام .

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله : الزاهد سيَّار ، والعارف طيار ، يعني في سرعة

الانتقال في المقامات والأحوال عند الزوائد وطرف الفوائد :

قال بعضهم ، وهو الشبلي :

لَسْتُ مِنْ جُمَلَةِ الْمُحِبِّينَ إِنْ لَمْ أَجْعَلِ الْقَلْبَ بَيْتَهُ وَالْمَقَامَا
وَطَرَانِي إِخَالَهُ السَّيْرَ فِيهِ . وَهُوَ رُكْنِي إِذَا رَكِدْتُ أَسْتَلِمَا
يريد بذلك : سير القلوب .

و «التلوين» معناه : تلوين العبد في أحواله ، قل قوم : علامة الحقيقة التلوين ؛
لأن التلوين ظهور قدرة القادر ويكتسب منه الغيرة ؛ ومعنى التلوين : معنى التغيير .
فمن أشر إلى تلوين القلوب وتغيير الأحوال فقل : علامة الحقيقة رفع التلوين .
ومن أشر إلى تلوين القلوب والأسرار الخاصة لله تعالى في مشيقاتهم وما يرد
عليهم : من التعظيم والهيبة وغير ذلك من تلوين الواردات فقل : علامة الحقيقة
التلوين ؛ لأنهم في كل سير مع الله تعالى في زيادة من تلوين الواردات على أسرارهم
وأما تلوين الصفات فهو كما قال القائل :

كَيْ يَوْمَ تَتَلَوَّنَ غَيْرُ هَذَا بِكَ أَجْمَلُ

قل الواسطي : رحمه الله : من تخلق بخلق خلقه ما تنفع به طوارق التلوين في طوره
ولبعضهم هذان البيتان في صفة المسيرين :

زَجَرْتُ فَوَادِي فَلَمْ يَنْزِ جُرُومِي وَطَلَبُ شَيْئًا وَهَهُهُ يَفِيرُ
يَسِيرُ إِلَى الْحَقِّ مُسْتَظْهِرًا وَإِنِّي عَائِدٌ تَتَفَقَّحُ كَحَدِيدِ

« وبذل المهبج » معناه : بذلك مجيود استطاعة العبد على قدر وإقامة

إلى الله تعالى وإيثاره لله عز وجل على جميع مخلوقه .

قال : الخواص رحمه الله : وقال هورجيه بقوله : إن الله عز وجل هو الذي

الاستراحة فيه قائمة ، فلا ينقذ في اتجاهه .

قال القائل :

يَا مَهْبِجِ الدَّلَّ وَالْمُهْبِجِ كَأَنَّكَ مَسْجَانُ تَوْبِي الْمُهْبِجِ

ومعنى «المُهِج» : جميع المحبوبات إليك ، من النفس ، والمال ، والولد .

و«تُتَف» معناه : معنى الختف ، والختف والناب : ما يُنْتَكِظُ مِنْهُ الملائكة في حينه .

وقد حكى عن أبي حمزة الصوفي أنه قال : وقعتُ في شر فطرتي وأسمها ،

فأيستُ من نفسي وسألتُ الأمر إلى الله تعالى واستسألتُ ، فإذا بسهمٍ قد نزل البئر

فتعلقتُ برجله وأخرجني من البئر ، فسمعتُ صوتاً يقول : يا أبا حمزة هذا حسنٌ ،

حينئذٍ من التفت ، فقل أبيتاً وفيها هذان البيتان :

رُبُّهُ رُبِّي مِنْ هَيْبَتِي نَكَّ وَحَشَهُ فَمَقَرُّ نَسِي بِاللَّحْفِ مَذَكَّ وَبِالْعَطْفِ

وَأُخْرِجُ مَجْرَأَتِي فِي لَحْبٍ حَقِيقَةٍ وَدَاعِبٍ : كَوْنُ الْحَيْقَةِ لِحْفٍ

قال المصنف رحمه الله : من اتقى على علم التوحيد بشهادة من شهد الله عز وجل به

قدمُ ظهوره في جهنم من النار .

و«الهاج» : توجه القلوب إلى الله تعالى بصدق الذوق والرجاء .

وقال المصنف رحمه الله : من لم يكن في صفة الذوق والرجاء عند الموت ،

بقيت أمة غير على يوم القيامة .

وقال المصنف رحمه الله : «وقل : رَبِّ أَنْزِلْ حَسْبِي مِنْ سَمَاءٍ مَدِينٍ وَأَخْرِجْنِي

مِنْ رَجِيمٍ» (١) هذا الظاهر في الدعاء ، حتى يتقرب إليه من نفسه صلى الله عليه وآله

بصدق شاقته إلى الله تعالى ، وبصدق حاجته إلى الله تعالى .

وهذا الدعاء من الدعاء الذي لا يقبله الله تعالى .

وقال المصنف رحمه الله : «وقل : رَبِّ أَنْزِلْ حَسْبِي مِنْ سَمَاءٍ مَدِينٍ وَأَخْرِجْنِي

مِنْ رَجِيمٍ» (١) هذا الظاهر في الدعاء ، حتى يتقرب إليه من نفسه صلى الله عليه وآله

بصدق شاقته إلى الله تعالى ، وبصدق حاجته إلى الله تعالى .

وهذا الدعاء من الدعاء الذي لا يقبله الله تعالى .

(١) الإسراء : ٨٠

Marfat.com

وقد قيل لبعض المشايخ، أظنه إبراهيم الخواص رحمه الله أصحابك يقولون : نحن نأخذ من الله إذا أخذنا ، ولا نراهم إلا يأخذون من الناس ، فقل : من ذا الذي يُزعج قلوب الناس حتى يُعطوهم من غير أن يطلبوا منهم شيئاً ويسألوهم ؟
و «جذب الأرواح» .

فالألفاظ الأرواح وسُدُّ القرب ومشاهدة الأسرار والمنجاة ومخطبة وما يشاكل ذلك ؛ فإن أكثر تلك عبارات تُعبر عن التوفيق والعناية ، وما يبدو على القلوب من أبواب الهداية على مقدار قرب الرجل وبعده وصدقه وصدقته في وجوده . قال أبو سعيد الخزاز : إن الله تعالى جذب أرواح أوليائه إليه ، ولذاهب كرهه ووجدوه إلى قربه ، وعجل لأبدانهم التمدد بكل شيء . فعيش أبدانهم عيش الحيوانين ، وعيش أرواحهم عيش الرانين .

وقال الراسطي رحمه الله : إنما شهدهم أنطافه التي بها جذب من أرواحهم إلى نفسه . وقال : إذا جذب الأرواح عن الأشباح ، ثبت الأشباح مع العقول والقلوب ؛ لأنه حججها بشرط العقول ، وآيسبهم أن يكون لهم شيء . من قلوبهم أو عقولهم .
«قال بفضل الله» (١)

و «الوطر» : منية وثمنه شؤدة على حد من مات في الدنيا فمات في الآخرة . ويقال : فلان هم المتكلم في وطره والمعنى في وطره .
قل القتال :

ورحلت إلى ربه قبض أه طارى
وما ماتت حيا ولا ميتا
وقال ذو النون رحمه الله :
أموت وما ماتت إياك حيا
ولا أقبلت مني موتا
مناي مني كل مني أنت مني
ماتت العين مني ما لم يمت
وقيل لحسك : أي المداخن أحب للسكان والله طاع فيهم .

(١) يونس ٥٧ . ونس الآية : قل بفضل الله وفي رحمته فبذلك فليفرحوا بغير حياء .
ما يجمعون :

فقال : أحبُّ المِوَاطِنَ إلى صاحبه : موطن إذا دعا فيه أو طارده أجابته ، والموطن
 موطن العبد حيث انتهى به الحال واستقر به القرار .

ويقال : قد تورطت في حال كذا ومقام كذا .

قال الجنيد رحمه الله في كلام له : إن الله عباداً على وطنات مطيِّحاً لانه يركبون
 وبالسرعة والبدار إليه يستبقون .
 وقال النوري رحمه الله :

أما ترى كَمَّيْنِي شَرَّدَنِي عَنْ وَطَنِي
 إِذَا تَعَيَّتُ بَدَا وَإِنْ بَدَا غَيَّبَنِي
 يَقُولُ لَا تَشْهَدُ مَا تَشْهَدُ أَوْ تَشْهَدُنِي

وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله : الإيمان أفضل من اليقين ، لأن الإيمان
 ووطنات واليقين خطرات .

وإنما وصف قدر ما شهد من يقينه ، ووصف نفسه بذلك ، وأراد بذلك غرْبَهُ
 عنده ، لأن اليقين صفة العلم في القلب واستقراره فيه ، والناس فيه متفاوتون .
 و « الشرود » بفتح الصاد من منازل الحقائق وملازمة الحقوق .

قال ابن الأعرابي رحمه الله : أو ما تراهم مشردين ، في كل وادٍ يهبمون ، والكل
 بارق يتبعون ؟ ! .

قال الواسطي : غذاهم بتربية الأحوال ، ونعمهم بالملاحظة لهم في الأعمال .
 يجب على المرء أن يكون في صدق الثقة واللجأ في أيام حياته ، لئلا يرد عليه
 ذلك الشرود ، فيحس بذن الشرود ، ويطلب من كل أحد عوناً بدعائه وبكلمه ،
 ولو كانت صحة الوجد في الأوقات مصحوبه ، ما أصابه ذلك الشرود .

و « القصود » : معناه : الإرادات والنيات الصادقة ، المقرونة بالنهوض إليه .

حكى عن أحمد بن عطاء رحمه الله أنه قال : من قصد في قصوده غير الحق فقد عظمت استهانتة بالحق .

وقال الواسطي رحمه الله : خواطر التصود ، جعود للمعبود ، وكيف يشهد التصود من هو في معاني المقصود ؟ معناه : أن من يشاهد المقصود في قصده سقط عنه رؤية قصده في قصده .

و « الاصطناع » : مرتبة خص الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والصديقون . وقال قوم : الاصطناع خص به موسى من جميع الأنبياء عليهم السلام قوله : « وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي » (١)

وقال قوم : هي مرتبة الأنبياء عليهم السلام دون غيرهم . قال أبو سعيد الخراز رحمه الله : أول بادٍ من الحق قد أحدهم في أنفسهم وأتت أنفسهم في أنفسهم ، واصطنعهم لنفسه ، وهذا أول دخول في التوحيد من حيث ظهور التوحيد بالذات يوميه .

وسئل بعضهم عن قوله جل جلاله : « وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي » ، « وَيُنْصِبُ مِنْ عَيْنِي » (٢) فوال : ما جاني ولا ولي من محنته ، ولا سلم أحد في منته من نفسه . و « الاصطناع » معناه : الاجتباء في سابق العلم ، وهو اسم مشترك . قال أبو علي : واجتَبَبْنَا هُمْ وَكَدَيْنَاهُمْ (٣) ، وقال الله تعالى « اللَّهُ يَخْتِطُّ مِنَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمِنَ النَّاسِ » (٤)

وقال الواسطي رحمه الله : ابتداءك بنفسه ، واصطناعك لنفسه ، من حسنات إخطار نفسه فيما بدأت ، فإن قابلته بنفسه أمره بحسناته من الهداية .

(١) طه : ٤١

(٢) طه : ٣٩

(٣) الأنعام : ٨٧

(٤) الحج : ٧٥

و « التلبيس » تحلّى الشيء بنعتٍ ضده .

حكى عن الواسطى ، رحمه الله ، أنه قال : التلبيس عين الربوبية ، معناه : أن المؤمن يظهره في زي الكافر والكافر في زي المؤمن ، قال الله ولبسنا عليهم ما يلبسون « (١) :

وقال الجنيد ، رحمه الله : امتزج بالتلبس واختلط متشوّراً في لأحسب ، وما يتغير عن في الالتباس يتركه عنه كسرعه ما حوذي ومختلس ، وانقاد في هذا المعنى :

بنا يكشف التلبيس في كل ما كبر إذا طاح في الشورى وطاح السوء
و « الشرب » : تاقى الأرواح والأسرار العشرة كما ورد عليهم من الكرمات وتعمد
بدلك ، فشبه ذلك بالشرب ، تشبيهاً وتعمده بما يرد على قلبه من أثار المشاهدة
قرب سيده .

قال : ذو النون ، رحمه الله : وردت قلوبهم على بحر الحجة فالتفتت من شرب
من الشراب ، فشربت منه بمخاطرة القرب فعمل عليهم كل عرض عارض
هم دون لقاء المحبوب .

وقال القائل في هذا المعنى :

شربت كسأ على ذكراك صافية
فما وجدت شيء عندك لي شغافاً
« الذوق » : ابتداء الشرب :

قال ذو النون رحمه الله : كنت أريد أن يسقمهم من شربهم فلهذا
لذاذته وألعمتهم من حلاوته .

قال القائل في هذا المعنى :

يأبى لون تكالي ومن لم يذوق
فول لاجسر لم يذوق

(١) الأنعام : ٩

« والعَيْن » : إشارة إلى ذات الشيء الذي تبدو منه الأشياء .

قال البساطي رحمه الله : وقوم^ه علموا مصادر الكلام من أين ، فوقعوا على

العَيْن فغابوا عن البحث والطلب .

وقال البستاني رحمه الله : حكايات أبي يزيد البساطي رحمه الله تدل على أنه

كان قد بلغ إلى عَيْن الجمع ، و « عين الجمع » : اسم من أسماء التوحيد ، له نعت^ه

ووصف يعرفه علماء .

وقال الكوفي :

مَعْنَى الْخَرَبِ فَلَاعَيْنٌ وَلَا أَمْرٌ مَعْنَى عَادٍ وَفَقَدَانِ الْأَلَى إِرْمٌ

و « الاصطلاح » : نعت غيبة ترد على العقول فيستلها بقدره سلطانها وتبرده .

قال بعضهم : قلوب متحننة وقلوب مصطلمة ، وإن وقع الاصطلاح فيرد ذهابه

إلى قوله .

إِذَا مَدَّت لِي تَعَانِيَتْهَا فَأَصْلُهُ رُفِي حَالٍ مِنْ كَمَا يَرِدُ

فَيَقْطَعُ الْكُلَّ مَعْنَى مَهٍ وَيُنْجِبُ عَنِّي بِهَا مَا أُجِدُّ

و « الحرية » : إشارة إلى نهاية التحقيق بالعبودية لله تعالى ، وهو أن لا يملكك

شيء من المسكونات وغيرها ، فتكون حراً إذا كنت لله عبداً ، كما قال بشر

السري رحمه الله فيما حكي عنه أنه قال : إن الله تعالى خلقك حراً ،

فكن كما خلقك ، لا ترائي أهلك في الحضر ، ولا رُفقتك في السفر ، اعمل لله

وكدع الناس عنك .

قال البستاني رحمه الله : آخرُ مقام العارف ، الحرية .

وقال بعضهم : لا يكون العبد عبداً حقاً ويكون لما سوى الله مُستترقاً .

و « الرين » : هو الصداً الذي يقع على القلوب .

قال الله تعالى : « كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » (١) .

(١) الطهنيين : ١٤

وقال بعض أهل العلم : حُبُّ القلوب على أربعة أوجه : فمنها الختم والطبع ،
وذلك لقلوب الكفار ، ومنها الرِّين والقسوة ، وذلك لقلوب المنافقين ، ومنها
الصدأ والغشاوة ، وذلك لقلوب المؤمنين .

سئل ابن الجلاء : إمام سُمِّي أبوك أجلاء ؟ فقال : ما كان بجلاء الخدي هو ولكن
كان ، إذا تكلم على القلوب جلاها من صدأ الذنوب .

١٩١ و« الغنَّين » : قد أُكثِرَ في وصفه وهو خير ضيِّف ، قدرُوى عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال : إني ليعانُ على نبيِّ فأستظنُّ الله وأتقربُ إليه في اليوم ، أتقربُ
فقالوا : الغنَّين الذي كان يعارض قلب النبي صلى الله عليه وسماً ، وكان يترك فيه
مثله مثل المرآة إذا تقس فيها الناظر فينقص من ضوءها ثم تعود إلى حدِّ طوبى .
وقال قوم : هذا محال ، لأن قلب النبي صلى الله عليه وسلم لا ينجسه شيء من
خلق ، لأنه مخصوص بالرؤية .

قال الله تعالى : « ما كذبَ الفؤادُ ما رأى » (١) ، وليس لأحد أن يمس قلب
قلب النبي صلى الله عليه وسلم ، بوجوه ، أو نعت ، أو يشبهه بشيء ، أو يضرب به
مثلاً ، أو يعمله بعلة خفية أو جليلة .

وقال أبو علي الروذباري رحمه الله في معنى الإضافة :

الغنَّينُ نجسٌ عن تحصيلِ استيادِ	القلب لا يسحق بان عن
فإن تراءت بسوق الحق رف يثها	كان السعَّين في الدعمر
ليكني قات ملاحت طور العبد	من المائل
والثوب منه على معني الرفاق وما	تبدى سر أرها شيبا لجمته

وهذه الألفاظ قد شرحناها على حسب ما فتح الله به على قلوبنا في الوقت .

والذي بقي أكثر ، وإن استقصيت في شرحها يطول به الكتاب ، ويخرج عن الاختصار .

ونذكر بعد ذلك شرح الشطحيات من كلامهم الذي يكون ظاهره مستشنعاً ، ويربطه صحيحاً مستقيماً ، والله الموفق للصواب .

و«الوسائط» : الأسباب التي بين الله تعالى وبين العبد من أسباب الدنيا والآخرة .

سئل بعض المشايخ عن الوسائط فقال : الوسائط على ثلاثة أوجه : وسائط

مواصلات ، ووسائط متصلات ، ووسائط منفصلات .

والمواصلات بؤاذي الحق ، والمتصلات العبادات والمنفصلات حظوظ النفس :

وقال أبو علي الروذباري رحمه الله : وهو الذي جعل الوسائط رحمة للعارفين ؛

ليؤثروا عليها .

كتاب تفسير الشطحيات والكلمات التي ظاهرها

مستشنع وباطنها صحيح مستقيم

باب في معنى الشطح والرد على من أنكر ذلك برأيه

إن سأل سائل^ه فقال: ما معنى الشطح؟

فيقال: معناه عبارة^ه مستغربة^ه في وصف وجد فاض بقوته، وهج بشدة

غليانه وغلبته.

وبيان ذلك: أن الشطح في لغة العرب: هو الحرك^ه . يقال: شطح^ه يسطح^ه

إذا تحرك^ه، ويقال للبيت الذي يحوزون فيه الدقيق، المشطح^ه، قال الشاعر:

قن^ه بشط الفرات مشرعة الخيل قبيل الطريق بالسطح

بالحو حين من حجرة بطريق بني العيزلان ديار ميلان

وإذا لاح بانسنة طي^ه قد كساه لإشرف في ضوء الصبح

فأقر ذلك العزال في سلام^ه ك^ه صح صحح^ه بملاح

وإذا سمي ذلك البيت «المشطح» من كثرة ما يحركون فيه الدقيق قوي صوت

الموضع الذي ينخونه به، ورد^ه يبيض^ه من حبه من كثرة ما يحركونه به، ومن

لفظة مأخوذة من الحرك^ه بالأم^ه حرك^ه أمر راء الجاهل إذا قوي^ه وحرك^ه

وجدتم ذلك بعبارة استغرب سامعها، فليقول ذلك بالإنسان^ه وهو

وسالم^ه رجع الإنسان^ه غم^ه والبيت^ه يحرك^ه على حسنة^ه راع^ه عن^ه فاعلم^ه

ويكون ذلك من شدة^ه.

الآخري أن الماء الساكن إذا جرى في عهد^ه يبيض^ه من كثرة ما يحرك^ه

شطح الماء في الدهر^ه فكذلك^ه إذا^ه الجاد^ه: إذا قوي^ه وكثرت^ه فاعلم^ه

ما يردُّ على قلبه من سطوة أنوار حقائقه ، سطع ذلك على لسانه ، فيترجم عنها
بعبارة مستغربة مشككة على فهم سامعيها ، إلا من كان من أهلها ، ويكون متبحراً
في علمها ، فسَمِيَ ذلك على لسان أهل الاصطلاح : شطحاً .

وَبَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَتَحَ قُلُوبَ أَوْلِيَائِهِ وَأَذِنَ لَهُمْ بِالْإِشْرَافِ عَلَى دَرَجَاتِ
مُتَعَالِيَةٍ ، وَقَدْ جَادَ الْحَقُّ تَعَالَى عَلَى أَهْلِ صِفْوَتِهِ وَالْمُتَحَقِّقِينَ بِالتَّوَجُّهِ وَالانْقِطَاعِ إِلَيْهِ
بِكَشْفِ مَا كَانَ مُسْتَتْرَافاً عَنْهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ مِنْ مَرَاتِبِ صِفْوَتِهِ وَدَرَجَاتِ أَهْلِ الْخِصْرُوصِ
مِنْ عِبَادِهِ .

فكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَنْطِقُ بِحَقِيقَةِ مَا وَجَدَ وَيَصْدُقُ عَنْ حَالِهِ ، وَيَصِفُ مَا وَرَدَ
عَلَيْهِ مِنْ بِنْعَتِهِ وَمَقَالِهِ ، لِأَنَّهُمْ لَا يَرُونَ حَالاً أَعْلَى مِنْ حَالِهِمْ حَتَّى يَحْكُمُوهَا ، فَإِذَا
أَحْكَمُوهَا فَعِنْدَ ذَلِكَ يَسْمُونَ مَهْمَمِهِمْ إِلَى حَالَةِ أَعْلَى مِنْ ذَلِكَ حَتَّى تَنْقُصِي الطَّرْفُ
وَالْأَحْوَالِ وَالْأَمَاكِنِ إِلَى غَايَةٍ وَمَهْيَاةٍ ، هِيَ أَعْلَى الْمَهْيَاةِ وَغَايَةِ الْغَايَاتِ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ » (١)

وَقَالَ : « وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ » (٢)

وَقَالَ : « أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ » (٣)

وَأَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَسْطُرَ لِسَانَهُ بِالْوَقْعِيَّةِ فِي أَوْلِيَائِهِ وَيَقْيِسَ بِفَهْمِهِ وَرَأْيِهِ مَا يَسْمَعُ مِنْ
الْفَاظِهِمْ وَمَا يُشْكِلُ عَلَى فَهْمِهِ مِنْ كَلَامِهِمْ ، لِأَنَّهُمْ فِي أَوْقَاتِهِمْ مُتَنَوِّتُونَ ، وَفِي
أَحْوَالِهِمْ مُتَفَاخِلُونَ وَمُتَشَاكِلُونَ وَمُتَجَانِسُونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، وَلَهُمْ أَشْكَالٌ وَنُظْرَاءُ
مَعْرُوفُونَ ، فَمِنْ بَانَ شَرَفُهُ وَفَضْلُهُ عَلَى أَشْكَالِهِ ، بِفَضْلِ عِلْمِهِ وَسَعَةِ مَعْرِفَتِهِ ، فَلَهُ
أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي عِلْمِهِمْ وَإِصَابَتِهِمْ ، وَنَقْصَانِهِمْ وَزِيَادَتِهِمْ ، وَمَنْ لَمْ يَسْلُكْ سَبِيلَهُمْ ، وَلَمْ
يَنْحُ نُحُورَهُمْ ، وَلَا يَقْصِدْ مَقْصِدَهُمْ ، فَالْإِسْلَامَةُ لَهُ فِي رَفْعِ الْإِنْكَارِ عَنْهُمْ ، وَأَنْ يَكُلَّ
أُمُورَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَيَسْتَتِمُّ نَفْسَهُ بِانْغِلَاطِ فِيمَا يَنْسِبُهُ إِلَيْهِ مِنَ الْخَطَا . وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

(٣) الإسراء : ٢١

(٢) الزخرف : ٢٢

(١) يوسف : ٧٦

باب تفسير العلوم وبيان ما يشكك على فهم العلماء من

علوم الخاصة وتصحيح ذلك بالحجة

قال الشيخ رحمه الله : إعلم أن العلم أكثر من أن يحيط به فهم الفهماء أو يدركه عقول العقلاء ، وكفك بك قصة موسى والخضر عليهما السلام مع جلالته موسى عليه السلام وما خصه الله به من الكلام والنبوة والوحي والرسالة .

وقد ذكر الله تعالى في الحكيم الناطق على نسان نبيه الصادق عجز موسى عليه السلام عن إدراك علم عبد من عبده إذ قال تعالى : « فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ رَبِّهِمَا آتِيَ سَاءَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا » (١) الآية ، حتى سأله فقال :

« هَلْ أَتَيْتَكَ » (٢) الآية ؟ مع تأييد موسى عليه السلام وشرفه وعظمته من الإنكار عليه ، على أن الخضر عليه السلام لم يلحق درجة موسى عليه السلام في النبوة والرسالة والتكليم أبداً .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قبلاً ولما كنتم كافرين » (٣) ولما تاذنتم بالنساء ، ولا تقاررتن على فرثكم ، ونخرجنكم إلى الصعدات بأروان إلى الله تعالى . والله لو ددت أنى كنت شجرة تؤمدت » رواه إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن مورق عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وفي هذا الخبر دليل على أن قوله : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك » (٣) ولم يقل ما تعرفنا به إليك .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « لو تعلمون ما أعلم » لم يأت من أمر من أمر بالبلاغ لبلاغهم ، ولو صالح لهم أن يعلموه نعماتهم ، لأن الله تعالى خص النبي صلى الله عليه وسلم بعلم ثلاث :

(١) الكهف : ٦٥

(٢) الكهف : ٦٦

(٣) المائدة : ٦٧

علم بين للخاصة والعمامة وهو : علم الحدود والأمر والنهي .

وعلم يخص به قوم من الصحابة دون غيرهم : هو العلم الذي كان يعلمه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه حتى كان يسأله عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع جلالاته وفضله ويقول : يا حذيفة ، هل أنت من المنافقين ؟ .

وكذلك روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : « علمي رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين باباً من العلم لم يعلم ذلك أحد غيري » . قال : « وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا أشكل على أحدهم شيء ، يلتجئون في ذلك إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه » .

وعلم يخص به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما يشاركه فيه أحد من أصحابه : وهو العلم الذي قال : لو تعلمون ما أعلم .

فإن أجل ذلك علم : لا ينبغي لأحد أن يظن أنه يحوي جميع العلوم حتى يتخلى رأيه كإله الخصوصيين ويكفرهم ويندقهم وهو متعبر من مآرسة أحوالهم ومداراة حقائقهم وأعمالهم .

وعلم الشريعة على أربعة أقسام .

فالقسم الأول منها : علم الرواية والآثار والأخبار ، وهو العلم الذي ينقله الثقات عن الثقات .

والقسم الثاني : علم الداربية وهو : علم النقه والأحكام ، وهو : العلم المتداول بين العامة والتقاة .

والقسم الثالث : علم القيس والنظر واحتجاج على المخالفين ، وهو : علم الجدل وتبويت الحجج على أهل الهدى والضلالة نصرة الدين .

والقسم الرابع : هو أعلاها وأشرفها ، وهو : علم الحقائق والمنازلات ، وعلم العمالة والمجتمعات ، والإخلاص في الصلوات ، والتوجه إلى الله عز وجل من جميع الجهات ،

والانقطاع إليه في جميع الأوقات ، وصحة القصور والإرادات ، وتصفية السرائر من الآفات ، والاكتفاء بخالق السموات ، وإماتة النفوس بالخالفات ، والصدق في منازلة الأحوال والمقامات ، وحسن الأدب بين يدي الله في السر والعلانية في الخطوات ، والاكتفاء بأخذ الباعثة عند غلبة الفاقات ، والإعراض عن الدنيا وترك ما فيها ، طلباً للرفعة في الدرجات ، والوصول إلى السكرات .

فمن غلط في علم الرواية غلطاً لم يسأل عن غلطه أحداً من أهل الدراية .

ومن غلط في علم الدراية شيئاً لا يسأل عن غلطه أحداً من أهل علم الرواية .

ومن غلط في شيء من علم القياس والنظر فلا يسأل عن غلطه أحداً من أهل

علم الرواية والدراية .

وكذلك من غلط في شيء من علم الحقائق والأحوال فلا يسأل عن غلطه لا

عالمًا منهم كاملاً في معناه .

ويمكن أن توجد هذه العلوم كلها في أهل الحقائق ، ولا يمكن أن يوجد الحقائق في هؤلاء إلا بمشأه الله . لأن علم الحقائق ثمره العمود كله وهو في جميع

العلوم ، وغاية جميع العزم إلى علم الحقائق ، فإذا انتهى إليه وقع في بحر الإحسان ، وهو علم القلوب ، وعلم المعارف ، وعلم الأسرار ، وعلم الرطب ، وغير النصوص ، وغير

الأحوال ، وعلم المعاملات ، أي ذلك شئ ، فعمده واحده .

قال الله تعالى : « قل لو كان البحر مدائن لكذبتم لظنتم أن لن نقدر عليه ، لولا أن ننزل الكتاب من ربكم وتبين لكم آياتنا »

قبيل أن تنفذ ليلت ، أي ولو جعلت يمشي كذا »

ألا ترى أن هؤلاء لا ينكرون شيئاً من علومهم ، وهم في حيرة من أمرهم ؟

إلا مشأه الله ؟

وكل صنف من هؤلاء إذا تبحر في علمه ، فصار منتقياً في فهمه فهو سيد لا يفتقر

لأحد لهم من الرجوع إليه في شكك عليهم .

وإذا اجتمعت هذه الأقسام الأربعة في واحد فهو الإمام الكامل ، وهو القطب
والحجة والداعي إلى المنهج والحجة .

كما روى عن علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه أنه قال ، في كلام له لكم - يلى
ابن زياد : اللهم بئى ، لا تخلف الأرض من قائم لله بحججه لئلا تبطل آياته وتدحض
حجته : أو انك الأقرون عدداً ، الأعظمون عند الله تعالى قدراً .

وقد رجعت إلى معنى الشطح وتفسير الشطحيات ، وأقل ما يوجد لأهل الكمال
الشطوح : أنهم متمسكون في معانيهم ، وإنما وقع في الشطح من كان في بداية
وكان مراداً بالوصول إلى الكمال والغاية ، فتكون بدايته نهاية الإرادات ، وهي
في معناها : بداية الغايات والكمال والنهايات .

والله أعلم بالصواب .

باب في كلمات شطحيات تحكي عن أبي يزيد

[قد فسر الجنيد] طرفاً منها

قال الشيخ رحمه الله : قد فسر الجنيد رحمه الله شيئاً قليلاً من شطحيات أبي يزيد رحمه الله ، والعقل يستدل بانقضاء على الكثير ، ومن الجاهل أن أجد الجنيد رحمه الله تفسيراً لكلامه ، وأدرك ذلك وأتكم من عندي له جواباً غيره .

قال الجنيد رحمه الله : الحكايات عن أبي يزيد مختلفة ، والدقون منه في سمهوه منفرقون ، وذلك ، والله أعلم ، لاختلاف الأوقات الجارية عليه ، ولاختلاف المواطن المتداولة به ، فكل من عنده ما طيب من قوله ، ويتردى ما سمع من تفصيل موطنه .

وقال الجنيد رحمه الله : وكان من كلام أبي يزيد رحمه الله ، تقوته وتورده ، ومعانيه ، مغترفة من بحر قد انمرد به ، وجعل ذلك البحر له وحده .

قال الجنيد رحمه الله : ثم إنى رأيت الغيبة القصوى من حاله ، يعني من حال أبي يزيد رحمه الله ، حالاً قلاً من يفهمها عند أو يعبر عنها عند السمع ، لأنه لا يَحْتَمَلُ إلا من عرف معناه وأدرك مستقده ، ومن لم يكن هذه صفة عند السمع ، فذلك كله عنده مردود .

وقال الجنيد رحمه الله : رأيت حكايات أبي يزيد رحمه الله ، وهي من معانيه ينبيء عنه : أنه قد غرق فيما وجد منه ، وذهب عن - حقيقة الحق ، إذا لم يرد عليه ، وهي معاني غرقه على تورات من العرف ، كل واحد منها غير صحبته .

وقال الجنيد رحمه الله : أما ما وصف من بدايات حاله فهو قومي شكي ، قد بان

منه الغاية ، وقد وصف أشياء من علم التوحيد صحيحة ، إلا أنها بدايات ، فيما يطلب
منها المرادون لذلك .

وهذه الكلمات التي أريد أن أذكرها ليست هي مما يكتب في المصنفات ؛
لأنها ليست من العيون الموثوقة عند العلماء ، وإنما رأيت الناس قد أكثروا الخوض
في معانيها : فواحد قد جعله حجة باطلة ، وآخر قد اعتقد في قائلها الكفر ، والجميع
قد غلطوا فيما ذهبوا إليه ، والله الموفق للصواب .

باب في ذكر حكاية حكيمة عن أبي يزيد البسطامي

رحمه الله تعالى

وقد شاع كلام الناس أنه قال : ذلك ، ولا أدري : يصح منه .
ذلك أم لا ؟

ذكر عن أبي يزيد أنه قال : رفعتي مرة فقامني بين يديه ، وقال لي :
يا أبا يزيد ، إن خالق يجهل أن يروك .

فقلت : زيني بوحدانيتك ، وأبسين أسئلتك ، ورفعتي إلى أحديقتك ، حتى
إذا رأيت آخيتك قولي : رأيتك ، فتكون أنت ذلك ، ولا أكون أنا ذلك .

فإن صح عنه ، ذلك فقد قل : اجزيك ، رحمه الله ، في كتب تفسيره لكلام أبي
يزيد ، رحمه الله : هذا كلام من لم يأسه حقائق وجد الشربك في كتب حقايق
التوحيد ، فيكون مستغنياً بما أسسه عن كون مستغنياً .

وسألته لذلك يدل على أنه مقرب لما عندك ، وليس مقرب لما كان يظن
فيه عن الإمكان والاستمكان .

وقوله : أبسين وزيني وارفعني : يدل على حقيقة ، ووجدت في بعض
وهكأنه ، ولم يكن الحظوة إلا بقدر ما استجابته .

قلت : فهذا الذي فسر جزيك ، رحمه الله ، فقد وصف حاله من
مكأنه في أشار إليه أبو يزيد ، رحمه الله .

فأما ما يند المتعنت والمعاند متذلاً بالظن على من قول من قال ذلك فهو بين .
وإلى ذلك المعنى والمقصد وبالله التوفيق .

وقوله : رفعتي مرة ، فقامني بين يديه ، يعني أنه هدى ذلك وأحضر قاي ذلك ؛
لأن الخلق كلهم بين يدي الله تعالى ، لا يذهب ساية منهم نفس ولا خط ، ولا كان

بمفاضلون في حضورهم لذلك ومشاهدتهم ، ويتفاوتون في صفاتهم من كدورة
 ما تجيب بينهم وبين ذلك من الأشغل القاطمة والخواطر المانعة .
 وقد روي في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يدخل
 في الصلاة يقول : وفقت بين يدي الملك الجبار .
 وأما قوله : قلب لي ، وانت لي ، فهو يشير بذلك ، إلى مناجاة الأسرار وصفاء
 الذكر ، فإنه يشهد القائل بمرافقة الملك الجبار في آفة الليل والنهار .
 فيقول : أنت قلت قلت ، فإن التجميع يشبه بعضه بعضاً ، وانعلم أن السبد إذا
 ثقب بغيره يسهل منه ، وبذلك يحضر أبقابه من قبا نخر طرده ، فكل خاطر يخطر
 بقلبه فيسكنه الله ينطبه بذلك ، وكل شيء يقنكر بسره فكأنه يطلب
 الله تعالى بزيادة لطرافه وحركات الأسرار وما يقع في القرب ، بدوه من الله
 والله يرد إلى الله .

فبدأ على هذا المعنى ، والله على ما صواب .

وقد قال القائل :

مَشَّنَهُ الْمَنَى قَوْلًا نَدِيًّا فَتَنَعْتُ فَنَدَا لِلنَّعِيمِ
 مَشَّنَهُ حَتَّى كَأَنِّي أَنجِيهِ بِسِرِّي وَسِرِّ الْمَكْتَرُمِ

وقال آخر :

قَل لِي حِينَ رَمْتَهُ كُلُّ ذَا قَوْلٍ عَلِمْتَهُ
 لَوْ بَكَى طُولَ عَمْرِهِ بِدَمٍ مَا رَحِمْتَهُ

يريد مناجاة الأسرار : ومثل ذلك كثير في الشعر وغيره .
 وأما قوله : زَيْنِي بُوْحْدَانِيَّتِكَ ، وَأَلْبَسْنِي أَمَانِيَّتِكَ ، وَاَرْفَعْنِي إِلَى أَحْدِيَّتِكَ :
 يريد بذلك الزيادة والانتقال من حاله إلى نهاية أحوال المتحققين بتجريد التوحيد
 والمفردين لله بحقيقة التفريد .

وقد ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما روى عنه : سبق المفردون ١٩٥
 قيل : يا رسول الله ، ومن المفردون ؟ قال : الحامدون في السراء والضراء .
 وأما قوله : ألبسني أدانيتك حتى إذا رأني خالقت قالوا : رأيناك ، فتكون أنت
 ذلك ، ولا أكون أنا هناك : فهذا وأشبه ذلك تصنف فناءه ، وفناءه عن نفسه ،
 وقيام الحق عن نفسه بالوحدانية ، ولا خلق فسين ، ولا كون كان .

١٩٦ وكان ذلك مستخرج من قوله صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى : «ما زال العبد
 يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه» ، فإذا أحبه الله كمنتهى عينه التي يبصر بها ، والسمع
 الذي يسمع به ، واللسان الذي ينطق به ، ويده التي يبطش بها ، كما أحبه
 في الحديث .

وقد قال القائل في وجده بنفسه في مثله ، وقد وصف وجده في قوله حتى قال :
 أنا من أهوى وكس أهوى أن ، فإذا أبصرتني أبصرتنا
 نحن رُوحان معاً في جسد أس الله كمنتهى كمنتهى
 فإذا كان مخلوق يبد محروف ، حتى قول مثل ذلك ، في ظننا ما هو المصنف ؟
 وباعني عن بعض الحكماء أنه قال : لا يبلغ المتحبان حقيقة الطيبة حتى يقول
 الواحد الآخر : يا أذ .

وشرح ذلك يطول إن استقصيت ، وفي ذلك كفاية ، والله العليم

باب آخر في تفسير حكاية ذكرت عن

أبي يزيد رحمه الله

قال الشيخ رحمه الله : قلت : وقد حكي أيضاً عنه أنه قال : أول ما صيرت
إلى وحدانيته ، فصيرت طيراً أجسده من الأحذية ، ووجدناه من الدائمة ، فلم
أزل أطير في هواء الكيفية عشر سنين ، حتى صيرت إلى هواء مثل ذلك مائة
ألف ألف مرة ، فلم أزل أطير إلى أن صيرت في ميدان الأزلية ، فرأيت فيها
شجرة الأحذية .

وصف أرضها وأصاب وفرعها وأغصانها وثمرها ، ثم قال : فظننت فعلت
أن هذا كله خدعة .

قال الجنيد ، رحمه الله ، أما قوله : أول ما صيرت إلى وحدانيته : فذلك أول
حظة إلى التوحيد ، فقد وصف ما لاحظ من ذلك ، ووصف النهاية في حال
بوغه ، والمستقر في تنامي رسوخه :

وهذا كله طريق من طريق المطورين ، يباوئ إلى حقيقة علم التوحيد بشواهد
معانيها ، منظورا إليها ، متوهماً بأهاليها ، مرسلين في حق ما لاحظوه
ثم شهدوه .

وليس لذلك إذا كان كذلك غاية كونه يقوamy عليه المطوب به ، ولا رسوب
في إرمان يصيرون إليه ، بل ذلك على شهد التأيد فيه ، وإيثار التخليد في
وجدوا منه .

وقال الجنيد ، رحمه الله : وأما قول أبي يزيد ألف ألف مرة فلا معنى له ، لأن
نعتة أجل وأعظم مما وصفه وإنما نعت من ذلك على حسنت ما أمكنه ،

ثم وصف ما هناك ، وليس هذا ، بعد ، الحقيقة المطوية ، رلا الغاية المستوعبة ، وإنما هذا بعض الطريق .

في هذا ما فسرهُ الجنيد ، رحمه الله ، وفيه بآفة وكفاية لمن يفهم والله الموفق للصواب .

قال الشيخ رحمه الله : غير أن الجنيد قد تكلم على حل أبي يزيد ، رحمه الله ، فيما شطح به وما نطق بذلك عن وجده .

فأما ما نجد المتعنت مطعناً فيما قال أبو يزيد فلم يذكره ، وهو قوله عرفت طيراً ، ولم أزل أظير ، فكيف يهياً لله أن يصير طيراً ويظير ؟

والمعنى ، وما أشار إليه ، سمو الهمم وطيران القلوب ، وذلك موجود في لغة العرب : أن يقول القائل : كادت أظير من الفرح ، وقد ظير قلى وكاد يظير عقى .

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله : الزاهد سير ، والعرف طير ، يريد بذلك : أن المعارف — في قصده إلى مطوية — أسرع من الزاهد وهذا جائز .

وقد قال الله تعالى « وكل إنسان ألذماد طائره في عنقه » (١) .

روى عن سعيد بن جبير رحمه الله عليه في معنى تفسيره : ألذماد ما سعى له من السعادة والشقوة :

وقال الشاعر :

رب يوم كأنه يوم بأوا من دمع لقرت يوم
لو ترى رأيت يوم تولوا جسدا واقف دفن

« وأما قوله » : وما يضيف جناحيه وجسمه إلى الاحدة والذموميه .

(١) الإسمراء : ١٣

بذلك تَبَرَّيه من حوله وقوته في طبرانه ، يعنى في قصده إلى مطلوبه ، وأن يضيف فعله وحر كته ، في قصده إلى الأحد الدائم ، بلفظة مستغربة .

ومثل ذلك موجود في كلام الواجدين والمستهترين ، وإذا كان الغالب على سر الواجد وقلبه ذكر من يجده ، يصف جميع أحواله بصفات محبوبه ، مثل يحنون بنى عامر : كان إذا نظر إلى الوحش يقول : ليلي ! وإن نظر إلى الجبال يقول : ليلي ! وإن نظر إلى الناس يقول : ليلي ! حتى إذا قيل له : ما اسمك وما حالك ؟ يقول : ليلي . وفي ذلك يقول :

أَمْرٌ عَلَى الدِّيارِ ديارِ ليلي
وَأَقْبَلُ ذَا الجِدارِ وَذَا الجِدارِ
وَمَا حُبُّ الدِّيارِ شَغَفَنَ قَلْبِي
وَأَكُنُّ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيارِ

وقال غيره :

أَفْتَشُّ سُرَى عَنْ هَوَايَ فَلَا أَرَى
سِوَايَ وَأَنَّى عَنكَ وَالسَّكَنُ أَكْبَرُ
فَإِنْ وَجَدتْ أَنَّى فِى الرَّجْدِ أَمْرًا
فَإِنَّ عَبرَتُ عَنى فَعَنَّا تَعَبْرُ

ومثل ذلك كثير ومستحسن من القائلين في معنى ما قالوا في وصف وجدهم مخوف وفي هوى باطل ، والإشارة في معنى المراد من ذكر ذلك تغنى عن العبارة وبالله التوفيق .

وأما معنى قوله : عشر سنين ، وألف ألف مرة ، وميدان الأزلية ، وهواء الكينية : فذاك قد قال الجنيد رحمه الله : أنه وصف بعض الطريق .
وما قال الجنيد رحمه الله : كفاية عن كلامنا وتكرارنا في هذا .

وأما قوله فنظرت فعمت أن ذلك كانه خدعة ، معناه ساء والله أعلم : أن الالتفات والاشتغال باللاحظة إلى الكون والمماسكة : خدعة عند وجود حقائق التصريف وتجريد التوحيد .

فمن أجل ذلك قال الجنيد رحمه الله : لو أن أبا يزيد ، رحمه الله ، على عظام
إشارته خرج من البداية والتوسط ! ولم أسمع له نطقاً يدل على المعنى الذي ينهى
عن العاية ! وذلك ذكره للجسم ، والجناح والهواء ، والميدان .

وقوله : فعلمت أن ذلك كله خدعة ، لأن عند أهل النهاية أن الانتفات إلى أي
شيء - سوى الله خدعة ، فمن أنكر ذلك فقد قال سيد الأولين والآخرين ، صلى
الله عليه وسلم ، أصدق كلمة قالتها العرب قولُ ليبيد :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ (١)

باب أيضا في شرح كلام حكي عن أبي يزيد

رحمه الله تعالى

قال الشيخ رحمه الله : وقد ذكر عن أبي يزيد أيضا أنه قال : أشرفت على ميدان اللبسية فما زلت أظير فيه عشر سنين ، حتى صرت من ليس في ليس بليس . ثم أشرفت على التضبيع ، وهو ميدان التوحيد ، فلم أزل أظير بليس في التضبيع ، حتى ضعت في الضياع ضياعاً ، وضعت فضعت عن التضبيع بليس في ليس في ضياعه التضبيع ، ثم أشرفت على التوحيد في غيبوبة الخالق عن العارف ، وغيبوبة العارف عن الخلق .

قال الجنيد ، رحمه : هذا كله وما جاسه داخل في علم الشواهد على العيبة عن استدراك الشاهد ، وفيها معان من الفناء بتغيب الفناء عن الفناء .

ومعنى قوله : أشرفت على ميدان اللبسية ، حتى صرت من ليس في ليس بليس . فذاك أول النزول في حقيقة الفناء ، والذهاب عن كل ما يُرَى ولا يُرَى ، وفي أول وقوع الفناء انطاس آثارها .

وقوله : ليس بليس ، هو ذهاب ذلك كله عنه وذهابه عن ذهابه ، ومعنى ، ليس بليس : أى ليس شئ ، يحس ولا يوجد ، قد طمس على الرسوم ، وقطعت الأسماء . وغابت المحاضر ، وبلعت الأشياء عن المشاهدة ، فليس شئ ، يوجد ، ولا يحس بشئ . يفقد ، ولا اسم لشئ ، يعهد ، ذهب ذلك كله بكل الذهاب عنه ، وهو الذى يسميه قوم الفناء ، ثم غاب الفناء في الفناء ، فضاع في فئاته ، فهو التضبيع الذى كان في ليس به ، وبه في ليس .

وذلك حقيقة فقد كل شيء ، وفقد النفس بعد ذلك ، وفقد النقد في النقد ،
والارتباس في الانطماس ، والذهاب عن الذهاب ، وهذا شيء ليس له أمد
ولا وقت يُعهد .

وقال الجنيد ، رحمه الله : ذكره لعشر سنين : هو وقته ، ولا معنى له ، لأن
الأوقات في هذا الحال غائبة ، وإذا مضى الوقت وغاب به عنه عن غيب عنه .
فعشر سنين ومائة وأكثر من ذلك كله ، في معنى واحد .

قال الجنيد ، رحمه الله ، فيما بلغني : ثم قال أبو يزيد ، رحمه الله : أشرفت على
التوحيد في غيبوبة الخلق عن العارف ، وغيبوبة العارف عن الخلق : يقول : عند
إشرافي على التوحيد لمحقق عندي غيبوبة الخلق كإيه عن الله تعالى ، والعرفاء الله
عز وجل ، بكبرياته عن خليقته .

ثم قال الجنيد ، رحمه الله : هذه الألفاظ التي قال أبو يزيد ، رحمه الله : مرادها
في إدخال المراد في أريد منها .

فيبدأ ما بلغني عن الجنيد ، رحمه الله ، في تفسير هذه الكلمات لأبي يزيد ، رحمه
الله : والذي فسر الجنيد ، رحمه الله أيضا : مشكل إلا عند أهل البيت ، وفيه إشكال
ذات وأشهاد على من لم يتبحر في العلم ، ولم ينظر في الروايات ، وقد دون
الكتب عند العلماء ، في وصف عظمة الله تعالى ، وأشير في بعض
بذلك على ما لم يدون في الكتب من أفراد ، وأخص ما دونت
وخاصته وخالصته .

على أن الفهم من العاصم بالله : يعلمون أن كل من شهد بآياته في حياته لدى
خص به من أحوال المنقطعين إلى الله ، تعالى ، فهو في زيادة الحال مع الله ، عز وجل ،
في كمال نفس وطرفة عين من المزيد ، كائنه في كمال نفس مما يرتبط به من الحال ،

فهو في الانتقال في كل نفس من حال إلى حال ، إلى مالا نهاية له ، حتى يبلغ وطنه في مكانه إلى محله الذي هو مراد بذلك ، فكأن حال هو منقول إليه ، فهو : فإن به عن الحال الذي انتقل منه .

وهذا معنى قوله : الفناء ، والفناء عن الفناء ، والذهاب ، والذهاب عن الذهاب ، ووضعت فضيحت عن التضييع ضباعاً ، وإن كانت عباراته مختلفة ، فإن معانيه متفقة ، وحقائقه متسقة .

وبيان ذلك ، فيما روى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، في قوله تعالى : « ثُمَّ أَسْنَوِي إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ مُّفْجَأَةٌ لَهَا وَالْأَرْضُ جَنَابٌ مُّكَرَّمَةٌ قَالُوا : آتَيْنَا طَائِعِينَ » (١) .

قال : فقالت الملائكة : يارب ، فلو لم تأتكم ، ما كنت صانعاً بهما ؟

قال : كنت أساط عليهم دابة من دوابي يتلهمها في لقمة .

قالت : يارب ، وأين تلك الدابة ؟

قال : في مرج من مروجي .

قالت : يارب ، وأين ذلك المرج ؟

قال : في غامض علمي .

ألا ترى أن في الدابة واللقمة ذهب السموات والأرض ، وفي المرج ذهب الذهاب ، وفي الذهاب تنبيه قلوب العارفين ؟ ! فما شاهد بقلبه ذلك ، فكيف يشهد نفسه ، والملك ، وجميع ما خلق الله تعالى ؟ .

ويقال : إن فى بعض الكتب أن الله أوحى إلى جهنم : إن لم تأمري ما أمرت به لأحرقنك بنيرانى الكبرى .

فقيل لبعض العارفين : ما معنى قوله : لأحرقنك بنيرانى الكبرى ؟

قال : يطالع بذرة من حبه قدومه ، فيكون مثل جهنم فيها كتور خباز فى حريق الدنيا ، بل أقل من ذلك .

ومعنى قوله : ليس بليس فى ليس : فإنه يشير إلى إيسيته فى هو فيه ، إذ الأشباه كلها فى معانيها ، ووجودها أشباح فى الله تعالى ، فهى ، وإن كانت بالإيجاد مرسومة فى حقائقها بالعدم والتلاشى ، مرسومة ، ولأهل الحقائق فى مشاهدتهم مراتب مرسومة ، « والله يقبض وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » (٢) .

باب آخر في شرح ألفاظ حكيت عن أبي يزيد رحمه الله

وكان يكفره في ذلك ابن سالم بالبصرة

وذكر كرمهاطرة جرت بيني وبينه في معنى ذلك

قال الشيخ رحمه الله : سمعت ابن سالم يقول في مجلسه يوماً : فرعون لم يقل
 قال أبو زيد رحمه الله ، لأن فرعون قال : أبا ربك الأعلى ، والرب يسمى به
 محبون ، فيقول : فلان ربُّ در ورب مال ، ورب بيت ، وقال أبو يزيد
 رحمه الله : سبحاني سبحاني ، وسُبُوح ، وسبحان اسم من أسماء الله تعالى الذي
 لا يجوز أن يسمى به غير الله تعالى

فقلت له : هذا الكلام قد صحَّ عندك عن أبي يزيد ، رحمه الله ، وصحَّ عندك
 أن اعتقده في ذلك : كان كاعتقاد فرعون في قوله : أبا ربك الأعلى ؟ فقال ابن
 سالم : قد قال ذلك حتى يصحَّ عندي : أنه أيش أراد بذلك ؟ يرميه الكفر .

فقلت : إذا لم يتهيأ لك أن تشهد عليه بما اعتقد عند قوله ذلك فبطل أن
 تكفره ، لأنه محتمل أن يكون لهذا الكلام مقدمات ، فيقول : يعقبه سبحاني
 سبحاني : يحكي عن الله تعالى بقول : سبحاني سبحاني ، لأننا نسمعنا رجلاً يقول :
 لا إله إلا أنا فاعبدون ، ما كان يختلج في قلوبنا شيء غير أن نعلم : أنه هو ذا يقرأ
 القرآن ، أو هو ذا يصف الله تعالى بما وصف به نفسه .

وكذلك نسمعنا دائماً ، أبا يزيد ، رحمه الله أو غيره ، وهو يقول : سبحاني
 سبحاني : لما نشك بأنه يسبح الله تعالى ، ويصفه بما وصف به نفسه . .

وإذا كان الأمر هكذا وعلى ما قلده ، فتكفيرك لرجل مشهور بالزهد ، والعبادة ،
 والعلم ، والمعرفة : من أعظم المحلات .

وقد قصدت بسطام وسألت جماعة من أهل بيت أبي يزيد رحمه الله عن هذه الحكاية : فأنكروا ذلك وقالوا : لانعرف شيئاً من ذلك ، ولولا أنه شاع في أفواه الناس ودونوه في الكتب ما اشتغلت بذكر ذلك .

وسمعت ابن سالم أيضاً ، وهو يحمي في مجلسه عن أبي يزيد رحمه الله . أنه قال : ضربت خيمتي بإزاء العرش أو عند العرش وكان يقول هذه الكلمة كفر ، ولا يقول مثل هذا إلا كافر .

وكان يقول أيضاً : إن أبا يزيد ، رحمه الله ، اجترأ بمقبرة اليهود ، فقلت : معذرون ، ومر بمقبرة المسلمين فقال : معذرون .

ومع جلاله ابن سالم كان يسرف في الطعن على أبي يزيد رحمه الله ، وكان يكلمه من أجل أنه قال ذلك .

فقلت : له عافاك الله ! إن عامد أو حين ينتبر كون بترية أبي يزيد ، رحمه الله ، إلى يومنا هذا ، وينحكون عن المشيخ المتقدمين أنهم كانوا يزوروه وكانوا يتركون يدعاته ، وهو عندهم من أجله العبد والزاهد وأهل المعرفة بالله ، وهذا دون أهل صف أهل عصره بلورع والاجتهاد ودوام الذكر لله تعالى ؛ حتى حكي عنه حمداً أنهم رأوه قد ذكر الله تعالى ، حتى بال له من حشمة الله تعالى ودوام تعظيمه لله عز وجل .

وكيف يجوز أن نعتقد فيه الكفر بحكاية تحكي عنه وقد عرفنا في حقه ما ولا نستطاع على حاله في الوقت الذي قال : ! وهل يجوز أن نكلمه في حقه إلا بعد أن يكون لنا حال مثل حاله ، ووقت مثل وقته ، وهذا هو الذي لا بد من قد قال الله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ كَثِيرَ الظَّنِّ أَلْبَسَ النَّاسَ

فهذا كلام جرى بيني وبين ابن سالم في مجلسه في الحكايات التي حكاها عن
أبي يزيد رحمه الله ، أو كلام هذا معناه أو قريب من معناه .

فأما قواه : ضربت خيمتي بإزاء العرش أو عند العرش : فإن صح عنه أنه قال
ذلك : فهذا غير مجبول أن الخلق كلهم ، والكون ، وجميع ما خلق الله ، تعالى :
تمت العرش ، وإزاء العرش .

ومعنى قواه : ضربت خيمتي بإزاء العرش ، يعني ووجهت خيمتي نحو مالك
العرش ، ولا يوجد في العالم موضع قديم إلا وهو بإزاء العرش ، فلا سبيل للمتعتت
في هذا بالطعن .

وأما قواه عند اجتيازه بمقبرة اليهود ، وقواه : معذرون أي : كأنهم معذرون ،
فكأنه ، لما نظر إلى ما سبق لهم من الله بالشقاوة واليهودية من غير فعل ، كان
موجوداً في الأزل ، وأن الله تعالى جعل نصيبهم معه السخط عليهم ، فكيف يتهم
هم أن يكونوا مستعملين إلا بعمل أهل السخط ؟ ! فقال : كأنهم معذرون ، وهم
غير معذورين ، ومن حيث مارس القلم ، ونطق به الكتاب ، وما وصفه الله
تعالى بقوله :

« عَزِيزٌ أَعْلَمُ الْغُيُوبِ (١) » وَ « نَحْنُ أَنْبَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ (٢) »

والله عدل في جميع ما حكم ، حكيم في جميع ما رسم « لا يسأل عما يفعل وهم
يسألون » (٣)

وأما قواه لما مر بمقبرة المسلمين فقال : مغرورون ، إن صح عنه ذلك ، كأنه لما
نظر إلى المتعارف بين عامة المسلمين في نظرهم إلى أعمالهم وطمعهم في النجدة
باجتهادهم ، وقلة من تخلص من ذلك ، فسماهم : مغرورين ؛ لأن أعمال الخلق كلها

لو جعلت بإزاء نعمة مما نعم الله تعالى على الخلق : بأن دلهم عليه وزين قلوبهم بالإيمان به ، والمعرفة بوحدانيته لبطل واضمحلت ذلك .

وأيس من جميع الخلق حركة ولا نفس إلا وبدؤها من الله سبحانه وانتهاءها إلى الله عز وجل .

فمن ظن أن أحداً ينجو إلا بفضل الله وسعة رحمته فهو مغرور مهالك .

ألا ترى سيد الأنبياء ، وإمام الأتقياء صلى الله عليه وسلم ، يقول : « ليس من أحد ينجيه عماه ، قالوا ، ولا أنت يا رسول الله فقل : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة » .

فالتعنت والجسارة بالظن والتوقيعه من العلماء فيمن تكون جوارحه وحسبوته مقيدة بالعلم والأدب ، بحكاية أو بكلام لا يحيط به الفهم في الوقت : زينة من العلم وهنوة من الحكيم ، وخطأ بين من العقل بالأه ربما تصحفت عن الحكيم ، لأن الحكمة ربما تجرى ويحضرها من لا يقف على معانيها ، ولا ياحق فئسده مقصد التكلم بها ، فعند ذلك تجرى على الألسنة بصددها ، فيحقق الحكيم عند ذلك نقص عند من لا يقف على مر ميره ، ويشكل عليه معانيه ، وم يشرف على كلامه ولا يسأل عن بيانه ، لأن الغاهض من العلوم لا يدرك إلا بالعرض من الزبوم .

والتصحيف الذي يقع في الحكمة يقع من وجهين : فوجه من تصحيف الخبره من ذلك أيسره ، والوجه الثاني تصحيف المعنى ، وهو : أن يتكلم حكيم من حيث وقته وحاله ، فلا يكون المستمع لذلك الحال ، له لفت ، قد يفتت في غير ما فيعبر عنها من حيث ما يابق بحاله ووقته ومقامه ، وو وجوده فقط في ذلك المرات .

سمعت أبا عمرو بن عمار يقول : سمعت الجعيد ، رحمه الله ، يقول : كنت أحب هذه الطائفة ، وأنا حدث ، فكنت أسرع منهم كلاماً لأفهم منهم ما يقولون ، إلا أن قلبي قد سلم من الإنكار عليهم ، فبذلك نالت مآلات .

ومما يُقوى هذا الذي ذكرتُ : أني كنت في مجلس ابن سالم بالبصرة بعد هذا
 الخوض الذي جرى بيني وبينه في كلام أبي يزيد ، رحمه الله ، فحكى يوماً عن
 سهل بن عبد الله ، رحمه الله ، أنه قال : ذكّر الله تعالى باللسان : هذيان ، وذكّر
 الله تعالى بالقلب : وسوسة ، فسئل عن ذلك ، فقال : كأنه أراد بذلك : أن يكون
 قلبه بالذكور لا بالذكور .

ثم حكى في مجلس آخر عن سهل بن عبد الله رحمه الله أيضاً أنه قال : مولاي
 لا يسم وأن لا أسم ، فقلت لبعض أصحابه من كان مخصد : لولا أن الشيخ أمير
 أبي سهل بن عبد الله ، رحمه الله ، منه إلى أبي يزيد ، رحمه الله ، لكان يخطئه
 أيضاً في قد حكى عنه ، كما خطأ أبا يزيد ، رحمه الله ، وكفرد بين يديك ،
 في الكلام الذي حكى عنه ، لأن في هذا الذي قد حكى عن سهل رحمه الله ، وهو
 يمامة ، وأفضل الناس عنده : يجيد التعمت مقملاً ، إن قصد إلى ذلك ، والذي يعد
 أن هذا الذي حكاه عن سهل بن عبد الله ، رحمه الله ، وجبا غير ما يجز التعمت فيه
 مطعماً ، فسكنك يجوز أن يكون لكلام أبي يزيد ، رحمه الله الذي حكاه عنه وجه
 غير الوجه الذي هو ذا بكثرة به ويخطئه فيما قال ، فلم يكن له جواب عند ذلك
 أو كلام عند قريب من معناه ، وبالله التوفيق .

ويقول : لولا ما خص الله تعالى موسى عليه السلام بالعصمة والتأييد وما شتمته
 من أنور النبوة والكلام والرسالة حتى وفق وسدد من الإنكار على الخضير
 عما كان يرى منه : من قتل النفس التي حرم الله تعالى ، وهي من أعظم الكبائر !
 ثم يرضى أن يقول له :

«أَقْتَلْتِ نَفْسًا كَيْفَ بغيرِ نَفْسٍ أَلَقَدِ جِئْتِ شَيْئًا كَبْرًا» (١) ، حتى كان

يرد عليه :

« أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا » (١) ، فيقول :

« إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً »
 بعد ما عين منه قتل النفس التي حرم الله تعالى ، وأمر فيه بالقصاص ، فكان
 يجب على موسى عليه السلام أن يطالبه بالقتل ويهجره ، ولا يستحل محاسبته
 ومصاحبته (٢) ، غير أن عناية الله تعالى ، وتخصيصه وتسديده ، وتوفيقه الذي كان
 مصحوبه حيز بينه وبين ذلك .

فكذلك دأب كل ولي وصديق إلى يوم القيامة ، ولا يجوز لواحد منهم أن
 يالحق درجة من درجات النبوة ، والله الموفق للصواب .

وحكى عن أبي يزيد رحمه الله : أنه لم يستند قط إلى جدار إلا أن يكون
 جدار مسجد أو رباط ، ويقال : إنه ما رأوه مفطراً قط إلا أيام العدا ، حتى
 لحق بالله عز وجل ، ويكثر في مثل هذا عند الأخبار .

(١) الكهف : ٧٥

(٢) الكهف : ٧٦

(٣) قد يجاب بأن لينه معه ، كان لأمر الله به بمصاحبته له وتعايه منه بقره له .

باب في ذكر كلام حكى عن الشبلي رحمه الله

وشرحه عن ذلك

قال الشيخ رحمه الله : سمعت أبا عبد الله بن جابان يقول : دخلت على الشبلي رحمه الله ، في سنة القمح ، فسلمت عليه ، فلما قمت على أن أخرج من عنده ، فكان يقول لي ولين معي ، إلى أن خرجت من الدار : مرؤوا أنا معكم حيث ما كنتم ، أنتم في رعايتي وفي كلابتي ، قلت : أراد بقوله ذلك : إن الله تعالى معكم حيث ما كنتم ، وهو يرعاكم ويكفؤكم ، وأنتم في رعايته وكرامته .

والمعنى في ذلك : أنه يرى نفسه محققاً فيما غلب على قلبه : من تجريد التوحيد ، وحقبة التثريد ، وإيجاد إذا كان وقتاً كذلك ، فإذا قال : أنا يعبر عن وجوده ويترجم عن الحال الذي قد استولى على سرده ، فإذا قال : آه ، يشير بذلك إلى ما غلب عليه من حقيقة صفة مشاهدته قرب سيده .

وسمعت الحصري رحمه الله يحكي عنه : أنه كان يقول : لو عرضت ذلي على ذل اليهود والنصرى لكان ذلي أدل من ذلتهم ، فإن قال القائل : أين تقع هذه الحكاية من ذلك ؟ فيقال له : الحكايتان صحيحتان ، والوقتان مختلفان ، فوقتاً خص بصفاء المشاهدة ، فنطق عن وجوده وحقيقته بمحض الإخلاص وخالص التوحيد ، ووقتاً ردد إلى صفة ، وعجز بشريته ، وذل آدميته ، فنطق بما وجد من ذلك .

كما قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله : العارف إذا ذكر ربه افتخر ، وإذا ذكر نفسه افتقر وافتقر ، وهذا المعنى موجود في العلم .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لي وقت لا يعنى شيء غير الله ، وأنا سيد ولد آدم ولا فخر » .

وروی عنہ صلی اللہ علیہ وسلم أنه قال : « لا تفضلونی علی یونس بن مَتَّى .
 عایہ السلام ، أنا ابن امرأۃ كانت تأکل القدید . »
 فکم بین الخبرین وتفاوت ما بین الوقتین ؟! واللہ أعلم .

وما یضاهی هذا الذی قلناه ما حکى عنه . یعنی عن الشبلی رحمہ اللہ : أنه
 أخذ من ید إنسان کسرة خبز فأکأها ، ثم قال : إن نفسی هذه تطلب مِنی کسرة
 خبز ، ولو التفت سِرِّی إلى العرش والکرسی لاحترق . أو كما قال ، یرید بذكر
 الالتفات بسرِّه إلى العرش والکرسی : أن یجد له فی سرِّه أثرًا فی الهدایة
 والتقدم ؛ لأن العرش والکرسی محدثان مخلوقان مما لم یکن فکان .

وحکی عن الشبلی . رحمہ اللہ : أنه سئل عن أبی یزید البسطامی رحمہ اللہ
 وعرض علیہ ما حکى عنه : مما ذکرناه . وغیر ذلك ، فقل الشبلی . رحمہ اللہ :
 لو کان أبو یزید . رحمہ اللہ : هاهنا لأسلم علی ید بعض صبیانہ ، وقال : لو أن
 أحدا یفہم ما أقول اشددت الزنائب .

قلتُ : قد أشار إلى ما قال الجنید ، رحمہ اللہ : إن أبایزید ، رحمہ اللہ : معنی
 حاله وعلوِّ إشارته : لم ینخرج من حد البدایة . ولم أسمع من کاتب کلام عن
 السکال والنهاية .

والمعنی فی ذلك : أن هؤلاء المخصوصین بهذا العلم : فکأنه قد أخذ منهم أن
 کل واحد منهم یرى أن حاله أعلى الأحوال . وذلك غیرة من الحول .
 لا یسکن بعضهم إلى بعض .

ألا ترى أن أبایزید . رحمہ اللہ : تکلم وأشبهت من فہم ذلك فی ما به
 وأهل عصره .

ثم قال الجنید ، رحمہ اللہ : إنه لم ینخرج من حد البدایة . ولم أسمع من فہم ذلك فی ما به
 علی أنه وصل إلى النهاية .

ثم يقول الشبلي ، رحمه الله : لو كان أبو يزيد ، رحمه الله : عندنا لأسلم على يد
بعض صبياننا ، يعنى لاستفاد من المريدين الذين هم فى وقتنا .

وحكى عن بعض المشايخ أنه قال : وقفت على الشبلي عشرين سنة ما سمعت
منه كلمة فى التوحيد ، كان كلامه كله فى الأحوال والمقامات .

وهذا كله قابل فى عظم ما أشاروا إليه من الحقيقة ، لأن حقيقة التوحيد لا غاية
لها ولا نهاية ، وكل واحد منهم قد غرق فى بحر لا يوصف حدّه ولا يدرك منتهاه :
وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

باب في معنى حكاية حكايت عن الشبلي رحمه الله

قال الشيخ ، رحمه الله : قل بعضهم : وقفت على الشبلي ، رحمه الله فسمعت
يقول : أمر الله تعالى الأرض أن تبتغي إن كان في فضل منذ شهر أو شهرين
لذكر جبريل وميكائيل ، عليهما السلام .

وسمعت الحصري يقول : كان الشبلي ، رحمه الله يقول لي : إن مرة كنت قد ذكر
جبريل وميكائيل عليهما السلام أشركت .

فرايت جماعة قد أنكروا هذا ، فأنصبت جبريل وميكائيل عليهما السلام
من الملائكة المقربين .

وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « رأيت جبريل ، عليه السلام ،
مثل الخاس البلي فعادت به فضل عنه وحسينه علي » ، أو كذا .

فقالوا : إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل علي الله ، فكيف
تقال أن يقول مثل ذلك .

فأقول ، وبالله التوفيق : إن كلام الأجدين بالمسحوقين يدل على أنهما علي ما
محملاً وتصيلاً ، وإنما يريد المصنوع فرجة بين قبة والظعن في الكلامين مثال جرس
المفصل ، لأن الجمال إذا يكون له مقدمات ما تمنع استيعابه ، وإنما هي
مشروحة مبينة مختصرة ، وخيال لا يكون ذلك ، وهذا الكلام الذي ذكره
الشبلي ، رحمه الله : كلام خال له مقدمات ، فواجب العلم به .

ما قال الشبلي ، رحمه الله ، وإذا ما يسع بمقدمات التي هي مقدمات
الكلام . فأحرى أن يشنع عليه وينكر مقدمته .

وبيان ما ذكرت في حكاية حكاية أنه نخذ المسح ، وهو الذي هو
مقدمات هذه الحكاية بتمامها ، حتى أنه منجوع عنها وإن كان كلامه ، وذلك
أنه قال :

وقف رجل على الشبلي ، رحمه الله ، فسأله عن صورة جبريل عليه السلام فقال
الشبلي ، رحمه الله : سمعت في الرواية : أن لجبريل عليه السلام سبعائة لغة وسبعائة
جناح : منها جناحان ، إذا نشر واحداً غطى به المشرق ، وإذا نشر الآخر غطى
به المغرب ، فأش تسأل عن ملك تغيب الدنيا بين جناحيه رآه على صورته قد سد
الأفق ! ثم قل الشبلي رحمه الله للرجل : نعم .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه : أن صورة جبريل عليه السلام في قائمة
الكرسي : مثل الزردة في الجوشن ، والكرسي وجبريل والعرش ، كل ذلك مع
الملكوت الذي ظهر لأهل العلم مثل الرملة في أرض فلاة .

ثم قال : أيها السائل ، هذه علوم أظيرها ، فهل تحمها الأجساد ، أو تطيقها
البيوت ، أو يحويها العقول ، أو تحدها الأبصار ، أو تخرق في الأسماء ؟ يدل بها منه ،
وعليه وإيده ، استقر الحق بملك هو له غيب ، لا يسع سواه ، كُشفت منه ذرة
وقفت على الأرض ذير ، ولا حمت الأشجار ، ولا جرت البحار ، ولا أظلم ليل
ولا أشرق نهار ، ولكنه حكيم عليم ، إنهم لا يطيقون هذا .

ثم قال : أيها السائل : إنك سألتني عن جبريل عليه السلام وأحواله ، فأمر الله
تعالى الأرض أن تتلعني إن كان في فضل ، منذ شهر ولا شهرين لذكر جبريل
وميكائيل عليهما السلام ، فإذا كان كلاماً يحتاج أن يكون له مثل هذه المقدمات
التي ذكرنا ، حتى يتبين معناه ، فيتصد المتمتت إلى آخر الكلام منها ، وينقلها إلى
من لا يفهم ذلك ، حتى يبسط لسانه بالوقية واللعن في أولياء الله تعالى وأهل
خاصته ، فيكون ذلك من أكبر الكبائر وأعظم الإثم .

وبالله التوفيق .

باب آخر

في معنى أحوال كانوا ينكرون بها على الشبلي ، رحمه الله

قال الشيخ رحمه الله : وما ينكرون على الشبلي ، رحمه الله ، أيضا : أنه كان ربما يلبس ثيابا مُثمنة ، ثم ينزعها ويضعها فوق النار .

وذكر عنه أنه أخذ قطعة عنبر فوضعها على النار ، فسكان يبخر بها تحت ثوب حمار ، وأنه كان يقول : لو كانت الدنيا لقمة في فم طفل لرحمنا ذلك الطفل .

وقال بعضهم : دخلت عليه ، فرأيت بين يديه الموز والسكر وهو يمزجها بالنار وحكى عنه أيضا أنه كان يقول : وددت أن لو كانت الدنيا لقمة ، والآخرة لقمة ، أنجعلها في فمي ، حتى أترك هذا الخلق بلا سلطة .

وحكى عنه أيضا : أنه بلغ عدة رأجات كثير ، فف قام من موضعه حتى فرغها وفرقها على الناس ، وكان له عيال لم يدفع إليهم شيئا من ذلك .

فقلوا : هذا وأشبهه هذا محذرة للعلم ، وقد هب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عن إضاعة المال ، ومن إمامه في الذي كان يدفع إلى الناس ولم يترك أعياله

فيقال : إمامه أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه ، إنه خرج من جميع ما كان له ، فوه ، قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : ما خلفت ممالك ؟ قال : الله ورسوله ، ينكر عليه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ذلك .

وإضاعة المال أن يُنفقها في معصية الله تعالى ، فله أذوق من داتها في معصية يكون ذلك من إضاعة المال ، وله أذوق مائه ألف درهم في غير المعصية لم يكن ذلك من إضاعة المال .

وأما الذي كان يخرقه بالنار فلاه كان يشغل بقلبه عن الله تعالى .

وقد ذكر الله تعالى في قصة سليمان بن داود ، عليه السلام ، فقال : « وَوَهَبْنَا لَهُ إِدْرَكَاتُ الْمَغَارِ وَتَمِيمَاتُ الْوَادِعِ وَالْجَبَلِ مَدْيَانَ وَطُورَ سِينِينَ وَهَؤُلَاءِ جِبَالَتُ غَوْلَانَ وَعَبَا أُولِي الْأَعْيُنِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْهِ الْطُّورَ وَتِلْكَ الْأَرْضُ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ » .
 وقد روي عن أبي بصير عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في هذا المعنى : أنه لما فاتته صلاة العصر يوم الخندق ، وجد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لذلك وجعاً شديداً حتى قال : « شغرت عن الصلاة الوسطى : صلاة العصر ، ما لألله قلوبهم وبيوتهم أرا » . وكانوا قد آذوه قبل ذلك أذى كثيراً ، وضربوه ، وطرزوه ، وشتموه وطرزوا عليه الكرش والدم ، ولم يدع ، صلى الله عليه وسلم ، ولم يزد على أن قال : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » . فاما اشتغال قلبه بما فاتته من الصلاة عن وقتها ، دعا عليهم من شدة وأجده بذلك .

وهذا أتج في معناه مما فعل سليمان عليه السلام .

فإن سأل سأل فقال : أيش المعنى في رد الشمس سليمان إلى موضعها ولم ترد للنبي صلى الله عليه وسلم ؟ .

(١) ص : ٣٠ - ٣٣

(٢) المطلوب شرعا نفع الناس به لا هذا الإهلاك بدون فائدة ، وتلك حكاية لا تنهض دليلاً .

فيقال : لأن النبي صلى الله عليه وسلم ، بعث بالخيافية السمحة ، فسومح له بذلك ، لأن فرضاً منعه عن الفرض ، لأن حفر الخندق كان من أمر الجهاد في سبيل الله ، فلما حبسه فرض الجهاد عن فرض الصلاة سومح له بذلك ، وسليمان عليه السلام لم يحبسه عن فرض الصلاة فرض ولا تطوع ، فمن أجل ذلك لم يسامح له ، وإكرام نبينا ، صلى الله عليه وسلم بالسامحة أنه من رد الشمس لسليمان عليه السلام ، وله سامحة لم تُرد عليه الشمس .

وبعد فإن عند أهل الحقائق أن كل شيء ، شغلهم عن الله تعالى ، من الدنيا والآخرة ، فذاك عدوهم ، يطلبون الخلاص منه لجميع ، يتكلمهم ، ولا ينبغي أن يكون فيهم فضل لسواه ، فهذا على هذا المعنى : وبالله التوفيق .

والذي قال : وددت أن الدنيا تقسم أجعلها في قوم يهودى فذاك من هوانهم عنده وقد روى في هوان الدنيا عن النبي ، صلى الله عليه وسلم أكثر من ذلك .

وروى عنه ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « الذي سمعته منكم فيهم » .

وروى عنه ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « لو أن الدنيا بطن سمكة سميت سمكة » .

بعضة ماسقى كافر منها شربة من ماء ، الحديث .

باب آخر في شرح كلام تكلم به الشبلي رحمه الله

وهو عما يشكل فهمه على قلوب الامام والنقباء ، والنماذج جرت بينه

وبين الجنيد رحمه الله

قال الشيخ ، رحمه الله : حكى عن الشبلي ، رحمه الله أنه قال ، يوماً لأصحابه ،
يقوم أمرنا إلى مالا وراء فلا أرى إلا وراء ، وأمر يميناً وشمالاً إلى مالا وراء ، فلا أرى
إلا وراء ، ثم أرجع فأرى هذا كله في شعرة من خنصرى .

قال فاشكل على جماعة من أصحابه ، إشارته فيما قال .

قال الشيخ أبو نصر : إشارته فيما قال ، والله أعلم ، إلى السكون ، لأن السكون
والكبرياء يحدثان ، وليس في الدنيا وراءه وراء ، ولا تحت تحت لانهية له ،
ولا يلقى أحد من الخلق أن يحده أو يصفه إلا أنه وصفه الله تعالى به ، ولا يخفى بذلك
على الخلق ، وقد انفرد بعلم ذلك خاتمه وصانعه .

ثم قال : أرجع فأرى هذا كله من شعرة من خنصرى ، يريد بذلك : أن قدرته
الذرية خلق هذا كله وفي خالق شعرة من خنصرى واحد .

ويحتمل وجهاً آخر وهو أن يقول : إن السكون وجميع ما خلق ، وإن كانت
مساكنة بعينه ، وطوله وعرضه عظيماً ، في كبرياء خاتمه وعظمته صانعه كشعرة من
خنصرى بل أقل من ذلك .

وحكى عنه أنه قال : إن قلت كذا فله ، وإن قلت كذا فله ، وإنما أتمنى منه ذرة
كأنه يشير إلى قوله : « وَهُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا (١) » وأنه حاضر لا يغيب ، وهو
بكل مكان لا يسعه مكان ، ولا يخلو منه مكان .

(١) المجادلة : ٧

وقوله : إنما أتمنى منه ذرة يعني الخلق محجوبون عنه بأسمائه وصفاته ، وما أعطاهم منه غير اسمه وذكره ، لأنهم لا يستطيعون أكثر من ذلك .

وفي ذلك كان ينشد الشبلي رحمه الله ويقول :

فقلت : أليس قد فضوا كتابي فقلت : نعم ، فقلت فذاك حسي
وله أيضاً :

أليس من السعادة أن داري مجورة لدارك في السعادة
وأشد :

أظلت عاينك منك يوماً خومة
أضاعت لنديرة وأبطلت رشاش
فلا غيبها نحو فريس طامع
ولا غيبها يأتي فيروى عطاش

وقال الشبلي رحمه الله : كتب الحديث والنقد ثلاثين سنة حتى أسفر صبحي
إلى كل من كتبت عنه فقلت : أريد فقه الله تعالى ، في معنى أحد .

ومعنى قوله : حتى أسفر الصبح ، يعني به حتى يستأمر حقيقة ومعنى ذلك
إني حقيقة النقد والعلم والمعرفة .

ومعنى قوله : هات فقه الله تعالى ، يعني الفقه في علم الأحوال
والله تعالى ، في كل لحظة وطرفة عين .

قال : وقال الشبلي للجنييد رحمه الله . يا أبا التماس ما قول فيمن قال الله حسبي وموئلا
وحقيقة ؟ فقال له الجنييد ، رحمه الله : يا أبا بكر ، يدك وبين أناس يدس في سوادك
هذا عشرة آلاف مقام ، أوله محسب ما بدأت به .

والمعنى في ذلك : أن الجنيد رحمه الله ، كان متشرباً على حاله بفضل علمه وتمكينه فأوراء موضع ما يخشى عليه من الدعوى فيما يقول ؛ لأن من كان الله حسبه قولاً وحقيقة يستغنى عن السؤال ، فسؤاله للجنيد ، رحمه الله ، عن ذلك ينبىء عن أنه مقارب لما هناك .

وهكذا سمعت ابن علوان يقول : كان الجنيد ، رحمه الله ، يقول : قد أوقف الشبلي رحمه الله ، في مكانه ، فما بعد ، ولو بعد جاء منه إمام .

وقال أبو عمرو : ربما كان نبي - الشبلي ، رحمه الله ، إلى الجنيد ، رحمه الله ، فيسأله مسألة ، فلا يجيبه ، ويقول : يا أبا بكر ، هو ذا أشفق عليك وعلى ثباتك ؛ لأن هذا الاضطراب ، والأزعاج ، والخدعة ، والحيش ، والشطح : ليست هي من أحوال المتسكنين ، وهي منسوبة إلى أحوال أهل البدايات والإرادات .

وكذلك حكى عن الشبلي ، رحمه الله ، أنه قال : قال الجنيد يوماً : يا أبا بكر ، ^{٢١} ليس تقول ؟

فقلت : أنا أقول ، الله

فقال : مرة ، سلمك الله

يعنى بذلك : إنك في خطر عظيم ، فإن لم يسلمك الله في قونك : الله ، من

لانتفت إلى شيء سوى الله ، فأسوأ حالك !!

وكان الشبلي ، رحمه الله ، يقول : ألف عام ماضية في ألف عام واردة ، هو ذ

الوقت ، ولا تعرفكم الأشباح .

وكان يقول : أتم أوقاتكم مقطوعة ، ووقتي ليس له طردن !!

وربما كان يشطح ويقول : أنا الوقت ، وقتي عزيز ، ليس في الوقت غيري ،

وأن محق .

وكان ينشد هذين البيتين :

مَكِينٌ فِي مُمْمِلِهِ مَكِينٌ أَمِينٌ الْحَقِّ آمَنَهُ أَمِينٌ
تَعَاوَزَ عِزُّهُ فَأَعْتَزَّ عِزًّا فَفَقَدَ فَاتَ الْيَقِينِ مِنْ الْيَقِينِ

وربما كان يقول : نظرت في كل عز فزاد عزِّي عليهم ، ورأيت عزهم ذلك في عزِّي ، ثم كان يتلو في إثره : « من كان يريد العِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا » (١) ثم يقول :

مَنْ أَعْتَزَّ بِذِي الْعِزِّ فَذُو الْعِزِّ لَهُ عِزٌّ

قال الشيخ ، رحمه الله : أما قوله : الوقت ، فإنه يشير إلى النفس الذي بين النفسين ، والخاطر الذي بين الخاطرين ، إذا كان بالله والله ، وهو الوقت ، وإذا أتت نفس ، ولو في ألف سنة ، فقد فت ما لا يحق ولا يدرك بالأسف عليهم .

يعني : أن ألف عام ماضية ، وألف عام وردة ، وفيك لدى بين نفس ، يجب أن لا تفوتك ، والعزير : من أخذ الله به ، فلا ياحقه أحد في عزه ، والشك الدليل : من شغل الله عنه بغيره ، لا ياحقه أحد في ذاته .

وقوله : لا تعزكم الأشباح . فكل شيء ، سوى الله تعالى : أشباح ، من سألته إليه فقد غرته .

وقوله : أنا محق ، يعني في قولي : أنا الوقت ، أنا الحق ، لأن قولك : لا يشير بذلك إلى إياه .

وقوله : وقتي ليس له طرفون ، لأن في كل شيء ، وقت ، فليس له طرفون ، فإن الاشتغال بغير الله ، والسكون إلى جميع ما سوا الله تعالى في الوقت ، ليس فيه مسامحة ولو في ألف سنة .

وحكى عن الشبلي : أنه قال ، أيضا : اللهم إن كنت تعلم أن في بقايا يومك فأحرقني ببارك ، لا إله إلا أنت .

فيذا وما يشبه ذلك : غلبات وجد عبير عه على حسب ما وجد في وقته .
ولا يكون ذلك على الدوام ، لأن ذلك : حال ، فيه الحال نازلة ، تنزل بالعبء
في الحين ، ولا ثابت به على الدوام ، وذلك رفق من الله ، عز وجل ، بأوليائه
وخاصته ، ولو دام ذلك لبطنا عن الحدود والحقوق ، وتعطلوا عن الآداب والأخلاق
ومعاشره الخلق .

ألا ترى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سألوا عن ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : « يا رسول الله ، إنا إذا كنا عندك وسمعنا منك ترقق
قلوبنا ، فإذا خرجنا من عندك نرجع إلى الاشتغال بالأهل والولد ، فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « لو بقيتم على الحال الذي تكونون عندي تصفحتكم الملائكة »
كما جاء في الحديث .

٢٠٨

وذكر عن الشبلي ، رحمه الله : أنه كان يقول : لو خطر بيالي أن الجحيم بنيرانهم
وسعبرها تحرق مني شعرة لكنت مشركاً ، ثم كما قال .

فكذلك يقول : نحن أيضاً : إن جهنم ليس إليها شيء ، من الإحراق ، لأنها
مأمورة ، وإنما يوصل ألم الاحتراق إلى أهل النار بقدر ما قسم لهم (١) .
فما ما حكى عنه أيضاً أنه قال : أيش أعمال بلطى وسقر ؟ عندي : أن لظى
وسقر فيها تسكن ، يعني في القطيعة والإعراض ، لأن من عرفه الله بالقطيعة فهو
أشد عذاباً ممن عذبه بلطى وسقر .

وذكر عنه : أنه سمع قارئاً يقرأ هذه الآية « أخصأوا فيها ولا تكلمون » (٢)
فقال الشبلي : ليتني كنت واحداً منهم ، كدنه أشار إلى رد جوابه إليهم ، فقال :
ليتني كنت ممن يرد جوابي ، ولو في النار ، من شدة وجهه ، لأنه لا بدري مسبق
له منه بالسعادة والشقاوة والإعراض عنه أو بالإقبال عليه

(١) هذا من أدق الأوصاف لجحيم وينبغي أن يفهم (٢) المؤمنون : ١٠٨

وذكر عنه، أيضاً، أنه قال في مجلسه: إن الله عبادة لو بزقوا على جبههم لأطفوها (١)،
فصعب ذلك على جماعة ممن كان يسمع ذلك:

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: تقول جبههم يوم القيامة المؤمن: ٣٠٩
جُزْ يامؤمن، فقد أطفأ نورك أبيي.

وفيما يحكى عن الشبلي، رحمه الله: مثل هذا كثير لا يتبها ذكره - كراهة
التطويل، والعاقل يستدل بالقليل على الكثير.

وبالله التوفيق

(١) قوله: لأطفوها: أى. لأطفأوها

باب في ذكر أبي الحسين النورى ، رحمه الله

وما شهدوا عليه بالكفر عند الخليفة،

وغير ذلك

قال أبو نصر : وفيما بلغنى أن أبا الحسين أحمد بن محمد النورى ، رحمه الله ، كان فى أيام الموفق ، وكان ينكر عليه غلام الخليل ، فرفع إلى الموفق ، وهو يومئذ أمير المؤمنين ، أن ببغداد رجلا من الزنادقة دمه حلال ، فبين قتله أمير المؤمنين ، قدمه فى عنق ، قال فبعث الخليفة فى طاه ، فحمل إنيده ، فشهد عليه « غلام الخليل » : أن سمعته يقول : « ما أعشق الله وهو يعشقتنى ، فقال النورى ، رحمه الله : سمعت الله على ذكره يقول : « يحبهم ويحبونه » ، وليس العشق إلا كثر من الخيرة ، غير أن العشق ممنوع ، والمحبة يتمتع بحبه . قال فبكى الموفق من رقة كلامه !

وشهدوا عليه أيضا : أنه سمع أذان المؤذن فقل طعنة وشم الموت ، وسمع يوحى

الكلام فقال : لم يمت وسعديت

فقبل له فى ذلك ، فقال : « أما المؤذن فإذ أثار عليه أن يذكر الله وهو غافل ، ويأخذ عليه لأجرة ، ولولا الأجرة ، القليل من حطه الدنيا ، التى يأخذها ، ما ذكر الله ، فلذلك قلت له : طعنة وشم الموت ! وقد قال الله جل ذكره : « وإن من شئ إلا يسبيح بحمده ونسبه وإن من شئ إلا لیسبيحون تسبيحهم » (١) فالكلام ، وكل شئ يذكر الله بالأرياء ولا سمعة ، ولا طاب للعرض ، فبذلك « قلت ما قلت » :

قال : وحمل النورى مرة أخرى إلى الخليفة وشهدوا عليه بأنه قال : « كنت البارحة فى بيتى مع الله » فسئل عن ذلك ؟ فقال : صدق ! وأما الساعة مع الله ، وإذا

كنت في البيت فأنا مع الله ، وإذا كنت في برّيه فأنا مع الله ومن كان في الدنيا مع الله فره في الآخرة مع الله! أليس يقول الله جل ذكره: « وَتَقَدَّرَ خَلْقَتِ الْإِنْسَانَ وَاعْلَمَ مَا تُوسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ بِالْيَدِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١) » .

قال : فعانقه الخليفة بيده وقال : تكلم بما شئت ! فتكلم النوري بكلام لم يسمع به قط ، فبكى الخليفة وبكوا جميعا وقالوا : « هؤلاء أعرف بالله من غيرهم ! » .

وسمعت أبا عمرو بن عوان يقول : حمل إلى أبي الحسين النوري « ثلاثون قدوس » ثمن عقار بيع له فصعد قطرة الصراقة ، وكان يرمى واحدا واحدا منهم إلى النار ويقول : « حبيبي تريد أن نخدعني منك بمثل هذا ؟ !! » .

فقال بعض الناس : بأس ما فعل هؤلاء أفقدهم في سبيل الخير كان خيرا لهم . فقلت إن علم أن تلك الدواب كانت تشغله عن الله طرفا عين لكان واجب عليهم في الماء بدفعة واحدة ، حتى يكون أسرع بخلاصه من فمته كما أخبر الله جل ذكره عن سليمان عيه السلام حيث يقول : « تَطْمِئِنُّ مَسْجِدًا يَا سُوْفَى وَالْأَسْبَلِشِ (٢) » ، وقد ذكرت ذلك في موضعه .

قال أبو نصر : « وأبو الحسين النوري من نورانيين ، ومن أهل الأندلس اللطيفة ، وله كلام مشكل وأشعر كثيرة وكان يعرف من غيرهم الكثير .

ذكر عند أنه قال : قرب القرب ، في معنى ما أمرنا الله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا قربوا لله وقربوا إليه » هذا كلام معناه مفهوم عند أهل وهو قريب من قول القائل : « يا أيها الذين آمنوا قربوا لله وقربوا إليه » ، وقول القائل : « إخالص لله قلبك يا أيها الذين آمنوا » .

ولأبي الحسين النوري أبيات كتبها إلى أبي سعيد خدراني :

(١) ص : ٢٣

(٢) ق : ١٦

(٣) والمحفوظ : حسنات الأبرار سيئات المقربين

أعمري ما امتودعت سرى وسره سواء (١) حذاراً أن تشيع السرائر
ولا لاحظته مقلتاي بنظرة ، فثشهد نجرانا العيون النواظر !
وانكن جعلت الوهم بيني وبينه رسولا: فأدى ما تسكن الضمائر !

وفيه إشارات غريبة ومعان عجيبة يشير إلى سره الذي هو مخصوص به وينطق
عن وجدده الذي لا يضيف ذلك إلى صفته ولا ينسبه إلى مكان ليس ذلك من نعتة .

والنوري مثل ذلك كثير ، وفيما ذكرنا كفاية ، وبالله التوفيق !

(١) من معاني السواء : الغير

باب في ذكر أبي حمزة الصوفي ، رحمه الله

فأما أبو حمزة الصوفي : فكان من أجلة المشايخ ، وكان من أهل الإشارة
والعبارة ، وله أيضاً كلام وألفاظ مشككة ، سمعت أحمد بن علي الوجيهي يقول :
سمعت أبا علي الروذباري ، رحمه الله يقول : أطلق على أبي حمزة أنه حلولي ، وذلك
أنه كان إذا سمع صوتاً مثل هبوب الرياح ، وخريف الماء ، وصياح الطيور فكان
يصيح ويقول : « لبيك ! » فرموه بالخلول ، بعد فهمهم في معنى إشارته ، وذلك
أن أرباب القلوب ، ومن كان قلبه حاضرًا بين يدي الله ، ويكون دائم الذكر لله
فيرى الأشياء كلها بالله ، والله ، ومن الله ، ومن الله ، وإلى الله . فإذا سمع كلامه فكان ذلك
سمعه من الله ، ولا يكون ذلك الخيال إلا لعبد مجموع على الله ! لا ينصرف منه جارحة
إلى سوى الله ، فعند ذلك يقع له حقائق الفهم عن الله في جميع ما يسمع وجميع ما يرى
من الأشياء ! .

وبلغني عن أبي حمزة أنه دخل دار حارث الحسيني ، وكان حارث ذو حسن
وثياب نظاف ، وفي داره شاه مرغ ، فصاح الشاه مرغياً ، فشق أبو حمزة سبعة
وقال : « لبيك ياسيدي » قال : فغضب الحارث وحمد إلى مكان ، فقال : « إن ما
تتب من هذا الذي أنت فيه أذيتك » . قال : فقل له أبو حمزة : أنت إن لم تكن
أن تسمع هذا الذي أنت فيه فإلا تأكل الخلة بالرماد ! ليس بعتك وقلبتك
الطيبات والتوسع في الدار والثياب ، يريد بذلك : أن لا تكون في دار
المريدين والمبتدئين ، وتوسعك على نفسك وبسدتك في التحول في الدنيا ، وشبهه
حال الأنبياء والصديقين « الذين يظنهم الدخول في السموات » .

وبلغني عن أبي حمزة رحمه الله أنه دخل عليه رجل من أهل خراسان ، فسأله
عن مسألة في الأمن ، فسطح أبو حمزة ، وقال : « أعرف رجلاً له كان ملي نبيته

مسورة (١) وعلى يساره سبع لم يبال على أيهما يتكى، وكأنه أشار إلى نفسه بذلك .
وزعم أن الأمن لا يصح إلا لمن يكون بهذه الصفة .

قال : فقل له الخراساني : هذا شطح هات العلم . ثم قال : خذها يا بدبخت (٢)
أعرف من لم كان بالمغرب وهو يريد المشرق لم يتغير سره فيما بين ذلك ، ثم خرج ،
قال : قال أبو حمزة : فبقيت أربعين ليلة لا آكل ولا أنام ، حتى يتبين لي علم ما قال
ذلك الرجل . فكأنه أشار بأن الأمن لا يصح إلا لمن يكون حاله كذلك . فزاد
في المعنى على ما قال أبو حمزة ! فحين قال قائل : هذا دهوى من الجميع ، فيقال له :
« لا يجوز أن تعال » (٣) أقوال المتقدمين ، ويوجد ما يذكر عنهم وجه . وقد قال الله جل
٣١ . ذكره : « وأما بنوعمة رآك فحدث » (٤) وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا أعم
الله على عبد نعمة ، أحب أن يرى أثره عليه » وهذا من أعظم النعم - فيجوز أنهم
قد تحدثوا بأعم الله عليهم . ومن قال غير ذلك فيحتاج إلى بيان ودليل .

باب ذكر جماعة المشايخ الذين رموهم بالكفر

ونصبوا العداوة معهم ورفعوهم إلى السلطان قال أبو نصر: « فأما الذين نصبوا

العداوة مع هؤلاء القوم، واعتقدوا فيهم البطل فعلى وجهين:

فمنهم قوم لم يفهموا معاني ما أشاروا إليه في كلامهم من غامض العلم وجليل

الخطب، ولم يكن لهم زاجر من العقل ولا واعظ من الدين أن يستبحثوا عن المعنى

التي أشكلت عليهم ويسألوا ذلك عن أهلها، وقاسوا ما يسمعون من ذلك بما سمعوا

من العلوم الماثورة بين عوام الناس حتى تكلموا، فبهم من رجع عن ذلك وتاب

وأتاب، ومنهم من مات على ذلك فمصره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء عاقبه.

ومنهم من علم مقاصدهم وبعينهم فيما فتر الأوقاف صحتهم برهة من الدهر ثم رجع

على حالهم ودعاء شيطانه وهواه إلى طاب الريسة وجمع الدين وأكل أموال الناس

بالباطل، فجعل المعادة والمنافذة معهم، والطعن والقبول فيهم واستنشد ولائهم

عليهم، أسلماً إلى جمع الدنيا وسبياً إلى قبول (١) قلوب الجاهل من التهمة التي لا يدرى

ما أسرت أهدأؤه، واستخدم ذاته شيطانه: أن يفتك الدين ويؤكل خيرات الله برب

المآثم، ويشهد بالزور، ويكذب على الله وعلى رسوله، ويؤسف بالقبول والتمسح على

على أوليائه وأحفاديته، وينسبهم إلى الكفر، والافتقار والبدعة، والافتقار وينسبهم

على سفك دماهم: الغد (٢)، والجهالة من العمة، فسار من ولي الله فمصره إلى

هؤلاء، ولم جمع في طاعة الله ورضاه قد فرقه الله، وما خلق الله عن هذا خلقاً

شراً من هؤلاء.

ولو ذكرت قصص هؤلاء وما أسلم من اعتدائهم عن غيرهم، لكانت قصصهم

يطول (٣) ... ولكن تذكر من ذلك طرفة عين الإحصاء واللائحة إن شاء الله.

(١) قبول: أي لإقبال قلوب الجاهل إليه

(٢) الغاغة: الغوغاء من الناس، كما يستفاد من القاموس

(٣) الأولى أن يقال: لطال الكلام.

ففيها ما وقع لذي النون المصري ، رحمه الله ، حيث شهدوا عليه بالكفر والزندقه ورفعوه إلى السلطان حتى أشخص وشيل وأجاب عما سئل وردّوه إلى موضعه بزورا مكرهاً (١) .

ذكر عن ابن التبرجى أنه قال : كنت مع ذى النون فى الزورق ، وإذا بزورق آخر فيه جماعة من الناس فقبل لذي النون : « هؤلاء هم ذا يمضون يشهدوا عليك عند السلطان بالزندقة . فقلت ذى النون : « والله إن كانوا كاذبين فخذوا ! » . قال : ابن التبرجى : فما نسيت كلامه حتى انقلب الزورق وغرق القوم . قال : فقلت لذي النون : أحسب أن القوم نسفوا فى مشهركم ذنب الملاح ؟ قال : لم حمل الفساق ؟ سمون : إذا قام هؤلاء يوم القيامة ، شهداء الفرق ، حيرهم من أن يقوموا شهداء الزورق ! قال : ثم انقضت القصة . وقال : « وعزتك وجلالك لا أدعو على خفت أبداً » .

فصل آخر

وسمون : كان يقال له : « سمون الحجب » وكان موصوفاً بحسن الوجه وحسن الكلام فى الحجة وعدوياً للمنطق . باغنى أن امرأة ماتت إليه وهو يتنه . فاما علم سمون بذلك طرفها من مجلسه ، ول : جاءت هذه المرأة إلى الجنين . رحمه الله ، فقالت : ما تقول فى رجل كان طريقى إلى الله ؟ فذهب الله وبقي الرجل ؟! . فعلم الجنيد أيش مرده فلم يسمع . وقال : « حسينا الله واعم الوكيل ! » ثم عرضت نفسها بالزواج على سمون فبى ذلك عاينها سمون . فقالت أن غلام الخليل هو منكر على هؤلاء - وهو يعاديههم - فقصدت إليه وفاتت : إن هؤلاء صوفية فلان وفلان وذكريهم « يجمعون معى كل ليلة على الحرام »

(١) الأولى : أن يقال : معززا ليناسب ما بعده

فشهد عليهم غلام الخليل بذلك وقال : « هؤلاء زنادقة ودمهم في عنقي » فباعني أن
السلطان أمر بضرب أعناقهم ، حتى كشف الله عنهم ذلك ونجاهم وخاصهم ! .

وأما أبو سعيد أحمد بن عيسى الخزاز ، أنكر عليه جمعة من العباد ، ونسبوه إلى
الكفر بالفاظ وجدوه في كتب صنفه وهو : كتاب السر ، فلم ينهوه عنه
وهو قوله : « عبد رجع إلى الله وتعلق بالذكر ، وذكر في قرب الله وطاعة الأذن له
من العظم لله ونسي نفسه وما سوى الله ! فو قلت له : من أين أنت وأين تريد ؟
لم يكن له جواب غير قول « الله ! » .

وأشبهه ذلك موجود في كتبه وتلاميذه ، وقد شرحت ذلك في بابي .

فصل آخر

وأما عمرو بن عثمان المكي : كان عند حروبه في عهد العباسي ، فبقي في يده
في يد بعض تلاميذه فخذ الكتاب وحرقه . فله علم ذلك عمرو بن عثمان بن
سوء يتطوع يديه وزجلده ويضرب رقبة . بقا : ابن الغلام الذي سرق منه ذلك
الكتاب ، كان « الحسين بن منصور خلاج » وأما ذلك في قول : « قول
عمرو بن عثمان .

فصل آخر

وأما سهل بن عبد الله بن عامر ، تلمذ الحارث بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العبد
مع كل نفس « ، كان في الحيرة ، جاز من أسب إلى العمرة والعمرة فرجع غايده العمارة
وكفره ونسبه إلى القبر مع عبد الله حتى وثبه عليه ، وكان ذلك باب من باب
تستره ونقله إلى البصرة ، حمد الله .

فصل آخر

وكذلك أبو « عبد الله الحسين بن مكي الصبيحي » تكلم في شيء من علم الأسماء والصفات وعلم الحروف ، فكثرت « أبو عبد الله الزبيرى » وهيج عليه العامة فقال : إن سهل بن عبد الله قال له : نحن فتحنا للناس جراب الخلتيت فلم يصبروا علينا ! فليكن كما تبهم أنت لا يعرفون ؟ فكان ذلك سبب خروجه من « البصرة » ومات بمدينة « شوشتر » وبها قبره .

بغنى عن أبي عبد الله الصبيحي : أنه لم يخرج ثلاثين سنة من بيت من تحت الأرض من كثرة جهاده وتعبه ، وكان إذا تكلم بهود المعارف يدهش العالم : فسدوه على ذلك !

فصل آخر

وأما « أبو العباس أحمد بن عطاء » مع جلالته وسعة معرفته وكثرة عاهه وحسن المناظرة رقع إلى السامان ونسب إلى الكفر والزندقة فدعاه الوزير وهو « على بن عيسى » فزيره وجف عليه في الكلام .

فقال له ابن عطاء : ارفق يا رجل ، فغضب عليه كما بلغنى . فأمر حتى نزعوا خفه وصفعوه به ، وكان ذلك سبب موته !

فصل آخر

وكذلك الجنيد مع كثرة عاهه وتبحره وفهمه ومواظبته على الأوراد والعبادات وفضله على أهل زمانه : بالفهم ، والعلم ، والدين ، حتى يقال له : « طاووس العلماء » . فكم من مرة قد طاب وأخذ وشهدوا عليه بالكفر والزندقة .

وذكر ذلك يطول! وإنما أردنا أن نذكر ذلك حتى لا يتعجب من أهل عصرنا من يبسط لسانه بالوقعة في هذه العصابة فإن الشيء قديم: فأول من امتحن بذلك « عامر بن عبد قيس » من التابعين، رفع إلى « عثمان بن عفان » أنه يقول: « إنه خير من إبراهيم »، « وأنه يحرم ما أحل الله » حتى كتب « عثمان بن عفان » رضى الله عنه، إلى « معاوية بن أبي سفيان » في ذلك، وأشخص « عامر بن قيس » إلى « معاوية » على ظهر قتب. فلما سُئل عن حاله؛ وعرف محله ومكانه أكرمه وورده إلى موضعه، وكذلك من بعده في كل وقت. مقتصودون: بالأذى، والطعن والوقعة والإنكار، والشنعة، والسفاهة؛ فليس هذا إلا كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلا، ثم لا مثل ولا مثل » ٢١١ وَيَبْتَلِي الرِّجَالَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صِلَاةٌ فَيَسْكُرُ بِالنَّوْءِ أَشَدَّ نُوْءِ كَمَا قَالَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

فمن امتحن بشيء من فيك فعليه بالصبر؛ فإن الله مع الصابرين. وهو صانع الفرج. وأنشد لعل ابن أبي طالب رضى الله عنه وكرمه وجهه في الصبر: ما أحسن الصبر في موطنه؛ والصبر في كل موطن حسن حسبك من حسنه عواقبه؛ صفته الصبر له خير.

باب في ذكر « أبي بكر علي بن الحسن بن يازدانيار »

سمعت « أبا سعيد بن عبد الوهاب » يقول : كنت ببغداد وقت الذي ورد
بن يازدانيار فبهجره المشايخ من أجل أنه رماهم بالكفر والإنكار عليهم ،
فأنكروا ذلك : فقال : « لم أقل شيئاً من ذلك » حتى مشى الناس فيما بينهم ووقع
بينهم الصلح .

قال أبو نصر : وكان « أبو بكر بن يازدانيار » ممن قد عجب المشايخ وسافر معهم
وتكلم وأجاب عن المسائل الكبيرة في عدم المعرف والأحوال والتفيمات ، فمضى
على ذلك برهة من الدهر ، فلما رجع إلى بلده وأسرته أهواؤه ومأى الرضا
وإلى جمع الناس عليه وانصراف الوجوه إليه واستحلي جمع الناس والسياسة ، فسقط
لسانه في مشايخه بالوقوع ونسبهم إلى البدعة والضلالة وإلى الغلط وجهاة ونسب
معهم العداوة والمنوأة : من التمرد ، والمباهاة بخل به البلاد ، ويزع منه الحيث
« وصار من المطرودين » وقد كان قبل ذلك من المعدودين فبعد المعرفة أنكرهم .
ومن بعد المواصلة هجرهم ، فضيع الأمانة ، وحذف الحياة ، وترك الحجية ، وترك
الاجبة . فترك في كنفاته سبها إلا رماهم به ، ولا اهتدى إلى مكروه إلا قصد
به ، حتى كتب إلى البلاد : يحذر منهم العباد ، وينسبهم إلى الكفر والبدع .
كل ذلك اطلب الرياسة وأخذ الجاد عند العمة . فلم يكتب من جميع ذلك
إلا فرحة قليلة أعقبها ترحمة طويلة وبقي عليه القبعة والعر والشنار والذر والندامة
والملامة إلى يوم القيامة .

وهؤلاء المشايخ السادة والأئمة القادة قد زاد الله بذلك في مناقبهم ورفع في
مراتبهم ولم ينقصوا لمطن الطاعنين وتعنت المتعنتين عند العقلاء والأدباء وعند

الفقهاء من العلماء ، بل زادوا بذلك عندهم محاسن وفضائل « فرفع الله بذلك أقدارهم
وأخطارهم إلى الأبد » بلا زوال ولا أمد !

وهؤلاء المتعنتون مأثومون مذمومون خامرون خاسثون موصومون بذلك
إلى يوم الدين . لقد ضلوا ضلالا بعيدا وخسرها خسرانا كبيرا -
أعاذنا الله وأياكم من مثل ذلك .

وفي مثل ذلك يقول علي عبد الرحيم القناد [رحمه الله] يصف « ابن زردانيار »
ويذكر المشايخ الذين طعن عليهم ويقول : -

تَكُنْت أَمْرًا ضَلَّ عَنْكَ حَقُّهُ فَكَيْفَ تَسْمِي وَالْعَدْلُ مَعَهُ ؟
سَمَوْتَ بِأَحْوَالِ الْبَطَلَةِ شَافِحًا فَمَنْ جَنِيْدٌ [قَدَسَ اللَّهُ] رُوحَهُ ؟
وَأَنْجَى سَيِّمَ الْقَدَسِ بِهَذِهِ مَرَاكِبُهُ ؟
فَكَيْفَ مَنَلَا أَسْتَ تَعْرِفُ عَيْنَهُ ؟
وَطَعْنَكَ فِي النُّورِ عَجِبَ مَا بِهِ ؟
تَبَغَضْتَ أَشْيَاخَ التَّصَوُّفِ عَابِدًا فَكَيْفَ طَعَنْتَ الْآنَ فِي غَيْبِ مَثَلِهِ ؟
فَعَلَيْكَ رِضٌ وَجَبِيْدٌ وَأَخِيْرٌ
لَمْ يَمَسَّكَ مِنْ رَدَائِيهِ مَقْدَرٌ
فَبِرِّكَ لَا

فَأَتَتْ شَمْرَةَ بِأَبِي وَوَدَّعَتْهُ

وَمَمْنُونَ وَالْمَصْرِي ذُو النُّونِ بَعْدَهُ
إِذَا جَعَزَ الْخَلْدِي لَمْ تَرَعْ حَقُّهُ
وَكَيفَ يَرْجِي خَيْرَ مَنْ سَبَّ سَيِّدًا
فَإِنْ لَسَانُ الْحَقِّ يَمْدِيهِ مَشْرَعًا
أَسْرَهُمْ سِرًّا فَلَا السَّرَّ ظَاهِرًا
فَرَأَيْتَهُ يَنْقُصُ بِمَنْ سَبَّ سَيِّدًا
فَكَيْفَ يَرْجِي خَيْرَ مَنْ سَبَّ سَيِّدًا
أَتَدْرِي لِمَ سَبَّ سَيِّدًا
إِذَا رَعَى عَمَلَهُ فِي حَالِهِ
عَلَى مَسْتَقْدَمِ السَّرِّ يَنْفِي عَمَلَهُ

قد استشعروا كتم السرائر وامتعلوا لموعده ججراً فمات ابتذاله
 إذا نظفوا أعجزك مرعى رموزهم وإن صمتوا هيئات منك اتصاله
 بيانا لكشف اللبس من كل ما كر إذا طاح في الدعوى وطح انتحاله
 وبلغني أن ابن بزديار وقف على الشبلي فقال: « يا أبا بكر، أريد أن
 أسألك مسألة، وقد قصدتك لهذا؟ »

فقال الشبلي: لو كان بيننا وصلة ما أردت أن تتعنى، وان كنت ائذني غيران.
 قال: فمما بلغ الشبلي ما قد أعدت من الطعن والإسكار عليهم والإطباق على
 شيخنا المتكلمين، فكان يسهر في ثور الأرمي، وكان إذا جاء من ناحية إنسان
 يقول: « يا أبا بكر، ثور الأرمي؟ »

وسمعت أبا علي لروذياري يقول: رأيت ابن بزديار
 يقول في مسألة في العهد فحسن جواب.

ثم سأله مسألة في اليمين فحسن فيها ولم يحسن جوابه فقلت له: رد
 جوابي - رحمت الله - بقول: « لا أجيبك حتى تقضي دينك » وكان يعلم
 أن أبا علي لا يستدني.

قال أبو علي: فقلت لأصحابي: يا أصحابي، لا تظنوا أن هذا فراسة، لأن
 هذا عادة:

قال: فحجل من جمة عتة وانقطع.

وسمعت الحسين بن عبد الله الفارسي يقول: سمعت أبا بكر الفارسي يقول
 دخلت على ابن بزديار فحضرت مجلسه، فلما فرغ ناداني فقال: ما تقول في هؤلاء
 العراقيين؟ [يعني الجنيد والثوري والشبلي] قال: فقلت أرباب التوحيد. قال:
 فغضب من كلامي، وقام، وقال لي بعض من كان يسمع كلامنا: يا رجل،

اتق الله . قم واخرج من ها هنا ومن هذا البلد أيضاً ، ولا تقم الليلة . . فإنك إن
أقمت الليلة ها هنا نالك مكروه ، ويكون دمك في عنقك وهذه أمانة بيني وبينك
قال : « فقامت وخرجت » . أو كما قال

وإنما ذكرت هذه الحكاية ؛ حتى يعلم الناظر في هذا الكتاب أن
هؤلاء الذين يطعنون على هذه العصاة لا يكون منهم أحد يرجع إلى دين
وأمانة ، وكلهم يكونون مستحلين منساختين من الدين . أعاذنا الله وإياكم
من ذلك .

باب في ذكر محمد بن موسى القرغاني

وبيان ما ذكر عنه من الكلام الذي ظاهره مستشنع

وطائفة صحيح مستقيم

قد نظرت في كلام الأواسطي أكثره فوجدت كلاماً فصيحاً وأصولاً صحيحة ،
إلا أن عامة ما تسلم به استند من منبع العراقيين ، ووجدت كثيراً من كلامه
مدون في دواوين العراقيين ، وفي كلامه مدخل المتعنت (١) باطنين وإشكار غير أنني
وجدت مغزاه ومقصده مقصداً صحيحاً ، وممر ميه سراي موجوداً في الأصول وأدرا
في النصوص ، مثل ما ذكره غيره من المشايخ المتقدمين .

وباعني أنه سكن مرو ، وذكر أنه وجد بخراسان قوم أوسع فيها منهم ،
لإدراك عامة والأساليب المعنى الفاظه وفضوائه ، وإتذارت تكثيراً في ذلك ،
غير أن الحكي من العبد يدل قليلاً على كثيره ، ويستنبط جليله من يسيره
وبالله التوفيق .

ذكر عن محمد بن موسى المعروف بأواسطي أنه قال : « من ذكر افتري ،
ومن صبر اجتري ، ومن شكر ابهرى » .

وقد حكى هذا الكلام بعينه لابن عطاء ، إلا أن مشهور المستنسخ المدون
في الكتب لأواسطي .

وهذا الكلام ظاهره مستشنع ، ولأهل التعنت فيه مقال ، إلا أن إثباته
في نطق به صحيحة .

ثم قوله : « من ذكر افتري » يحتمل وجوها :

وجه منها : يحتمل أنه أراد بذلك : أن من خان الله قد ذكر الله يستحق ذكراً .

فقد افتري ، وإن كان ذا كراً لله .

(١) الأولى : المتعنت

والوجه الثاني: يَحْتَمِلُ أَنْ يَقُولَ: مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَذْكُرْهُ بِقَلْبِهِ فَكَأَنَّهُ
قَدْ افْتَرَى، لِأَنَّ الْاِفْتِرَاءَ: هُوَ الْكُذْبُ، وَالْكَذْبُ: هُوَ النِّفَاقُ، وَهُوَ أَنْ تَقُولَ
بِلِسَانِكَ بِخِلَافِ مَا يَكُونُ فِي قَلْبِكَ، فَإِذَا قُلْتَ: اللَّهُ أَكْبَرُ فَقَدْ ذَكَرْتَ اللَّهَ بِلِسَانِكَ،
فَإِنْ كَانَ فِي قَلْبِكَ شَيْءٌ أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ مِنَ اللَّهِ، فَكَانَ ذِكْرَكَ لِلَّهِ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ،
فَرِذَاعُ غَاثٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

والوجه الثالث: يَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَرَادَ بِذَلِكَ: أَنْ مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ ذَكَرَ اللَّهَ،
وَهُوَ ذَاكَرَ اللَّهِ بِالْحَقِيقَةِ، فَقَدْ افْتَرَى، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ لَهُ قَبْلَ ذِكْرِهِ لِلَّهِ،
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «وَلَذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ» (١).

فَلِأَهْلِ التَّوْبَةِ: ذِكْرَ اللَّهِ كَيْفَ فِي الْأَوَّلِ بِالْإِيمَانِ بِهِ وَتَعَرُّفِهِ، وَذَكَرَ لَهُ
أَكْبَرَ مِنْ ذِكْرِكُمْ.

وقوله: «من صبر اجترى» يَحْتَمِلُ أَيْضًا وَجُودًا:

لَوْجِهِ الْأَوَّلِ: أَنْ طَوَّارِقَ مَحْمَدٍ وَبِرَّاهُ لَا يَطِيقُ ذَلِكَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ بِفَنِّ صَبْرِهِ
فِي بَرَاهِ وَاحْتِمَالِ ذَلِكَ، فِيمَا يَحْتَمِلُ بِمَا حَمَلَ فِيهِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَمَا صَبَّرْنَا إِلَّا بِاللَّهِ» (٢)، فَمَنْ صَبَرَ فَلَيْسَ لَهُ نَسِيبَةٌ فِي صَبْرِهِ، وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ
أَوْ يَقْدِرُ أَنْ يُصْبِرَ عَلَى ذُرَّةٍ مِنْ طَوَّارِقِ مَحْمَدٍ فَقَدْ اجْتَرَى، وَالْاجْتِرَاءُ: الْخَسْفُ.

والوجه الثاني: أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى طَوَّارِقِ الْبُرْهَانِ: دَائِعٌ يَدْعُو إِلَى حَمْدِ اللَّهِ
وَالدَّعْوَى، وَإِلَى اسْتِدْعَاءِ الْخَيْرِ وَالرَّبِّ، وَالْعَجَبُ وَتَعْجِيبُ عَيْنِ الْبَرِّ
حَادٍ يَدْعُو صَاحِبَهُ إِلَى الذِّقَّةِ وَاللَّجَأِ، وَتَوْفِيقُهُ بَيْنَ نَحْوِهَا وَالرَّجَاءِ
كَمَا قَالَ يَحْيَى بْنُ مَعَاذٍ الرَّازِيُّ: ذَنْبُ أَتَمِّهِ بِرَبِّهِ يَدْعُو إِلَى حَمْدِ اللَّهِ
أَدْلُ بِهَا عَلَيْهِ.

(٢) النحل: ١٢٧

(١) العنكبوت ٤٥

فهذا معنى قوله « من صبر اجترى » ومن قوله « ومن شكر انبرى » ؛
لأن الشكر جزاء النعمة .

ومن خطر بهاله أنه شكر لأقل نعمة من نعمه . ولو بذل في ذلك مہجته ،
وتألف بذلك روجه : فقد انبرى ، يعنى قد انفصل من درجة المتوجهين .

ووجد آخر ، وهو : أن كل عمل ينقطع وله غاية ونهاية إلا الشكر ؛ لأن
الشكر أيضا نعمة يجب عليها الشكر .

وفي الخبر : أن موسى عليه السلام قال : يا رب كين أشكرك ، وشكركى لك
نعمة منك على ! يجب على فيها التكرار ؟ قال : فوحي الله إليه : يا موسى ، الآن

قد شكرتني — فكأنه يريد بقوله « انبرى » يعنى : انفصل عن جميع الأشغال
باشكرك ؛ لأن الشكر نعمة ، والشكر على الشكر أيضا نعمة ، فلا ينقطع

ذات نعمته !

وهذا الذى ذكرت جوابه وبه : على معنى التخصيل . وأما جوابه على الجملة :
فإن جميع ما أضيف إلى العبد : من حركاته ، وخطراته ، وأفعاله ، وأحواله فليس
فعله — فى الحقيقة — غير الله ، فمن لم ينظر إلى قيم الله له ، حتى يذهب عن مشاهدة
قيمه بتميز الحق له فى جميع حركاته وخطراته ، فإن ذكر فقد اجترى ، وإن صبر
فقد اجترى ، وإن شكر فقد انبرى ، وبالله التوفيق ،

وإنما حماني على الزيادة فى الشرح ، حتى يعلم القاص والمستبصرت عن هذا العلم
أن تحت كل كلمة من كلام هؤلاء الحكماء كنوزا لا يظن بها إلا بصدق الضاب
ودوام النصب والسكد والتعب ، ولا ينبغي لأحد أن يقيس ما يسمع من هذا العلم
برأيد ويزين ذلك بعبارة ، فإنه يتيه ويزل ، ويهلك ويضل : « وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
كَيْدَ الْخَالِقِينَ » ،

عز وجل ، وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وكثرة استجلاله ، وقلة مبالاته ،
وكان يستر قبائحهم وفضائحهم بالتساور وكثرة الروايات والحكايات ، ودقة البيان ،
وفصاحة اللسان ، وادعائه مذهب أهل الحديث ، ومحبة أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أخوف ما أخوف عليكم
مدقق عديم اللسان » .

وقد ذكرت بعض ما وقع به هذه العصبية من المعاندین والمعتدين من وقت
الذين إلى يومنا هذا من أمثال هؤلاء ، فلا يضرهم ذلك .
« وأن الله لا يهدي كيد الخائرين » (١) ، وهو يتولى الصالحين ولا يضيع
أجر المحسنين .

(١) يوسف : ٥٢

ثم وصف الله الأصنام ، فقال : « واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون .
شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً
والحيوة ولا شوراً » (١) . وقال : « فتعبدون من دون الله مآلاً ينفَعُكُمْ شيئاً
ولا يضرُكم * أف لكم ولما تعبدون من دون الله ، أف لا تعقلون ؟! » (٢) .

والآييات عليهم السلام ، وغير الأنبياء : كلهم في مراتبهم ومدراقتهم ومقاماتهم
التي جعلت لهم ووصفوا بها .

فمن لاحظ الخلق فيرى تخصيصهم وتفضيلهم وتشريفهم . ومن لاحظ سطوات
عظمة المرحمانية ، وبوادي سلطان الربوبية ، وقدم الأحدية والفرديانية ، بعبوديته
عن الخلق ، وغيبوبة الخلق عنه ، فأين هو والخلق ، وكيف يحد السبيل إلى
ملاحظة الخلق ؟

ذلك معنى قوله : إياك أن تلاحظ حبيبا ، أو كعبا ، أو خليلا إن وجدت إلى
ملاحظة الحق سبيلا ، يعني المشاهدة ، والحاضرة ، والرؤية أتم من الملاحظة .

وقال النبي . صلى الله عليه وسلم : « اعبد الله كأنك تراه » . ٢١٥

وقال عل بن أبي طالب رضى الله عنه : « رأته القلوب بحقائق الإيمان » .

وقد روى عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « ليس منا أحد ينجيه عماله ٢١٦

فقيه له : ولا أنت يرسل الله ؟ فقال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه ! »

وقر قال ذلك ، لأنه لم يلاحظ نفسه عند ملاحظة الحق ، وقال في وقت آخر :

« أنا أول من تنشق عنه الأرض والأنبياء تحت لوأى . والجنة حرام على كل أحد ٢١٧

حتى أذخاها » ، لأنه لاحظ نعم الله عليه ومنه لديه .

(٢) الآييات : ٦٦ : ٦٧

(١) الفرقان : ٣

قال الله عز وجل : **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** (۱)

وكذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما مات النبي صلى الله عليه وسلم اضطرب قلوب المساميين ، وخشوا على ذهاب الإسلام بموت النبي صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر وقال : **« إلا من كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ! »** .

الآ ترى أنه لم يلاحظ موت النبي صلى الله عليه وسلم ، عند ملاحظته للحق في نصرته الدين وتمكين المساميين .

وكذلك عائشة رضي الله عنها ، عند نزل آياتها من مقالة أهل الأوثان : **الآ ترى كيف واحببت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت : يعبد الله لا يعبد غيره . وكان شرفها وفضلها وفخرها برسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أنهم لم يلاحظوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عند ملاحظة الحق في نزل آياتها ، ولم يزدوها ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا رفعاً وتمجيداً ، ولم يزدوها ذلك ففسر عن هذا المعنى ، جميع ما تسع من آياتها في هذا الباب .**

وأما قوله : **صلى عليهم بالأوزار ، ولا تجعلوا في قلوبهم غلا** : أي جعلوا المتعنت : أي لا تجعلوا للأنبياء عليهم السلام في قلوبهم غلا ، وإنما كان الغلا أي لا تجعلوا لكثرة صلاتك عليهم غلا ، أي لا تستكبروا بذلك ، بل يجب أن يستحقون أكثر من ذلك .

لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **« من صلى علي من غير أن يعرفني ، صلى علي عشرين مرة ، ومن صلى علي عشرين مرة ، صلى علي عشرين مرة ، ومن صلى علي عشرين مرة ، صلى علي عشرين مرة ، ومن صلى علي عشرين مرة ، صلى علي عشرين مرة . »**

يقول : وإن كثرت الصلاة عليهم فلا تجعلوا في قلوبهم غلا ، أي لا تجعلوا لأن صلوات الله عليكم إذا صليت من أوبى ، صلى الله عليه وسلم ، أو أكثر من صلواتك عليه .

(۱) الضحى : ۱۱

ومن قال : إياه أراد بقوله : لا تجعل لها في قلبك مقدارا ، يعني الأنبياء عليهم السلام يعني به عند مقدار عظمة الله تعالى ، وكبريائه ، لأنه لا يجوز أن يأخذ مقدار شيء من جميع ما خلق الله : من الملائكة ، والأنبياء ، والجنّة والنار ، والعرش ، والكرسي ، موضعاً من قسب المؤمنين ، عند موضع مقدار عظمة الله تعالى ، وكبريائه ، وقدرته ، وسلطانه ، ووحده البتة .

فهذا في معنى التوحيد وحقائقه التفريد .

وأما من حيث العلم والشرع ، وما ندب الله إليه الخلق ودعاهم إلى تعظيم الرسل والأيام بها جازوا به ، وهي خصص الله بيئنا ، صلى الله عليه وسلم ، من جميع الرسل وقرباؤه في هذا المعنى أبو بكر بن أبي شيبة : متسهبات أهل الصفة في تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم ، من كتب الله ، تعالى ، وأخبار رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وقد فتح عن ذلك عن قسب آوينا الله .

وأقرب ما يقرب أهل الصفة في الرسول ، صلى الله عليه وسلم : أنه عبد أوحده لا يجوز لأحد أن يدركه في جميع ما خص به .

مثل أبو يزيد السطري ، رحمه الله : هل يزيد أحد عن النبي صلى الله عليه وسلم ؟ آفتق : وهل يدركه أحد ؟ !

ثم قال أبو يزيد ، رحمه الله ، جميع ما يفهم الخلق وأدركوه من شرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيهم يفهمه ولم يدركه ، مثل قرينة زرقاء مآلى من ليل ، فما رشح أدرك الخلق وفيه من شرفه وفضله ، وما سوى ذلك فلم يفهمه أحد ولم يدركه .

وأقرب ما يصف به أهل الصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنهم قالوا :

لما وعد الله تعالى رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، بأن يعطيه جميع ما يسأله بقوله : يا محمد ، سل تسأله « فلا يجوز أن يسأله شيئاً إلا أن يعطيه .

۳۱۹ وكان من دعائه ، صلى الله عليه وسلم : « اللهم اجعل من فوقى نوراً ، ومن تحتي نوراً ، وعن يميني نوراً وعن شمالي نوراً ، ومن ورائي نوراً ، ومن قدامي نوراً ، ومن خلفي نوراً ، اللهم اجعل في قلبي نوراً ، وفي بصري نوراً ، وفي سمعي نوراً ، وفي لحمي نوراً ، وفي عظمي نوراً » كما جاء في الحديث .

۳۲۰ قالوا : الدليل على أن الله تعالى ، أعطاه ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « والله إنى لأراكم خلف ظهري كما أراكم قدامي » .

وكل فضيلة وشرف خص بذلك أحد من أمة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فذلك شرف رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وفضله ، فلا ينبغي لأحد أن يتفرد بما لا يعلم .

قال بعض الحكماء : إذا ألق القاب الإعراض عن الله تعالى ، أوردت له قيمة في أولياء الله ، تعالى .

والمستوحش عن هذا العلم تجد في كتب هؤلاء ، وفي كلامهم مثل ذلك كثيراً ، وإنما بينت هاتين الكلمتين ، وفسرت على الاختصار حتى يتبين بذلك سيرته ، لما ذكره . وبالله التوفيق .

باب في ذكر من غلط من المترسمين بالتصوف

ومن أين يقع الغلط ، وكيف وجوه ذلك

قال الشيخ ، رحمه الله : سمعت أحمد بن علي الكرخي يقول : سمعت أبا علي البرزقباري ، رحمه الله ، يقول : قد باعنا في هذا الأمر إلى مكان مثل حد السيف ، فإن قلنا : كذا ففي النار وإن قلنا : كذا ففي النار .

يعني : إن غاططنا فيما نحن فيه بدقيقة فنصير من أهل النار ، لأن الغلط في كل شيء ، أهدرنا من الغلط في التصوف وفي عامة ، لأنها : مقدمات ، وأحوال ، وإرادات ومراتب ، وإشارات ، فمن تخشى في ذلك إلى ما ليس له فقد اجترأ على الله فيكون الله خصمه ، فإن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه بما شاؤ كيف شاء .

وكان من ترسم يرسم هذه العصابة أو أشد إلى نفسه بأن له قدما في هذه القصة ، أو توجه أنه متمسك ببعض آداب هذه الطائفة ، ولم يُحْكَمْ أساسه على ثلاثة أشياء فهو مخلوق ، ولو مشى في الهواء ونطق بالحكمة ، أو وقع له قبول عند الحاجة أو الحاجة .

وهذه الثلاثة أشياء :

أولها : اجتناب جميع المحارم : كبيرها وصغيرها .

والثاني : أداء جميع الفرائض : عسيرها ويسيرها .

والثالث : ترك الدنيا على [أهل] الدنيا : قليلها وكثيرها إلا مالا يدر

تدبر من غيرها .

وهو ما روى عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : أربعة في الدين .

ولست هي من الدنيا : كسرة تسد بها جوعتك ، وثوب توارى عورتك ، وبيت

تسكن فيه ، وزوجة صالحة تسكن إليها .

فأما سوى ذلك : من الجمع ، والمنع ، والإمساك ، وحب التكاثر ، والمباهاة ،
فجميع ذلك : حجاب قاطع يقطع العبد عن الله عز وجل .

فكل من ادعى حالا من أحوال أهل الخصوص ، أو توهم أنه سلك منزلا
من منازل أهل الصفة ، ولم يبين أساسه على هذه الثلاثة فإنه إلى القرب أقرب
منه إلى الإصابة في جميع ما يشير إليه أو يدعيه أو يترسم برسمه ، والعالم مُتَعَبٌّ
والجاهل مدَّعٍ .

باب في ذكر الفرقة لذين غلطوا

وطبقاتهم ، وتفاوتهم في الغلط

قال الشيخ رحمه الله : ثم اني نظرتُ إلى الفرق الذين غلطوا ، فوجدتهم غير

ثلاث طبقات :

طبقة منهم : غلطوا في الأصول من قلة إحكامهم لأصول الشريعة ، وضعف دعائمهم في الصدق والإخلاص ، وقلة معرفتهم بذلك ، كما قال بعض المشايخ ، حيث تقول : إنما حرموا الوصول لتضييع الأصول .

وطبقة ثانية : منهم غلطوا في الفروع ، وهي : الأداب ، والأخلاق ، والمقامات ، والأحوال ، والأفعال ، والأقوال ، فكان ذلك من قلة معرفتهم بالأصول ، ومنابعهم حفظ النفوس ومزاج الطبع ، لأنهم لم يدنوا من يروضهم ، ويخرجهم المررات ، ويوقفهم على المنهج الذي يؤديهم إلى مطلوبهم .

ثالثهم في ذلك : كمثل من يدخل بيتاً مظلماً بلا سراج ، فالذي يفسده أكثر من يصحبه ، وكلما ظن أنه قد ظفر بجوهر نفيس فلم يجد معه إلا خزفاً خسيساً ، لأنهم لم يتبع أهل البصيرة الذين يميزون بين الأشياء ، والأشكال ، والأضداد ، والأجسام فعد ذلك يتبع لهم الغلط ، ويكثر منهم الجفوة والشطط ، فهم متحيرون ، ومتفرقون بين متبرم ومفتون ، ومتجبر ومحزون ومغتر بالظنون ، ومخترف بالجنون ، ومتبس باخون ، ومكمد بالشجون ، ومدع ومفتون ومتمن للمنون . فسبحان من قسم لهم بذلك وهو العالم بدانهم ودوائهم ، وسقمهم وشفائهم .

والطبقة الثالثة ، كان غلطهم فيما غلطوا فيه : زلة وهنرة ، لا علة وجفوة ، فذابين ذلك عادوا إلى مكارم الأخلاق ، ومعلى الأمور ، فسددوا الخلل ، وآثروا الشعث ، وتركوا العناد ، وأذعنوا للحق ، وأقروا بالعجز فعادوا إلى الأحوال الرضية

والأفعال السنية ، والدرجات الرفيعة ، فلم تنقص مراتبهم هفوتهم ، ولم تظلم الوقت عليهم جفوتهم ، ولم تتزج بالكدورة صفوتهم .

وكل طبقة من هذه الطبقات الثلاث على أحوال شتى : من النفوس ، والإرادات ، والمقاصد ، والنيات .

وقد قال القائل :

مَنْ تَحَلَّى بِغَيْرِ مَا هُوَ فِيهِ فَضَحَّتْهُ نَسَانُ مَا يَدْعِيهِ

وقد ذهب عليه ما روى عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : ليس الإيمان بانتحلي ولا بالتمنى ، وإنما هو ما وقر في القلب وصدقته الأيمان . كما روى في الحديث « :

فمن غلط في الأصول فلا يسر من الضلالة ، ولا يرجى له الهدى ، إلا أن شاء الله ذلك ، والغلط في الفروع أقل آفة ، وإن كانت بعيدة من الأمانة .

باب في ذكر من غلط في الفروع التي لم تؤد بهم إلى الضلالة
وابتدىء في ذكر الطائفتين الذين غلطوا في الفقر والغنى

قال الشيخ رحمه الله : ثم إن طائفة من المترسمين بالصوفية ، تسكروا في تشریف
الغنى على الفقر ، وكانت إشارتهم في ذلك : إلى الغنى بالله ، لا إلى الغنى بالأعراض
الدنية من الدنيا ، [فغلطت طائفة] . فطالب التأويلات ، وتعلقت بالاحتجاجات
والاختراعات : من الآيات والروايات ، أن تجعل الغنى بأعراض الدنيا حالا محمودة
أو مقدما من مقدمات طالب الآخرة ، فتاهت في ذلك وغلطت ، لأن الذي تسكروا
في الفقر والغنى ، وعد الغنى حالا من أحوال المقطوعين إلى الله تعالى : أشار إلى
الغنى بالله ، لا إلى الغنى بأعراض الدنيا التي لا تزينُ عبد الله جدها بعرضة .

وطائفة أخرى : تسكمت في حقائق الفقر والافتقار إلى الله تعالى ، ما يقربها :
من الصبر ، والشكر ، والرضا ، والتفويض ، والسكون ، والطمأنينة ، عند العدم .
فضلت طائفة أخرى وتوهمت أن التقير المحتج الذي يعدم الصبر والرضا :
لا فضيلة له ولا ثواب له على فقره ، والتقير المضطر المعدم لرضا والصبر : له فضل
من الغنى الذي يكون غناه بالدنيا .

وختمت النفس محتاجة ، وليس من صفات البشرية : الطمأنينة والسكون عند
عدم القوام والقوى ، والفقر تسكرده النفس ولا يلائمه الطبع والهوى ، لأنه من
الحقوق والغنى تحبه النفس ويلائمه الطبع والهوى ، لأنه من [الحظوظ] .

وقد وعد الله تعالى الغنى على الحسنة الواحدة ، إذا عملها ، عشر أمثالها :
لقوله عز وجل : « مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَعِدَّةُ عَشْرٍ أَمْثَلِهَا » (١) ، والحسنة

من التقیر کائنة فی کل نفس ، لصبره علی مرارة الفقر ، وایس لثواب الصبر
نهایة معدودة .

لقوله عز وجل : « إِنَّمَا يُؤَوِّفِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِخَيْرِ حِسَابٍ » (۱) .
والفقر فی ذاته محمود ، فإن صحبته علة فالعلة فید مذمومة .

۲۲۲ لقول النبی صلی الله علیه وسلم : الفقر أزیّن علی المؤمنین من العذار الجید علی
خد الفرس .

ولم یشرط مع الفقر غیر الفقر شیئاً .

والغنی بالدنیا فی ذاته مذموم . فإن صحبته خصلة محمودة من أعمال البر فی
المحمودة لا نفس الغنی .

۲۲۳ لقول النبی صلی الله علیه وسلم : یس الغنی عن كثرة العرض « . ویشترط
مع الغنی شیئاً غیر الغنی .

فشتان بین خصلة محمودة فی ذاتها لا تقع اسم مذمومة معها إلا بالضرورة
من أعمال الخیر .

وطبقة أخرى : زعمت أن الفقر والغنی حالان . یس لعل أن یتبعهما ، ویشترط
علیه أن یعبرهما ولا یقف معهما ، وهذا عند أهل الحقیق والمعرف . والحقیق
الحقیقة عند النهایات ، فظننت طائفة أحرى أن الذی قول ذات فمذموم من الغنی
والغنی وقالوا : لا فرق بین الفقر والغنی فی معنی الحال .

فیقال لهم : قدر أیما کم کارهین للفقر . ومدوا یدیهما فمذموم من الغنی
حالین مستویین ، فأین استواؤهم فی الساکفة ، فیهما ، ولا یستویان
والمعانقة لها ؟ فقد تبین غلطهم فی ذلك .

(۱) الزمر : ۱۰ .

وغلطت طائفة أخرى في الفقر فتوهمت أن المراد من حال الفقر العدم والفقر فقط ، فاشتغلت بذلك ولم تسمَّ بهتتها إلى آداب الفقر ، وخفي عليها أن رؤية الفقر في الفقر حجاب التمييز عن حقيقة الفقر .

وإس للتمييز الصادق في حال الفقر خصلة أقل من الإعدام ، والفقر ، والصبر ، والرضا ، والتواضع ، في معانيها : أتم من الفقر الذي لم يكن مقروناً بهذه الخصال ، ورؤية الفقر والمسكنة إلى الفقر والإعجاب به علة في الحجب وحجاب في المكان .

والله أعلم بالصواب . وبالله التوفيق .

باب في ذكر من غلط في التوسع . وترك التوسع من الدنيا بالتقشف

والتقال ، ومن غلط في الاكتساب وترك الاكتساب

قال الشيخ ، رحمه الله : لا يصح الدخول في السعات إلا لشيء أو صدق .
معناه : لأهمهم يكونون في الأشياء لغيرهم ، ويقومون في الأسباب بحقوقها
لا بحظوظها ، لأهمهم يعرفون الإذن : إذا أذن الله لهم بالإتقاف أنفقوا ، وإذا أذن
لهم بالإمساك أمسكوا :

فمن لم يعرف الإذن ، ولم يكن من أهل السكك والنهايات ، غلط عند دخوله
في السعات بالغرور والتأويلات .

ومن زعم أنه لا يسكن إلى ذلك فيقتل له من لا يسكن إلى ما في غيره من
أسباب الدنيا ينبغي أن لا يمسك ولا يطلب ، ويكون القليل والكثير عنده سواء .
فمن لم يكن القليل أكثر عنده من الكثير ، ولا يكون الواحد أكثر عنده من الأيمن .
ولا يخسر سره من الطاب بمفقود من أسباب الدنيا والإمساك بوجودها : فهو من
طلاب الدنيا والمرتبطين بكتسبها بحظها لا بحقوقها .

فمن توشح أن له حلاً غير ذلك فهو في غلط .

وطبقة أخرى : تعاقوا بالتقشف والتقال ، واعتدها الذهن من الماس والتمسك من
التبوت ، وظنوا أن كل من رفق بنفسه ، أو تناول شيئاً من المباحات ، أو أتى شيئاً
من الطيبات : أن ذلك علة وسقوط من المنزلة ، وهل حال غير ذلك الذي هو
عندهم ذلة ، وقد غلطوا في ذلك ، لأن العلة كائنة في التقال والتمسك من الماس والتمسك
كائنة في الترفع والترفة ، والتقال والتقشف بالعادة ، والتمسك بالمسك بالذات لا يكون
العبد مراداً بذلك وقتان الأوقات ، أو يكون شيئاً له ، أو يكون شيئاً نفسه ، فقد
شاهدنا آفاتهما ، واستعالي ملاحظة الخلق له بذلك ، ولم يعمل في الإقلاع عنهم بغيره
يكون حاله كما ولا يرجي خيره أبداً

وطبقة أخرى من المتسكين : تعقوا بأخذ القوت من الكسب ، وركنوا إلى اكتسابهم ، وأنكروا على من لم يكتب مثبهم وتوهموا وظنوا أن الحال لا يصح إلا بتصفية الغذاء ، وتصفية الغذاء والقوت - عندهم - لا تصح إلا بالاكتساب . واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم : أحل ما يأكل المؤمن كتب يده . وقد غلطوا في ذلك ، لأن الكسب رخصة وإباحة لمن لم يطق حل التوكل ، لأن التوكل حال لرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ، مأمورا بالتوكل والثقة بالمؤمنين من الرزق ، وكذلك الخلق كلهم مأمورون بالتوكل على الله ، عز وجل ، والثقة بما وعدهم الله تعالى ، والسكون عند عدم الرزق حتى يسوق الله ، عز وجل ، إليهم أرزاقهم ، فمن ضعف عن ذلك ولم يطق فقد سن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الكسب المباح بشروطه حتى لا يهلك .

وشروط الكسب : أن لا يركن إلى كسبه ، ولا يرى رزقه من كسبه ، ولا يكون في كسبه مغتتما ، بل ينوي بذلك معاملة المسلمين ، ولا يشغل كسبه عن أول أوقات الصلاة المفروضة ، ويتعلم العلم حتى لا يأكل الحرام ، ثم يترك خصلة من هذه الخصال فقد صار كسبه معلولا بعلة ، وإن كان له إخوان ممن لم يكتبوا ويعلم أنهم محتجون ، فيجب عليه أن يتقدم بما فضل من قوته .

فمن لم يتم بهذه الشروط فأخشى عليه الغلط في إيجابه وتعلقه به كسبه .

وطبقة أخرى : طعنوا على المكتسبين ، وجاسوا متعمدين على حاضهم ، متسرفين إلى من يتقدم ، وعندهم أن هذا هو الحال ، وقد غلطوا في ذلك ، لأن الجوس عن الكسب ينبغي أن يكون من قوة اليقين والصبر ، فمن ضعف يقينه وغضب عليه طبعه وطبعه يؤمر بالدخول في الطلب ، والطلب مباح ، وترك الطالب بقوة الإيمان أتم وأفضل .

باب في ذكر طبقات الذين فتروا في الإرادات ، وغلطوا
في المجاهدات ، وسكنوا إلى الراحة

قال الشيخ ، رحمه الله : ثم إن طبقة من الصوفية غلطت في العبادات ،
والمجاهدات ، ورياضات النفوس ، والمكابدات ، فلم تحكم في ذلك أساليبها ، ولم
تضع الأشياء في مواضعها ، فانهزمت ونكصت على أعقابها القهقري ، وذلك أنهم
حين سمعوا بمجاهدات المتقدمين ، وما نشر الله بذلك أعلامهم في خلقه ، بالعلم
الجميل ، والقبول عند الناس ، وإظهار الكرامات ، فطعمت نفوسهم وقبورهم ،
فتكفروا شيئاً من ذلك ، فلما طالت المدة ولم يصنعوا إلى مرادهم كسروا ، فإذ دعاهم
داعي العلم إلى المجاهدة والعبادة ورياضة النفس : فلا يقدم لذلك عندهم وزن .

ولو جذبهم الحق جذبة إلى خدمته ، وأرادهم بالمدومة على طاعته ، ودرأهم
باطلته وعنايته ، لآزادت رغباتهم ، وقويت نياتهم ، ودامت على ما كانت عليها
نيااتهم ، فلما لم يكونوا مرادين بذلك ، انحطت دعوتهم ، وفسد قصدهم ، وتوهموا
أن ذلك فتور .

وقد غلطوا في ذلك ، لأن النور ما يتروح به قلوب الختارين وقد ذهبت نيتهم
تعود إلى الحال .

فأما وقع فيه هؤلاء ، فهو الكسل والتواني والأمانى الكاذبة

قال : وسمعت أحمد بن علي الكرخي يقول : سمعت أبا عبد الله

رحمه الله يقول : البداية : هي كالبداية ، والبداية هي كالبداية ، والبداية هي كالبداية ،
في نهايته ، كأن يعمل في بدايته ، فهو مخدوع .

وطبقة أخرى : ساحت ، وسافرت ، وفتيت الشيخ ، وجالست وتصديت .
وتطاولت على أبناء جاسعها ، بثبها قد لقيت مالم يلق قرونها ، وطالت إلى ما
ينظر إليه جاسقوها ، وعدت نفسها من المستغنين .

وقد غلطت في ذلك ؛ لأن السفر سمي سفراً لأنه يسفر عن أخلاق الرجال ، وإنما يسافرون حتى يشاهدوا من أنفسهم خلقاً مذموماً فيعملوا في تبديلها ، ويعرفوا أيضاً من أنفسهم من الخبيث ما لم يعرفوا ذلك في حضرة الله ومعرفتهم .
ولقد احتج الشيخ يحتاج إلى الأدب ، والحرمة ، والإرادة ، وأن يأتي جميع ما يعبد ، ويقبل من الشيخ ما يرضيه به ويشير عليه ، ويطلب نفسه بحق الشيخ ، ولا يقتضى نفسه من الشيخ إقبالا عليه ولا رفقاً ، ويحفظ قلبه ، ويمنع نظره إليها ، ويخاف أن تكون صحبته وقوله للشيخ حجة عليه .

فمن سح أو سافر ، أو لقي شيخاً من المشايخ على غير ما ذكرت ، وتوهم أنه من مسافرين ، أو من قد حجب المشايخ : فهو في غلط عظيم .
وطبقة أخرى : أنفقوا الأموال والأموال ، وبدلوا ، وتوهموا أن المراد البدل والإدب ، والتخاطب بالسخوة والهدى والسماحة .

وقد غلطوا في ذلك ؛ لأن مرد القوم وقصودهم ، فيما أنفقوا وبدلوا : لم يكن يظهر السخوة ، ولا الشهير بالسماحة ، ولكن رأوا أن التعاقب بالأسباب مع المسبب : علمه في المكان ، وحجب قاطع عن الحقيقة ؛ فكان إنفاقهم وبدلهم وخروجهم من الأملاك : فراراً من العلة وقطعاً للعلاقة ، فمن بدل شيئاً من طريق السماحة والسخوة ، وظن أن طريقاً طريق القوم فهو في غلط .

وقوم آخرون انبسطوا في المباحات ، ولم يتكفوا المراعاة للأوقات ، وقالوا : ليس لنا معلوم أيش ، ما وجدنا أكلاماً وممن ، فذلك وقتنا !

وقد غلطوا في ذلك ، لأن الوقت إذا فات لا يدرك ، وليس نوقت ما يكون معسوراً بالإرفاق ، إنما الوقت ما يكون معسوراً بدوام الذكر ، ومربوطاً بالإخلاص والشكر ، والرضا والصبر ، والنفوس والهوى والشيطان : أعداء يطلبون فرصة الضمير بالعبد ، فإذا غفل العبد عنهم طرفة عين فلا يرجي خيره ولا يؤمن شلاكه .
فمن توهم أنه وصل إلى حال قد آمن من ذلك فهو في غلط .

بالانفراد والخلوة إلى ما أوصل إليه أوليائه من الأحوال الشريفة ولا يوصلهم إلى ذلك بين الناس .

وقد غاطوا في ذلك ، لأن الأئمة من المشايخ الذين قلَّ معطعمهم ، ودامت خلوتهم وانفرادهم ، واحتاروا العزلة : إنما حدهم على ذلك ودعاهم إليه ، داعي العلم وقوة الحال ، فورد على قلوبهم ما أذهابهم وشغلهم عن المعارف والأوطان ، وأخذهم عن الطعام والشراب وجذبهم الحق إليه جذبة أعماهم بها عمن سواه (١) .

فمن لم يكن مصحوبه قوة الحال وغلبة الوارد ، ثم يتكاتف ويحمل على نفسه ما لا تطيقه ، بظلم نفسه : فيدخل على نفسه الضرر ، ولا يُدرك ما ذاقه ، وينفوقه مامعه ، فمن فعل شيئاً من ذلك بتكائه ، ويتوهم أنه قد وصل إلى شيء من مراتب المحصولين : فهو في غلط .

قال نور آيت جماعة من الأحداث كانوا يُقربون الطعام ، ويسهرون الليل ويذكرون الله تعالى ، على الدوام ، حتى كان أحدهم يوماً يغشى عليه ، وكان يحتاج بعد ذلك إلى أن يُدارى ، ويرفق به أيماً ، حتى يقدر أن يصلي الفريضة .

وجمعة جئوا أنفسهم ، وظنوا أنهم إذا قطعوا ذلك ساءوا من آفات الشهوة

الفسادية .

وقد غاطوا في ذلك ، لأن الآفات تبدو من الباطن ، فإذا قصت الآلة ، والعادة موجودة في الباطن لم ينفع ذلك ، بل يضر وتزداد الآفة ، فمن ظن أن الآفة في الآلة الظاهرة ويتاحص قطع ذلك من شرها ، فهو في غلط .

وقودها مواء على وجوعهم ودحو البراري والبوادي ، بلا زاد ولا ماء ، ولا آلة الطريق ، وتوهموا أنهم إذا فعلوا ذلك نالوا ما بال الصادقون من حقيقة التوكل

(١) ومن ذلك قوله ، صلى الله عليه وسلم : « لست كأحدكم : أبيت عند ربى

يطعمنى ويسقيني » .

وقد غلطوا في ذلك، لأن القوم الذين كان هذا دأبهم كانت لهم بدايات، وتأدبوا
بآداب، وراضوا أنفسهم قبل ذلك بالمجاهدات، وكانوا مستقائين بأحوالهم: لم يبالوا
بالقلة ولم يستوحشوا من الوحدة، فكم من مَوْتَةٍ ماتوا ويك من مرارة ذاقوا؟ حتى
استوت أحوالهم في الخراب والعمران، والسهول والجبال، والجماعة والوحدة، والعز
والذل، والجوع والشبع، والحياة والموت.

فمن فعل شيئاً من ذلك وتوهم أنه قد نطق بشيء من أحوال المتوكلين فهو
في غلط.

وجاعة^ه تكفوا لبس الصوف، واتخذوا المرقت المعمولة، وجمعوا الركا (١)
ولبسوا المصبوغات، وتعلموا الإشارات، وظنوا أنهم إذا فعلوا ذلك، فهم
من الصوفية.

وقد غلطوا في ذلك، لأن التحلي والتلبس والتشبه، لا يورث صحوة غير الحسنة
والندامة، والعتب والملامة، والشنار والنار في يوم القيمة.

فمن ظن أو توهم أنه يصل إلى أحوال أهل الحقائق بالتلبس والتشبه بهم فهو
في غلط.

وجاعة أخرى جمعوا علوم القوم، وعرفوا إشاراتهم، وحفظوا حكاياتهم،
وتكفوا ألفاظاً صحيحة وعبارات فصيحة، وظنوا أنهم، إذا فعلوا ذلك، فهم
منهم، ووصلوا إلى شيء من أحوالهم، وقد غلطوا في ذلك.

وجاعة أخرى أحرزوا قوتهم وسكنت نفوسهم بنفقة موروثة، ثم عمدوا
ثم عمدوا بعد ذلك إلى أورادهم: من الصوم، والصلوات، وسنة الليل، والقيام،
ولباس الحشن، والبكا، والخشية، هلطفاً أن هذا أمر الحزن المقصود الذي
لا يكون بعده حال.

(١) بسكسر الراء بجمع ركوة؛ ما يجعل تحت المعصرة فيجمع فيه عصير العنب ونحوه

وقد غلطوا في ذلك ، وما أظن أن أحداً ممن أشار إلى علم التصوف يذكر عنه أنه لم يخرج في بدايته من المعلوم ، ولم يأمر أصحابه في أول الأمر بقطع العلائق ، وأن يجعلوا قوتهم في الغيب ، فمن كان منهم ، ورجع إلى سبب معلوم ، أو ادّخار قوت ، فإن ذلك لم يكن من أجل نفسه ، وإنما لمن حوله من أصحابه وعياله ، ولمن يرد عليه من إخوانه .

فمن أشار إلى التصوف ، وادعى حاشم ، وعدّ نفسه منهم ، ولم يكن أصله كذلك على ما ذكرت : فهو في غلط .

قال الشيخ رحمه الله : وجماعة ظنوا أن التصوف : هو السماع والرقص ، واتخاذ الدعوات ، وطلب الإرفاق (١) ، والتكف للاجتماعات على الطعام ، وعند سماع القصائد والتواجد والرقص ، ومعرفة صياغة الألحان بالأصوات اللطيفة ، والنغمات الشجية ، والاختراع من الأشعار الغزلية ، بما يشبه أحوال القوم ، على نحو ما رأوا من بعض الصديقين ، أو باغبيهم ذلك عن المتحققين .

وقد غلطوا في ذلك ، لأن كل قلب ملوث بحب الدنيا ، وكل نفس معتادة بالبطالة والغفلة ، فسببها ، ووجوده ، معلول ، وحركته وقيامه تكف .

فمن ظن أنه يصير بتكفه رحيبه ومثنيه ، من المتحققين ، في وقت السماع ، والحركة ، والوجود وغير ذلك : فقد غلط في ذلك .

باب ذكر من غلط في الأصول ، وأداه ذلك إلى الضلالة

ونبتدىء بذكر القوم الذين غلطوا في الحرية والعبودية

قال الشيخ رحمه الله: تكلم قوم من المتقدمين، في معنى الحرية والعبودية، على معنى: أن العبد لا ينبغي له أن يكون في الأحوال، والمقامات التي بينه وبين الله تعالى، كالأحرار، لأن من عادة الأحرار: طلب الأجرة، وانتظار العوض عن ما يعملون من الأعمال، وليس عادة العبيد كذلك؛ لأن العبد لا ينتظر من مولاه أجرة ولا عوضاً على ما يأمره به مولاه، فمتى طمع في شيء من ذلك، فقد ترك سمة العبيد؛ لأن العبيد إن أعطاهم مولاهم [عطية]، على ما أمرهم به، واستعملهم فيه: كان ذلك من تفضل مولاهم عليهم، لا باستحقاقهم.

وليس عادة الأحرار كذلك.

وقد صنف شيخ من المشايخ كتاباً في مقامات الأحرار والعبيد في هذا المعنى. فظنت الفرقة الضالة أن اسم الحرية أتم من اسم العبودية، وتمتعارف بين الخلق: أن الأحرار أعلى مرتبة، وأسنى درجة في أحوال الدنيا من العبيد، فقاسمت على ذلك، فضالت، وتوهمت: أن العبد، ما دام بينه وبين الله تعالى تعبد: فهو مسمى باسم العبودية، فإذا وصل إلى الله فقد صار حراً، وإذا صار حراً سقطت عنه العبودية.

وإنما خلت هذه الفرقة، لقلّة فهمها وعلمها، وتطبيعها لأصولها، فخفت على هذه الفرقة الضالة أن العبد لا يكون في الحقيقة عبداً، حتى يكون قلبه حراً من جميع ما سوى الله، عزّ وجلّ، فبئس ذلك يكون في الحقيقة عبداً لله.

وما سمي الله تعالى المؤمنين باسم أحسن من اسم العبد إذ يقول: «وَرِعِبَادٌ

الرَّحْمَنِ» (١) «نَبِيِّ عِبَادِي» (٢) ، لِأَنَّهُ اسْمٌ سَمِّيَ بِهِ مَلَائِكَتُهُ ، فَقَالَ : «عِبَادُ
مُكَرَّمُونَ» (٣) .

ثُمَّ سَمِّيَ بِهِ أَنْبِيَاءُهُ وَرُسُلُهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَقَالَ : «وَأَذْكَرُ عِبَادَنَا» (٤) ،
«وَأَذْكَرُ عِبْدَنَا» (٥) ، وَقَالَ : «نِعْمَ الْعَبْدُ» (٦) ، وَقَالَ لِحَبِيبِهِ وَصَفِيَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ» (٧) .

فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصَلِّي حَتَّى وَرَمَتْ قَدَمَاهُ ، فَقِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
أَلَيْسَ قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ عَلَى ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ قَالَ : «أَفَلَا أكون
عَبْدًا شَكُورًا» .

وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : «خَيْرُتُ بَيْنَ أَنْ أكون نَبِيًّا
مِيكًا وَنَبِيًّا عَبْدًا ، فَأَشَارَ إِلَى حَبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : تَوَاضَعُ ، فَقُلْتُ :
بَلْ نَبِيًّا عَبْدًا» .

فَلَمَّا كَانَ بَيْنَ الْخَاقِ وَاللَّهِ تَعَالَى دَرَجَةٌ أَعْلَى مِنْ دَرَجَةِ الْعِبُودِيَّةِ لَمْ يَفُتْ ذَلِكَ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلِلَّهِ جَلٌّ وَعِلَاءٌ كَانَ يُعْطِيهِ ذَلِكَ .
وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .

(١) الفرقان : ٦٣ (٢) الحجر : ٤٩ (٣) الأنبياء : ٢٦ (٤) ص : ٤٥
(٥) ص : ٤١ (٦) ص : ٣٠ (٧) الحجر : ٩٩

باب في ذكر من غلط من أهل العراق في الإخلاص

قال الشيخ رحمه الله : وزعمت الفرقة الضالة من أهل العراق [وغيره] :
أن الإخلاص لا يصح للعبد ، حتى يخرج عن رؤية الخلق ، ولا يوافقهم في جميع ما يريد أن يعمله ، كان ذلك حقاً أو باطلاً .

وإنما ضلت هذه الفرقة لأن جماعة من أهل الفهم والمعرفة تكلموا في حقيقة الإخلاص : أن لا يصفو لهم ذلك حتى لا يبقى على العبد بقية من رؤية الخلق والسكون وكل شيء ، غير الله تعالى ، فظننت هذه الفرقة وطعت أن ذلك يصح لهم بالدعوى ، والتقليد ، والتمكان قبل سلوك منهجهم ، والتأديب بتدبيرهم ، والابتداء ببدايتهم ، حتى يؤديه ذلك إلى نهايتهم حالا بعد حال ، وبقدم بعد مقام ، فأداهم الدعوى ، والطمع الكاذب ، إلى قنقير المبالاة ، وورثت لأب ، ومجاوزة الحدود ، فأسرهم الشيطان ، وغلبتهم النفس والدعوى ، بما أخيل إليهم أنهم ، برسم المخلصين ، في الإخلاص ، وهم في عين الضلالة والانتقص .
وأنسى لهم من ذلك الإخلاص ؟

وقد خفيت عليهم - اشقاؤهم - أن العبد المطلوب بدرجته الإخلاص هو : العبد المهذب المؤدب ، الذي هجر السيئات ، وجرّد الطاعات ، وهو في لسان الله تعالى ، ونازل الأحوال والمقامات ، حتى أداه ذلك إلى صفاء الإخلاص .

فأما من هو أسير هواه ، ورهين نفسه وشيطانه ، وهو في « حركات بعضه » فوق بعض إذا أخرج يده لم يكذب يراها (١) .

فهو محبوب عن حال أهل البدايات ، فكيف يصلُ إلى ما بعد ذلك ؟
 فمثل هؤلاء : كمثل من سمع بالجوهرة النفيسة : أنها تكون صافية مدوّرة ،
 فوقع في يده خرزةٌ من الزجاج فأعجبته تلك ، لأنها مدوّرة صافية ، فلما احتاج
 إليها حملاً إلى من يعرف الجواهر ، فقال له : هي زجاجة لا قيمة لها ، فلم يدعها
 الجبل والطمع [الكاذب] أن يرمى بها من قلة معرفته بالزجاج والجوهر .

فهؤلاء ، كل يوم في ضلالتهم يخسرون ، وفي طغيانهم يعمهون .

أسعد الله وإياكم .

باب فی ذکر من غلط فی النبوة والولاية

قال الشيخ رحمه الله: ثم ضلت فرقة أخرى في تفضيل الولاية على النبوة .
 ووقع غلطهم في قصة موسى والخضر عليهما السلام ، وتفكرهم في ذلك برأيهم .
 إذا يقول جل وعز: «عبداً من عبادنا آتيناہ رحمة من عندنا وعلمناه
 من لدنا علماً» (۱)

ثم قال موسى عليه السلام ، مع تخصيصه بالكلام والرسالة وما كتب الله له :
 « في الألواح من كل شيء موعظة وتفضيلاً لكل شيء » (۲) ، ويقول له
 الخضر عليه السلام : « إنا أن تستطيع معي صبراً » (۳) .

فيقول له موسى عليه السلام : « لا تؤاخذني بما نسيت ، ولا ترهقني من
 أمري عسراً » (۴) إلى آخر القصة :

فظننت هذه الطائفة الضالة ، أن ذلك نقص في نبوة موسى عليه السلام
 وزيادة للخضر عليه السلام على موسى في التفضيل ، فذاع ذلك إلى أن قصة
 الأولياء على الأنبياء عليهم السلام .

وقد ذهب عنهم أن الله ، جل وعز ، يخص من يشاء من عباده بما يشاء .
 كما خص آدم عليه السلام بسجود الملائكة له ، وخص نوح عليه السلام
 بالسفينة ، وخص عابد السلام بالثقة ، وإبراهيم عليه السلام بالهدى ،
 بردا وسلاماً ، وخص موسى عليه السلام بالوحى ، وخص علياً عليه السلام

(۲) الأعراف : ۱۴۵

(۴) الكهف : ۷۳

(۱) الكهف : ۶۵

(۳) الكهف : ۶۷

بِحیاء الموتی . وخصَّ نبینا صلی اللہ علیہ وسلم بانشقاق القمر ، ونبع الماء
بین أصابعه .

فأما غیر الأنبياء علیہم السلام .

فقد ذکر اللہ تعالیٰ مرَّیَمَ حَیْثُ یَقُولُ : « وَهَزَّیْ إِبْرَاهِیمَ إِذْ رَمَى النَّجْمَ لِتَسْأَلِ قَطْرًا
عَلَيْكَ رُطْبًا جَنَّتًا » (۱) ، ولم تكن مرَّیَمَ بِنِیَّةٍ ، ولم يكن ذلك لغيرها من
الأنبياء علیہم السلام ، ولا يجوز لقائل [أن يقول] : إنه تزيد بالفضل على
الأنبياء علیہم السلام .

وأصن بن برّخية : كان عنده علم من الكتاب حتى أتى بعرش بلقيس قبل
أن يرتد [إليه] طرفه ، فكيف يجوز أن تقول : إنه أتى من سليمان عليه السلام
مع ما آتاه الله تعالى من النبوة والفهم والملك ؟

وقد سمعت بقصة الهدى ، وكان قد خصَّ بمعرفة المياد ، لم يخصَّ بذلك غيره
من الصيور وغيرها : من الجن والإنس .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أَوْفِرْ ضُبُكُمُ زَيْدًا ، وَأَقْرَبُكُمْ
أَبِيَّ ، وَأَعْدَمُكُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ » رضى الله عنهم .

وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من الصحابة بالجنة ليس هؤلاء
فيهم ، ونحن نعلم أن أب بكر الصديق رضى الله عنه أفضل منهم .

ومثل ذلك كثير !

وكل ولى من الأولياء ينال ما ينال من الكرامة بحسن اتباعه لنبيه صلى الله
عليه ، فكيف يجوز أن يفضل التابع على المتبوع ، والمقتدى على المقتدى به ؟ وإنما
يعطى الأولياء رشاشة مما يعطى الأنبياء علیہم السلام .

والذی قال : إن الأنبياء علیهم السلام یوحى إلیهم بواسطة ، والأولیاء بتلقفون من الله بلا واسطة ، فیقال لهم : غلظتم فی ذلك ؛ لأن الأنبياء علیهم السلام ، هذا حالهم علی الدوام ، یعنی الإلهام ، والمناجاة ، والتلقف من الله عز وجل ، بلا واسطة ، والأولیاء وقتاً دون وقت .

وللأنبياء علیهم السلام الرسالة ، والنبوة ، ووحى^{نه} بنزول جبریل علیه السلام ، وليس للأولیاء ذلك :

ولو بدت ذرة علی الخضر علیه السلام من أنوار موسى علیه السلام ، وتخصیصه بالكلام ، لا متحقق الخضر علیه السلام ، ولكن حجب الحق عن ذلك تهنيداً وزيادة موسى علیه السلام ، فافهم ذلك إن شاء الله تعالى .

والولاية والصدقية منورة بأنوار النبوة ، فلا تلحق النبوة أید . فكيف تفضل علیها ؟

باب في ذكر الفرقة التي غلطت في الإباحة والحظر

والرد عليهم

قال الشيخ رحمه الله : ثم زعمت الفرقة الضالّة ، في الحظر والإباحة ، أن
الأشياء في الأصل مباحة ، وإنما وقع الحظر للتعدّي ، فإذا لم يقع التعدّي تكون
الأشياء على أصلها من الإباحة ، وتولوا قول الله عز وجل :

« فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا . وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا . وَحَدَائِقَ غُلَبًا .
وَوَيْكَانًا كَثِيرًا وَآبًا . مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ » (١)

فقلوا : هذا على الجملة غير مفصل ، فأداه ذلك جهابهم ، إلى أن طمعت نفوسهم
بأن المحظور المنوع منه المسلمون : مباح لهم ، إذا لم يتعدوا في تدوله .

وإنما غلطوا في ذلك بدقيقة كخفيت عليهم ، من جهابهم بالأصوات ، وقلة حظهم
من علم الشريعة ، ومتابعيتهم شهوات النفوس في ذلك ؛ لأنهم سمعوا بكلام
الأخلاف ، وحسن عشرة ، ومؤاخاة ، كانت بين جماعة من المشيخ المتقدمين ،
جرت بينهم أحوال : من رفع الخشمة والبسط ، بعضهم مع بعض ، حتى كان
أحدهم يمر إلى دار أخيه ، ويمد يده فيأكل كل من طعمه ، ويأخذ من كسبه حاجته ،
ويقتصد أحوال أخيه وهو غائب كما يقتصد لنفسه .

وهذا ، كما حكى عن فتح البوصلي : أنه مر إلى دار بعض إخوانه ، فقال
جارية : أخرجني لي كيس أخي ، فأخرجته إليه ، فأخذ منه حاجته ، فلما رجع
أخوه إلى البيت أخبرته الجارية ، فقال : إن كنت صادقة فأنت خائرة
لوجه الله تعالى .

وكما ذكر الحسن البصرى رحمه الله ، أنه كان يأكل من رءوس زنا بيل أخ
من إخوانه وهو غائب ، فسئل عن ذلك قال : يا ألكع ، وهل كان الناس قبلنا
إلا مثل هذا ؟ كان أحدهم يمر إلى بيت أخيه ، فيأخذ من طعامه ، ويأخذ
من دراهمه ، يريد بذلك إدخال السرور على أخيه ، ويعلم أن ذلك أحب إليه
من حمر النعم .

وكذلك جماعة ، كانوا يقولون ليس بين هذه الطائفة مؤسدة ، إنما استن
مذهبهم على المؤسدة .

كما قال إبراهيم بن شيبان : كنت لا اصحب من يقول : تعلى ، ومثل
ذلك كثير .

فظننت هذه الطائفة الضالة بالإباحة ، لأن ذلك كان منهم على حال ، يجوز لهم
آثرت الحدود ، أو أن يجوزوا حداً متبعة الأمر واليهى ، فوقعوا من جهلهم
في التيه ، وتهوا ، وظابوا ما ماتت إليه نفوسهم : من تباع الشبهات ، وتداول
الخطورات ، وأويلاً ، وحيلاً ، وكذباً ، وتوهمياً .

والذى زعم أن الأشياء ، فى الأصل مباحة ، فهذا قول : إن الأصل فى الأصل
محرور ، وإنما وقعت إباحته بالأمر واليهى ، فى التوسعة والأحسن ،
حتى لا يقع فى الغلط ، مع ما أن الحلال : ما حله الله تعالى ، والحرام : ما حرمه
الله تعالى .

وليس أحد من المؤمنين مستعبداً باستعبت العبيد ، بل العبيد
ما كان عليه الأوائل ، بل المؤمنون : مستعبدون بلائهم ، كما قال تعالى :
والانتم ، عما نهبهم الله ، وما أحببهم ، وما أحببهم .

وتقول النبى ، صلى الله عليه وسلم : « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور
مشبهات ، وحرام الله حرمى ، فمن وقع حول الحرام يوشك أن يقع فيه » .

وليس قول من زعم أن الأشياء في الأصل على الإباحة ، بأولى من قول من يقول : إن الأشياء في الأصل محظورة ، وإذا استملك لا يبيح ذلك لأحد إلا مُحَجَّة .

وليس هذا من قياس النجاسة والطهارة ، لأن الأشياء عند الفقهاء وجماعة من أهل العلم في الأصل طاهرة ، حتى يقوم الدليل على نجاستها .

والفرق بين هذا وبين ذلك : أن النجاسات والطهارات تدخل في العبادات والحظر ، والإباحة تقع على الأملاك ، وما وقع عليه الملك لا يبيح ذلك لأحد إلا بدليل وحجته .

وبالله التوفيق .

باب في ذكر غلط الحلواية ، وأقاويلهم

على ما بلغني ، فلم أعرف منهم أحداً

ولم يصح عندي شيء غير البلاغ

قال الشيخ ، رحمه الله : بلغني أن جماعة من الحلواية ، زعموا أن الحق ، تعالى ذكره : اصطفى أجساماً حلَّ فيها ، بمعاني الربوبية ، وأزال عنها معاني البشرية .

فإن صح عن أحد [أنه] قال هذه المقالة ، وظن أن النوحيد أبدى له صفته بما أشار إليه ، فقد غلط في ذلك ، وذهب عليه أن الشيء ، في الشيء ، محاسن الشيء الذي حل فيه ، والله ، تعالى ، بأن من الأشياء ، والأشياء ، بأئدة منه بصفتها ، والذي أظهر في الأشياء : فذلك آثار صنعته ودليل ربوبيته ؛ لأن مصنوعاً على صناعته ، والمؤلف يدل على مؤلفه .

وإنما ضلت الحلواية ، إن صح عنهم ذلك ؛ لأنهم لم يميزوا بين القدرة التي هي صفة مقدر ، وبين الشواهد التي تدل على قدرة القادر وصنعة الصانع ، فثبت عند ذلك .

فبلغني أن منهم من قال بالأنوار :

ومنهم : من قال بالنظر إلى الشواهد المستحسنات نظراً جهلاً .

ومنهم ؟ من قال : حال في المستحسنات وغير المستحسنات .

ومنهم : من قال : حال في المستحسنات فقط .

ومنهم : من قال : على الدوام .

ومنهم : من قال : وقتاً دون وقت فيما بلغني .

فمن صح عنه شيء ، من هذه المقالات : فهو ضال بهيئات الأمة ، كافر ، يسمونه

الكفر فيما أشار إليه

والأجسام التي اصطفاها الله تعالى أجسام أوليائه وأصفيائه : اصطفاها بطاعته
وخدمته ، وزينها بهدايته ، وبين فضلها على خلقه

والله ، تعالى ، موصوف بما وصف به نفسه ، كما وصف به نفسه « ليس كمثله
شيء وهو السميع البصير » .

والذي غلط في القول ، غلط لأنه لم يحسن أن يميز بين أوصاف الحق وبين
أوصاف الخلق ؛ لأن الله ، تعالى ، لا يحل في القلوب ، وإنما يحل في القلوب الإيمان
به ، والتصديق له : والتوحيد والمعرفة ، وهذه أوصاف مصنوعات ، من جهة صنع
الله بهم ، لا هو بذاته أو بصفاته ، يحل فيهم .

تعالى الله عز وجل ، عن ذلك علوا كبيرا ؟

باب في ذكر من غلط في فناء البشرية

قال الشيخ ، رحمه الله : أما القوم الذين غلطوا في فناء البشرية : سمعوا كلام المتحققين في الفناء ، فظنوا أنه فناء البشرية ، فوقعوا في الوسوسة : فمهم من ترك الطعام والشراب ، وتوهم أن البشرية ، هي القلب ، والجثة إذا صغفت زالت بشريتها فيجوز أن يكون موصوفا بصفات الإلهية .

ولم تحسن هذه الفرقة الجاهلة الضالة ، أن تفرق بين البشرية وبين أخلاق البشرية لأن البشرية لا تزول عن البشر ، كما أن لون السواد لا يزول عن الأسود ، ولا لون البياض عن الأبيض ، وأخلاق البشرية تبدل وتغير بما يرد عليها من سلطان أمور الحقائق ، وصفات البشرية ليست هي عين البشرية .

والذي أشار إلى الفناء : أراد به فناء رؤيا الأعمال والطاعات ببقاء رؤيا العبد بقيام الحق للعبد بذلك .

وكذلك فناء الجهل بالعلم ، وفناء الغفلة بالذكر ، والذي طبع في فناء البشرية : فناء البشرية طبع في ذلك ، وفناء البشرية بالبشرية صفات من صفات البشرية .

والذي يتوهم أنه ذهب النفس وزوال التوهم عن العبد وقتاً دون وقت ، وذهاب البشرية فقد غلط وجهل عن وصف البشرية ، لأن التغيير والتبديل من صفة البشرية ، فإذا زال عنها التغيير والتوهم : فقد تغير الآن عن صفاتها ومعناها ، لأنها إذا لم تتغير ولم تتلون فقد تغير وتبدل عن صفاتها .

والله أعلم .

باب في ذكر من غلط في الرؤية بالقلوب

قال الشيخ ، رحمه الله : بلغني عن جماعة من أهل الشام ، أنهم يدعون الرؤية بالقلوب في دار الدنيا ، كالرؤية بالعيان في دار الآخرة ، ولم أر أحداً منهم ، ولا بلغني عن إنسان ، أنه رأى منهم رجلاً له محصول .

ولكن رأيتُ لأبي سعيد الخزاز ، رحمه الله كتاباً كتبه إلى أهل دمشق يقول فيه : بلغني أن بناحيتم جماعة قالوا : كذا وكذا ، وذكر قولاً قريباً من هذا القول ، ويشبه أن في زمانه قوم غلطوا في ذلك وذلوا وتاهوا

والذي قال أهل الحق والإصابة في هذا المعنى ، وأشاروا إلى رؤية القلوب : إنما أشروا إلى التصديق والمشاهدة بالإيمان ، وحقيقة اليقين .

كما روى في حديث حارثة حيث يقول : « كأنني أنظرُ إلى عرش ربي بارزاً » ٢٢٨
كما جاء في الحديث بطوله ، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم : « عبدٌ نورٌ الله ، تعالى ، قلبه » أو كما قال ، كما جاء في الرواية .

والذي تاه وتوسوس في هذا المعنى قوم من أصحاب الصبيحي من أهل البصرة ، كما بلغني ، وقد رأيتُ جماعة منهم وذلك : أنهم حملوا على أنفسهم في المجاهدة والسهر ، وترك الطعام والشراب والافتراد والخلوة ، وكثرة التوكل ، وصحبهم الإعجاب مع ذلك بما هم فيه ، فاصطادهم إبليس لعنه الله ، فخيَّل إليهم : كأنه على عرش أو سرير وله أنوار تتشعشع : فمنهم من ألقى إلى بعض الأستاذين الذين يعرفون مكاييد العدو ، فعرفوهم ذلك ودلوهم وردوهم إلى الاستقامة .

كما حكى عن سهل بن عبد الله ، رحمه الله : أن بعض تلامذته قال له يوماً : يا أستاذ ، أنا في كل ليلة أرى الله بعين رأسي ، فلم سهل رحمه الله ، أن ذلك من كيد العدو ، فقال له يرحمك الله : إذا رأيتُ الليلة فابرق عليه ، قال : فلما رآد من

ليلته بزق عليه ، قال : فطار عرشه ، وأظلمت أنواره ، وتخاص من ذلك الرجل ، ولم ير شيئاً بعد ذلك .

ومن لم يقع إلى الأستاذين ، فيدفع ذلك ، ويتسكك بالهوس ، وينسأخ عن دينه بانظنون الكاذبة إلى آخر عمره .

وبلغني أيضاً أن جماعة هربو من عبد الواحد بن زيد ، حيث كان يمرهم بالمجاهدة والعبادة وأكل الحلال والزهد في الدنيا .

وبلغني أن عبد الواحد ، رأى واحداً منهم بعد مدة ، فسأله عن خبره وخبر أصحابه ، فقال يا أستاذ ، نحن كل ليلة ندخل الجنة ، ونأكل من ثمرها ، قال : فقال له خذوني الليلة معكم . قال : فأخرجوه معهم إلى الصحراء ، فلو جئتهم الليل فإذا يقوم عليهم ثياب أخضر ، وإذا بساتين وهواكه ، قال : فنظر عبد الواحد إلى أرجل هؤلاء الذين عليهم الثياب الخضراء ، فإذا هو مثل حوشر الدواب ، فعه أنهم شياطين ، فلما أرادوا أن يتفرقوا قال لهم : إلى أين تذهبون ؟ أليس جرد من النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لما دخل الجنة لم يخرج منها ؟ قال : فسأنا أصبحوا فإذا هم على مزابل بين روث الدواب وبعر الحمار ، فتأبوا ورجعوا إلى صحبة عبد الواحد بن زيد ، رحمه الله !

وينبغي أن يعلم العبد أن كل شيء ، رأته العيون ، في دار الدنيا : من الأبو . أن ذلك مخلوق ليس بينه وبين الله ، تعالى ، شبهة وليس ذلك حجة من صواب بل جميع ذلك خلق مخلوق .

ورؤية القلوب ، بمشاهدة الايمان وحقيقة اليقين ، التصديق حق .

فقول النبي ، صلى الله عليه وسلم « أعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

والذي قال من التابعين : لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً ، أشار إلى حقيقة يقينه وصفاء وقته ، وتكلم بذلك من غلبت وجدته ، وليس الخبر كالمعاينة في جميع المعاني في الدنيا والآخرة .

وقد قيل في قول الله ، تعالى ، : « مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى » (١) يعني لم تكذب عينه ما رآه بقلبه ، ولم يكذب فؤاده ما رآه بعينه .

وهذا خصوصاً للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، ليس لأحد غيره .

باب ذكر من غلط في الصفاء والطهارة

قال الشيخ رحمه الله : وطائفة أدعت الصفا والطهارة على السكال والدوام ، وأن ذلك لا يزول عنهم ، وزعموا أن العبد يصفو من جميع الكدورات والعلل ، بمعنى البيئونة منها .

وقد غلطوا في ذلك ، لأن العبد لا يصفو على الدوام من جميع العلل ، وإن وقعت له الطهارة وقتاً فلا يخلو من العلل ، وإنما تصفو له وقتاً دون وقت على مقدار أما كتبهم ، فيذكر الله بنعت الصفاء ، ثم يبقى عليه الذكر مع جريان أدكار الأشياء عليه .

والطهارة تكون لقلب العبد : من الغل والحسد ، والشرك والبهيم ، فما الصفاء الذي لا يحتمل العلة ، والطهارة من جميع أوصاف البشرية ، على الدوام بلا تلوين ولا تغيير : ليس ذلك من صفات الخلق ، لأن الله تعالى هو الذي لا تاحته العلل ، ولا تقع عليه الأغيار ، والخلق مراد بالابتلاء ، أنى يخون من العلل والأغيار وحرُّكم العبد ، إذا كان ذلك كذلك : أن يتوب إلى الله ، تعالى ، ويستغفر الله ، تعالى ، في كل وقت .

لقول الله عز وجل : « وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (١) ، كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إنه ليغان عباداً فاستغفروا الله في اليوم مائة مرة) .

باب ذكر من غلط في الأنوار

قال الشيخ ، رحمه الله ، وطائفة غلات في الأنوار ، وزعمت أنها ترى أنواراً ، و [بعضهم] يصف قلبه بأن فيه أنواراً ، ويظن [أن] ذلك من الأنوار التي وصف الله تعالى بها نفسه ، وهذه الطائفة تصف ذلك النور بصفة أنوار الشمس والقمر ، وتزعم : أن ذلك من أنوار المعرفة والتوحيد والعظمة ، وتزعم أنها ليست بمخلوقة . وقد غلط هؤلاء في ذلك غلطاً عظيماً ، لأن الأنوار كلها مخلوقة : نور العرش ، نور الكرسي ، ونور الشمس ، والقمر والكواكب ، وليس لله نور موصوف محدود ، والذي وصف الله تعالى به نفسه فليس ذلك بمدرك ولا محدود ، ولا يحيط به علم الخلق ، وكل نور تحيط به العلوم والفهوم : فهو مخلوق ، وأنوار الله ، تعالى ، كلها هدايات الخلق ، وأنوار المصنوعات دلائل وعبرة ، ليستدلوا بها على معرفة التوحيد ، يهتدوا بها في ظلمات البر والبحر .

ومعنى أنوار القلوب : معرفة الفرقان والبيان من الله عز وجل ، وذلك قوله .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَكُمْ فُرْقَانًا » . (١)

قالوا في التفسير : نوراً يوضع في القلب حتى يفرق به بين الحق والباطل .

هذا معرفة الأنوار كما ذكرته في الوقت .

باب ذكر من غلط في عين الجمع

قال الشيخ ، رحمه الله : وجماعة غلطوا في عين الجمع ، فلم يضيفوا إلى الخلق
 ما أضاف الله تعالى إليهم ، ولم يصفوا أنفسهم بالحركة فيما تحركوا فيه ، وظنوا
 أن ذلك منهم احترازاً ؛ حتى لا يكون مع الله شيء سوى الله ، عز وجل !
 فأداهم ذلك إلى الخروج من الملة ، وترك حدود الشريعة ؛ لقولهم : إنهم
 مجبرون على حركاتهم ، حتى أسقطوا اللائمة عن أنفسهم عند مجاوزة الحدود
 ومخالفة الاتباع .

وممنهم من أخرجه ذلك إلى الجسارة على التعدي والبطالة وطبعته فسد على أنه
 معذور فيما هو عليه مجبور .

وإنما غلط هؤلاء ، قلقة معرفتهم بالأصوات والنوع ، فم يفرقوا بين الأصل
 والنوع ، ولم يعرفوا الجمع والتمزيق ، فأنفوا إلى الأصل ما هو مضاف إلى
 النوع ، وأضافوا إلى الجمع ما هو مضاف إلى التفرقة ، فم يجمعون جمع الأجزاء
 في مواضعها ، فهاكوا .

وقد سئل سهل بن عبد الله ، رحمه الله ، عن ذلك ، كما ينبغي ، فبين له
 ما تقول في رجل يقول : أن مثل الباب لا تشرك إلا أن يشرك الله .
 فقال سهل بن عبد الله : هذا لا يقوله إلا أحد رجلين ، إما جاهل
 أو رجل زنديق .

والمعنى فيما قال سهل ، رحمه الله : الصادق يرى قوام الأشياء لله ، ويرى كل
 شيء من الله تعالى ، ويرجع في كل شيء إلى الله ، عز وجل ، مع معرفته بتمزيق
 إليه : من «الأصول والنوع ، والحقوق والخطوات ، والمعرفة بين الحق والباطل ،

ومتابعة الأمر والنهي ، وحسن الطاعات ، والقيام بشرط الأدب ، وسلوك المهج
على حد الاستقامة .

وأما معنى قول الزنديق بهذه المقلة ، فإنما يقول ذلك ، حتى لا يجره شيء من
من ركوب المعاصي ، أنه أداء جهل إلى الجسارة والاعتداء بإضافة أفعاله وجميع
حركاته إلى الله تعالى ؛ حتى أزال الائمة عن نفسه في ركوب المآثم بغواية الشيطان
وتسويله ، وتأويل الباطل .

أماخذ الله وإياكم من ذلك !

باب في ذكر من غلط في الأنس والبسط وترك الخشية

قال الشيخ ، رحمه الله : وطبقة أشاروا إلى القرب والأنس ، وتوهموا أن بينهم وبين الله ، عز وجل ، حال من القرب والدين ، فأحشمتهم ، عند ذلك التوهم ، الرجوع والابتفات إلى الآداب التي كانوا يراعونها ، والحدود التي كانوا يحفظونها قبل ذلك ، فانبسطوا إلى ما كانوا محشمتين ، وأنسوا بأشياء كانوا مستوحشين من قبل ذلك ، وتوهموا أن ذلك قربهم ودينهم .

وقد غلطوا في ذلك وهلكوا ، لأن الآداب والأحوال والتمتت بحسب من الله تعالى : على عبده وكرامة لهم ، وهم مستوجبون الزيادة ، إذا صدقوا في قدرتهم ، فتي ما تركهم وخلاهم عن توفيقه وعنايته بهم ، حتى جاوزوا الحدود ، وسخطوا ما أمروا به ، قد نكصوا على أعقابهم ، وسلبوا الخلق التي آتواهم من الطاعات ، وقد طردوا من الباب ، وصارت سمهم سمه الممار ودين ، وهم عند ذلك من المتبولين ، وكما توهموا أن الذي هم عليه قرب ودين ، زدوا بذلك من بعد سحقا وبعدا .

وهذا كما حكى [عن] ذي النون رحمه ، أنه قال : ينبغي أن يعرف أن لا يظنى ، نور معرفته نور ودرعة ، ولا يعتقد بطبا من العلم ينقض عليه ظاهرا من الحكم ، ولا تحمله كثرة الكرامة من الله تعالى على هناك أسماء . الله تعالى .

كما كان يقول بعض الحكماء : اللهم لا تشغلني بت عمك ، واتقاني بطايبك بعد ما كنت لي من غير طابتي .

فهذا على المعنى ، والله أعلم بالصواب .

باب في ذكر من غلط في فئاتهم عن أوصافهم

قال الشيخ ، رحمه الله : وقد غلطت جماعة من البغداديين في قولهم : إمامهم عند فئاتهم عن أوصافهم ، دَخِرَ في أوصاف الحق ، وقد أضافوا أنفسهم ، بجعلهم ، إلى معنى يؤدبهم ذلك إلى الخلل ، أو إلى مقالة النصارى في المسيح ، عليه السلام .

وقد زعم أنه سمع [عن] بعض المتقدمين ، أو وجد في كلامه : أنه قال في معنى الغناء عن الأوصاف والدخول في أوصاف الحق .

فالمعنى الصحيح من ذلك : أن الإرادة لا عبد ، وهي من عند الله : عطية ، ومعنى خروج العبد من أوصافه والدخول في أوصاف الحق : خروجه من إرادته ودخوله في إرادة الحق وبمعنى أن يعلم أن الإرادات : [هي عطية من الله تعالى ، وبمشيئة الله ، وبفصده وبفصده جعل له ما يعطيه ذلك قطعه عن رؤيته نفسه حتى يقطع بكليته] إلى الله تعالى : بذات منزل من منزل أهل التوحيد .

وأما الذين غلطوا في هذا المعنى ، إنما غلطوا بدقيقة خفيت عليهم ، حتى ظنوا : أن أوصاف الحق هي الحق ، وهذا ككثير ، لأن الله تعالى ، لا يدخل في القلوب ، وإنما يدخل في القلوب ، والتحقق والتصديق .

ولا فرق في ذلك بين الخاص والعام ، غير أن للخاصة معنى يتشددون به ، وهو مغارقتهم ذرعى هوى ، وإفناء حظوظهم من الدار وما فيها ، وخصوص أسرارهم بمن آمنوا به .

وسائر العوام محبوبون عن هذه الحقائق بانقيادهم للهوى ومطابعتهم للنفس . فهذا هو الفرق بين الخاص والعام في هذا المعنى .

وبالله التوفيق .

باب في ذكر من غلط في فقد الحسوس (١)

قال وزعمت طائفة من أهل العراق أنهم يفقدون حسهم عند المواجهيد ، حتى لا يحسوا بشيء ، ويخرجوا عن أوصاف المحسوسين ، وقد غلطوا في ذلك ، لأن فقد الحس لا يعامد صاحبه إلا بالحس ، لأن الحس صفة البشرية ، وإن غاب عليه باد من الواردات التي ترد على الأسرار وتقهرها بسلطانها ، فيطمئن ويتمحق ، ويكون مثل ذلك كمثل الكواكب : إذا طلع عليها سلطان أنوار الشمس ، تظلم أنوار الكواكب ، وهي ممتحقة في أماكنها .

فكذلك الحس لا يزول ولا يفقد على البشر الحي ، وإن كان ربي يغيب العبد عن حسه بحسه عند المواجهيد الحادة عن الأذكار القوية .

كما حكى جعفر الخالدي فيما قرأت عليه عن الجنيد ، رحمه الله : أنه قال : سمعت سري السقطي ، رحمه الله : عن المواجهيد الحادة ، عند الأذكار القوية ، ثم قعد على العبد ، فقال : نعم يضرب وجهه بالسيف ولا يحس ، وإنما يعني بتقديده . والله أعلم : لا يحس ، يعني لا يجد ألمه ، وهو بالحس لا يجد ألمه كإدراك الحسوس من نجد ألمه .

وما دام في العبد روح ، وهي حي : لا يزول عنه الحس ، لأن الحس حسوس بالحياة والروح .

وبالله التوفيق

باب في ذكر من غلط في الروح

قال الشيخ رحمه الله : ثم جماعة غلطوا في الأرواح ، وهم طبقات شتى ، كلهم تاهوا وغلطوا ، لأنهم تفكروا في كينية ما رفع الله عنه الكيفية ونزّهه عن إحاطة العلم في أن يصنفه أحدهم إلا بما وصفه الله به .

فقوم قالوا : الروح نور من نور الله ، فتوهّموا أنه نور ذاته فهاكوا .

وقوم قالوا : حياة من حياة الله تعالى .

وقوم قالوا : الأرواح مخلوقة ، وروح القدس من ذات الله تعالى .

وقوم قالوا : أرواح العامة مخلوقة ، وأرواح الخاصة ليست بمخلوقة .

وقوم قالوا : الأرواح قديمة ، إنها لا تموت ، ولا تعذب ، وتبلى .

وقوم قالوا : الأرواح تتناسخ من جسم إلى جسم .

وقوم قالوا : للكافر روح واحد ، وللمؤمن ثلاثة أرواح ، وللأنبياء والصدّيقين

خمسة أرواح .

وقوم قالوا : الروح خلق من النور .

وقوم قالوا : الروح روحانية خلقت من الملكوت ، فإذا صفت رجعت

إلى الملكوت .

وقال قوم : الروح روحان : روح لاهوتية وروح ناسوتية .

وهؤلاء كلهم قد غلطوا فيما ذهبوا إليه ، وضلّوا ضاللاً مبيناً ، وجهلوا ما يلزمهم

في ذلك من الخطأ ، وذلك من تعمّقتهم وتفكّرهم بأرائهم فيما منع الله تعالى قلوب

العباد من التفكير فيه بقوله تعالى :

« وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي » (۱) .

والذي عليه أهل الحق والإصابة عندي ، والله أعلم : أن الأرواح كلها مخلوقة ، وهي أمرٌ من أمرِ الله تعالى ، ليس بينها وبين الله تعالى سببٌ ولا نسبةٌ غير أنها من ملكه وطوعه وفي قبضته ، غير متناسخة ، ولا تخرج من جسم فتدخل في غيره ، وتذوق الموت كما يذوق البدن ، وتتعمق بتعمق البدن ، وتعذب بعذاب البدن ، وتحشر في البدن الذي تخرج منه .

وخلق الله تعالى روح آدم عليه السلام من الملائكة ، وجسمه من التراب .

والكل فرقة من هؤلاء الذين ذكرت لهم في غائضهم احتجاجات ، ولا بأس

الحق والإصابة رداً عليهم ، وبيان واضح لغايبهم .

وقد اختصرت ذلك ذكره في التلويل ، وفي ذلك ذكرت كما هو مقتضى

عقل من المسترشدين والراغبين في هذا العلم ، إن شاء الله تعالى .

تم الكتاب بحمد الله وعونه وتوفيقه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله ما زهر كوكب ، وما أظلم غيب ،
وما وضح فجر ، وما غبر دهر ، وما عرض فكر ، وما ذكر ذكر ،
وما سر سر ، وما هطل هطل ، وما أفل آفل ، وما نطق قائل ، وما امتد
الظل ، وما در الوابل ، وما عرف الكلام ، وما بقي الأنام ، وما حسن
الإسلام ، وما عسعس الديجور ، وما اختلفت الظلام والنشور ، وما فلق
الإصباح ، وما هببت الرياح ، وما سبحت الأملاك ، وما جرت الأفلاك ،
وما زال في ، وما بقي حتى ، وما عدت عدد ، وما بقي الأبد ، وما نطق
لسان ، وصدق عيان ، وما در القطر ، وما امتد الدهر ، وما اضطربت
الأمواج ، وما أضاء السراج ، وما تالأت الأنوار ، وما اعلنت الظلم ،
صلاة دائمة على الأبد ، متصلةً بلا نهاية ولا أمد .

ورغته في عاشر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وستائة .

تخریج احادیث
کتاب التبع



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رقم
الصفحة

رقم
مسلسل

٢٢ ١ العلماء ورثة الأنبياء :

قال الحافظ العراقي : أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه ،
وابن حبان في صحيحه ، من حديث أبي الدرداء ، ورواه الإمام
أحمد عنه ، والحاكم عن صفوان المرادي .

وقال الحافظ بن حجر : له طرق تشهد بأن له أصلاً ،
وحسنه حمزة الكاتاني .

٢٢ ٢ حديث جبريل عليه السلام ، عن الإسلام والإيمان والإحسان ،
في الصحيحين ، وأبي داود ، وابن ماجه عن أبي هريرة .
وفي مسند الإمام أحمد ، والبخاري عن ابن عباس ، ومسلم ، وأصحاب
السنن عن عمر ، والبخاري عن أنس .

٢٣ ٣ الناس سواء كأسنان المشط :

أخرجه الديلمي عن مهبل بن سعد ، وله عن أنس : الناس
مستوون كأسنان المشط ، ليس لأحد على أحد فضل إلا بقدر عمله .

٢٥ ٤ من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار :

رواه الشيخان عن علي ، والبخاري عن مسامة مرفوعاً وهو من
التواتر ، ورواه عنه صلى الله عليه وسلم أكثر من تسعين حديثاً ،
منهم العشرة المبشرة بالجنة .

٢٥ ٥ نضر الله وجه امرئ سمع مني حديثاً فبلغه :

رواه أصحاب السنن من حديث ابن مسعود وغيره ، ورواه أحمد وابن ماجه ، من حديث أنس ، وابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود ، إلا أنما قال : رحم الله امرأ .

وقال الترمذى : حسن صحيح ، وبمعناه عن زيد بن ثابت ، رواه أصحاب السنن ، وابن جبير بن مطعم ، رواه الإمام أحمد ، وابن ماجه ، والطبرانى من الكبير ، ولأحمد طريق عن صالح ابن كيسان عن الزهرى بسند حسن ، وقد ذكره السيوطى في الأحاديث المتواترة .

٢٧ ٦ من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين :

رواه الإمام أحمد ، والشيخان وابن ماجه من حديث معاوية ، والترمذى عن ابن عباس وحججه ، والبخارى في الكبير عن ابن مسعود بسند لا بأس به ، وفي الخلية عنه بسند حسن : من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، ويلهمه رشده .

٢٩ ٧ أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك :

« أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك » :

رواه البيهقى في الزهد عن ابن عباس بإسناد ضعيف ، وله شاهد من حديث أنس .

رقم
الصفحة مسلسل

رقم ۳۰
رقم ۸
حديث الحارث بن مالك : فما حقيقة إيمانك ؟ فقال : عزفت
نفسى عن الدنيا .

رواه البزار بسند ضعيف عن أنس ، والطبرانى فى الكبير
من حديث الحارث بن مالك ، وسنده ضعيف أيضا .

رقم ۳۱
رقم ۹
أدبى ربه فأحسن تأديبى .

رواه العسكرى عن على ، وابن السعدي عن ابن مسعود .

وفى الدرر أن النضال بن ناصر تدمجه ، وفى الألبان مشهورة بحديث

ابن حجر : صحيح ، كان لما أتت عن طريق صحابي .

رقم ۴
رقم ۱۰
رب أشعث أغبر ذى طمرين لو أقسم على الله لأوردنهم الجنة

هكذا أورده المصنف ، كان يرواه مسلم وغيره بنحو لا ي

أشعث أغبر مدفوع إلى لاء بئ أفسح عن الله لأوردنهم

رقم ۳۵
رقم ۱۱
ستنت قبلك وإن أفنوك وأنت مدد

هكذا يرواه الإمام أحمد فى المستدرج ، والدارمي فى

والدارمي فى سننه ، والدارمي فى سننه ، والدارمي فى سننه

بنحو « استنت قبلك وإن أفنوك وأنت مدد »

رقم ۳۵
رقم ۱۲
يأخذ من أهتى أيتها سيوفى أتى بغير حياء

رواه البخارى ، وسلمه .

رقم ۳۸
رقم ۱۳
لما دعوا من الله فاستجابوا له فزكواهم حين دعوا اليهم

عن أنس بن مالك ، وسنده صحيح ، وسنده صحيح

عنه مسلم ، والدارمي فى سننه ، والدارمي فى سننه

صحيح ، والدارمي فى سننه ، والدارمي فى سننه

والدارمي فى سننه

رقم
الصفحة
رقم
مسائل

ساجد لله ، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ،
ولما تاذتم بالنساء على الفرش ، ونخرجتم إلى الصعدات تجأرون
إلى الله ، والله لو ددت أنى شجرة تعضد ، والله لو ددت أنى شجرة
تعضد . مدرج في الحديث من كلام أبي ذر ، ورواه البخاري
باختصار ، والحاكم وصححه ، والترمذي إلا أنه قال : ما فيها موضع
أربع أصابع ، وأوله عند أحمد ، والشيخان من حديث أنس ،
وفي أفراد البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها ، ورواه الحاكم ،
والطبراني من حديث أبي الدرداء ، وصححه الحاكم ، وأقره الذهبي .

اختصاص حذيفة بعلم أسماء المنافقين ١٤ ٣٨

في الصحيحين عن أبي الدرداء ، ومسلم عن حذيفة ، وفي صحيح
البخاري عن زيد بن وهب

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . عامي رسول صلى الله عليه
وسلم سبعين بابا من العلم لم يعلم ذلك أحداً غيري ١٥ ٣٨

في الخلية لأبي نعيم وعن ابن عباس قال : كنا نتحدث أن النبي
صلى الله عليه وسلم عهد إلى علي سبعين بابا من العلم لم يعلم ذلك أحداً
غيره ، في الخلية لأبي نعيم . عن ابن عباس قال : كنا نتحدث أن
النبي صلى الله عليه وسلم . عهد إلى علي سبعين عهداً لم يعهده إلى غيره

ليس الصوف دأب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ١٦ ٤٠

كانت الأنبياء يستحبون أن يلبسوا الصوف ، زواد الحاكم موقوفا

على عبد الله بن مسعود وقال : صحيح على شرطهما

٤٨ ١٧ عن أبي بكر رضى الله عنه كان يقول : أى أرض تظلمنى وأى سماء تظلمنى إذا قلت فى كتاب الله عز وجل برأى ؟ رواد أبو عبيد القاسم بن سلام عن إبراهيم التيمى ولم يدرك إبراهيم التيمى الصديق رضى الله عنه وصرح بمعناه عن عمر رضى الله عنه ، رواد ابن جرير عن أنس .

٥١٢ ١٨ من كلام الصديق رضى الله عنه . سبحان من لم يجعل للخلق طريقاً إلى معرفته إلا بالعبادة ، تفكروا فى خلق الله ولا تمكروا فى الله فإنكم إن تقدروا قدره ، رواد أبو نعيم عن ابن عباس .

وروى الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب نحوه عن ابن عمر . وروى أحمد والطبرانى وأبو نعيم نحوه عن عبد الله بن سلام وأسانيدها ضعيفة لكن اجتمعوا يكسب السند قوة والمعنى صحيح وفى صحيح مسلم . عن عائشة عن صلى الله عليه وسلم لا أحسن مثلك ، أنت كما أثبتت على نفسك .

٦٠ ١٩ خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وبهده لثبان . أخرجه الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وقال : حسن صحيح غريب وأخرجه الطبرانى فى الكبير عن ابن عمر وقوله لثبان ضعيف .

٦٣ ٢٠ وما خالفت الجن والإس إلا بعبادتي

قال ابن عباس : ليعرفونى ، نقله الخطيب فى الكبير فى التفسير عن ابن جرير عنه . يراجع الطبرانى

- رقم رقم
الصفحة مسائل
- ٢١ ٦٥ الأرواح جنود مجنونة .
- البخارى عن عائشة والإمام أحمد ومسلم وأبو ذر عن أبي هريرة
والطبراني ، عن ابن مسعود
- ٢٢ ٦٦ خير الذكر ، الخفي
- الإمام أحمد وابن حبان وأبو عوانة في صحيحهم ، والبيهقي في
الشعب عن سعد بن أبي وقاص وصحبه السيوطي ، وفيه محمد بن
عبد الرحمن أبي لينة ، قال الحافظ الميمني : ابن عبد الرحمن وثقة ابن
حبان وضعفه معين وبقية رجاله رجال الصحيح
- ٢٣ ٧٠ ملاك دينك الورع ، خير دينك الورع ، أبو الشيخ في الثواب بسند
حسن قاله السيوطي والبخاري في الأوسط عن حذيفة مرفوع
فضل العلم خير من فضل العبادة وخير دينك الورع ، بسنده حسن
والطبراني عن ابن مرفوع « أفضل العبادة التمسك وأفضل الدين الورع »
وفي إسناد محمد بن أبي يعلى قاله المنذرى
- ٢٤ ٧٠ لإثم ما حاك في الصدر البر حسن التناق ، وإثم ما حاك في
صدره ، الإمام أحمد وسليمان الترمذي عن الثوراني بن سمعان والبخاري
في الأدب المفرد ، والإمام أحمد نحوه عن أبي شعابة والإمام أحمد عن
وابصة بسند حسن .
- ٢٥ ٧١ استفت قلبك مكرراً
- ٢٦ ٧٣ لو كانت الدنيا وزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة
ماء ، من حديث سهل بن سعد رواه الترمذي وقال : حسن صحيح
و ابن مسعود مثله . وعند أحمد في الزهد عن أبي الدرداء موقوف

٢٧ ٧٤ الفقير أزين بالعبد المؤمن من العذار الجيد على خد الفرس ، الطبرانی

عن شداد بن أوس: ولا يصح سنده ، والمعروف أنه من كلام عبد الرحمن

ابن زيد بن أنعم كما رواه عدي في الكامل

٢٨ ٧٧ زكريا كما وضع المنشار عليه إن أنت إلى آخره

عن وهب من أخبار بني إسرائيل ولا تصح نسبه إلى النبي

صلى الله عليه وسلم أعبد الله كأنك تراه حديث جبريل في الصحيحين

الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، عن عمر وأبي هريرة وأحمد عن

ابن عباس والبخاري عن أنس رضي الله عنهم

٢٩ ٨٢ أعبد الله كأنك تراه وعد نفسك في الموتى وإياك ودعوات المظلوم ،

الطبرانی عن أبي الدرداء وحسن السبوطي سنده وضعفه المنذري

وقال الحافظ الهيثمي : الرجل الذي من النجس لا أعرفه « أعبد الله ولا

تشارك به شيئاً واعمل كأنك تراه واعد نفسك في الموتى » رواه

الطبرانی والبيهقي عن معاذ . قال الحافظ العراقي : رجاله ثقات وفيه انقطاع

« أعبد الله كأنك تراه . فإن لم تكن تراه فإنه يراك واحسب نفسك

في الموتى واتق دعوة المظلوم » في الحلية عن زيد بن أرقم .

٣٠ ٨٨ فإذا أحببته كنت سمعه إلى آخره ، وهو حديث قديم رواه المعمر بن

عن أبي هريرة وأحمد عن عائشة والطبرانی في الكبير عن أبي هريرة

وابن السني عن ميمون ، وقد أخطأ من زعم أن الحديث الفردي بروايته

لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لا اعتدلا

ليس بمحدث ، وهو من كلام بعض السانف . قال السيوطي

أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن ثابت الدناني من قول

وقال : كانا سواء

رقم
الصفحة مسلسل

٩٥ ٣٢ ألا هل مشتاق إلى الجنة ؟ هي ورب الكعبة ربحانة تهتز ونهر مطرد
وزوجة حسناء .

٩٥ ٣٣ أسألك لذة النظر إلى وجهك

النسائي والحاكم عن عمارة ومسنده صحيح وأوله ، اللهم بعلمك
الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرا لي

٩٥ ٣٤ من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات

ابن حبان بسند ضعيف ، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
كرم الله وجهه وفي معناه : من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا
أن ساعة الله غالية ، ألا إن ساعة الله الجنة . الحاكم ، عن أبي هريرة
والترمذي وحسنه

٩٥ ٣٥ اشتاقت الجنة إلى ثلاثة

إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة ، علي ، وعمار ، وسلمان . الترمذي عن
أنس ، ورواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير أبي ربيعة الأيادي وقد
حسن الترمذي حديثه ، قاله الحافظ الميثمي

١٠٠ ٣٦ أعبد الله كأنك تراه (تقدم)

١٠٢ ٣٧ سلوا الله تعالى العفو والعافية واليقين في الدنيا والآخرة

الإمام أحمد والترمذي عن أبي بكر قال المنذري : رواه الترمذي
من رواية عبد الله بن محمد بن عبيد وقال : حسن غريب ، ورواه النسائي
من طرق أحد أسانيدنا صحيح ، قال المناوي : ورمز السيوطي بحسنه

١٠٢ ٣٨ رحم الله أخى عيسى عليه السلام لو ازداد يقينا لمشي في الهواء :

قال الحافظ العراقي : هذا حديث منكر لا يعرف هكذا .
والمعروف ما رواه ابن أبي الدنيا في كتابه اليقين من قول بكر بن
عبد الله المزني : قال : فقد الحواريون نبينهم ، فقال لهم : توجه نحو
البحر ، فانطلقوا يطلبونه ، فلما انتهوا إلى البحر إذا هو أقبل يمشي
على الماء ، فذكرا حديثا على الماء . وروى أبو منصور الديلمي
في مسند الفروس بسند ضعيف من حديث معاذ بن جبل : لو عرفتم
الله حق معرفته لمشيتم على البحور ، ولزالت بدعاتكم الجبال .

١٠٢ ٣٩ الخلق يبعثون على ما يموتون عليه :

مسلم ، وابن ماجه عن جابر .

١٠٢ ٤٠ ليس الخير كالمعاينة :

أحمد ، والطبراني ، والحاكم ، وابن حبان عن ابن عباس ،
وأورده الضياء في المختارة ، والطبراني في الأوسط عن أنس .

وقال الحافظ بن حجر في الآلء المشورة : فإن قيل هو معناه
بما قاله ابن عدى في الكامل من أن هشيا لم يسبق له حديث
من أبي بشر فدلسه ، قلت : قال ابن حبان في صحيحه : لم ينفرد
به هشيم ، فقد رواه أبو عوانه عن أبي بشر أيضا : إذبح
ولا تجزىء عن أحد بعدك ، قاله صلى الله عليه وسلم لأبي بردة ، رواه
الشيخان ، وله طارق أخرى ذكرتها في المعتبر في تخريج أحاديث

المنهاج والمختصر ، ورمز السيوطي لحسنه ، وهو كما قال أعلى ،
فقد قال الهيثمي : رجاله ثقات ، رواه الخطيب عن أبي هريرة .

١٠٥ ٤١ القرآن حبل الله المتين :

الترمذي عن الحارث الأعور عن علي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

١٠٤ ٤٢ قول عبد الله بن مسعود : من أراد العلم فليثور القرآن :

الطبراني بإسناد ورجال أحدهما رجال الصحيح ، قاله الحافظ
الهيثمي .

١١١ ٤٣ الشرك أخفى من ديب النمل على الصفا في الليلة الظلماء وأدناه أن
تحب على شيء من الجور أو تبغض على شيء من العدل :

الحاكم عن عائشة رضي الله عنها ، وتعبه الذهبي بأن فيه
عبد الأعلى بن أعين ، وفي مسند الإمام أحمد : اتقوا هذا الشرك
فإنه أخفى من ديب النمل ، رواه أبي علي رجل من بني كاهل من
أبي موسى .

وقال الحافظ المنذرى : ورواه إلى أبي علي محتج في الصحيح ،
وأبو علي وثقه ابن حبان ، ولم أر أحداً جرحه ، ورواه أبو يعلى
بنحوه من حديث حذيفة ، ورواه أبو يعلى ، وابن عدى ،
وابن حبان عن أبي بكر ، ورواه الحكيم عن ابن عباس بسند ضعيف .

١١٨ ٤٤ الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة :

الإمام أحمد عن عائشة رضى الله عنها ، ورواه الترمذى
وابن أبي حاتم من حديث مالك بن مقول بنحوه ، وابن ماجه ،
والحاكم و قول : صحيح الإسناد ، وقال الحافظ العراقى : منقطع بين
عائشة رضى الله عنها وعبد الرحمن بن سعد بن وهب والترمذى ،
عن عبد الرحمن بن سعد عن أبي حازم عن أبي هريرة ..

١٢٢ ٥٥ قول الملائكة : سبحانك ربنا ما عبدناك حق عبادتك :

عن سلمان رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« يوضع الميزان يوم القيامة ، فلو وزن فيه السموات والأرض لوسعد ،
فتقول الملائكة : يارب لمن يزن هذا ؟ فيقول الله : لمن شئت من
خلقى ، فيقولون : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك » رواه الحاكم
وقال : صحيح على شرط مسلم (يراجع فى المستدرک) .

١٣٢ ٤٦ قوله صلى الله عليه وسلم فى الوصال : (أنت كأحدكم) أى
أنت كهيئةكم :

رواه مالك ، والشيخان ، والترمذى عن أنس .

١٣٢ ٤٧ إذبح ولا تجزىء عن أحد بعدك :

قاله صلى الله عليه وسلم لأبى بردة بن نيار ، رواه الشيخان
من حديث البراء بن عازب .

٤٨ ١٣٣ كان صلى الله عليه وسلم خاقه القرآن :

الامام أحمد ، ومسلم ، وأبو داود عن عائشة رضى الله عنها .

٤٩ ١٣٣ إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق :

رواه مالك في الموطأ بإلغا عن النبي صلى الله عليه وسلم ،
ورواه أحمد عن أبي هريرة بسند رجاله رجال الصحيح ، كما
ذكره الحافظ الهيثمي بالفظ (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)
ورواه البخاري في الأدب المفرد ، والحاكم ، والبيهقي ، وروى
الطبراني في الأوسط عن جابر نحوه ، وفي سند عمر بن إبراهيم
القرشي ، وهو ضعيف .

٥٠ ١٣٤ أدبني ربي فأحسن تأديبي :

تقدم ب ٩ .

٥١ ١٣٤ أنا أعلمكم بالله وأخشاكم لله :

البخاري عن أنس (والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له) .
والشيخان عن عائشة (والله إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية)

٥٢ ١٣٤ خير صلى الله عليه وسلم بين أن يكون ملكاً نبياً أو عبداً نبياً ،

فاختار أن يكون عبداً نبياً :

الطبراني عن ابن عباس بسند حسن ، والبيهقي في الزهد ،

وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة .

١٣٤ ٥٣ عرضت على الدنيا فأبيتها

كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز عرضت « أي الدنيا » على
نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزانتها ، الحديث رواه ابن أبي
الدنيا هكذا مرسل ، ورواه أحمد والطبراني متصلاً عن أبي بصير
في أثناء حديث فيه .

١٣٤ ٥٤ إني قد أعطيت خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة . الحديث وسنده صحيح

ولأحمد والترمذي من حديث أبي أمامة (عرض على ربي
ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً) وقال : حديث حسن

١٣٤ ٥٥ لو كان لي أحد ذهباً لأنفقته في سبيل الله

رواه الشيخان عن أبي ذر ، عنه صلى الله عليه وسلم ، ورواه
ابن ماجه (مختصر)

١٣٤ ٥٦ إنه صلى الله عليه وسلم لم يذخر شيئاً لغد

عن أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يذخر شيئاً
ألا وإني لأكثر ديناراً ولأدرهما ولا أخبأ رزقاً لغد ، رواه الشيخان
ابن حبان في كتاب الثواب ، وأبو عبد الله صلى الله عليه وسلم ، إنما ادخر
مرة قوت سنة اعياله ولم يرد عليه من الوفود

ادخاره صلى الله عليه وسلم قوت السنة ، أخرجه الشيخان من
حديث عمر : كان يعزل نفقة أهله سنة

رقم رقم
الصفحة مشاشل

٥٧ ١٣٤ أذ صلى الله عليه وسلم لم يكن له قميصان ولم ينخل له طعام

وأنه خرج صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز برقط
اختياراً لا اضطراراً لأنه لو سأل الله تعالى أن يجعل له الجبال ذهباً
ولم يناسب عليها لفعل.

لم يكن له قميصان ، روى الطبراني في الصغير والأوسط عن
أبي الدرداء رضي الله عنه قال لم ينخل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
الدقيق ولم يكن له إلا قميص واحد ، ورواه البزار وروى الشيخان عن
أبي هريرة رضي الله عنه ، وعن عبد الرحمن بن عوف خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع هو ولا أهله من خبز الشعير ،
رواه البزار بإسناد حسن ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، خرج
رسول الله ، صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير ،
رواه البخاري والترمذي ، وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال :
مارأى رسول الله صلى الله عليه وسلم متخللاً من حين ابتعثه الله
حتى قبضه الله فقيل كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول قال كنا
نطحنه وننفضه فيطير ماطار وما بقي ثربناه ، رواه البخاري ، وعن
الحسن قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواسي الناس بنفسه
حتى جعل يرفع إزاره بالأدم ، وما جمع بين غداء وعشاء ثلاثة أيام
حتى لحق بالله رواه ابن أبي الدنيا في « كتاب الجوع » مرسلًا

٥٨ ١٣٥٠ عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لبلال :

(أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالا)

١٣٥
عن بلال أمّوذن قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم وعندي
صبرة من تمر فقال : ما هذا ؟ فقلت : ادخرناه لثقتاننا ، قال عليه
الصلاة السلام : أما تخاف أن ترى له بخاراً في جهنم ؟ (أنفق بلال
ولا تخش من ذي العرش إقلالا) .

قال الهيثمي : إسناده حسن ، ورواه البزار عن بلال
ورواه الصبراني في الكبير والقضاعي في سننه عن ابن مسعود
قال الهيثمي : رواه بإسنادين أحدهما حسن ، وفي الآخر حديث من
لربيع وفيه كلام ، وبقيّة رجاله ثقات

ورواه أيضاً عن أبي هريرة ، وفيه همزة بين التاء وبقيّة
رجال الصحيح اهـ ، وذكره الأحم عن أبي هريرة في سننه
وأطلق حافظ العراقي أن الحديث ضعيف في جملة حديثه
قال تقيده حافظ ابن حجر من رواية البزار بإسناد حسن
ووضعت بريرة إليه صلى الله عليه وسلم ، فلو لم يروها
إليه ليلة النبية .

١٣٥ ٥٩
وعن أسد بن مالك قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسأله ، ثلاثة طاهرين ، فأجابهم بحديثه ، فقلت : يا رسول الله
أنت به فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت خير مني
فرفعت شيئاً بعد ذلك فبين الله بأنني والله خير مني .

رقم
الصفحة مسلسل

قال الحافظ الهيثمي : ورواه أحمد ورجالہ رجال الصحيح غير هلال

١٣٥

ابن المعلی ، وهو ثقة .

أنه صلى الله عليه وسلم لم يحب طعاماً قط ، ولا خير بين أمرين

١٣٥

إلا اختار أيسرهما ، إنه لم يحب طعاماً قط ، متفق عليه من حديث
أبي هريرة ، ولا خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ، مالك والشيخان
وأبو دود عن عائشة .

وكان من تواضعه صلى الله عليه وسلم يلبس الصوف ، وينتعل

١٣٥

المخصوف ، ويركب الحمار ، وينحى الشاة ، ويخصف نعله ، ويرقع
ثوبه . وكان لا يأنف أن يركب الحمار ، ويردف خلفه .

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل
خشناً ، ولبس خشناً ، لبس الصوف ، واحتذى المخصوف ، رواه
ابن ماجه ، والحاكم .

وعن أبي موسى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يركب الحمار ، ويلبس الصوف ، ويعتقل الشاة ، ويأني مراعاة
الضيف ، رواه الطبراني ، ورجالہ رجال الصحيح . قاله
الحافظ الهيثمي .

قيل لعائشة ماذا كان يعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في
بيته ؟ قالت : كان بشرأ من البشر . يغلى ثوبه ، ويحلب شانه ،

ويخدم نفسه ، رواه أبو نعيم في الحلية . كان يعمل عمل البيت ،
وأكثر ما يعمل الخياطة - الجامع .

وروى أبو الشيخ عن عائشة : يخصف النعل ، ويرقع الثوب .

كان يركب الحمار موكفاً عليه قطيفة ، وكان مع ذلك يستردف
متفق عليه إلى حديث أسامة بن زيد .

وكان يكره الغنى ، ولا يخشى من الفقر ، وكان يمر به ويرزقه
الشهر والشهران فلا يوقد في بيته ذر الخبز ، وأنه كان طعامهم الأسودين
التمر والماء .

٦٢ ١٣٥

وعن أبي أمامة رضي الله عنه : عرض علي ربي ليجهلني بمسجد ،
مكة ذهباً قلت : لا يارب ، وإن كان أشبع يوماً وأجوع يوماً لم
ثلاثاً أو نحو هذا ، فإذا جعت تضرعت إليك وذاكرتك ، وإذا شبعت
شكرتك وحمدتك . ثم قال : الترمذي هذا حديث حسن .

وكان يمر به الشهر والشهران لا يوقد في بيته ذر الخبز ،
عائشة ، وأبو يعلى ، عن أبي هريرة .

اللهم أحيني مسكيناً .

٦٣ ١٣٥

الترمذي ، وابن ماجه ، عن أبي سعيد الخدري قال : تخيبيح
الإسناد ، ورواه الطبراني بسند رجاله ثقات بن عباد بن الصامت ،
وقال الحافظ بن حجر : وادعى ابن الجوزي ، وابن تيمية أنه موصوف

وليس كما قالوا ه ومعنى الحديث دلالة الأمة على طلب التواضع .
وأن لا يكون من الجبابرة .

١٣٦ ٦٤

اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا ، يوماً بيوم .
رواه الشيخان ، والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة .

١٣٦ ٦٥

وكان أبو سعيد الخدري رضى الله عنه يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم . كما روى عنه . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقل البعير ، ويعانف الناس ، ويقيم البيت ، ويخصف النعل ، ويرقع الثوب ، ويحب الشاة ، ويكلم كل مع خادم ، ويضجن مع الأعمى وكان لا يمتدح لحيه ، أن يحمل بضاعته من السوق إلى أهله ، فكان يصفح الغني والفقير ويسلم مبتدئاً ، وكان لا يرد من دعه ، ولا يخقر ما دس إليه ولو إلى حشف التمر . وكان بين الخلق . كرم الطبع . حميل المعشرة طاق لوجه بسما من غير ضحك ، محزوناً من غير عبوس متواضعاً من غير مذلة جوداً من غير سرف . رقيق القلب ، دائم الإصراف . رحي بكل مسلم يتجشأ قط من شعير ، ولا يمد يده إلى طبع . قال الحافظ العراقي : أخرج أبو الحسن الضحاح في المشتمل حديث أبي سعيد الطويل الذي قال فيه : متواضع من غير مذلة وإسناده ضعيف .

وقد أخرج جمع فيه محسن من محسنه صلى الله عليه وسلم
التي لا تحصى وهي من ضمن أوصافه وسجايره المشهورة مشهورة في كتب
السنة الصحيحة :

رقم
الصفحة مسلسل
رقم

١٣٦ ٦٦ يلبس الصوف ويعقل البعير :

البنار من حديث أبي موسى .

١٣٦ ٦٧ يعلف الناضح ويقم البيت :

للبخاري من حديث عائشة : كان يكون في مهنة أهل بيته .
وفي مسند الإمام أحمد : ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته .
ورجاله رجال الصحيح .

١٣٦ ٦٨ ويأكل من ثلثه ويضعن يدهما إذ أتيت :

أبو بكر بن الصديق في الثوبين من حديث أبي بصير .
وروى مسلم من حديث أبي بصير في أطباقه من ثوبين .
وأبوهما محمد بن سيرين .

وحديث أبي شريك : إذا أتيت من بيتك فقل :
ويأكل من ثلثه . فإن لم يملك من ثلثه فقل :
ويأكل من ثلثه .

١٣٦ ٦٩ وكان لا يجمع الخيل في بيته .

الثوبين في الثوبين .

١٣٦ ٧٠ وكان يجمع الثوبين في الثوبين .

أبو بصير من حديث أبي بصير .

بأنه يجمع الثوبين في الثوبين .

١٣٦ ٧١ وكان يجمع الثوبين في الثوبين .

في الثوبين من حديث أبي بصير .
من ثوبين في الثوبين .

رقم
رقم
الصفحة مسلسل

- ٧٢ ١٣٦ وكان لا يرد من دعاه ولا يحقر ما دعى إليه :
روى الإمام أحمد وابن حبان والترمذى عن أنس لو أهدى إلى
كراع لقبات ولو رغبت إليه لأجبت .
- ٧٣ ١٣٦ وكان لين الخلق كريم الطلع جميل المعاشرة طالق الوجه :
الترمذى فى الشئان من حديث على بن أبى طالب كان دائم
البشر كامل الخلق لين الجانب .
- ٧٤ ١٣٦ وكان بساماً من غير ضحك :
الترمذى من حديث عبد الله بن الحارث : ما كان ضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مبتسماً ، وقال : صحيح غريب ،
وله فى الشئان من حديث هند بن أبى هالة .
- ٧٥ ١٣٦ محزوناً من غير عبوس :
الشيخان عن عائشة (إمّا ضحكه التبسم) أبو الحسن فى الضحك
فى الشئان من حديث أبى سعيد الخدرى فى صفته صلى الله عليه وسلم
- ٧٦ ١٣٦ وكان متواضعاً من غير مذلة :
كان يجلس مع أصحابه مختلفاً بهم كان أحدهم يعانى الغريب
فلا يدري أيهم هو أبو داود والنسائى من حديث أبى هريرة وأبى ذر
- ٧٧ ١٣٦ وكان جواداً من غير سرف :
لأنه لا ينفق إلا فى طاعة الله عز وجل .
- ٧٨ ١٣٦ وكان رقيق القلب :
قد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم .

رقم الصفحة	رقم مسلسل	المتن
١٣٦	٧٩	وكان دائم الإطراق : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير : لأصحاب السنن من حديث أسامة بن مريك .
١٣٦	٨٠	وكان رحيمًا بكل مسلم : حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم :
١٣٦	٨١	لم يتجشأ قط من شبع : عن ابن عمر رضي الله عنهما ، فقال : كف عنا جشأتك فإن . فإن أكثرهم شبعًا في الدنيا أطولهم جوعًا يوم القيامة . رواه الترمذى وابن ماجه والبيهقى من رواية يحيى البكاء عنه . وقال الترمذى : حديث حسن ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أهل الشبع في الدنيا أهل الجوع غدا في الآخرة ، رواه الطبرانى بإسناد حسن ، ورواه البزار عن أبي جحفة رضي الله عنه بإسنادين رواه أحدهما ثقت .
١٣٦	٨٢	ولا مد يده إلى طمع ، بل كان يعطى عطاء من لا يخشى الفقر . وقالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود من الريح المرسل في الصحيحين عن ابن عباس . الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون في الخير . لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المسماة . وذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين حياطين من الغنم لرجل واحد ، فرجع ذلك الرجل إلى قومه فقال : إن محمدًا صلى الله

رقم الصفحة	رقم مسلسل	الوصف
		عليه وسلم يعطى عطاء من لا يخشى الفقر . الإمام أحمد ، ومسلم عن أنس .
١٣٦	٨٣	ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا بالأسواق ولا يجزى بالسيدة السيئة ، ولكن يعفو ويصنع . رواه الترمذي عن عائشة وعنده .
١٣٧	٨٤	وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل على الأرض . عن ابن عباس رضي الله عنهما .
١٣٨	٨٥	وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس على الأرض ، ويخيب دعوة المملوك عن حيز الشعير . رواه الطبراني .
١٣٩	٨٦	ويجلس العبد . رواه الشيخ وعنده عن أنس وابن ماجه .
١٤٠	٨٧	وأكل خشا من خشبة . وفيه يوسف بن أبي كثير عن نوح بن ذكوان .
١٤١	٨٨	ويجلس مسكين ، ويجلسه صلى الله عليه وسلم للفقر ، ثابتة . كما أمره ربه تبارك وتعالى . وروى أبو داود من حديث أبي سعيد : مجلسه للفقر ، ليعدل بنفسه فيهم . وابن ماجه من حديث خبيب : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس معانا .

رقم رقم
الصفحة مسلسل

۱۳۷ ۸۹ ويمشي في الأسواق وهذا ثابت في الكتاب ، وحديث أبي هريرة
في دخوله السوق وحمله السراويل :

رواه الطبراني في الأوسط وأبو يعلى .

۱۳۷ ۹۰ وكان صلى الله عليه وسلم إذا دخل السوق قال : « اللهم إني أسألك
من خير هذه السوق وخير ما فيها » الحديث :

الطبراني والحاكم عن بريدة ، وسنده صحيح .

۱۳۷ ۹۱ ويتوسد يده :

وكان إذا عرس وعليه ليل توسد يمينه ، وإذا عرس وعليه ليل
وضع رأسه على كفه اليمنى وأقام ساعده :

الإمام أحمد وابن حبان والحاكم عن أبي قتادة - صحيح .

۱۳۷ ۹۲ ويقتص من نفسه :

وحديث عكاشة بن محصن ثبت في الصحيح .

۱۳۷ ۹۳ ولم ير ناسحاكاً ماء فيه :

وقد تقدم أن ضحكة صلى الله عليه وسلم كان

وفيه حديث عائشة رضي الله عنها : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

عائده وسلم مستنجداً ضحكاً حتى أرى له الماء ينزل من فمه » .

۱۳۷ ۹۴ ولم يأكل دابة قط :

حديث أسد : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل من واحد

الخمر النبي في مكالم الأخطأ بسند ضعيف .

رقم رقم
الصفحة مسائل

١٣٧ ٩٥ ولا ضرب عبده قط :

متفق عليه من حديث عائشة .

ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خادما ولا امرأة قط .
أبو داود عن عائشة .

١٣٨ ٩٦ ولا ضرب أحداً بيده إلا في سبيل الله عز وجل :

متفق عليه من حديث عائشة .

ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط بيده ، ولا
امرأة ، ولا خادماً إلا أن يجاهد في الله عز وجل وما نيل منه شيء
قط فينتقم من صاحبه إلا إن انتهك شيء من محارم الله فينتقم لله
عز وجل .

١٣٩ ٩٧ وكان لا يجلس متربعاً ولا يأكل متكئاً ويقول: آكل كما يأكل العبد .

وأجلس كما يجلس العبد :

كان لا يأكل متكئاً ، الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو

آكل كما يأكل واجلس كما يجلس العبد .

ابن سعد وأبو يعلى ، وابن حبان والحاكم في التاريخ عن عائشة
رضي الله عنها .

١٤٠ ٩٨ وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه شد الحجر على بطنه من الجوع ولو

سأل ربه أن يجعل له أبا قبيس ذهباً لأجابه :

متفق عليه من حديث جابر ، وروى الترمذى من حديث أبي طلحة شكونا إلى النبي صلى الله عليه وسلم الجوع ورفونا ثيابنا عن حجر حجر إلى بطوننا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين

١٣٧ ٩٩ وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى أبي الهيثم بن التيهان مالك والترمذى ومسلم عن أبي هريرة .

١٣٢ ١٠٠ ودعاه رجل وخمسة معه فلم يدخل السادس إلا بإذنه :
عن أبي مسعود رضى الله عنه ، أخرجه الشيخان والترمذى

١٣٧ ١٠١ لبس صلى الله عليه وسلم منديلا له علم ثم رمى به :
متفق عليه ، في حديث عائشة .

١٣٧ ١٠٢ وسئل عن الصلاة في ثوب واحد فقال : أوكلكم يتدوونين :
مالك ، والشيخان ، والترمذى ، وأبو داود عن أبي هريرة .

١٣٧ ١٠٣ إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد :
الحاكم ، من حديث جرير وقال : صحيح على شرط الشيخين

١٣٧ ١٠٤ لا تفضلوني على يونس بن متى :

لا ينبغي لعبد أن يقول : أنا خير من رسول الله ، وسيرته ، وأبي داود عن ابن عباس ، وقال الشيطان عن أبي هريرة ، وهو في الصحيح عن عبد الله بن جعفر عن عبد الله بن مسعود ذلك قال أن يعلم أنه أفضل الخلق وقد ثبت ذلك عنه .

رقم
الصفحة مسلسل

١٣٧ ١٠٥ أنا سيد ولد آدم يوم القيامة .

مسلم ، وأبو داود عن أبي هريرة ، وأحمد ، والترمذي وابن ماجه ،
عن أبي سعيد ، سيادة ولا فخر .

١٣٧ ١٠٦ أنى لأعلى أقواماً إلخ .. .

الشيخان ، والإمام أحمد ، والنسائي عن سعد .

١٣٨ ١٠٧ أول من يدخل الجنة فقراء الأنصار ، الشعثة رؤسهم الدانسة ثيابهم :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه
وسلم ، رواد أحمد والبزار ، ورواهما ثقاة ، وابن حبان في
صحيحه وفيه الفقراء المزاجرون ، عن ثوبان ، رواد الطبراني في
الصحيح ، وفي الترمذي وابن ماجه نحوه ، والحاكم وقال : صحيح
الإسناد .

١٣٨ ١٠٨ مالى والدنيا :

رواه أحمد وابن حبان في صحيحه ، والبيهقي عن عباس ،
والترمذي عن عبد الله بن مسعود ، وقال : حسن صحيح وابن ماجه .

١٣٨ ١٠٩ ليكن بلغه أحدكم كزاد الزاكب :

رواه أبو يعلى والطبراني عن حباب بإسناد جيد ، والبيهقي في
الشعب عنه ، وروى الحاكم وابن حبان في صحيحه نحوه من حديث
سلمان ، ورواه ابن ماجه ورواه ثقاة احتج بهم الشيخان إلا جعفر

ابن سليمان احتج به مسلم وحده ، وعن عائشة رضی الله عنها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أردت اللجوق بي فليكفك من الدنيا كزاد الراكب ، رواه الترمذی والحاکم .

١٣٨ ١١٠ يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بنصف وخمسة عام :

الترمذی ، وابن حبان في صحيحه ، وقال الترمذی : حديث حسن صحيح .

١٣٨ ١١١ أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل :

رواه الترمذی ، وقال حسن صحيح ، وابن ماجه وابن حبان والحاکم عن سعد بن أبي وقاص ، وإمام أحمد والنسائي ، وابن ماجه والدارمي من حديث عامر ومالك وآخرين ؛ وابن حبان والحاکم وصححه ، والطبرانی من حديث فاطمة والحاکم عن أبي سعيد .

١٣٨ ١١٢ قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : إني أحبك :

رواه الطبرانی عن كعب بن عجرة ، وقال الحافظ أبو داود شيخنا الحافظ أبو الحسن : إسناده جيد وابن سعد في تاريخه : إسناده صحيح ، قال : إني أحبك ، ثلاث مرات قال : إن كنت تحبني فقل : أحببني فإن النقر أسرع إلى من يحبني من السيل إلى مشربه ، أخرجه الترمذی وقال : حديث حسن غريب .

رقم رقم
الصفحة مسلسل

١٣٨ ١١٣ حُب إلى من دنيا كم ثلاث :

رواه الإمام أحمد والنسائي والحاكم والبيهقي عن أنس من غير
لفظ «ثلاث»، وسنده حسن، قال الحافظ العراقي: بسند جيد
وضعه العقيلي

١٣٨ ١١٤ أنتم أعلم بدنيا كم:

مسلم عن أنس وعائشة.

١٣٨ ١١٥ لم يضع رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنة على ابنة إلى أن خرج من
الدنيا وكان يقول: عريشاً كعريش أخى موسى:

ابن حبان في الثقات عن الحسن مرسلاً، مات رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولم يضع لبنة على لبنة، وأبو نعيم في الحلية، والطبراني
في الأوسط عن عائشة بعض حديث وإسناده ضعيف وأخرج المخلص
في فوائده، وابن النجار عن أبي الدرداء: عريشاً كعريش موسى
تمام، وخشيبات والأمر أعجل من ذلك، وأخرج الدارقطني في
الأفراد من حديث أبي الدرداء، وقال: غريب أن سئل أن يكحل
المسجد فقال: لا عريش كعريش أخى موسى.

١٣٨ ١١٦ وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، من الدنيا ودرعه مرهونة
على صاع من شعير:

البخاري، ومسلم، والترمذي، عن عائشة

توفي ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين، وعن البيهقي بثلاثين

صاعاً من الشعير ، والترمذى والنسائى والبيهقى عن ابن عباس بعشرين
صاعاً من طعام أخذه لأهله ، وسنده حسن ولم يترك ولا درهما ، مسلم
عن عائشة :

١٣٨ ١١٧ ولم يقيم له ميزان :

١٣٨ ١١٨ ما ترك ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا أجيراً :

مسلم ، عن عائشة .

١٣٨ ١١٩ لم يوجد في بيته أثاث :

الشيخان عن عائشة رضى الله عنها ، كان فرأشه أدماء حشود
لينف ، والشيخان عن عمر : أنه كان ينام على سرير مرموق بشرط
حتى يؤثر في جنبه .

رقال : نحن معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة ، لما
والشيخان والترمذى وأبى داود عن ابن بكر ، وعمر ، وعثمان ، وطالحة
والزبير ، وسعد ، وأبى هريرة ، وعائشة .

١٣٨ ١٢٠ وكان يقبل الهدية ، ولا يكل الصدقة :

متفق عليه من حديث أبى هريرة ، وإمام أحمد ، والبخارى
عن عائشة ، وأبى هريرة .

١٣٨ ١٢١ ما أوحى الله تعالى إلى أن أجمع المال وأكون حجيراً :

ابن عدى من حديث ابن مسعود ، ولأبى بصير ، والخطيب في

رقم ورقم
الصفحة، مسلسل

التاريخ ، والبيهقي في الزهد من حديث الحارث بن سويد في
أثناء الحديث : لا تجمعوا مالا لا تأكلون .

١٣٩ ١٢٢ حديث عائشة رضي الله عنها ذبحنا شاة فتصددقنا بها حتى لم يبق
إلا كتفيا :

الترمذي : عن عائشة ، وقال حسن صحيح .

١٣٩ ١٢٣ ان الله يحب مكارم الاخلاق ، ويكره سفافيا ، ان الله يحب معالي
الامور ، ويبغض سفافيا :

الحاكم من حديث سهل بن سعد ، وابن ماجه ، وأبو تميم ،
والطبراني عن سهل ، ان الله كريم يحب الكريم ، ويحب
معالي الاخلاق ، ويكره سفافيا ، ويعناه الطبراني عن الحسن
ابن علي رضي الله عنهما ، والبيهقي من حديث سهل متصلا ،
ومن رواية طاحنة بن عبد الله بن كريب مرملا ، ورجلها ثقات
ذكره الحافظ العراقي .

١٣٩ ١٢٤ بعثت لآتي بمكارم الاخلاق : مكرر عن ٤٩

١٣٩ ١٢٥ كان متواصل الاحزان دائم التفكير .

الطبراني في الكبير عن الحسن بن علي سألت خالي هند بن
هذلة ، وكان صدره أزيز كأزيز المرجل : عن مطرف عن أبيه
أبو داود ، والنسائي ، وابن حزم ، وأبوه أزيز
كأزيز الرحى ، ولبعضهم . وجوفه أزيز كأزيز المرجل ، عن عبد الله
ابن الشيخير أبو داود ، والترمذي في الشمائل ، والنسائي .

رقم
الصفحة مسلسل

١٣٩ ١٣٦ صلی حتی تورمت قدماء :

الشیخان ، والنسائی ، والترمذی عن المغيرة بن شعبه ،
والشیخان عن عائشة ، حتی تنظر قدماء : والبخاری عن
أبي هريرة .

١٤٠ ١٣٧ كان يعطى من حرده ، ويعمل من قطعه ، ويعفو عن من خطاه :

البخاری عن عبد الله بن عمرو بن العاص : ليس يقبل ،
ولا عليل ، ولا صخب في الأسماء ، ولا يترى ، ولا
وسكن يعفو ويصفح .

١٤٠ ١٣٨ أن أولي المؤمنين من أنفسهم من تركه ، فلا يترى

لأسماء أحمد ، والشيوخ ، والجماعة ، والجماعة ،
أبي هريرة .

١٤٠ ١٣٩ قاله أبي بكر الصديق في نفسه أميراً

الشيخان عن أبي عبد الله ، وهو من

١٤٠ ١٣٠ حديث أبي خنيفة ، عن أبي هريرة ، قال

الشيخان ، ما من رجل منكم ، ولا من

١٤٠ ١٣١ عنه عن أبي هريرة ، قال

النسائي عن أبي هريرة ، قال

عنه ، وسئل ماذا من الخير في تركه ، قال

قال : يا معشر قريش ما تقدموا في ما تقدموا ، من تركه ، ولا

رقم
الصفحة مسلسل

رحيم كريم ثم أعاد عليهم القول فقالوا مثل ذلك ، فقال : إني أقول كما قال أخى يوسف : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لي وإياكم وهو أرحم الراحمين : ولابن سعد من طريق الزهري عن بعض آل عمر بن الخطاب ، وأخرج نحوه حميد بن رباح في كتاب الأسوان عن طريق ابن أبي حسين ، وأخرجه عبد الرازق في الجامع عن ابن عمر يا معشر قريش : ما ترون أنى فاعل بكم؟ قالوا : خيراً أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فانتم الطلقاء .

١٤١ ١٣٢ إلى بعثت بالحنيفية السمحاء :

رواه أحمد بإسناد حسن عن عائشة ، وترجم البخاري « أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحاء » والخطيب عن جابر : بعثت بالحنيفية السمحاء .

٢٤١ ١٣٣ وكان يحب الخلو البارد :

وكان أحب الشراب إليه الخلو البارد . الإمام أحمد ، والترمذي ، والحاكم عن عائشة .

١٤١ ١٣٤ إنما أنسى لأسن :

مالك بلاغاً ، وهو من الأحاديث الأربعة في النوط التي لم يجدها ابن عبد البر موصولة ، ووصلها ابن الصلاح .

١٥٣ ١٣٥ حديث حارثة : لكل حق حقيقة ، تقدم في حديث ٨

۱۴۳ ۱۳۶ احفظ الله يحفظك . الترمذی عن ابن عباس :

والإثم ما حاك في الصدر ، تقدم في ۲۶

۱۴۳ ۱۳۷ الحلال بين والحرام :

الشيخان وأصحاب السنة عن النعمان بن بشير : الحلال بين ،
والحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهات :

الحلال بين ، والحرام بين ، فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك .
الطبرانی في الأوسط عن عمر .

۱۴۳ ۱۳۸ لا ضرر ولا ضرار في الإسلام .

لا ضرر ولا ضرار . رواه مالك مرصلاً عن يحيى بن زكريا والامام

أحمد ، وعبد الرزاق ، وابن ماجه عن ابن عباس .

۱۴۷ ۱۳۹ من عمل ما علم ورثه الله علم ما لم يعلم :

أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وضعفه .

۱۴۸ ۱۴۰ قال رجل : علمي من غرائب العلم :

ابن السنن وأبو نعيم في كتاب الرضا لمحمد ، وابن عبد البر من

حديث عبد الله بن مسعود مرصلاً وهو ضعيف جداً . قال :

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : علمي من غرائب العلم ،

فقال له : ما صنعت من رأس العلم . قال : نعم ، ما صنعت في

هل عرفت الرب تبارك وتعالى ؟ قال : نعم . قال : ما صنعت في

حقه ؟ قال : ما شاء الله . قال صلى الله عليه وسلم : ذهب فحجم

ما هنالك ثم تعال أعلمك من غرائب العلم .

رقم رقم
الصفحة مسلسل

١٥٩ ١٤١ إنما الأعمال بالنيات :

الشيخان عن عمر ومالك في الموطأ برواية محمد بن الحسن .

١٥٨ ١٤٢ أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بك من عقوبتك :

مسلم ، ومالك ، وأبو داود ، والنسائي ، والترمذي .

١٥٨ ١٤٣ أصدق كلمة فاتمها العرب :

الشيخان عن أبي هريرة وابن ماجه .

أعوذ برضائك من سخطك ، الضر ٩٩ .

١٥٩ ١٤٤ لم تصفون ما أعجزه مكرر ١٦ .

ألهم اللهكم بالله ، مكرر ٥١ .

١٦٠ ١٤٥ اللهم كلفني كثرة التوبه :

وجبت وجبتي إليك اللهم صلى الله عليه وسلم لبعض

شيوخه للشيخين من حديث البراء .

اللهم أنتعني بسعي وبصري ، الترمذي ، والحاكم عن

أبي هريرة .

١٦٠ ١٤٦ لا تكلمني في نفسي طرفاً عين :

حكاه من حديث أنس قال صحیح علی شرط الشيخین . وهو

في اليوم والليلة ، وعنه صلى الله عليه وسلم لا يفتنه الزجران ، رضي

الله عنهم .

١٦٠ ١٤٧ واكرباه عند منبت النبي صلى الله عليه وسلم :

عن أنس أن ذمته رضي الله عنها قالت . واكرب أباه فقال صلى

الله عليه وسلم : ليس على أهلك كرب بعد اليوم ، في الصحيح .

١٦١ ١٤٨ أنا سيد ولد آدم . تقدم في حديث ٧٣ .

١٦١ ١٤٩ أستغفروا الله وتوبوا إليه فإني أستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة

وقال حذيفة : كنت ورب اللسان على أعلى فقلت يا رسول الله

لقد خشيت أن يدخلني أساني النار ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

فأين أنت من الاستغفار ؟ فإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة وعزاه

الحافظ العراقي للنسائي في اليوم واللييلة والبرقي .

ورواه الحاكم ، وقال صحيح على شرط الشيخين : ما أصبحت غداة

قط إلا استغفرت الله فيها مائة مرة .

للطبراني عن أبي موسى . ما أصبحت غداة قط إلا استغفرت الله

تعالى مائة مرة ؟ .

وعن آخر من يمتدحني الله عز وجل : يا رسول الله إنك أتيتني على فري

حتى أستغفر الله تعالى في اليوم مائة مرة ، ثم أخرجني مسرعا فوجدت

وفي رواية لمسلم : فوالله إني لم أجد في نفسي

ربي تبارك وتعالى في اليوم مائة مرة .

١٦١ ١٥٠ رحم الله أخي عيسى عليه السلام تقدم في حديث

١٦١ ١٥١ لي مع الله وقت لا يسعني فيه شيء .

من رسالة التشيرني لي وقت لا يسعني فيه غير ربي ، وهو الصحيح

وهو كان السند لا يعرف .

رقم
الصفحة مسلسل
رقم

- ١٦١ ١٥٢ ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن :
قال الحافظ العراقي : لم أر له أصلا .
- ١٦١ ١٥٣ إن لله أواني في أرض وهي القلوب :
إسناده جيد .
- ١٦١ ١٥٤ حديث عائشة : انتبهت ليلة فلم أجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
في فراشه :
البيهقي من طريق العلا عن عائشة ، وقال : هذا مرسل جيد
العلا ، لم يسمع من عائشة .
- ١٦٢ ١٥٥ أطيب ما أكل الرجل من كسب يده :
أطب الكسب عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور :
رواه أحمد والطبراني والحاكم عن رافع بن جريح والطبراني
عن ابن عمر .
- ١٦٢ ١٥٦ جعل رزقي تحت ظل رمحي :
أحمد من حديث ابن عمر وسنده صحيح .
- ١٦٢ ١٥٧ لو توكلتم على الله حق توكله :
الإمام أحمد والترمذي والحاكم وصححه من حديث عمر
وابن مسعود : لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله .
- ١٦٣ ١٥٨ اعبد الله كأنك تراه :
تقدم ٣١ و ٣٧ .

رقم
الصفحة مسلسلرقم ١٦٣
١٥٩ جيل ولي الله :

• ما جيل ولي الله إلا على السخاء .

الذهبي عن عائشة مرفوعاً بسند صحيح .

رقم ١٦٤
١٦٠ إن النفس إذا أحرزت قوتها اطمأنت ؟رقم ١٦٤
١٦١ حبك الشيء يعنى ويصم :

قال الحافظ ابن حجر تبعاً للعراقي وبكعب سكوت أبو دودعه

فليس بموضوع ولا بشديد الضعف فهو حسن رواه أبو دود عن

أبي الدرداء مرفوعاً ، ورواه الإمام أحمد موقوفاً ، عنه وانحر الطي في

إعلال المكوب عن ابن رزق وابن عساكر عن عبد الله بن أسد

وحسن السيوطي منده : إذا رأيت أهل السر ، فسروا لله له دية .

رقم ١٦٤
١٦٢ حرام على قلب عليه زبانية من الدنيا أن يند حلوه الآخرة ؟

لولا الشاخين .

رقم ١٦٤
١٦٣ مسائل العلماء ، وخالف الحكماء ، وجالس الكبراء :

جالسوا الكبراء ، وسألتهم العلماء ، ونظروا الحكماء .

الطبراني عن أبي جحيفة صحيح .

رقم ١٦٤
١٦٤ المؤمن تسرد حسنة وتسوفه سيئة .

من سرته حسنة وسرته سيئة سيئة يومئذ .

رقم ١٦٤
١٦٥ الدنيا ماعونة ماعون ما فيها إلا ذكر الله .

عن أبي هريرة . إن الدنيا ماعونة ماعون ما فيها إلا ذكر الله

وما والادوية أو متعلم . ابن ماجه والبيهقي ، الترمذي وقال . حدث حسن

	رقم الصفحة	رقم مسلسل
سأل النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عن شجرة لا تسقط ورقها : في الصحيح عن ابن عمر .	١٦٥	١٦٦
أصحابي كالنجوم : رواه البيهقي ، وأسنده الديلمي عن ابن عباس وأخرجه رزين عن عمر .	١٦٦	١٦٧
أرحم أمتي بأمتي أبو بكر : رواه أحمد والترمذي عن أنس والطبراني عن جابر وابن عدي عن ابن عمر بانظ أرف أمتي الخ ، والعقل عن أبي سعيد .	١٦٧	١٦٨
أقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر : الترمذي عن حذيفة وحسن سنده الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه وابن عبد عن أنس .	١٦٨	١٦٩
لو نادى مناد من السماء أنه لن يابح الجنة إلا رجل واحد : خطبة أبي بكر عن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم :	١٦٩	١٧٠
من المسند للإمام أحمد وعبد الرزاق ، وفي الصحيح عن عائشة وفيه عن ابن عباس وابن أبي شيبه من حديث ابن عمر .	١٧٠	١٧١
ما تركت لأهلك يا أبا بكر . الترمذي عن عمر ، وقل : حسن صحيح ، وأبوداود ، والترمذي والحاكم ، وصححه من حديث ابن عمر .	١٧١	١٧٢
قوله صلى الله عليه وسلم يوم بدر : اللهم إن تهلك هذه العصابة ، وقول أبي بكر : دع مناشدتك ربك مسلم والترمذي عن ابن عباس عن عمر .	١٧٢	١٧٣

رقم
الصفحة مسلسل

١٧٠ ١٧٤ لو تعلمون ما أعلم : مكرر

١٧٠ ١٧٥ رأى أبي بكر في مقابلة مانع الزكاة :

مالك والشيخان وأصحاب السنن عن أبي هريرة

١٧٠ ١٧٦ جيش أسامة :

البيهقي وابن عساكر عن أبي هريرة

١٧٠ ١٧٧ معروف ماني بطن زوجته :

مالك عن عائشة

١٧٠ ١٧٨ اتقوا فريسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله :

الترمذي والطبراني من حديث أبي أمامة والترمذي عن حديث

أبي سعد والطبراني وأبو نعيم والبخاري بسند حسن عن أنس بن مالك

عباداً يعرفون الناس بأفروهم

١٧١ ١٧٩ ما فاتك أبو بكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة الصلاة

ولا صوم . ما فضلكم : قال الخلفاء الراشدين : لم يأتهم يوماً

وهو عند الحكيم الترمذي وأبي يعلى بن عائشة . وقال في الحديث

قول بكر بن عبد الله المزني ما ذى أبو بكر أصحاب رسول الله

١٧١ ١٨٠ يا بني آدم قوموا إلى ربكم التي أولتموها فطاموا

عن أنس بن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى

عند كل صلاة : يا بني آدم قوموا إلى ربكم التي أولتموها فطاموا

أنفسكم فطاموها .

الطبراني في الأوسط والمصنف وقال ثور بن يحيى بن أنس بن

رقم رقم
الصفحة مسلسل

قال الحافظ الميمني : ولم أجد من ذكره إلا أن روى عن أزهر بن
سعد السمان وروى عن يعقوب بن إسحاق المخرمي وبقية رجاله
رجال الصحيح .

١٧١ ١٨١ تقديوه طعام الشهية :

البخاري عن عائشة ، وأحمد عن ابن سيرين ، في الزهد

١٧١ ١٨٢ الدر أولى بما نبت من حرام :

الترمذي وابن حبان من حديث كعب بن عجرة : كل لحم نبت

من سحت فالنار أولى به . البيهقي وأبو نعيم عن أبي بكر .

١٧١ ١٨٣ وددت أن أكون خضراء تأكلني الدواب :

وأخرج أحمد عن قتادة قال : بلغني أن أبا بكر قال : وددت أني

خضرة تأكلني الدواب .

١٧١ ١٨٤ ثلاثة آيات من كتاب الله اشتغلت بهن :

١٣٣ ١٨٥ سرية جبل الجبل :

البيهقي في الدلائل واللال كافي في شرح السنن والزين القعولي

في فوائده وابن الأعرابي في كرامات الأولياء عن ابن عمر وهكذا

ودر كرد حرمة في جمع حديث ابن وهب قال حافظ ابن حجر : وهو

أحمد بن حسن الخطيب في روضة مالك وأبو نعيم في الدلائل عن عمرو

بن عبد الله

١٣٣ ١٨٦ رأيت على قبر النبي صلى الله عليه وسلم

عقربانين أحمر اللون ، رأيت عمر رضي الله عنه وهو مشغول

بغير شيء من الدنيا ، رأيت علي رضي الله عنه وهو مشغول

رقم
الصفحة
رقم
مسلسل

۱۸۳ ۱۸۷ قول عمر : رحم الله امرأ أهدى إلى عيوبي :

۱۷۳ ۱۸۸ الشيطان يفرق من ظل عمر :

الشيخان عن سعد بن أبي وقاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما تميتك الشيطان سالكاً فجاً قط
إلا سلك فجاً غير فيجك ، وأخرج الترمذي عن عائشة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : إني لأنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فرروا من
عمر ، وأخرج أحمد عن طريق بريدة قال صلى الله عليه وسلم : إن
الشيطان ليفرق منك يا عمر ، وابن عساکر عن عائشة مرفقة عن ابن
الشيطان يفرق من عمر .

۱۷۳ ۱۸۹ قوله رضي الله تعالى عنه : من خاف الله تعالى لم يشك غيره :

۱۷۴ ۱۹۰ ما ابتليت بملابة إلا كان لله علي فيها أربع نعم :

۱۷۴ ۱۹۱ شكاً إليه رجل النقر فقال عند ما شاء ليملأني :

روى مسلم عن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أبيه عن نبي الله صلى الله عليه وسلم

۱۷۴ ۱۹۲ عن علي . ما أحد أحب إلي أن أتأمله بحرينته ، وإن شئت لآخذن من

عن البيهقي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

۱۷۴ ۱۹۳ رأه علي وهو يحد حنانه يومئذ يقول : يا رسول الله

أمرت بك بغير

۱۷۴ ۱۹۴ رأه علي وهو يحد حنانه يومئذ يقول : يا رسول الله

أمرت بك بغير

۱۷۴ ۱۹۵ رأه علي وهو يحد حنانه يومئذ يقول : يا رسول الله

رقم رقم
الصفحة مسلسل

١٧٦ ١٩٦ عن عثمان : لولا أنى خشيت أن يكون فى الإسلام ثلثة أسدها بهذا
المال ما جمعتة :

١٧٦ ١٩٧ جهز جيش العسرة واشترى بئر رومة للمسلمين ، وقال صلى الله عليه
وسلم ما ضر عثمان ما فعل بعد . الترمذى عن عبد الرحمن بن ضباب
رالبخارى عن أبى عبد الرحمن السلمى .

١٧٧ ١٩٨ بعث إلى أبى ذر كيساً فيه ألف درهم ودفعتها إلى عبد الله وقال له :
أنت حر إن قبلها منك .

١٧٨ ١٩٩ ما تميت ولا تعيت وما مسست ذكرى بيمينى منذ بايعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم . ابن ماجه عن عثمان .

١٧٨ ٢٠٠ قتل والصحف فى حجره - عبد الله بن الإمام أحمد وأبو يعلى عن مسلم
ابن سعيد مولى عثمان ورجله نقت . قتل والصحف بين يديه .

١٧٨ ٢٠١ قل : وجدت الخير مجموعاً فى أربع :

١٧٨ ٢٠٢ قيل لى بما عرفت ربك ؟ قال : بما عرفنى نفسه لا تشبهه صورة
ولا يدرك بالحواس .

١٧٨ ٢٠٣ خالق الأشياء لا من شىء كان معه ولا عن شىء احتذاء ولا عن
شىء امتثله .

١٨١ ٢٠٤ أحب حبيبك هو ناما :

أبو داود والترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة موقوفا .

١٨١ ٢٠٥ يا صفراء ويا بيضاء غرى غبرى :

الإمام أحمد عن أبى صالح السمان عن على رضى الله عنه : فرق
جميع ما فى بيت المال وهو يقول : يا صفراء ويا بيضاء غرى غبرى ثم

أمر بنضحه وصلى فيه ركعتين . روى أحمد عن علي ورجاله وثقوا
إلا أن مجاهداً لم يسمع من علي خرجت فأتيت حائطاً فقال دلوا بثمره
قال فدليت حتى ملأت كفي ثم أتيت الماء فاستعنيت يعني شربت ثم
أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأطعمته نصفه وأكات نصفه وصدده
عند الترمذى أنه عمل ليهودى دلو بتمره .

٢٠٦ ١٨١ إن أردت أن تلقى صاحبك فرقع قميصك واخصف نعلك :

٢٠٧ ١٨١ لولا عليٌّ لهلك عمر : أخرج ابن سعد عن سعيد بن المسيب قال : كان
عمر يتعوذ من معضاه أيس فيها أبو حسن .

٢٠٨ ١٨١ خطبة الحسن بعد قتل أمير المؤمنين :

٧٥٠ درهم فصات من عطائه أراد أن يشتري بها خدماً لأمه كاتوبه

الطبراني في الأوسط عن أبي الطيب .

٢٠٩ ١٨١ كان يتغير لونه وقت الصلاة رضى الله عنه :

٢١٠ ١٨١ مجالسته صلى الله عليه وسلم ومواقفته للمساكين :

البخارى من حديث أبي هريرة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
البخارى من حديث أبي هريرة قال وأهل البيت كالمسكين
لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد من أئمة بني عبد
المطلب ولم يتناول منها وإذا أتته هدية أرسل إليهم
وأشركهم فيها .

٢١١ ١٨٣ يا من عاتبني فيه ربي :

٢١٢ ١٨٣ كان يجلس مع أهل الصفقة . الخ .

في الخلية عن شند بن سبيرين قال : كان رسول الله صلى الله عليه

وسلم إذا أمسى قسم ناساً من أهل الصفقة على رأس من أتته فمكث

رقم رقم
الصفحة مسلسل

الرجال يذهب بالرجال والرجال يذهب بالرجال والرجال يذهب بالرجال
ذكر عشرة فكان سعد بن عبد الله يرجع كل ليلة إلى أهله بثمانين
منهم يعيشهم .

١٨٣ ٢١٣ لقد رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء إما إزار
وإما كساء قد ربطوا في أعناقهم منها ما يباغ نصف الساق ومنها
ما يباغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته .

رواه البخاري عن أبي هريرة

١٨٤ ٢١٤ عن ابن بريدة قال : قال لي أبي : لو رأيتنا ونحن مع نبينا وقد أصابتنا
السواء حسب ريحنا بريح الضأن :

رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي وقال : حديث صحيح وذلك
لأنه لم يسمهم كان الصوف وجاء نحوه عن سلمان .

١٨٤ ٢١٥ أحرق بطوننا التمر :

الحاكم عن طاححة البصرى وسنده صحيح وهو في مسند أحمد .

١٨٤ ٢١٦ وقف على جماعة من أهل الصفة وقد استتر بعضهم ببعض :

رواه الترمذي وأبو داود والبزار عن أبي سعيد الخدري .

١٨٥ ٢١٧ طاححة يخط طرف إزاره ، وهو أمير :

١٨٥ ٢١٨ أحرق حذرك فوعزك إلى لأحبك :

رواه في الخيرة

رواه في الخيرة

حج بيت الله أحب إلى الله .

رواه في الخيرة عن طريق غيره عن الحسن بن محمد بن

- ١٨٥ ٢٢٠ سلمان الفارسي لما نزلت هذه الآية « وإن جهنم لم وعدهم أجمعين » صح
ثم خرج هاربا قال الحافظ العراقي : بحثت عنه فلم أجده .
- ١٨٥ ٢٢١ زار سليمان أبا الدرداء من الشام إلى العراق راحلا وعليه كساء غليظ .
- ١٨٦ ٢٢٢ أبو الدرداء أردت أجمع بين العبادة والتجارة :
- عن خيشمة عن أبي الدرداء رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح
قال الحافظ الهيثمي : ورواه أبو نعيم في الحلية .
- ١٨٦ ٢٢٣ أبو ذر :

وعن أبي شعبة قال : جاء رجل إلى أبي ذر فعرض عليه رقعة
فقال أبو ذر : عندنا أعنز نخلها وجر تنقلنا ومحررة تخدمنا وقطن
عباءة عن كسوتنا إني لأخاف أن أحاسب على النضال : رواه الطبراني
أبو شعبة البكري لم أعرفه وبقيت رجاله رجال الصحيح . قاله الحافظ
الهيثمي ورواه أبو نعيم في الحلية .

١٨٦ ٢٢٤ دعى إلى وثية فرجع :

١٨٦ ٢٢٥ أبو عبيدة الخراج :

١٨٧ ٢٢٦ عبد الله بن مسعود :

أه نعيم في الحلية .

١٨٧ ٢٢٧ الزبير بن العوف :

في تاريخه

في تاريخه

في تاريخه

في تاريخه

رقم
الصفحة مسلسل

١٨٧ ٢٢٨ عبد الله بن عباس :

١٨٨ ٢٢٩ حديث الحرث بن مالك :

تقدم عدد ٨ .

١٨٨ ٢٣٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رأى رجلاً يجر إزاراً وجعل يضرب

الأرض برجله وهم أمير على البحرين فقال له : قال النبي صلى

الله عليه وسلم : إن الله لا ينظر يوم القيامة إلى من جر إزاره

بطراً قل . وكان أبو هريرة يستغاث على المدينة فيأتي بحزمة

الخطاب على ظهره فبشق السوق ويقول : طارقو الأمير ، حتى ينظر

الناس إليه .

لذلك والشيخين بلفظ مسلم .

١٨٨ ٢٣١ قول أنس : إن أول من يرد الخوض يوم القيمة الذاهبون الناحيون ،

أول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين الشعث رؤوسا

الدنيا ثياباً .

الترمذي وابن ماجه والحاكم وقال : صحيح الإسناد البخاري عنه

من ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم .

١٨٨ ٢٣٢ عن عبد الله بن عمر كنت شاباً عزباً أنا في المسجد وعن أبي سعيد

البخاري عنه صلى الله عليه وسلم : لا تصحب إلا مؤمناً ولا يأكل

طعامك إلا تقي . رواه أبو داود والترمذي .

١٨٨ ٢٣٣ حذيفة بن اليمان :

أبو نعيم في الحلية .

رقم
الصفحة مسلسل

٢٣٤ ١٨٩ عبدالله بن جحش

الطبراني في الكبير عن سعد بن أبي وقاص

٢٣٥ ١٨٩ صفوان بن محرز المازني

٢٣٦ ١٨٩ أبو فروة

٢٣٧ ١٨٩ أبو بكرة

٢٣٨ ١٨٩ عبدالله بن رواحة

٢٣٩ ١٨٩ تميم الداري

٢٤٠ ١٩٠ علي بن حاتم

٢٤١ ١٩٠ كل مضموم القلب صدوق اللسان ، قلنا : يا رسول الله أي الدمن خير

قال : كل مؤمن مضموم القلب صدوق اللسان ، قلنا يا رسول الله هل
على أثره ؟ قال : الذي يشنة الدنيا ويحب الآخرة .

قل الحافظ العراقي : قلنا يا رسول الله وما مضموم القلب ؟ قال :
النبي النبي الشيخ ، أخرجه ابن ماجه من حديث عبدالله بن عمر بسند صحيح
دون قوله يا رسول الله فمن على أثره ، وهو اسم هذه الزيادة نحو النبي
مكارم الأخلاق

٢٤٢ ١٩٠ محمد بن كعب

٢٤٣ ١٩٠ زرارة بن أوفى

عن جابر بن حكيم قال : قال زرارة بن أوفى رضى الله عنه ، في

مسجد بني بشير قمر المدثر فلما بلغ « فإذا قرأ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم تتقون »

الخال كوفال : صحيح الإسناد

١٩٠ ٢٤٤ حديث حنظلة

مسلم والترمذى من حديث حنظلة بن الربيع كاتب رسول الله
صلى الله عليه وسلم

١٩١ ٢٤٥ البجلاج .

الطبرانى بإسناد لا بأس به

١٩١ ٢٤٦ أبو جحيفة

١٩١ ٢٤٧ حكيم بن حزام

١٩١ ٢٤٧ اشترى أسامة فرساً إلى شهرين . . .

رواه ابن أبي الدنيا فى كتاب قصر الأمل . وأبو نعيم فى الحلية،
والبيهقى فى الشعب، والطبرانى فى سند الشاميين عن أبى سعيد الخدرى
رضى الله عنه قال : اشترى أسامة بن زبير وليدة بمائة دينار إلى شهر
فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ألا تعجبون ؟ أسامة
المشترى إلى شهر ؟ إن أسامة لطويل الأمل

١٩١ ٢٤٩ بلال وصهيب (أنظر إلى هذا نور الله قلبه)

١٩١ ٢٥٠ عبد الله بن ربيعة ومصعب بن عمر

ما كان فيه مصعب بن عمر من الرفاهية بمكة ، الترمذى وأبو يعلى
عن على رضى الله عنه .

١٩٢ ٢٥١ مؤاخاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف

وسعد بن الربيع ، فى الصحيح عن أنس

٢٥٢ ١٩٢ ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة

البخارى عن أبي هريرة والبخارى ومسلم والنسائي من طرق عن
فضل بن غزوان وفي رواية لمسلم تسميه الأنصاري بأبي طلحة رضى
الله عنه .

٢٥٣ ١٩٢ أهدى لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة
فقال : إن أخى كان أحوج إليه منى .

ابن كثير ذكر في غزوة اليرموك أن عكرمة آثر أصحابه بالماء
وهو جريح

٢٥٤ ١٩٤ مانجى والد ولده أفضل من أدب حسن

الترمذى والحاكم عن عمرو بن سعيد بن العاص ، قال الترمذى :

حسن غريب مرسل ورواه الطبرانى عن ابن عمر بسند ضعيف

٢٥٥ ١٩٤ إن الله أدبني فأحسن تأديبي مكرر

٢٥٦ ٢٠١ إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يتوضئون بصدورهم

إلا بات التراب ، أخرج أبو داود في سننه عن ذى عبد القيس

حديث نومهم عن صلاة الصبح في الهادي ، قال من صلى

الله عليه وسلم وضوءه لم يات منه التراب ثم أسير بالأقدام ، قال

الحافظ بن حجر إسناده صحيح .

٢٥٧ ٢٠٥ ليس للمرء من صلواته إلا ما عقل منها .

قال الحافظ العراقى : لم أجدهم رفوعاً ، وروى محمد بن نصر المروذى

في كتاب الصلاة من رواية عثمان بن دهرش مرسلاً « لا يقبل الله من عبد عملاً حتى يشهد قلبه مع بدنه » ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي بن كعب ولا بن المبارك في الزهد مرفوعاً على عمار « لا يكتب للعبد من صلاته ما سبها عند » وعن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : القلوب أوعية أو بعضها أوعى من بعض فإذا سألتهم الله عز وجل : أيها الناس فاسأؤوه وأنتم موقنون بالإجابة فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب ، قال الحافظ المنذرى : رواه أحمد بإسناد حسن ونحوه للحاكم عن أبي هريرة :

٢٠٨ ٢٥٩ لا يزال العبد في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه :

البخاري ومسلم عن أبي هريرة وعن أس عنده صلى الله عليه وسلم : صلى الناس ووقفوا ولم يزالوا في صلاة منذ انتظرتموها . رواه البخاري

٢٠٨ ٢٦٠ الإمام ضامن :

الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن

رواه ابن حبان في صحيحه عن عائشة ، وأبو داود والترمذي ، وابن خزيمة ، عن أبي هريرة ، ورواه ابن حبان في صحيحه عن عائشة . رواه أحمد من حديث أبي أمامة بإسناد حسن ، وابن ماجه والحاكم عن سهل بن سعد ، الإمام ضامن فإن أحسن فله ولهم وإن أساء فعليه ولا عليهم .

رقم رقم
الصفحة مسلسل

٢٠٨ ٢٦١ الصف الأول :

أخرج أحمد عن أبي أمامة : إن الله وملائكته يصلون على الصف
الأول ، رواه أحمد بإسناد لا بأس به ، و أحمد وابن خزيمة عن البزار
ابن عازب بسند جيد ، والشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو علم الناس .

٢٠٨ ٢٦٢ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخف الناس صلاة في تمامه ، مالك
والشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي

٢١٠ ٢٦٣ ما تركت لأهلك يا أبابكر مكرر ١١٧

٢١٢ ٢٦٤ ما أتاك من غير مسألة فخذ (مالك والشيخان عن عمر)

٢١٣ ٢٦٥ لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوى (الترمذي عن جابر بن عبد الله)

٢١٣ ٢٦٦ ليس الغني عن كثرة العرض ، وإنما الغني غني النفس

الإمام أحمد والشيخان والترمذي عن أبي هريرة

٢١٤ ٢٦٧ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهم قال : قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم : كل معروف صدقة وإن من تعرفه فكل أبي أحمد

بوجه طلق وأن تفرغ من شأنه في إرضائك :

رواه أحمد والترمذي وقال : حديث حسن صحيح

ابن أبي عاصم بسند أحسن منه .

٢١٦ ٢٦٨ الصوم لي وأرأجزي به : حديث حسن

الشيخان ، عن أبي هريرة ، قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال

٢١٦ ٢٦٩ إذا حمت فليصم سمك وبعيرك والسك والكت به معه من لم يدع

فول الزور والعمل به فليس لله حسنة أن يبيع طموه ويشر أهله :

رواه البخاري وأصحاب السنن عن أبي هريرة .

- ٢١٧ ٢٧٠ إذا صام أحداً فلا يرفث ولا يفسق فإن شتمه إنسان فليقل : إني صائم
الشيخان وأصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه .
- ٢١٧ ٢٧١ الصوم جنة : النسائي عن معاذ أبي عبيدة والبيهقي عن جابر ، الصيام
جنة ، أحمد والبخاري والنسائي عن أبي هريرة
- ٢١٨ ٢٧٢ أفضل الصيام صيام أخي داود :
أحب الصيام إلى الله صيام داود ، الشيخان وأصحاب السنن
- ٢٢١ ٢٧٣ من مات ولم يحجج :
الترمذي والبيهقي من رواية الحارث عن علي كرم الله وجهه ،
ورضى الله عنه ، والبيهقي عن ابن أمية ، رضى الله عنه
- ٢٢٦ ٢٧٤ لا تشد الرحال إلخ ..
للإمام أحمد وللشيخين ، وأبي داود والنسائي وابن ماجه عن
أبي هريرة والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد
- ٢٤٤ ٢٧٥ اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه .
أبو داود والترمذي وحسنه ، وابن ماجه من حديث ابن عباس
رضي الله عنهما .
- ٢٥٥ ٢٧٦ لو صدق السائل ما أفلح من رده
رواه الطبراني بسند ضعيف عن ابن ماجه مرفوعاً .
- ٢٦٥ ٢٧٧ تقبيل أحد أولاده صلى الله عليه وسلم والأقرع ابن حابس موجود في
من لا يرحم لا يرحم :
الإمام أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة ، والشيخان
عن حرز بن عبد الله ، وقال السيوطي : هذا حديث متواتر .

رقم الصفحة
رقم مسلسل

٢٧٤ ٢٧٨ كان صلى الله عليه وسلم إذا عمل عملاً أتقنه :

٢٧٩ ٢٧٩ زر غبا تزد حباً :

٢٩٢ ٢٨٠ يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام ؛ مكرر ٧٨

٢٩٤ ٢٨١ تنام عيناى ولا ينام قلبى :

إن عيني تنامان ولا ينام قلبي : الشيخان عن عائشة رضى

الله عنها

٢٩٤ ٢٨٢ إنما أنسى لأمن : مكرر ١٨

مالك فى الحرثى وهو أحد الأحاديث الأربعة التى لا يحددها

ابن عبد العزيز موصولة ووصلها ابن الصلاح .

٢٩٤ ٢٨٣ إني أظال عند ربي يطعمني ويستقيني . مكرر ٥٦

٢٩٨ ٢٨٤ اتقوا فراسة المؤمن : مكرر ١٢٣

٢٩٨ ٢٨٥ إنما الناس كالإبل الهائمة لا تكاد تجد فيها راحلة :

الشيخان والترمذى ، وله فى رواية : لا تجد فيها إلا راحلة

٣٣٨ ٢٨٦ ما بعث الله نبيا إلا حسن الصوت

الترمذى فى الشمال عن قتادة ، وزاد قوله . وكان نيكاً - حسن

الصوت ، قال الحافظ العراقى . ورويناه متصلًا فى التلخيص

رواية قتادة عن أنس والصواب الأول ، ورواه ابن ماجة فى التلخيص

من حديث على بن أبى طالب وطريقه كما فى التلخيص .

٣٣٨ ٢٨٧ ما أذن الله بشئ ، كإذنه لى حسن الصوت يتغنى بالقدآن

شهر به .

الشيخان وأبو داود والنسائى عن أبى هريرة

رقم رقم
الصفحة مسلسل

٣٣٨ ٢٨٨ لله أشد إذنا الرجل حسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته :
أحمد وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه عن حديث فضالة
ابن عبيد والبيهقي .

٣٣٨ ٢٨٩ حسن صوت داود عليه السلام :
قال الحافظ العراقي : لم أجده أصلاً .
٣٣٨ ٢٩٠ تمم أعطى أبو موسى مزماراً من مزامير آل داود :
متفق عليه من حديث أبي موسى .

٣٣٨ ٢٩١ قرأ صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فمدّاً :
للشيخين وأبي داود عن أنس وعبيد الله بن مغفل .
٣٣٩ ٢٩٢ لو علمت أنك هو لخبرت لك تحبيراً
مسلم والنسائي عن ابن موسى .

٣٣٩ ٢٩٣ زينوا القرآن بأصواتكم :
أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من
حديث البزار .

٣٤٥ ٢٩٤ نحن الخالدات فلا نموت أبداً :
الترمذي عن علي قال : حديث غريب
والبيهقي وأبو نعيم عن أبي أوفى في صفة الجنة .
٣٤٥ ٢٩٥ من شرب الخمر في الدنيا :

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال :

من مات من أمتي وهو يشرب الخمر حرم الله عليه شربها في الجنة ، ومن مات من أمتي وهو يتعلى بالذهب حرم الله عليه لبسه في الجنة : رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات .

وعن ابن عمر : كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا ومات وهو يدمنها لم يترك منها ، لم يشربها في الآخرة : مالك وأحمد والشيخان والنسائي والترمذي وأبي داود وابن ماجه عن أبي هريرة .

٣٤٥ ٢٩٦ غناء الجريتين في بيت عائشة رضي الله عنهما

في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنهما

٣٤٦ ٢٩٧ قول أبي بكر :

كل امرئ مصبح في أهله وبهزال : ألا ليت شعري ما هو يوم

ذهب الذين يعيش في الكوفة : أخرجه أحمد بن حنبل بن داود الترمذي

في نفع الأحبار في مساجد الأئمة

٣٤٦ ٢٩٨ أشد كتب بين يدي مني الله يومئذ ما كنت

رأه الخبير في ما كان في يومئذ ما كنت

٣٤٧ ٢٩٩ من الشعر في

البخاري وأبي داود الترمذي

٣٤٧ ٣٠٠ المسألة في

الشمس في أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

ورواه الترمذي في صحيحه وهو في صحيحه

٣٤٧ ٣٠١ عبد الله بن جعفر ورواه ابن ماجه بن داود الترمذي

عبد الله بن جعفر ، ابن عبد البر في الاستيعاب وعبد العزيز بن عمر

ابن طاهر وابن حزم .

٣٥١ ٣٠٢ نهى صلى الله عليه وسلم عن سماع الأوتار والمزامير والمعازف .

في صحيح البخاري سيتلوني من أمتي أقوام يستحلون الخمر والخمر

والخمر والمعازف : رواه من حديث أبي مالك الأشعري .

٣٥٢ ٣٠٣ أقرأ وعليك انزل ؟

للشيخين والترمذي وأبي داود عن ابن مسعود .

٣٥٢ ٣٠٤ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ «الزيتون» فما رأيت

أحسن من قراءته .

٣٥٢ ٣٠٥ لقد أوتي مزامراً من مزامير آل داود : مكرر ٢٩٠

٣٥٢ ٣٠٦ إذا قرأ رأيت أنه يخشى الله مكرر ٢٩٠

٣٥٠ ٣٠٧ مر على عصابة يستر بعضهم بعضاً من العري وقارىء يقرأ لهم .

أبو داود والترمذي والبزار عن أبي سعيد ، وزاد البزار : حتى

إن التي يود أنه كان كن سائك

وأن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ « فكيف إذا جئنا من كل أمة

بشهيده » فصعق ، في الصحيحين عن ابن مسعود أنه قرأ صلى الله عليه

وسلم فلما انتهى إلى (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيده . وجئنا

بك على هؤلاء شهيداً) قال حسبك فإذا عيناه تذر فان بالدموع

وروى ابن عدي في الكامل والبيهقي في الشعب عن طريق من حديث

أبي حرب ابن أبي الأسود برسلاً : أنه قرأ عنده (إن لدينا

أنكالا وججيا وطامنا ذا غصة وعذاباً أليماً) فصعق . وأنه قرأ (إن

تعذبهم فإنهم عبادك) فبكى .

- عن عبد الله ابن عمرو ورواه مسلم .
- ٣٥٣ ٣٠٨ وأنه كان إذا مر بآية رحمة دعا واستبشر وإذا مر بآية عذاب دعا واستغفر واستعاذ ، حديث حذيفة رضى الله عنه كان لا يمر بآية عذاب إلا تعود ولا بآية رحمة إلا سأل ولا بآية تنزيه إلا سبح :
- مسلم وائس فى الحديث واستبشر .
- ٣٥٣ ٣٠٩ لا خير فى قراءة ليس فيها تدبر :
- روى رزين من قول سيدنا على رضى الله عنه :
- ألا لا خير فى قراءة ليس فيها تدبر ولا عبادة ليس فيها تفقه .
- ٣٥٤ ٣١٠ زرارة بن أوفى رضى الله عنه : أم بالناس فقراً آية من القرآن فصغر ومات : الحاكم عن مهز بن حكيم وصححه .
- ١٥٦ ٣١١ وإن من الشعر لحكمة : مكرر ٢٩٩
- ٣٥٦ ٣١٢ القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود :
- قال الحافظ السيوطى فى الآلى ، المصنوعة : أخرجه البخارى فى خلق أفعال العباد قال حدثنا الحاكم بن محمد الطبرى كُتبت عنه حكاية قال حدثنا شعبان بن عتبة قال أدركت أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فمن دونهم منذ سبعين سنة يقولون : لله أكبر وأجل وأعز وأقرب .
- والقرآن كلام الله منه خرج وإليه يعود .
- عليه وسلم إنكم لا ترجعون إلى الله بشئ .
- القرآن . رواه الحاكم وصححه ، ورواه أبو ذؤيب .
- ٣٦٥ ٣١٣ هكذا كنا حتى قست القلوب :

٣٧٣ ٣١٤ من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه .
أحمد وأبو يعلى والترمذى وابن ماجه عن أبي هريرة وأحمد
عن الحسين بن على والعسكرى عن على وبعده وأوضحه الشيخان في
تخرين الأربعين .

٣٧٢ ٣١٥ وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ (فكيف إذا جئنا من
كل أمة بشهيد وجئنا بك على هلال شهيداً) فصعق

إذا دخلتم على هلال المعذبين . ٣٧١ ٣١٦

أخرج البخارى فى الصحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما :
لا تدخلوا مسكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن
يصيبكم ما أصابهم ثم قنع رأسه حتى أجاز الوادى . وفى رواية للإمام
أحمد ، إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فتبا كواخشية أن
يصيبكم ما أصابهم .

٣٩٥ ٣١٧ أعطى نبيذ صلى الله عليه وسلم ما أعطى الأنبياء فى المعجزات .

٣٩٤ ٣١٨ انشق القمر .

الشيخان والترمذى عن ابن مسعود وأنس والترمذى عن
جبير بن مطعم . والمراج عن مالك بن صعصعة وأبي هريرة وأنس
وبريدة وشداد بن أوس وغيرهم ، وأخرج أصحاب الصحاح والسنن
والمسند وهو متواتر ونبع الماء من بين أصابع الموطأ والشيخان
والنسائى والترمذى عن أنس ، والشيخان عن جبر يوم الحديبية .

٣٩٣ ٣١٩ حديث جبريل .

الشيخان عن أبي هريرة .

رقم الصفحة	رقم مسلسل	
٣٩٦	٣٢٠	حديث الغار :
		الشيخان وأبو داود عن ابن عمر .
٣٩٦	٣٢١	وكلام البقرة والذئب :
		الشيخان والترمذي عن أبي هريرة .
٣٩٦	٣٢٢	إن في أمي مكلمين : مكرر ١٠
٣٩٦	٣٢٣	ياسارية الجبل .
		المبهيق في الدلائل واللائكأنى في شرح السنة وابن الأثير من كرامات الأولياء عن ابن عمر ومكان رواه حرمله في جوده حديث ابن وهب وإسناده حسن قاله الحافظ ابن حجر وقد أفرد الحافظ الحماي طريقة ووثق رجال هذا الطريق وقال ذكره ابن عبد البر وابن ما كرولا وغيرهم .
٣٩٦	٣٢٤	كرامات سيده علي والسيدة فاطمة رضي الله عنهما .
٣٩٧	٣٢٥	أميد بن حنيفة وسيد بن بشر :
		في الصحيح عن أنس وأحمد بن حنبل .
٣٩٧	٣٢٦	تسبيح الصحابة الأبي الدرود وسيد بن
		أرواح المبيق في الدلائل عن طريق أنس بن مالك .
		كان أبو الدرود وسيد بن أنس كثر أرواحهم في
٣٩٧	٣٢٧	العلاء بن خضرمين وقتلوا الصحابة :
		عن أبي هريرة رضي الله عنه .
		وسلم بن الأكوع عن أبي هريرة بن سعيد بن جابر بن عبد الله بن
		لا أرواح أرواحهم في الصحيحين عن أنس بن مالك .
		فسيب بن ربيعة في صحيحه .

رقم الصفحة مسلسل	رقم	الموضوع
٣٢٨	٣٩٧	عبد الله بن عمر والسبع :
		ذكر السبكي في الطبقات أنه قال الأسد الذي منع الناس الطريق تنح فبصبص بذنبه وذهب .
٣٢٩	٣٩٧	رب أشعث أغبر مكرر (١١)
٣٣٠	٤١٣	حديث حارثة : مكرر (٨)
٣٣١	٤٣٠	يظن الناس أنهم قد خولطوا وما خولطوا ولكن خالط قلوبهم من عظمة الله تعالى ما رهب لعقولهم .
٣٣٢	٤٢١	لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يظن الناس أنه مجنون . في معناه ، أكثر واذكر الله حتى يقولوا مجنون : رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال : صحيح الإسناد .
٣٣٣	٤٢٢	أعوذ بك من شر طواريء الليل والنهار : رواه أحمد وأبو يعلى ولكن واحدهما إسناده جيد يحتج به ، ورواه مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد مرسل ، ورواه النسائي من حديث ابن مسعود .
٣٣٤	٤٢٣	اللهم بك أصول وبك أحول :
		كان إذ أراد سفراً قال : اللهم بك أصول وبك أحول وبك أسير . الإمام أحمد والبخاري عن علي كرم الله وجهه - وقال الحافظ البيهقي : رجاله ثقات .
٣٣٥	٤٢٥	المحذون مكرر (٣٠)
٣٣٦	٤٢٦	قول سيدنا علي : وكيف نعبد من لم نر ؟ :
٣٣٧	٤٢٦	أعبد الله كأنك تراه : مكرر (٣٠)

	رقم الصفحة مسلسل	رقم
عن عبد الرازق والطبرانی وابن عدی ، وأبو نعیم فی الخلیفة عن أبي الدرداء .	٣٣٨	٤٢٩
أشد الناس بلاء الأنبياء : مكرر (٧٩)	٣٣٩	٤٢٩
ليس الإيمان بالتجلى ولا بالتبلى ولكن ما وقر في القلب .	٣٤٠	٤٣٩
ابن النجار ، والديلمي في مسند الفردوس ، وسنده ضعيف .		
إنه نغيان على قلبي :	٣٤١	٤٥١
عن أغر مزينه رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنه نغيان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم وليلة مائة مرة ، أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي ، وفي رواية يسلم : أتوب إلى ربكم فوالله إنى لأتوب إلى ربى تبارك وتعالى في اليوم وليلة مائة مرة .		
لو تعلمون ما أعلم : مكرر (١٦)	٣٤٢	٤٥٥
علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين باباً من العلم : مكرر (١٨)	٣٤٣	٤٥٦
كان صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يدخل في الصلاة قال : وقفت بين يد الملائكة الجبار :	٣٤٤	٤٦٢
سبق المفردون :	٣٤٥	٤٦٣
الترمذى ، وأبو حنيفة عن أبي هريرة ، وثالث حنيفة عن أبي هريرة ، وأقره الذهبي والطبرانى عن أبي الدرداء وسنده صحيح مرسل وعبد حمدان سبق المفردون ، قالوا : وما المفردون ، قال : المفردون لله تعالى ، رواه مسلم عن أبي هريرة .		

رقم
الصفحة مسلسل

- ٤٦٣ ٣٤٦ ما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل : مكرر (٣٢)
- ٤٦٧ ٣٤٧ أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل :
رواه الشيخان عن أبي هريرة ، وعن أحمد والترمذي عن أشعر
كلمة تكلمت ؟ العرب كلمة لبيد .
- ٤٧٥ ٣٤٨ ليس منا أحد ينجد عماله ، قالوا ولا أنت يا رسول الله الخ . .
الشيخان عن عائشة مرفوعا : سدوا وقاربوا وأبشروا واعلموا
أنه إن يدخل أحدكم الجنة عمله ، قالوا ولا أنت يا رسول الله قال :
ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته .
- ٤٧٨ ٣٤٩ لي وقت لا يسعني شيء - غير الله برحمته مكرر (٩٨)
- ٤٧٨ ٣٥٠ أنا سيد ولد آدم ولا فخر : مكرر (٧٣)
- ٤٧٩ ٣٥١ ولا تقضب عروني : مكرر (٣٢)
- ٤٧٩ ٣٥٢ وأنا ابن امرأتك كل التمديد : مكرر (٧١)
- ٤٨١ ٣٥٣ رأيت جبريل عليه السلام مثل الخاس البالي :
مررت ليلة أسرى بي بالأسفل الأعلى وجبريل كالخاس البالي من
خشية الله تعالى .
- ٤٨٢ ٣٥٤ رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل على صورته قد سد الأفق :
رأى جبريل في حبة من زخرف قد ملأ ما بين السماء والأرض
للشيخين ، والترمذي عن عبد الله بن مسعود .
- ٤٨٣ ٣٥٥ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إضاعة المال : الإمام أحمد ، وخرج
بو بكر من جميع مسلمة ، أما الله تعالى : رضى تسك ثلاثا وكره تسك

ثلاثا ، قيل وقال . وكثرة السؤال وإضاعة المال ، الإمام أحمد ومسلم
عن أبي هريرة .

٤٨٤ ٣٥٦ رد الشمس لسليمان عليه السلام وردّها لرسول الله صلى الله عليه وسلم
رد الشمس لعلّ بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال السيوطي :
أخرجه ابن منده وابن شاهين عن أسماء بنت عميس وابن مردويه
عن أبي هريرة وإسنادهما حسن . قال العجلوني : وكذا ردت سليمان
ابن داود عليهما السلام على قول بعضهم وإن حسبا عن المغيب فقد وقع
ليوشع بن نون وقيل لموسى بن عمران .

٤٨٤ ٣٥٧ شفقتوا عن الصلاة الوسطى :

عن علي رضي الله عنه ، رواه الشيخان ، والترمذي ، والنسائي ،
وأبو داود .

٤٨٤ ٢٥٨ اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون :

ابن حبان والبيهقي في دلائل النبوة من حديث سهل بن سعد
وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود : إن كان صلى الله عليه
وسلم عن بني إذا قوموا

٤٨٥ ٣٥٩ الدنيا ملعونة ملعون ما فيها : مكره (١١٠)

٤٨٥ ٣٦٠ لم كانت الدنيا ترون عند الله جناح يومئذ مكره (٢٨)

٤٩٠ ٣٦١ « لم بقيتم » حديث حذلق مكره (١٢٧)

٤٩١ ٣٦٢ تقول جهم يوم القيامة : جزيتة من قتلتموه من قتلتموه

الطبراني وأبو يعقوب في الحلية عن علي بن سينا عن جهم بن

لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما
كانت على إبراهيم حتى إن النار، أو قال: جهنم ضجيجاً من بردهم ثم
ينجي الذين اتقوا ويذر الظالمين، رواه أحمد ورواته ثقات، والبيهقي
بإسناد حسن.

٥١٣ ٣٦٣ بحمد الله لا بحمدك :

في الصحيح عن عائشة .

٥١٣ ٤٦٤ من صلى على الله واحدة صلى الله عليه عشرأ :

رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة ،
ورواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي والنسائي والحاكم عن أنس :
من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشر صلوات ، ورواه أحمد
عن ابن عمر بلفظ : من صلى على صلاة صلى الله عليه وملائكته بها
سبعين صلاة فليقل عند ذلك أو ليكثر ، ورواه النسائي بمعناه عن أبي طلحة .

٥١٤ ٣٦٥ صل تعط ، حديث الشفاعة :

في الصحيحين والسنن والمانيد عن أنس وأبي بكر وأبي هريرة

وغيرهم ، وهو حديث متواتر .

٥١٥ ٣٦٦ اللهم أجعل من فوق نوراً :

الإمام أحمد والشيخان والنسائي عن ابن عباس والترمذي ومحمد

ابن نصر في الصلاة ، والطبراني والبيهقي في الدعوات عنه .

٥١٥ ٣٦٧ والله إني لأراكم خلف ظهري كما أراكم قدامي :

الشيخان عن أنس ، وعن أبي هريرة في صحيح البخاري ، والله

ما يخفى على ركوعكم ولا خشوعكم وإني لأراكم وراء ظهري .

٥١٦ ٣٦٩ أربعة في الدنيا وليست هي من الدنيا كسرة تسد بها جوعك وثوب
توارى عورتك وبيت تسكن فيه؟ وزوجة صالحة تسكن إليها:

عن أبي عبيد قال عمر: يا رسول الله إنا لمسئولون عن هذا يوم
القيامة؟ قال: نعم إلا من ثلاث خرقه كست بها عورته أو كسرة
سد بها جوعته أو ججر يدخل فيه من الخمر والقر، روى الإمام أحمد
ورواته ثقات، وروى الترمذي والحاكم وصحاحه والبيهقي عن عثمان
ابن عفان نحوه.

٥١٩ ٣٧٠ ليس الإيمان بالتجلى ولا بالتمنى (والنقر أزين بمؤمن من العذار
الجيد) مكرر (٢٩) .

٥٢٤ ٣٧١ أحل ما يأكل المؤمن من كسب يده:

٥٣٢ ٣٧٢ أفلا أكون عبدا شكورا: مكرر (٩١) .

٥٣٢ ٣٧٤ اختار أن يكون عبدا نبيا: مكرر (٥٢) .

٥٣٦ ٣٧٥ أفرضكم زيد وأقرؤكم أبي وأعلمكم بالخلال والخرام معاذ بن جبل ،
رضي الله عنهم: محرر (١١٣)

وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من الصحابة
بالجنة ليس هؤلاء منهم، عن سعيد بن زيد رضي الله عنه
يسب عاليا رضي الله عنه بحضرة بعض الأمراء فقال: يا أبا عبد
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يسبون عندي ثم لا تذكروا ولا
تغيروا؟ سمعته صلى الله عليه وسلم يقول: واني نهي أن أقول عنه مسلم
يقول فيسأني عنه غدا إذا تقيته، أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة،
وعثمان في الجنة، وطالحة في الجنة وزيد في الجنة والزبير في الجنة،

وأبو عبده بن الجراح في الجنة ، وسكت عن العاشر ، قالوا : ومن
هو العاشر ؟ فقال : سعيد بن زيد - يعني نفسه - ثم قال : والله
لمشهد رجل منهم مع النبي صلى الله عليه وسلم يغبر فيه وجهه خير
من عمل أحدكم ولو عمر عمر نوح :
رواه أبو داود ، والترمذي .

٥٣٩ ٣٧٦ الحلال بين والحرام بين :

الشيخان وأصحاب السند عن العمان بن بشير .

٥٤٦ ٣٧٧ ليس الخبر كالمعاينة ؛ مكرر (٤١)

٥٤٥ اعبد الله كأنك تراه مكرر (٣١) .

٥٤٧ إنه ليغتن على قلبي فأستعثر الله ؛ مكرر (٢٩٣) .

فہارس الکتاب

- ۱ - فہارس الأعلام
- ۲ - " موضوعات

فهرس الأعلام

أبو بكر الصديق : ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٧ ،
٦٥ ، ٧١ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ،
١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ،
١٧٥ ، ١٨٢ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ،
١٩٣ ، ٢١٠ ، ٣٤٦ ، ٥١٣

أبو بكر الطوسي : ٧٥

أبو بكر الواسطي : ٥٩ ، ٦٠ ، ٧٩ ،
٨٠ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٩ ، ١٠٠ ،
١٠١ ، ١١٣ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ،
١٥٣ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٦٨ ،
١٦٩ ، ٢٨٤

أبو بكر الوجيبي : ٧٥ ، ١٧٩ ، ٢٣١

أبو بكر الوراق : ٩١

أبو تراب النخشي : ٧٨ ، ٢٢٣ ، ٢٣٨ ،
٢٤٤ ، ٢٥٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ،
٢٨٦

أبو الحسن القناد : ٤٦ ، ٤٧ ، ٧٧

٥٠٣ ، ٩٠ ، ٨٠

أبو الحسين أحمد بن محمد النوري : ٤٦

٥٨ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ٨٥ ، ٨٧

١٠٣ ، ٢٨١ ، ٣٦٣ ، ٤٠٣

٤٣٠ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤

٥٠٣ ، ٥٠٤

(١)

أبراهيم بن أدهم : ٢٠٢ ، ٢١٩ ، ٢٣٥ ،
٢٦٠ ، ٢٦٧ ، ٣٣٢

أبراهيم بن شيبان : ٢١٠ ، ٢٢٤ ،
٢٢٦ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ،
٢٤٣ ، ٢٥٣ ، ٣٣٦ ، ٤٠٥

أبراهيم الحربى : ١٤٥

أبراهيم الحليل عليه السلام : ٩٨ ،
١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ٢٨٣ ،
٣٩٤

أبراهيم الخواص : ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ،
٨٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢

٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠

٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٨ ، ٢٥٠

٢٥١ ، ٢٦٠ ، ٢٦٧ ، ٢٧٨

٢٨٢ ، ٢٩٨ ، ٣٢٠ ، ٤٠٤

٤١٨ ، ٤٢٣ ، ٤٣٢ ، ٤٤٣

٤٤٥

أبراهيم المارستاني : ٩٧ ، ٢٤٦

أبراهيم بن الموالد الرقى : ٤٧ ، ٢٣٣

أبراهيم الآجرى : ٨٢

أبراهيم بن مهاجر : ٤٥٥

أبو بكر الزقاق : ٧٤ ، ٧٨ ، ١٢٩

٢٣١ ، ٢٤٠ ، ٢٥٠ ، ٢٦٣

٢٨١ ، ٢٨٦ ، ٣٦٣ ، ٣٦٨

أبو الحارث الأولاسي : ١٥١

أبو العباس بن سريج : ١٤٥

أبو العباس أحمد بن عطاء البغدادي :

• ٨٢ • ٧٨ • ٥٩ • ٥٦ • ٥٥

• ١٢٤ • ١٠٢ • ٩٢ • ٨٢

• ٢٨١ • ١٩٦ • ١٦٨ • ١٢٨

• ٢٩٠ • ٢٨٩ • ٢٨٦ • ٢٨٢

• ٤٠٢ • ٣٣٤ • ٣٠٠ • ٢٩٧

٥٠٠ • ٤٤٧ • ٤٣٥

أبو سعيد أحمد بن عيسى الخزاز : ٥٣

• ٩٤ • ٩٠ • ٨٧ • ٧٠ • ٥٦

• ١١٤ • ١١٣ • ١٠١ • ١٠٠

• ٢٠٦ • ٢٠٥ • ١٢٠ • ١١٥

• ٢٧٤ • ٢٥٩ • ٢٣٩ • ٢٣٤

• ٢٨٨ • ٢٨٥ • ٢٨٢ • ٢٧٥

• ٢١١ • ٢٠٩ • ٢٠٥ • ٢٠٠

• ٢٢٦ • ٢١٩ • ٢١٥ • ٢١٤

• ٢٨٠ • ٢٦٣ • ٢٦١ • ٢٣٤

• ٤٢٧ • ٤٣٦ • ٤١١ • ٤٠٥

• ٤٤٩ • ٤٤٧ • ٤٤٥ • ٤٢٨

أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد الداراني

• ٨١ • ٧٦ • ٧١ • ٦٦ • ٥٩

• ١٤٦ • ١٢٥ • ٩٨ • ٨٢

• ٢٦٩ • ٢٥٨ • ٢٤٥ • ٢٤٠

• ٢٤٦ • ٢١٥ • ٢٥٤ • ٢٤٢

أبو عبد الله بن أحمد بن يحيى الجلاء :

• ١٧٦ • ٩٠ • ٧٥ • ٧٤ • ٤٦

• ٢٤٠ • ٢٣٨ • ٢٣١ • ٢٢٥

• ٤٥١ • ٢٩٣ • ٢٤٤

أبو علي الروذباري : ١٢٩ • ٧٥

• ٢٣٩ • ١٩٨ • ١٧٩ • ١٤٥

• ٢٤٥ • ٢٤٢ • ٢٤٢ • ٢٤٠

• ٢٧٤ • ٢٦٢ • ٢٥٢ • ٢٥٠

• ١٠٦ • ٢٩٦ • ٢٩٢ • ٢٨٠

• ٣٢٠ • ٣١٤ • ٣٠٩ • ٣٠٨

• ٣٧٢ • ٣٥٩ • ٢٤٢ • ٢٤٠

• ٤٣١ • ٤٢٣ • ٤١٤ • ٢٩١

• ٤٩٥ • ٤٥١ • ٤٣٦ • ٤٣٥

٥٢٥ • ٥٠٤

أبو القاسم الجنيد بن محمد : ٤٦ • ٤٥

• ٥٨ • ٥٧ • ٥١ • ٥٠ • ٤٩

• ٧٦ • ٧٥ • ٧٢ • ٦٧ • ٦٦

• ٨٨ • ٨٥ • ٨٢ • ٨٠ • ٧٩

• ١٤٤ • ١٢٨ • ١٠٢ • ٩٧

• ١٦١ • ١٦٠ • ١٥١ • ١٤٥

• ١٧٢ • ١٦٤ • ١٦٢ • ١٦٢

• ٢٠٤ • ١٩٨ • ١٧٩ • ١٧٨

• ٢٢٢ • ٢٢٢ • ٢٢١ • ٢٢٣ • ٢٢٠

• ٢٤٠ • ٢٢٩ • ٢٢٧ • ٢٢٥

• ٢٤٨ • ٢٤٦ • ٢٤٤ • ٢٤١

• ٢٦١ • ٢٥٩ • ٢٥٧ • ٢٤٩

• ٢٧٢ • ٢٧٢ • ٢٦٨ • ٢٦٢

• ٢٧٩ • ٢٧٧ • ٢٧٥ • ٢٧٤

• ٢٨٥ • ٢٨٢ • ٢٨٢ • ٢٨٠

• ٢٨٩ • ٢٨٨ • ٢٨٧ • ٢٨٦

• ٢٩٥ • ٢٩٣ • ٢٩١ • ٢٩٠

أبو يعقوب النهرجوري : ٧٩ ، ١٠٢

٢٧١ ، ٢٥٦ ، ١٠٢

أبو يعقوب يوسف بن حمدان السوسني :

٦٨ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٢٥٢

(ب)

بشر بن الحارث الخافي : ٧٠ ، ٢١٤

٢٤٤ ، ٢٥٩ ، ٢٦٤ ، ٢٧٢

٢٧٣ ، ٢٧٧

بكر بن عبد الله المديني : ١٧١ ، ٣٩٧

بكران الدينوري : ٢٨١

بلاذني : ١٩١ ، ٣٤٦

بنان : ٢٦٥

بندار بن الحسن : ٣٥ ، ٣٥٥ ، ٣٥٩

بندار الدينوري : ١٤٥

٢٢٤

تيم الدينوري : ١٨٩

٢٢٤

ثابت بن صالح : ١٨٥ ، ٣٩٧

ثعلب : ١٥٥

ثعابة بن أبي مالك : ١٨٨

الثوري : ٢٧٢

٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠١ ، ٣٠٢

٣٠٢ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣١٠

٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٨

٣٢١ ، ٣٢٩ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣

٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٤٣ ، ٣٥٤

٣٥٨ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨

٣٧٣ ، ٣٧٥ ، ٣٨٠ ، ٣٨١

٣٨٢ ، ٣٩٠ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤

٤٠٧ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥

٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢٣ ، ٤٢٥

٤٢٧ ، ٤٣٢ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥

٤٣٦ ، ٤٣٨ ، ٤٤٠ ، ٤٤٦

٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥٩ ، ٤٦١

٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨

٤٦٩ ، ٤٧٥ ، ٤٧٩ ، ٤٨٦

٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٥٠٠

٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥

أبو محمد الجريري : ٤٥٠ ، ٧٥ ، ٩٤

١٦٠ ، ٢٣٨ ، ٢٤٨ ، ٢٧٣

٢٨١ ، ٣٠٠ ، ٣٠٥ ، ٤١٤

٤٢٩ ، ٤٤٤

أبو يزيد طيفور بن عيسى البستاني :

٥٧ ، ١٢٨ ، ١٤٤ ، ١٤٥

٢٢٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٢٤٩

٢٦٧ ، ٢٨٠ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨

٢٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٢٣

٤٥٩ ، ٤٦١ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨

٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٦ ، ٤٧٩

٤٨٠ ، ٥١٤

الحسن بن علي : ٨٢، ٤٥، ٨٧، ١٨١
٣٥٨

الحسن بن أبي الحسن البصرى : ١٩٤،
٣٩٧، ٢٣٥

الحسن بن علي بن حيوية الدامغانى :
٩٨، ٨٢، ٦٤

حسن القزاز : ٢٢٣، ٢٦٨، ٣٢٥،
٣٩٢

الحسين بن أبي أحمد الرازى : ٣٩١

الحسين بن عبد الله الرازى : ٢٨٧

الحسين بن عبد الله الفارصى : ٥٠٤

حسين بن جبريل المرندى : ٣٠٩

حسين بن المصرى : ٢٦٣

الحسين بن منصور الحلاج : ١٥١،

٣٧٨، ٣٠٤

الحصرى : ٤٨، ١٩٨، ٢٨٩، ٣٤٢،
٤٨١

حكيم بن حزام : ١٩١

حمزة بن عبد الله العلوى : ٣٩٨

حنظلة الكاتب : ١٩٠

(خ)

الحضر : ١٧٩، ٢٢٤، ٣٢٢

خير النجاج : ٢٥٦، ٤١٨، ٤٤٨

(ج)

جبريل : ٥٤، ٥٥، ١١٤، ١٤٣،
٤٨٢، ٤٨١، ١٦٣

جبله : ٣٤٣

جريج : ٣٦١

جعفر الخلى : ١٩٨، ٢٢٤، ٢٢٩،

٢٤٣، ٢٤٩، ٢٥٧، ٢٦٣،

٢٦٨، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٩،

٢٨٥، ٢٨٧، ٣٠٧، ٣٠٨،

٣٠٩، ٣١٩، ٣٢١، ٣٣٢،

٣٣٧، ٣٥٩، ٣٦٨، ٣٧٣،

٣٨٠، ٤٠٠، ٤٠٤، ٤٠٧،

٥٠٣

جعفر الطيالسى : ٤٣٥

جعفر المبرقع : ٣٥٩

(ح)

الحارث المحاسبى : ٢٤٠، ٢٤٦، ٢٨٨،

٢٨٩، ٣٠٢، ٣٠٣، ٤٩٥،

حارثة الانصارى : ١٤٣، ١٨٨،

حبيب بن مسلمة : ١٨٦

حبيب العجمى : ٤١٣

حذيفة بن اليمان : ١٨٨، ١٨٩، ٤٥٦،

الحراس بن عميرة : ١٨٥

(د)

الدراج : ٢٧٧ ، ٣٥٨

الدقي : ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٦ ، ٢٤٠

٢٧٣ ، ٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٢٩٥

٣٤١ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩

داود : ١٥٥ ، ٢١٨ ، ٢٣٣ ، ٣٥٢

دلف بن جحدر الشبلي : ٤٧ ، ٥٠

٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٧١

٧٣ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٩

٩٢ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٢٤ ، ١٢٧

١٢٨ ، ١٤٥ ، ١٥٦ ، ١٦٢

١٦٣ ، ١٦٤ ، ٢٠٠ ، ٢١٠

٢٢٠ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٣

٢٥١ ، ٢٥٧ ، ٢٦١ ، ٢٧٥

٢٧٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٥

٢٨٧ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤

٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠٥ ، ٣٢٢

٣٣٠ ، ٣٤٢ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥

٣٦٤ ، ٣٧١ ، ٣٧٩ ، ٣٨٢

٤١٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٣٠ ، ٤٣٢

٤٣٣ ، ٤٣٧ ، ٤٤٠ ، ٤٤١

٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩

٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣

٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩

٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٥٠٤

(ذ)

ذو النون المصري : ٤٥ ، ٤٩ ، ٦١

٦٨ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٨ ، ٩٢

٩٧ ، ١٤٥ ، ١٥١ ، ١٦٦

٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤٦ ، ٢٦١

٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩

٣٠٠ ، ٣٠٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٨

٣٣٥ ، ٣٣٩ ، ٣٤٢ ، ٣٦١

٣٦٢ ، ٤٠٥ ، ٤١٣ ، ٤١٥

٤٤٠ ، ٤٤٥ ، ٤٤٩ ، ٤٩٨

٥٠٣

(ر)

رابعة العدوية : ٣٩٨

رويم بن أحمد بن يزيد البغدادي : ٥١

٥١ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٨

١٠٣ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٤٥

٢٥٠ ، ٢٨٦ ، ٢٩٩ ، ٣٣٤

٣٦١ ، ٣٩٨

(ز)

زرارة بن أوفى : ١٩٠ ، ٢٥٤

زريق : ٣٥٩

زكريا : ٧٧

الزقاق : ٢٦٢ ، ٢٧٣ ، ٢٩٥

سهل بن عبد الله التستري : ٦٨ : ٧١

٧٥ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩٦

٩٨ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٧

١١٨ ، ١٢٥ ، ١٤٦ ، ١٦٤

١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٩٥ ، ١٩٩

٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢١٧

٢١٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥

٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤١ ، ٢٥٨

٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٧١ ، ٢٧٢

٢٧٦ ، ٢٨٥ ، ٢٩٠ ، ٢٩٩

٣٠٣ ، ٣٠٧ ، ٣٢٣ ، ٣٦٥

٣٦٦ ، ٣٧٦ ، ٣٨١ ، ٣٩٠

٣٩١ ، ٣٩٤ ، ٤٠٠ ، ٤٠٣

٤٠٤ ، ٤٠٦ ، ٤٢٨ ، ٤٣٠

٤٣٤ ، ٤٧٦ ، ٤٩٩

(ش)

الشافعي : ٣٤٨

شان بن أم مكتوم : ١٨٣

شاه الكرماني : ١٢٧ ، ٣١٠

(ص)

صاح المري : ٣٥٤ ، ٣٩٧

الصبيحي : ٢٦٢

صفوان بن محرز المزاني : ١٨٩

صلة بن أوشيم : ٣٩٧

صهيب : ١٩١

زهري : ١٢٩

زياد بن حدير : ١٨٥

زيد بن الخطاب : ١٦٠ ، ١٦٧ ، ١٧٥

زيثب : ١٦٠

(س)

السري السقطي : ٧٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠

٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٥٦ ، ٢٦٢

٢٦٩ ، ٣١٠ ، ٣٢٢ ، ٣٣٤ ، ٣٥٤

٣٧٢ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٤٠٣

٤٢٧

سعد بن الربيع : ١٩٢

سعد بن معاذ : ١٨٣

السعيد : ٥١

سعيد بن جبير : ٤٦٥

سعيد بن المسيب : ١٨٩ ، ١٩٤ ، ٣٩٧

سفيان الثوري : ٣٦٧ ، ٤٢٥

سليمان : ١٥٥ ، ١٥٦

سليمان الفارسي : ١٨٥ ، ٣٩٦

سليمان بن داود : ٤٨٤ ، ٤٨٥

سمنون : ٤٥ ، ٨٠ ، ١٥١ ، ٢٨٩

٣٢١ ، ٤٩٨ ، ٥٠٣

السفدي : ٤٠١

عبد الله بن عمر : ١٠٠ . ١٦٣ . ١٦٥ .

٣٩٧ . ٣٤٧

عبد الله بن المبارك : ٢٥٩

عبد الله المروزي : ٢٣٦

عبد الله بن مسعود : ١٠٥ . ١٨٧ .

عبد الواحد بن زيد : ٤٥ . ٣٩٨ .

عتاب بن بشير : ٣٩٧

عتبة الغلام : ٣٤٧

عثمان بن عفان : ١٦٧ . ١٧٦ . ١٧٧ .

١٧٨ . ١٨٢ . ١٩٣ . ٥٠١ .

عدى بن حاتم : ١٩٠

عطاء السلي : ٣٩٨

عزيز : ٤٧٤

العلاء بن الحضرمي : ٣٩٧

علي بن أبي طالب : ١٦٧ . ١٧٤ . ١٧٩ .

١٨٠ . ١٨١ . ١٨٢ . ١٩٣ .

٣٩٦ . ٤٢٦ . ٤٥٦ . ٤٥٨ .

علي بن عبد الرحيم القناد : ٤٥ . ٤٧ .

علي أبو تراب : ٤٠٧

علي أبو الحسن بن محمد القرشي

الفارسي : ٣٠١

علي بن سهل الاصفهاني : ٢١٣ . ٣١٠ .

علي بن الموفق : ٣٦٢

عمران بن الحسين : ١٨٧

(ط)

طلحة العصائدي البصري : ٤٠٦

طلحة بن عبيد الله : ١٨٤

الطيالسي : ٣٦١

طيفور بن عيسى : ٤٠٠

(ع)

عامر بن عبد القيس : ٨٤ . ١٠٢ .

٣٩٧ . ٥٠١ .

عائشة : ١٣٦ . ١٣٩ . ١٦١ . ٢٣٢ .

٣٤٥ . ٣٤٦ .

عبد الرحمن الفارسي : ٦٢

عبد الرحمن بن عوف : ١٩٢

عبد الرحمن بن أحمد : ٤٠٠

عبد الله بن جعش : ١٨٩

عبد الله بن جعفر : ٣٤٦

عبد الله بن رواحة : ١٨٩

عبد الله بن ربيعة : ١٩١ . ١٩٢ .

عبد الله الرباطي : ٤٠٤

عبد الله بن الحسين : ٣١٩

عبد الله بن طاهر الابري : ٢٨٧

عبد الله بن عباس : ٤٣ . ١٨٨ . ٤٧٠ .

عبد الله بن طلحة : ١٨٥

القناد : ٤٦ ، ٤٧ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٩٠ .

٥٠٣ ، ٤٣٥

قيس بن عمر الحمصي : ٣٦١

(ك)

الكتاني : ٤١٤

كحيل بن زياد : ١٤٦ ، ١٨٠

كردي الصوفي الازموي : ٢٧١ ، ٣١٦

كعب الاحبار : ١٨٧ ، ١٨٨

كلثوم الغساني : ١٩٥

(ل)

اللجاج : ١٩٠ - ١٩١

(م)

مالك بن دينار : ٦٧ ، ٣٩٨

مالك بن طوق : ٣٥٨

محمد : ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦٨ .

١٨٤ ، ٣٣٠ ، ٤٤٤ ، ٥١٥

محمد بن اسماعيل : ٢٥٠

محمد بن احمد بن حمدون الفراء : ٦٢

محمد بن داود : ١٦٠

محمد بن سيرين : ١٩٤

محمد بن علي القصاب : ٤٥ ، ٢٦٤

عمر بن عبد العزيز : ٩٦ ، ١٧٧

عمر بن الخطاب : ١٦٥ ، ١٦٧ .

١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٨١ .

١٨٢ ، ١٩٢ ، ٢١٢ ، ٣٢١ .

٣٤٥ ، ٣٩٦ ، ٤٢٥ ، ٤٥٦

عمر المظني : ٣٣٢

عمر بن الحر : ٣٣٥

عمرو عثمان المديني : ٤٥ ، ١٠١ ، ١٠٠ .

١٠٢ ، ١١٢ ، ١٦٣ ، ٢٩٢ .

٢٩٥ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣١١ .

٣٧٥ ، ٣٨٢ ، ٤١٣ ، ٤١٥ .

٤٢٤ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ .

٤٤١ ، ٤٩٩

عمرو بن هند : ١٨٠

عيسى القصار الدينوري : ٢٠٠ ، ٢٥٠

٢٦٩

(ف)

فاطمة : ٣٩٦

فتح الموصلي : ٢٤٤ ، ٢٦٥

فتح بن شخرف : ٣٠٠

فرقد السخمي : ٣٥٨

فرعون : ٤٧٢

(ق)

قشير : ١٩٠

موسى : ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٧١ ، ٢٤٦
 ٢٥٢ ، ٤٥٥ ، ٥٠٨
 مشاد الدينورى : ٢٥٤ ، ٢٧١ ، ٣٠٥
 ٣٦٦
 ميكائيل : ٤٨١

(ن)

نساج : ٢٢٢
 نصر بن يحماسى : ٧٥
 النورى : ٤٦ ، ٥ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ٢٧٩
 ٢٨٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣٠٤
 ٣١١ ، ٤٣١ ، ٤٣٥ ، ٤٣٩
 ٤٤٦ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥

(هـ)

هديل : ١٩١
 هرم بن حبان : ٣٩٧
 هود : ٣٥٢

(و)

الواسطى : ٥٩ ، ٦٠ ، ٥٠ ، ٥١
 ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢
 ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦٠
 ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١

محمد بن على الكتاني : ١٦٧ ، ٤٢٨

محمد بن كعب : ١٩٠

محمد بن المفضل السمرقندى : ٥٨

محمد بن مسروق البغدادي : ٣٧٠

محمد بن منصور : ٢١١ ، ٢٤٢

محمد بن معبد البانياسى : ٢٧١

محمد بن موسى الفرغانى : ١٦٤ ، ٥٠٦

٥٠٧ ، ٥٠٩

محمد بن واسع : ٦٧ ، ٣٩٨ ، ٤٣٤

محمد بن يعقوب الفرجى : ٣٥٩ ، ٤٣٠

محمد بن يوسف : ٤٠١

مجاهد : ٤٢١ ، ٤٥٥

مروان بن الحكم : ١٨٨

مسلم بن يسار : ٣١٧

مصعب بن أحمد : ٢٦٤

المزين الكبير : ٢٥٠ ، ٢٩٣

مصعب بن عمر : ١٩١ ، ١٩٢

مطرف بن عبد الله بن الشخيرى : ٩٦

١٦٨ ، ٢١٠ ، ٢٩٧

المظفر الفريسي : ٢٥٣

معاذ بن جبل : ١٦٧ ، ١٨٥ ، ٢٣٨

معاويه بن أبى سفيان : ٥٠١

مورق : ٤٥٥

موسى بن عيسى : ١٢٤ ، ١٤٥

٠ ٣٣٩ . ٣٣١ . ٣٢٣ . ٣١١
 ٠ ٤٢٩ . ٤٠٣ . ٣٦٨ . ٣٦٤
 ٠ ٤٦٥ . ٤٤٢ . ٤٣٤ . ٤٣٣
 ٥٠٧ . ٤٧٨

يوسف بن الحسين الرازي: ٤٩ . ٥٠ . ٥٠٠
 ٠ ٢٧٦ . ٢٦٣ . ٢٣٦ . ١٥١ . ١٤٠
 ٠ ٣٠٤ . ٢٩٨ . ٢٩١ . ٢٨٨
 ٢٢٥ . ٣١٨ . ٣١١ . ٣٠٩ . ٣٠٨
 ٤٤٠ . ٣٦١ . ٣٢٤ . ٣٢٩

يوسف الصايغ : ٢٦٢
 يوسف زنديق : ٣٦٣
 يونس ابن متي : ٤٧٩

وهيب بن الورد : ١٢٥

الوجين : ٢٤٨ ، ٢٥٦ ، ٢٦٤
 ٢٦٧ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨٦
 ٣٢٠ ، ٣٥٩ ، ٣٦١ ، ٥٠٤

(٥)

يحي الاصطخري : ٢٨٢

يحي بن الرضا العلوي : ٣٥٤

يحي بن معاذ الرازي : ٥٨ ، ٦١ ،
 ٧٣ ، ١٧٦ ، ٢٤٩ ، ٢٦٧
 ٢٦٩ ، ٢٧٩ ، ٢٩٦

فهرس الموضوعات

الصحيفة

الموضوع

- لجنة نشر الأصول الصوفية
مكانه كتابه الدع ، من التصوف
التعريف بصاحب الدع ،
مقدمة المؤلف
- ١٧ باب البيان عن علم التصوف ومذهب الصوفية ومنزلتهم من أولى العلم القائمين
بالقسط
- ٢١ باب في نعت طبقات أصحاب الحديث ورسمهم في النقل ومعرفة الحديث
وتخصيصهم بعلمه
- ٢٤ باب ذكر طبقات الفقهاء وتخصيصهم بما ترسموا به من أنواع العلوم
- ٢٦ باب ذكر الصوفية وطبقاتهم وما ترسموا به من العلم والعمل وما خصوا به
من الفضائل وحسن الشرائع
- ٢٨ باب تخصيص الصوفية بالمعاني التي قد ترسموا بها من الآداب والأحوال
والعلوم التي تفردوا بها من جملة العلماء
- ٢٩ باب في تخصيص الصوفية من طبقات أهل العلم في معان أخر من العلم
- ٣١ باب الرد على من زعم أن الصوفية قوم جهلة وليس لعلم التصوف دلالة من
الكتاب والآثار .
- ٣٢ باب في ذكر اعتراض الصوفية على المتفقهة وبيان الفقه في الدين ووجه
ذلك بالحجة .
- ٣٦ باب ذكر جواز التخصيص في علوم الدين وتخصيص علمه بأهله والرد
على من أنكى علماً برأيه ولم يدفع ذلك إلى أهله وإلى من يكون
ذلك من شأنه
- ٣٨ باب الكشف عن أمم الصوفية ولم يسمها بهذا الاسم ولم نسبوا إلى هذه
الأمم
- ٤٠

الصفحة	الموضوع
٤٢	باب الرد على من قال : لم نسمع بذكر الصوفية في القديم وهو اسم محدث
٤٣	باب إنبات علم الباطن والبيان عن صحة ذلك بالحجة
٤٥	باب التصوف ما هو وبعته وماهيةه ؟
٤٥	باب صفة الصوفية ومن هم ؟
٤٩	باب التوحيد وصفة الموحد وحقيقته وكلامهم في معنى ذلك
٥٦	باب ما قالوا في المعرفة وصفة العارف وحقيقته ذلك ببيانها
٦١	باب في صفة العارف وما قالوا فيه
٦٣	باب في قول القائل : بم عرفت الله ؟ والفرق بين المؤمن والعارف
	كتاب الأحوال والمقامات
٦٥	باب في المقامات وحقائقها
٦٦	باب في معنى الأحوال
٦٨	باب مقام التوبة
٧٠	باب مقام الورع
٧٢	باب مقام الزهد
٧٤	باب مقام الفقر وصفة الفقراء
٧٦	باب مقام الصبر
٧٨	باب مقام التوكل
٨٠	باب مقام الرضا وصفة أهله
٨٢	باب مراقبة الأحوال وحقائقها وصفة أهلها
٨٤	باب حال القرب
٨٦	باب حال المحبة
٨٩	باب حال الخوف
٩١	باب الرجاء
٩٢	فصل في معنى الخوف والرجاء
٩٤	باب حال الشوق

الصفحة

الموضوع

٩٦	باب حال الأانس
٩٨	باب حال الطمانينة
١٠٠	باب حال المشاهدة
١٠٢	باب حال اليقين .

كتاب اهل الصفوة في الفهم والاتباع لكتاب الله عز وجل

١٠٥	باب الموافقة لكتاب الله تعالى
١٠٨	باب في تخصيص الدعوة ووجه الاصطفاء
١١١	باب ذكر تفاوت المستمعين في خطاب الله تعالى ودرجاتهم في قبول الخطاب
١١٢	باب في شرح استنباط لاقاء السمع والحضور بالتدبر عند التلاوة وفهم الخطاب بما خوطب به العبد
١١٦	باب وصف أرباب القلوب في فهم القرآن
١١٩	باب ذكر السابقين والمقربين والأبرار من طريق الفهم والاستنباط
١٢٢	باب بيان التشديد في القرآن ووجوه ذلك
١٣٤	باب ما قيل في فهم الحروف والأسماء
١٣٦	باب في وصف من أصاب في الاستنباط والإشارة والفهم في القرآن ووصف من غلط وأخطأ في ذلك

كتاب الأسوة والافتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم

١٢٠	باب وصف أهل الصفوة في الفهم والموافقة والاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم
١٣٤	باب ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أخلاقه وأفعاله وأحواله التي اختارها الله تعالى له
	باب بيان ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرخص والتوسيع على الأمة فيما أباح الله تعالى لهم ووجوه ذلك في حال الخصوص والعموم

الصحيحة

الموضوع

- ١٤١ في الاقتداء برسول الله صلى عليه وسلم
باب ما ذكر عن المشايخ في اتباعهم رسول الله صلى عليه وسلم
١٤٤ وتخصيصهم في ذلك

كتاب المستنبطات

- ١٤٧ باب مذهب أهل الصفوة في المستنبطات الصحيحة في فهم القرآن والحديث
وغير ذلك وشرحها
في كيفية الاختلاف في مستنبطات أهل الحقيقة في معاني علومهم
وأحوالهم
١٥٠ في مستنبطات أهل الصفوة في تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وشرفه
وفضله على إخوانه عليه السلام من ككات الله عز وجل من طريق
الفهم
١٥٣ في مستنبطاتهم في خصوصية النبي صلى الله عليه وسلم وفضله على إخوانه
عليهم السلام من الأخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٥٨ في مستنبطاتهم في معاني أخبار مروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من طريق الاستنباط والفهم
١٦٢

كتاب الصحابة رضوان الله عليهم

- ١٦٦ في ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعانيهم رضي
الله عنهم
ذكر أني بكر الصديق رضي الله عنه وتخصيصه بين من أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالأحوال التي تعلق بها أهل الصفوة من هذه
الامة وتخلق بذلك واقتدى به
١٦٨ في ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه
١٧٣ في ذكر عثمان رضي الله عنه
١٧٦ في ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه
١٧٩

الصحيفة

الموضوع

١٨٣

باب صفة أهل الصفة رضوان الله عليهم أجمعين

١٨٥

د في ذكر سائر الصحابة في هذا المعنى

كتاب آداب المتصوفة

١٩٤

باب في ذكر الآداب

١٩٧

د آدابهم في الوضوء والطهارات

٢٠٣

د في ذكر آدابهم في الصلاة

٢٠٧

فصل آخر في آداب الصلاة

٢١٠

باب ذكر آدابهم في الزكوات والصدقات

٢١٦

د في ذكر الصوم وآدابهم فيه

٢٢٢

د ذكر آدابهم في الحج

٢٢١

د في ذكر آداب الفقراء بعضهم مع بعض وأحكامهم في الحضر والسفر

٢٣٤

د ذكر آدابهم في الصحبة

٢٣٨

د ذكر آدابهم عند مجاراة العلم

٢٤٢

د ذكر آدابهم في وقت الطعام والاجتماعات والضيافات

٢٤٦

د في ذكر آدابهم في وقت السماع والوجود

٢٤٨

د في ذكر آدابهم في اللباس

٢٥٠

د في ذكر آدابهم في أسفارهم

٢٥٣

د في ذكر آدابهم في بذل الجاه والسؤال والحركة من أجل الأصحاب

٢٥٦

د في ذكر آدابهم إذا فتح عليهم شيء من الدنيا

٢٥٩

د في ذكر آداب من اشتغل بالمسكيب والتصرف في الأسباب

٢٦٢

د في آداب الأخذ والعطاء وإدخال الرفق على الفقراء

٢٦٤

د في آداب المتألمين ومن له ولد

٢٦٧

د في ذكر آدابهم في الجلوس والمجالسة

٢٦٩

د في ذكر آدابهم في الجوع

٢٧١

د في ذكر آداب المرضى في مرضهم

الصحيحة

الموضوع

- باب في آداب المشايخ ورفقهم بالأصحاب وعطفهم عليهم
 ٢٧٣
 « في ذكر آداب المريدين والمبتدئين
 ٢٧٥
 « في ذكر آداب من ينفرد ويختار الخلوة
 ٢٧٧
 « في ذكر آدابهم في الصداقة والمودة
 ٢٧٩
 « في ذكر آدابهم عند الموت
 ٢٨٠
 كتاب المسائل واختلاف أقوالهم في الأجوبة
 ٢٨٣

كتاب المكاتبات والصدور والأشعار والدعوات والرسائل

- باب في مكاتبات بعضهم إلى بعض
 ٣٠٥
 « في صدور الكتب والرسائل
 ٣١٣
 « في أشعارهم في معاني أحوالهم وإشاراتهم
 ٣١٨
 « الدعوات التي كان يدعو بها المشايخ المتقدمون من أهل الصفة
 ٣٢٨
 « في وصاياهم التي أوصى بها بعض لبعض
 ٣٣٥

كتاب السماع

- « في حسن الصوت والسماع وتفاوت المستمعين
 ٣٣٨
 « في السماع واختلاف أقوالهم في معناه
 ٣٤٢
 « في وصف سماع العامة وإباحة ذلك لهم إذا سمعوا ذكر الترغيب
 والترهيب بالأصوات الطيبة ويحتم ذلك على طلب الآخرة
 ٣٤٤
 « في وصف سماع الخاصة وتفاضلهم في ذلك
 ٣٣٩
 « في ذكر طبقات المستمعين
 ٣٥٣
 « ذكر من اختار سماع القصائد والأبيات من الشعر
 ٣٥٦
 « في وصف سماع المريدين والمبتدئين
 ٣٥٨
 « في وصف المشايخ في السماع وهم المتوسطون العارفون
 ٣٦١

الصحفية

الموضوع

- ٢٦٥ باب في وصف خواص الخواص وأهل الكمال في السماع
 ٣٦٨ « في سماع الذكر والمواعظ والحكمة وغير ذلك
 ٣٧٠ « آخر في السماع
 « فيمن كره السماع والذي كره الحضور في المواضع التي يقرأون فيها القرآن
 ٣٧٢ بالألحان ويقولون القصائد ويتواجدون ويرقصون

كتاب الوجد

- ٣٧٥ « في ذكر اختلافهم في ماهية الوجد
 ٣٧٧ « صفات الواجدين
 ٣٧٩ « في ذكر تواجد المشايخ الصادقين
 ٣٨١ « في قوة سلطان الوجد وهيجانه وغلباته
 ٣٨٣ « في الواجد الساكن والواجد المتحرك أيها أتم
 ٣٨٥ « جامع مختصر من كتاب « الوجد » الذي ألته أبو سعيد بن الأعرابي

كتب إثبات الآيات والكرامات

- ٣٩٠ « في معاني الآيات والكرامات وذكر من كان له شيء من ذلك
 « في حجة من أنكر كون ذلك من أهل الظاهر والحجة عليهم في
 جواز ذلك للأولياء والفرق بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام
 ٣٩٢ في ذلك
 « في الأدلة على إثبات الكرامات للأولياء وعلة قول من قال : لا يكون
 ذلك لا يكون إلا للأنبياء عليهم السلام
 « في ذكر مقامات أهل الخصوص في الكرامات وذكر
 ٤٠٠ شيء من الكرامات فذكره ذلك وخشي الفتنة
 « ذكر من كان له شيء من هذه الكرامات فأظهرها لأصحابه لصدقه
 ٤٠٤ وطهارته وسلامة قلبه وسحته
 « في ذكر الخصوص وأحوالهم التي لا تعد من الكرامات ، هي في

الصحيفة

الموضوع

٤٠٦

معانيها أتم وألطف من التكرارات

كتاب البيان عن المشكلات

٤٠٩

باب في شرح الألفاظ المشككة الجارية في كلام الصوفية

٤١١

« بيان هذه الألفاظ

كتاب تفسير الشطحيات والكلمات التي ظهروا مستشنع

وباطنها صحيح مستقيم

٤٥٣

« في معنى الشطح والرد على من أنكروا ذلك برأيه

« تفسير العلوم وبيان ما يشكل على فهم العلماء من علوم الخاصة

٤٥٥

و تصحيح ذلك بالحجة

« في كلمات شطحيات تحكى عن أبي يزيد قد فسر الجنيد

٤٥٩

طرفاً منه

٤٦١

« ذكر حكاية حكيت عن أبي يزيد البسطامي رحمه الله تعالى

٤٦٤

« آخر في تفسير حكاية ذكرت عن أبي يزيد رحمه الله

٤٦٨

« أيضاً في شرح كلام حكى عن أبي يزيد رحمه الله تعالى

« آخر في شرح ألفاظ حكيت عن أبي يزيد رحمه الله وكان يسكفه في

ذلك ابن سالم بالبصرة وذكر مناظرة جرت بينه وبينه في معنى

٤٧٢

ذلك

٤٧٨

« في ذكر كلام حكى عن الشبلي رحمه الله وشرحه عن ذلك

٤٨١

« في معنى حكاية حكيت عن الشبلي رحمه الله

٤٨٣

« آخر في معنى أحوال كانوا ينكرون على الشبلي رحمه الله

« آخر في شرح كلام تكلم به الشبلي رحمه الله وهو مما يشكل فهمه على

٤٨٦

قلوب العلماء والفقهاء وألفاظ جرت بينه وبين الجنيد رحمه الله

الصفحة	الموضوع
٤٩٢	باب في ذكر أبي الحسين النورى رحمه الله
٤٩٥	• في ذكر أبي حمزة الصوفى
٤٩٧	• ذكر جماعة المشايخ الذين رموهم بالكفر
٥٠٢	• في ذكر أبي بكر على بن الحسن
٥٠٦	• في ذكر محمد بن موسى الفرغانى
٥١١	• في بيان مآقال الواسطى
٥١٦	• في ذكر من غلط من المترسمين بالتصوف ومن أين يقع الغلط وكيفية وجوه ذلك
٥١٨	• في ذكر الفرقة الذين غلطوا وطبقاتهم وتفاوتهم في الغلط
٥٢٠	• في ذكر من غلط في الفروع التي لم تؤدهم إلى الضلالة ونبتدى في ذكر الطوائف الذين غلطوا في الفقر والغنى
٥٢٣	• في ذكر من غلط في التوسع وترك التوسع من الدنيا بالتقشف والتقلل ومن غلط في الاكتساب وترك الاكتساب
٥٢٥	• في ذكر طبقات الذين غلطوا في الإرادات وغلطوا في المجاهدات وسكنوا إلى الراحة
٥٢٧	• في ذكر طبقات الذين غلطوا في ترك الطعام والعرلة والانفراد وغير ذلك
٥٣١	• في ذكر من غلط في الأصول وأداه ذلك إلى الضلالة ونبتدى بذكر القوم الذين غلطوا في الحرية والعبودية
٥٣٣	• في ذكر من غلط من أهل العراق في الإخلاص
٥٣٥	• في ذكر من غلط في النبوة والولاية
٥٣٨	• في ذكر الفرقة التي غلطت في الإباحة والحظر والرد عليهم
٥٤١	• في ذكر غلط الحلولية وأقوايلهم على ما بلغنى ولم أعرف منهم أحداً ولم يصح عندي شيء غير البلاغ
٥٤٣	• في ذكر من غلط في فناء البشرية
٥٤٤	• في ذكر من غلط في الرؤية بالقلوب

الصحيفة

الموضوع

٥٤٧

باب ذكر من غلط في الصفاء والطهارة

٥٤٨

» ذكر من غلط في الانوار

٥٤٩

» ذكر من غلط في عين الجمع

٥٥١

» في ذكر من غلط في الانس والبسط والخشية

٥٥٢

» في ذكر من غلط في فنائهم عن اوصافهم

٥٥٣

» في ذكر من غلط في فقد الحس

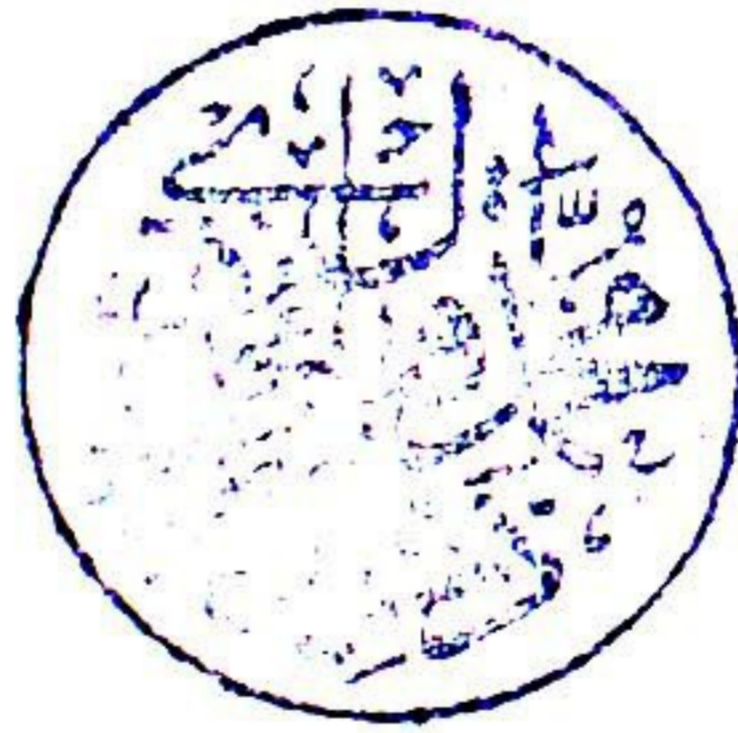
٥٥٤

» في ذكر من غلط في الروح

٥٥٧

تخريج احاديث كتاب اللمع

ع



مطبعة السعادة

ميدان احمد مهرانا (المختوم سابقاً)
١١ شارع اعدوى - ٧٩١٢٩ - ج ٢٨

تعنى ولا تبنى مرة سوى « أنها كانت صدقة، يعينها جمعها للزمتى والمرضى ومن به عايشة، لأن قول الله تعالى: « إنهم الصدقات لأتقراء وألمساكين » (١)، لم يعلق عليها شرط غير التقدير، والتقدير هو لعدم في الأصل به، ثم بعد ذلك له أخلاق وأحوال وتفاضل وأسرار .

يقول: إن اشتقنا الفقر، من فقار الظهير مأخوذاً، والنقار، هو العظم الذي به قيام الظهير، فإذا انكسر وضمف واحتاج إلى غيره مما يقبسه، سمى فقيراً للضعف والحاجة إلى ما يقيمه، والله أعلم .

ومن كره الصدقة من جهة ما قيل: إنها من أرسخ الناس، فإنما قيل ذلك على معنى أن الصدقة تحيط من أوزار الناس وطايرهم للذين يتصدقون بها، ولو كان نقصاً وانقرا، أخذت الصدقات والكرات، أو وضعهم من جهة أنها أرسخ الناس للزيم ذلك، أيضاً للأملين عليها، [ولما تلبه فلو بهم]، والغارمين، وفي سبيل الله، وابن السبيل .

ومن ليس له شيء، في الدنيا وقد فانه فضل الصدقات التي يتصدق بها من الأموال [فقد جعل الله له صدقات من الأقوال] والأعمال ما ليس فضلياً بأقل من ذلك، وهو ما روى عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: « مداراة الناس صدقة » [ومعنا وذلك لأخيك صدقة]، « ومن الصدقة أن تلقى أخاك بوجه طلق، وأن تفرغ من إهلك في إياك أخيك صدقة » .

وفد - كى عن ابن جرير الخارث، أنه كان يقول: يا أصحاب الحديث، أذوا زكاة الحديث، قيل: وما زكاة الحديث؟ قال: اعلموا من كل مائتي [حديث] بخمسة أحاديث، يعني من كل مائتي حديث شككتها وتخفظونها .

